Centre Universitaire Abdelhafid Boussouf Mila

الجمهوريـه الجرائريـة التيمقراطيـة الشعبيـة République Algérienne Démocratique et Populaire وزارة التطيـم المعالي والبحث العلمي Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

قسم: اللغة والأدب العربي



معهد: الآداب واللغات

الرقم التسلسلي:....

رقم التسجيل:L95/2021

www.centre-univ-mila.dz

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د)

إشكالات تلقي اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة (نماذج مختارة)

إشراف الأستاذ: عبد الغانى قبايلى

إعداد الطالب (ة): جهيدة سعودي

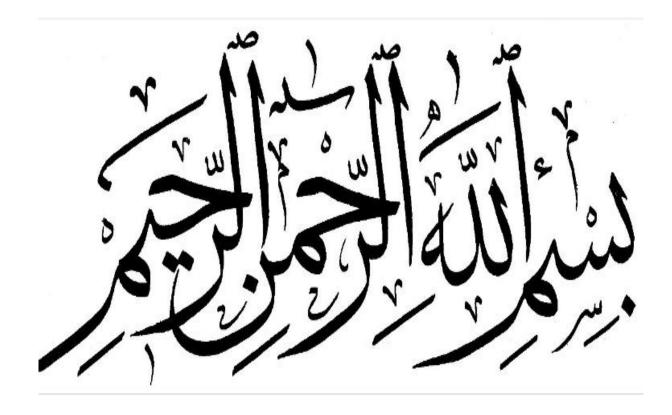
التخصص: لسانيات عربية

الشعبة: در اسات لغوبة

الصفة	مؤسسة الانتماء	الرتبة العلمية	الاسم واللقب	رقم
رئيسا	المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف –ميلة-	أستاذ محاضر أ	سليمة هالة	1
مشرفا و مقرّرا	المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف –ميلة-	أستاذ محاضر أ	عبد الغاني قبايلي	2
ممتحنا	المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف –ميلة-	أستاذ محاضرأ	حياة لشهب	3
ممتحنا	المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف –ميلة-	أستاذ محاضرأ	جميلة عبيد	4
ممتحنا	جامعة محمد لمين دباغين - سطيف	أستاذ التعليم العالي	الزايدي بو درامة	5
ممتحنا	المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار - قسنطينة	أستاذ التعليم العالي	عاشور بن لطرش	6

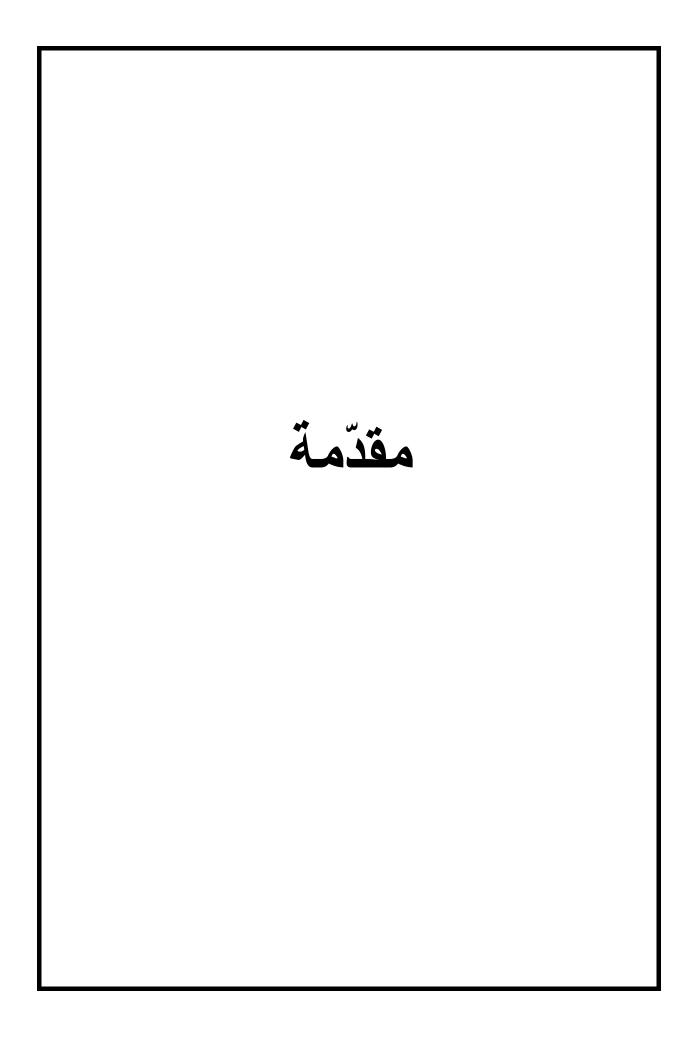
السنة الجامعية: 2024/2023

ميلة -المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف 4300 الجزائر (ميلة RP ص.ب رقم 26. ⊠ 87 031 450040 €031



الإهداء

إلى أمي رعاها الله تعالى إلى روح والدي وح والدي وح أستاذي عيسى قيزة رحمهما الله وطيب ثراهما



مقدّمة:

منذ بداية دخول اللسانيات العامّة حيز الدراسات اللغوية العربية، في بداية أربعينات القرن العشرين مع إبراهيم أنيس ومَنْ تلاه مِنْ لسانيين عرب، شهدت هذه الدراسات ظهور عدة اتجاهات لسانية حديثة تناولت المستويات اللسانية المختلفة صرفا، وتركيبا، ودلالة، وصوتا بما أتيح لها من مناهج حديثة؛ بنيوية وصفية وتوليدية تحويلية، ووظيفية تداولية، وخلال هذه الفترة التي قاربت القرن نشط البحث اللساني العربي وأفرز تراكما من الكتابات في هذه المناهج تنظيرا، وتطبيقا، ونقدا، وتطويرا.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين ظهر اتجاه معرفي غربي أيضا انبثق – من جهته اللسانية – من التصورات التوليدية التي طرحها نوام تشومسكي (Noam Chomsky). والمنادية بالنزعة العقلية من البيولوجية في دراسة الظاهرة اللسانية، وعرف باتجاه العلوم العرفانية (Cognitive sciences) ومثل حقلا ضمّ مجموعة كبيرة من العلوم الطبيعية، والعلوم الإنسانية من بينها علم الأعصاب والتشريح، وعلمي النفس العرفاني والتطوري، والرياضيات، والذكاء الاصطناعي، والفلسفة، والأنثروبولوجيا، والثقافة، واللسانيات. التي تناخلت وتفاعلت تحت مظلة العلوم العرفانية، واصطبغت بصبغة البينية (Interdisciplinary). وقد اتضح تأثّر اللسانيات بتصورات العلوم العرفانية بداية من فرضيات تشومسكي حول فطرية اللغة، وبيولوجية جهاز الاكتساب اللغوي السامحة بإنتاج عدد لا متناهٍ من التراكيب دون الاهتمام بدلالتها، ومن هنا طرح تشومسكي فرضية مركزية التركيب، التي أعقبتها انتقادات من تلاميذه وفي طليعتهم راي جاكندوف (Conceptual الذي نقد بشدة فرضية مركزية التركيب، واقترح فرضية البنية التصورية البينية، وتداخل (Cognitive Linguistics).

تأسيسا على ما جاءت به العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية (Cognitive Linguistics) كمنعطف في البحث اللساني، حيث تتفاعل مع العلوم الطبيعية وخاصة علم الأعصاب والبيولوجيا، توجّهت دراسة اللسانيات العرفانية في تحليل الظاهرة اللسانية نحو عدّها قدرة ذهنية كبقية القدرات الذهنية مثل: الذكاء، والذكرة، والتخيّل، والإدراك... إلخ. وأصبحت اللسانيات العرفانية منذ الخمسينيات تيّارا لسانيا يعمل على تقصيّي البنية الذهنية والإدراكية وتنظيمهما بتحليل الاستراتيجيات العرفانية التي يستخدمها البشر في التفكير، وتخزين المعلومات، وفهمها، وإنتاج اللغة. وإثر هذا المبدأ العام لها تبلورت مجموعة من النظريات اللسانية العرفانية يتمحور مركزها على أنّ معرفة اللغة جزءٌ من مجموعة قدرات ذهنية، ولإثبات ذلك ركّزت بحوثها بشكل رئيسي على الاستعارة، والمعنى اللفظي، والأطر، التي يعتمد عليها تفسير الخطاب. وتزعّم دراسة هذه النظريات اللسانية العرفانية – المناهضة في جزء كبير منها للسانيات نوام تشومسكي – مجموعة دراسة هذه النظريات اللسانية العرفانية – المناهضة في جزء كبير منها للسانيات نوام تشومسكي – مجموعة

من تلامیذه مثل: جورج لایکوف (George Lakoff)، رونالد لانغاکیر (Ronald Langacker) شارل فیلمور (Charles Fillmore).

وفي سياق هذه التحوّلات العلمية المعرفية التي برزت في الدراسات الغربية، واصطبغت بها اللسانيات العرفانية في فترتنا المعاصرة التكنولوجية، عرف الدّرس اللساني العربي بدوره نشاطا عرفانيا عبر أعمال وتجارب متباينة بين التأليف والترجمة، والتنظير والتحليل، بقدر تباينها في عمق تناول قضايا اللسانيات العرفانية، ومقاربة تصوّراتها ومفاهيمها. وكما بدأت عربيا في تسعينيات القرن الماضي أعمالا فردية مغمورة، بالكاد تعالج نظرية أو قضية فرعية من نظرية لسانية عرفانية، أصبحت اليوم بعد قرابة ثلاثة عقود من الزمن تعالج جزءا كبيرا من اللسانيات العرفانية بكلّ أسسها ومبادئها، وتحتّ على العكوف على استثمار تصوّرات كبار روّادها، من أمثال لايكوف وجونسون (Vyvyan Evans)، وجيل فوكونيي (Fauconnier) وفيفيان إيفانز (Vyvyan Evans)... وغيرهم كثير، وعلى استثمار أطروحاتهم في إثارة المسائل اللسانية، وإعادة النظر في أطروحات المذاهب السالفة منذ فردنان دو سوسير (F. De).

وقد انبرى لهذه المهمة مجموعة من اللسانيين العرب كلِّ حسب توجّهه العلمي المعرفي، ومنهم محمد غاليم، وعبد المجيد جحفة، وعبد الرحمن طعمة، وسعيد حسن بحيري، ومحي الدين محسب، وصابر الحباشة والأزهر الزناد، وعمر بن دحمان، وتحسين رزاق عزيز... وغيرهم. اشتغلوا على إدخال هذا الفرع اللساني الحديث إلى الثقافة اللسانية العربية، فعكف فريق منهم على التأليف وآخر على الترجمة. أمّا فريق المؤلفين فعالجوا في كتاباتهم نماذج ونظريات متفرّقة ومنتقاة من اللسانيات العرفانية، أبرزها الاستعارة التصورية والدّلالة التصورية التي أسهب كل من عمر بن دحمان ومحمد غاليم فيها، خاصة وأن منبع اللسانيات العرفانية والأول هو دراسة المكوّن الدّلالي ومنحه قيمته في التوليد اللغوي، كما اعتنى آخرون بدمج اللسانيات العرفانية والعلوم العصبية، والأدب والنقد ومن بينهم عبد الرحمن طعمة. أما فريق الترجمة فانشغل من جهة أخرى بنقل أهم المؤلفات الغربية في اللسانيات العرفانية؛ كترجمات عبد المجيد جحفة لبعض أهم دراسات لايكوف حول الاستعارة التصورية، وترجمات تحسين رزاق عزيز لبعض الدراسات الروسية حول الذهن واللغة والفكر كدراسة زينايدا بوبوفا ويوسف ستيرين. وقد مثلت هذه الدراسات المؤلفة والمترجمة إضافة إلى كتابات لسانية عربية أخرى بعض صورً التَلقي العربي للسانيات العرفانية.

وهذا التلقي العربي لها هو الموضوع الذي نحاول مناقشته في هذه الدّراسة عبر تتبع جوهر المضمون اللساني العرفاني في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة، لكن من وجهة مغايرة نسبيا تزيد عن العروض التي جاءت في الدّراسات اللسانية العرفانية العربية السابقة بمحاولة الكشف عن وضعيته العربية، واستكناه الإشكالات التي يعاني منها وتقف عائقا – أحيانا – دون مسايرة سرعة التطوّر اللساني العرفاني الغربي.

ومنه فالبحث يحاول رصد مبادئ اللسانيات العرفانية، ومرجعياتها المعرفية في جذورها اللسانية الغربية أولا من أجل إحاطة شاملة – قدر الإمكان – بالتصورات حول القضايا المعرفية واللسانية التي أثيرت واحتكّت ببعضها وانبثقت عنها اللسانيات العرفانية، وفي مقدّمة هذه الأفكار عودة النزعة العقلية إلى الساحة العلمية وتطوّرات التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي في فترتنا المعاصرة، وعرض أسس ومرجعيات اللسانيات العرفانية بدوره يفتح المجال أمامنا لعرض المضامين الجوهرية التي عالجتها الدّراسات والجهود اللسانية العربية، ومنه الكشف عن طبيعة تلقى اللسانيات العرفانية، ومقدار تقبّل تصوّراتها الجديدة في أوساط اللسانيين العرب.

وثانيا لبيان مستوى تأثّر اللسانيين العرب بالدرس اللساني العرفاني الغربي، سواء أكان تأثرا علميا بمقولات، ومبادئ، وأدوات التحليل اللساني العرفاني، وما يطرحه من تداخل منهجي علمي بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، وما يستوجبه ذلك من تأمل علمي ونظر ونقد، أم كان تأثرا غير مدروس وغير خاضع للنظر العلمي المنهجي، إنما يأخذ قدر المستطاع بما جاءت به اللسانيات العرفانية دون تمحيص. وقد سبقت مناقشة هذه القضية من قبل في بعض الدراسات العربية مبرزة طبيعة التلقي العربي، وخصوصياته في معالجة مقولات ونماذج اللسانيات العرفانية، مشيدة في عدّة مواضع بالدور الإيجابي الذي أدّته في التعريف باللسانيات العرفانية، وبيان أهمّ نظرياتها، وتفعيل تطبيقاتها على الخطاب العربي.

لكن أغلب هذه الدراسات – فيما نرى – قدّمت أحكاما عامة ومسبقة دون نقد معمّق، بل كان مستندا للوصف العام لمضامين الكتابات اللسانية العرفانية العربية وخاصة النّتاج الأول منها، التي لم تُخصص بالضبط للسانيات العرفانية وإنما عالجت بعض تصوراتها إلماحا، مثل: كتاب مسارات المعرفة والدّلالة لصابر الحباشة، والتوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم لمحمد غاليم، ومدخل إلى الدّلالة الحديثة لعبد المجيد جحفة وغيرهم، دون نقد وتمحيص للموضوعات الجوهرية لها والغاية منها، إنما اكتفت بالوصف الذي أشاد ببعض هذه الجهود المؤلفة والمترجمة.

أما ما نريد إضافته هنا هو بعض الرؤى التي تكشّفت لنا إثر الاطلاع على أحدث الجهود العربية في اللسانيات العرفانية حول المآخذ والهنات التي وقع فيها تلقي اللسانيات العرفانية. ومن هذه الجهود كتاب البناء العصبي للغة دراسة بيولوجية تطورية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية، وكتاب النظرية اللسانية العرفانية دراسة ابستيمولوجية لعبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم، وكتاب الأنموذج المعرفي اطارا لاتصال العلوم بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات لمحمد غاليم، وغير هذه الكتابات التي رأينا بعد اطلاع عليها وعلى مؤلفات أخرى بعضها مكمّل لها، وبعضها الآخر مستقل نسبيا عنها أنها تعاني برغم ما طرحته من تصوّرات صميمية في اللسانيات العرفانية – جملة من الإشكالات المنهجية، والتنظيمية والمحتوياتية. وكان أكثر ما يشدّ الانتباه منها تلك الانتقائية التي وقعت فيها قضايا اللسانيات العرفانية عربيا

وتجاوزها مرحلة التأسيس الابستيمولوجي المعرفي إلى مراحل أخرى تسعى إلى بلورة نظرية لسانية عرفانية عربية معاصرة واستثمار نتائجها على الخطاب اللغوي العربي.

ولاستكناه إشكالات وصعوبات التلقي العربي للسانيات العرفانية إلى جانب محاولة استكشاف الإضافات التي استحدثها على التصورات الغربية انتقينا من الكتابات اللسانية العربية كعينات للتحليل ما يأتى:

- البناء العصبي للغة دراسة بيولوجية تطوّرية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية عبد الرحمن طعمة (2017)
 - الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية محى الدين محسب (2017)
 - نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي عمر بن دحمان (2015)
 - النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية عبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم (2019)
- الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات محمد غاليم (2021)
- ترجمات عبد المجيد جحفة لكتاب حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل (2005) لجورج لايكوف وكتابي جورج لايكوف ومارك جونسون الاستعارات التي نحيا بها (2009)، والفلسفة في الجسد الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي (2016).

مع الاستناد في هذا الانتقاء إلى معيار تنوع محتوى هذه النماذج، ومعيار الجدة الذي يعطي لهذه المؤلفات فرصة لشمول قسم كبير من تصورات اللسانيات العرفانية مع مرور الزمن على دخولها إطار الدرس اللساني العربي، الأمر الذي سمح بتتوع محتوياتها بين التقليص والتوسيع، والتأليف والترجمة، فنجد في بعض المؤلفات المختارة كعيّنة الاختصار والتقليص في معالجة مسائل اللسانيات العرفانية من حيث نظرياتها ونماذجها فقط. ويبدو التوسيع في دراسة اللسانيات العرفانية باعتبارها فرعا من حقل علمي أوسع هو العلوم العرفانية، والعرفان عامة بوصفه مجموعة عمليات ذهنية تدخل في البناء المعرفي ككل، مثل بناء التصورات والأفكار وحتى بناء الثقافات التي تميّز كل جماعة بشرية عن الأخرى، وهذا التتوع في المحتوى شملته كلِّ من الكتابات المترجمة والمؤلفة. والغاية الأساسية في البحث ليست إعادة قراءة لما ورد في العينات المنتقاة بل الغاية هي عرض وجهات النظر التي اختص بها كل بحث والإشكالات التي وقع فيها، ومحاولة تحليلها ونقدها؛ حتى لا يُكرَّرَ ما سبق أن قدمته دراسات سابقة قبل هذا البحث من وصف وتقريب، فيُغيَّبُ معيار التكامل العلمي الذي يدعو إليه جل اللسانيين العرب.

تأسيسا على المعطيات المذكورة آنفا، ومحاولة الإلمام بها جميعا ومناقشتها، وَسَمْنَا البحثَ ب «إشكالات تلقي اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة (نماذج مختارة)» لنحاول إثبات

وجود اتجاه لساني عرفاني عربي، بالمعنى العلمي للاتجاه (المذهب) العلمي في مقابل وجود نظيره الغربي وعرض قضايا اللسانيات العرفانية في الأعمال العربية الممثلة لهذا الاتجاه، ومدى علمية وجدية معالجتها وكشف مقدار تمثّل الفكر اللساني العربي لمقولاتها، واستيعابه لسمة البينية وتواشج العلوم الذي خضعت له اللسانيات العرفانية ثمّ تحليل هذا التمثل ونقده، ثم رصد الإشكالات والصعوبات المعرقلة لتلقي اللسانيات العرفانية على كافة الأصعدة المحتوياتية والمنهجية، والدّلالية والنحوية، وكافة النماذج، والمقاربات والنظريات.

لا غرو أن سعي البحث نحو إثبات وجود اتجاه لساني عرفاني عربي وتصنيف كتاباته، وتحليلها ونقدها ورصد إشكالاتها ينطلق من إشكال رئيس هو: إلى أيّ حدّ تواجه الكتابات اللسانية العربية إشكالات ومعوّقات أثناء تلقيها للسانيات العرفانية؟ وينحدر من هذا التساؤل الرئيسي أسئلة فرعية هي:

- ما اللسانيات العرفانية وما مصدرها المعرفي؟
- هل يوجد اتجاه لساني عرفاني ضمن الكتابات اللسانية العربية، وما هو موقعه منها؟
 - كيف تمثّل الفكر اللساني العربي اللسانيات العرفانية ومقولاتها؟
 - ما طبيعة التلقي العربي للسانيات العرفانية، وما طبيعة الإشكالات التي تعترضه؟
- ما القضايا والمقولات اللسانية العرفانية التي عالجتها عينات البحث من الكتابات اللسانية العربية؟
 - إلى أي حدّ تواجه المعالجة اللسانية العرفانية العربية إشكالات في التلقّي؟

وفي سياق الإجابة عن التساؤلات المطروحة وتقليب النظر في التلقي العربي للسانيات العرفانية سطر البحث جملة من الأهداف هي:

- التعرف الدقيق على حقل العلوم العرفانية بصورة عامة، واللسانيات العرفانية ومرتكزاتها بصورة خاصة. وتحديد الوجهة اللسانية العربية من خلال الولوج إلى خصائص أهمّ الجهود العربية فيهما نظرية كانت أم تحليلية تطبيقية.
- محاولة ربط اللسانيات العرفانية عند العرب بالكتابات اللسانية الرائدة، وضبط موقعها من هذه الكتابات وتمحيص ما جاء فيها للإفادة منه في دراسة اللغة العربية خاصة، انطلاقا من التعرف على آراء روادها وتمثلهم لجديد التفكير اللساني العرفاني.
- تحديد طبيعة تلقي اللسانيات العرفانية وخصوصياته، والإضافات العلمية الجديدة في هذا الميدان المعرفي، وتحديد الأصول المعرفية التي انبثق منها الاهتمام العربي باللسانيات العرفانية.
- تسليط الضوء على واقع اللسانيات العرفانية العربي، والوقوف على إشكالات تلقيها في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة بالاعتماد على بعض الجهود العربية الأساسية فيها حتّى نبيّن المنظور العربي في نظريات اللسانيات العرفانية، وآليات تبنيها في الدرس اللساني العربي.

ولتحقيق الأهداف المسطرة والإجابة عن الأسئلة السابقة استوجب البحث الانطلاق من فرضيات مبدئية توضح تسلسل إجراءات مناقشة القضية اللسانية المطروحة في البحث؛ لتتبع إشكالات تلقي اللسانيات العرفانية في العالم العربي ثم معرفة واقعها، وعليه تُبنَى الفرضيات الآتية:

- لزوم معرفة اللسانيات العرفانية بكافة جوانبها، ومعرفة العلوم التي تعتمد عليها وتستمد منها إجراءاتها النظرية والمنهجية، ومقولاتها ومفاهيمها العلمية في دراسة اللغة وتفسيرها وتحليلها، ومدى معرفة المشتغلين باللسانيات العرفانية من العرب بهذه المنطلقات المعرفية وأخذها بعين الاعتبار؛ بغية الخوض في اللسانيات العرفانية على المستوى العلمي العالمي.
- وجوب إدراك المحاور الأساسية للممارسات اللسانية العربية في اللسانيات العرفانية، والاطلاع على القضايا اللسانية العرفانية التي يوليها اللسانيون العرب اهتماما خاصا، وتحديد السبب وراء ذلك والعمل على وضع تمثل التفكير اللساني العربي للسانيات العرفانية في إطاره ووضعه العلمي الواقعي ضمن الممارسة اللسانية العربية.
- الكتابات اللسانية العرفانية العربية يمكن أن تمثّل اتجاها/ مذهبا عربيا في هذا الفرع اللساني الجديد بمختلف توجّهاتها الترجمية والتأليفية.
- تلقي اللسانيات العرفانية يواجه تحديات وإشكالات، سواء على مستوى الترجمة أم على مستوى التأليف والإنتاج، كما يواجه إشكالات بدوره على مستوى المحتوى والتنظيم المنهجي، ومن أبرز هذه الإشكالات الخلط بين قضايا اللسانيات العرفانية، واللسانيات العصبية، وتصورات النقد العرفاني واشكال المصطلح والمنهج.

استجابة للأهداف المسطّرة والسعي نحو مناقشة الفرضيات والإشكالات المطروحة اقتضت بنية البحث أن يتوزّع على مدخل وثلاثة فصول متبوعة بخاتمة وسبقتهم هذه المقدّمة.

المقدّمة: قدّمنا فيها تمهيدا عاما عن موضوع الدّراسة، وطرح إشكاليته المحورية وما يروم معالجته من أسئلة فرعية تتبع الإشكال المحوري، وبيّن الأهداف والغايات المسطّرة من مناقشة هذه التساؤلات والدّراسة كاملة. ومصادرها المعتمدة عليها والعيّنات المنتقاة للتحليل والمنهج المتبع في ذلك، كما بيّنت الدراسات السابقة والمآخذ عليها التي أفضت ودفعت بالباحثة إلى دراسة هذا الموضوع وفق محاوره المحدّدة، كما أشارنا إلى الصعوبات التي اعترضت البحث والباحثة.

المدخل: يحمل عنوان "الحدود المفهومية والمعرفية للعلوم العرفانية واللسانيات العرفانية" أرادنا منه ضبط الحقل العلمي العام والأبعاد المعرفية التي انبثقت منها اللسانيات العرفانية، بداية من الضبط المفهومي للعلوم العرفانية، ونشأتها ودورها، والعلوم المتشابكة التي تأسست عليها، وموقع اللسانيات العرفانية فيها وتحديد

مفهومها وفقا للثورة المعرفية العلمية والنزعة البينية التي سادتها، وصولا إلى تمهيد موجز عن وضعية اللسانيات العرفانية في الدرس اللساني العربي المعاصر أردناها أن تكون توطئة لما سيأتي في الفصول اللاحقة من البحث.

الفصل الأول: حمل عنوان "في نظريات اللسانيات العرفانية" وانقسم بدوره إلى قسمين الأول بعنوان "النظريات التأسيسية للسانيات العرفانية"، والآخر بعنوان "النظريات المحورية في اللسانيات العرفانية في بحثنا في هذا الفصل النظريات اللسانية التي تعلّقت بالثورة المعرفية، ومهدت لظهور اللسانيات العرفانية في جنورها العلمية الغربية وهي بعض تصورات اللسانيات التوليدية النحوية والدّلالية والمظاهر العرفانية التي السنتمرَت في بلورة تصوّرات ومقولات اللسانيات العرفانية، كما تناول في شقّه الثاني النظريات المحورية في اللسانيات العرفانية الدّلالية والنحوية ومفاهيمها، ومبادئها، وتصوّراتها، التي تبنّاها أهم أعلامها مثل: جورج لايكوف (G. Langacker)، ورونالد لانغاكير (R. Langacker) على طبوء التعانق مع العلوم العرفانية، ومحاولة التوسّع في مقتضيات قضايا هذه المحاور.

الفصل الثاني: جاء بعنوان "تجليات اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة" وتمحور البحث فيه على رصد طبيعة التلقي العربي للسانيات العرفانية، وتبيان موقف أهم الرواد العرب مثل: عبد الرحمن طعمة، وصابر الحباشة... إلخ لهذا الفرع اللساني المعاصر حول الركود والنشاط في تلقيه وأسبابهما. ثمّ الاشتغال على وصف وتصنيف الكتابات اللسانية العرفانية العربية بالاعتماد على محتوياتها، وشموليتها وتمثلها لقضايا النظريات اللسانية العرفانية كما جاءت في مظانها الغربية؛ من أجل إثبات وجود لسانيات عرفانية في الدّرس اللساني العربي من عدمه، والوقوف عند رهانات وصعوبات التأسيس العربي للسانيات العرفانية، ثم تقديم بعض مظاهر تطعيمها بنماذج تحليلية جديدة من اللغة العربية.

الفصل الثالث: وُسِم هذا الفصل "قضايا وإشكالات اللسانيات العرفانية في التفكير اللساني العربي المعاصر" وغرضه عرض ونقد إشكالات التلقي العربي للسانيات العرفانية من خلال قراءة عينات البحث، وتصنيفها ومناقشتها تكملة لما جاء في الفصل الثاني، وبناء على القضايا اللسانية العرفانية التي عالجتها هذه النماذج سواء المؤلفة أو المترجمة والتفاوت بينها وطرائق معالجتها. كما يتناول هذا الفصل أيضا الإشكالات المنهجية للتلقي العربي وخاصة البعد الابستيمولوجي والمنهجي مع محاولة لتحديد مصدر هذه الإشكالات واقتراح حلول لتجاوزها.

الخاتمة: جمعت فيها كل النتائج والتوصيات التي توصّلنا إليها.

ولمّا كانت الغاية الرئيسية من البحث رصد وضعية وخصوصيات اللسانيات العرفانية في الجهود اللسانية العربية، ومعالجة الإشكالات التي تعرقل تقدّمها، اقتضى البحث المناهج الثلاث التالية: المنهج الوصفي، والمنهج المقارن، والمنهج التحليلي النقدي، أردنا من الوصف عرض اللسانيات العرفانية

ومنابتها الغربية والتلقي العربي لها، والاتجاهات التي تكونت من الكتابات اللسانية العرفانية العربية. واعتمد المنهج المقارن لتقديم مقارنة لوضعية اللسانيات العرفانية الغربية والعربية واستكناه جوهر المآخذ على التصورات العربية منها، أما اعتماد المنهج التحليلي النقدي فالغاية منه مناقشة ونقد مضمون ومنهجية الكتابات اللسانية العربية في اللسانيات العرفانية، والتّعمّق في مدى صرامتها العلمية والبحث في جوهر الإشكالات التي واجهتها.

بناء على ما تقدّم فُصلت هذه الدراسة العلمية إلى المحاور المذكورة أعلاه، واعتمدت هذه المناهج بعينها حتى لا تقع في تكرار ما تتاولته دراسات سابقة كان لها فضل وضع تصوّرات البحث وإنجازه. ومن بينها:

- محمد غاليم الحاج، المعنى والتوافق مبادئ لتأصيل البحث الدّلالي العربي.
- صابر الحباشة، عمر بن دحمان، وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع.
 - الأزهر الزناد، اللغة والجسد.
 - عبد الرحمن طعمة، في انثروبولوجيا اللسانيات الذهن والخطاب والثقافة.
 - عبد الكبير الحسني، الدلالة المعرفية ومشروع بناء هندسة للمعنى.
 - منية عبيدي، التمثيل الدلالي للجملة منوال جاكندوف 1983.
 - توفيق قريرة، الاسم والاسمية والإسماء في اللغة العربية مقاربة نحوية عرفانية.

ومن الدراسات السابقة أيضا التي اطلعنا عليها وبنينا على نتائجها تصورات البحث بعض الرّسائل الجامعيّة والمقالات الأكاديميّة المتمثّلة في الآتي:

- عمر بن دحمان، الاستعارات والخطاب الأدبي، أطروحة دكتوراه، جامعة تيزي وزو، الجزائر، 2012.
- حيدر فاضل عباس العزّاوي، اللسانيات المعرفية في الدّراسات العربية الحديثة، أطروحة دكتوراه جامعة كربلاء، العراق، 2018.
- صام عبد القادر، الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في اللسانيات العربية دراسات في خصوصية التاقي، أطروحة دكتوراه، جامعة غليزان، الجزائر، 2022.
 - محمد الملاخ، ترجمة مصطلحات اللسانية المعرفية: قضايا وإشكالات، مجلة الإشعاع، 2018.
 - عبد السلام المسدي، منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 2003.
 - حنان كرميش، يوسف منصر، تلقي اللسانيات العرفانية Cognitive Linguistics في الخطاب اللساني العربي الأزهر الزناد ومحمد الصالح البوعمراني أنموذجا، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2019.

وعبر مناقشة التصورات المقترحة في فصول البحث وتطبيق هذه المناهج سعت الدراسة إلى التميّز عن الدّراسات السابقة المذكورة ودراسات أخرى غيرها بالتطرق لما غفلت عنه وسدّ الفجوات العلمية التي خلّفتها، خاصّة أن أغلبها كان دراسات وصفية اكتفت بتقديم اللسانيات العرفانية من ناحية التعريف بها وبأهم نظرياتها دون التعمّق في جذورها المعرفية والفلسفية الغربية المنبثقة منها، وخاصية هذا البحث هي عرض دراسة تحليلية نقدية تختص بمآخذ التلقي العربي للسانيات العرفانية وإشكالاته والسبب وراءها، هذه الإشكالات التي ظهرت بداية دخول اللسانيات العامة إلى التفكير اللغوي العربي وما زالت مستمرة مع جميع فروعه حتى الأكثر جدّة منها.

وتميّز البحث أيضا بمحاولة إجراء مقارنة بين النتاج اللساني العرفاني الغربي والنتاج اللساني العرفاني العربي في أهم وأشهر نظريات اللسانيات العرفانية، وهو الغرض من تخصيص الفصل الأول لأسس اللسانيات العرفانية الغربية والفصل الثاني لتبيين الوعي العربي بهذه المقاربات وطبيعة البحث فيها، مع محاولة دعم هذه المقارنة بتحليل نقدي لمجموعة العينات المختارة من الجهود اللسانية العرفانية العربية لمحمد غاليم، ومحي الدين محسب...إلخ، بغية تجاوز الوصف إلى تحليل ونقد هذه الإشكالات وفتح المجال لبحوث لاحقة من أجل إيجاد الحلول.

وفي الأخير أسفرت مناقشة محاور البحث المجتباة بالمناهج المذكورة عن نتائج متعدّدة لا يمكنني في هذا المقام الضّيق إلا ذكر أهمها، وهي: إن إشكالات الكتابات اللسانية العرفانية العربية التي مثلّت اتجاهات التلقي العربي لها موجودة على كافة هذه الاتجاهات المختصة بالترجمة والتأليف، وهي إشكالات متباينة بين المحتوى المبحوث فيه، وبين منهجيات معالجة هذا المحتوى، وبين محاولات إنتاج لساني عربي شامل متكامل، وبين تجزيء للقضايا اللسانية العرفانية. مع ذلك فلا يمكن جحد المستوى العلمي العالي لبعض الدراسات العربية كالتي اختيرت كعيّنات للبحث.

يمكن أن نعد فرع اللسانيات العرفانية منعطفا علميا في اللسانيات عامة بالجديد الذي اقترحه لدراسة اللغة من اعتماد على مخرجات العلوم العصبية، وعلم النفس العرفاني، والأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم. الأمر الذي جعلها موضوعا علميا شائقا، إلّا أنّه لا يخفى على ذي الصلة بموضوع اللسانيات العرفانية والعلوم العرفانية أن مسالك البحث فيهما في الوطن العربي – وفي الجامعة الجزائرية على وجه الخصوص – لا تخلو من الصعوبات على مرّ مراحل إنجازها ومنها:

- لزوم التمكن الجيّد من اللغات الأجنبية والإتقان الممتاز خاصة للغة الإنجليزية، التي جاءت كل المؤلفات والبحوث الغربية الأساسية في اللسانيات العرفانية مكتوبة بها عدا عن مؤلف أو اثنين لجيل فوكونيي (G. Fauconnier) صاحب نظرية الأفضية الذهنية كانت باللغة الفرنسية، الأمر الذي صعّب على الباحثة عرض الجانب الابستيمولوجي للسانيات العرفانية في التفكير الغربي.

- صعوبة الإحاطة المعتبرة بكل العلوم المختلفة التي تتواشج معها اللسانيات العرفانية مثل: علم الأعصاب والطبّ الذي يدقّق في مواطن كثيرة في تشريح الدّماغ، وساحاته العصبية المسؤولة عن التوليد اللغوي، وعلم النفس العرفاني وتطوّر نظرياته وأثرها على الأرضية العلمية لتبلور اللسانيات العرفانية.
- صعوبة المقارنة بين الكتابات اللسانية العرفانية الغربية ونظيرتها العربية بسبب الكثير من التباين بينهما، فالأولى هي نتيجة لسانية لنقد معرفي للنظريات اللسانية السابقة لها، خاصة توليدية تشومسكي وبعض الرؤى في فلسفة اللغة. كما أنها قطعت شوطا طويلا في علاج المقولات اللسانية العرفانية، في حين الثانية (العربية) هي ترجمة لما جاء في الكتابات الغربية أو محاولات للتأليف في اللسانيات العرفانية دون إضافات ونقود ورؤى مبتكرة، إلا ما ندر منها، رغم الجدّة النسبية لها؛ مما دفعنا إلى مقارنة مقتضبة تتغيّا تقييم كيفية تمثّل الكتابات العربية للتفكير اللساني العرفاني الغربي.
- صعوبة إجراء مسح واستقراء تام لكل الكتابات اللسانية العرفانية نظرا لتناميها المستر، خاصة أثناء تحليل العيّنة التي كانت تكملة لبحوث سابقة لمؤلفيها خاصة عند عبد الرحمن طعمة الذي ينظر إلى اللغة من منظور عرفاني عصبي كوني، ولدى محمد غاليم الذي ينشغل تأليفا وترجمة بمشروع راي جاكندوف في البنية التصوّرية، وبالنتيجة ظهرت صعوبة الخروج بأحكام نقدية تقييمية نهائية وكلّية عن هذه العيّنات، بل كانت أحكاما تسعى أن تقيّم الوضع اللساني العرفاني العربي الراهن وهي قابلة للتغيّر مع تغيّره.

وعقب هذا التقديم أحمد الله عزّ وجلّ أن وفّقني ويسرّ لي إتمام البحث وبلّغني صورته التي هو عليها يومنا هذا. وأقدّم شكري الجزيل وعرفاني وامتناني للأستاذ المشرف: الدكتور قبايلي عبد الغاني الذي كان لي نعم الموّجه والمشجّع على تجاوز كلّ العقبات المعرفية التي اعترضتني أثناء البحث بتوجيهاته القيّمة ونصائحه الجليلة المفيدة، وأقدّم له شكري على صبره وحلمه ورحابة صدره وجوده وكرمه العلميين اللّذين تكرّم بهما عليّ في البحث كلّه فبارك الله تعالى له في علمه وأدبه ونفع بهما.

والله ولي التوفيق

مدخل

الحدود المفهومية والمعرفية للعلوم العرفانية واللسانيات العرفانية

تمهيد:

مثّل العقل منذ القديم قضية فلسفية معرفية تجاذبتها العلوم للبحث فيها كل علم حسب أصوله ووسائله المنهجية، فقد درسه الاتجاه الفلسفي العقلي من حيث هو مصدر للمعرفة والعلم خلافا للاتجاه التجريبي، وسعى العلم الحديث إلى تشريح الدماغ البشري لاستكشاف طبيعة ووظائف هذا العضو الذي تفرد به الجنس البشري ورغم هذه التجاذبات العلمية القديمة والحديثة مازالت الدراسات المعاصرة قائمة حول العقل/ الذهن البشري سامحة بظهور علوم جديدة ومستمرة في التّطور محورها الأساسي هو دراسة العقل/ الذهن، حيث انصبّت مثلا علوم الحاسب، والذكاء الاصطناعي، تحاكي في تركيبها ووظائفها العقل البشري الذي مازال حتى الآن يعد لغزا بوظائفه المعقدة التي يقوم بها، وتتكشّف لنا أسراره كلّما تقدمت وسائل وآليات البحث فيه.

ومن أبرز الوظائف التي يؤديها عقلنا الفهم، والذكاء، والذاكرة، والإدراك، والخيال ... إلخ، وهذه الوظائف الذهنية والعمليات العصبية الدّماغية مثّلت بدورها مادة بحث مشتركة لكثير من العلوم التي ظهرت على الساحة العلمية في سنوات النصف الثاني من القرن العشرين لاسيما العلوم العصبية، وعلم النفس العرفاني، والفلسفة واللسانيات وسميت متعاضدة العلوم العرفانية (العلوم المعرفية) (Cognitive sciences)، وأحد فروعها اللسانيات العرفانية التي اتخذت من دراسة الذهن ووظائفه وسيلة لفهم اللغة وإنتاجها عبر فرضيات وتصورات جديدة تتعلق بما استجد في العلوم العرفانية من ربط بين الظاهرة اللغوية، والحوسبة الذهنية، والعمليات العصبية المنتجة لها، وبالتالي فهي تطرح تجديدا في دراسة اللغة تحت الإطار العلمي الذي سمي اللسانيات العرفانية وأعطى سمة العرفانية للسانيات. وقبل الخوض في الحقل العلمي العام الذي تنتمي إليه اللسانيات العرفانية والإطار المعرفي الذي نشأت فيه، يجب التعرف على كل من العلوم العرفانية، ومسارها التاريخي والعرفانية كمصطلح جديد على الساحة العلمية واللسانية على وجه الخصوص، وعلاقتها باللسانيات.

أوّلا/ العلوم العرفانية (Cognitive sciences):

يجب في مستهل الوقوف على مفهوم العلوم العرفانية ضبط المفهوم المقصود من مصطلح العرفانية/ المعرفية. ولم هذا المصطلح دون غيره وعليه يُطرح بداية مفهوم العرفان لغة واصطلاحا.

مفهوم العرفان في اللغة والاصطلاح:

1) العرفان لغة:

ورد في لسان العرب "عرف، العِرْفَانُ، العلم، قال ابن سيده: وينفصلان بتحديد لا يليق بهذا المكان، عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ عُرْفَةً وعِرْفَانًا وعِرِفَانًا ومَعْرِفَةً واعْتَرَفَهُ." وورد في مقاييس اللغة في باب (عرف) أن "العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة. وفي الأصل الدال على السكون والطمأنينة هو المعرفة والعرفان تقول: عرَفَ فلاَنَ فلاَناً عِرفاناً ومَعرفة.

أ جمال الدين بن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، مج 11، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، مادة: [عَرَفَ]، ص 140.

وهذا أمر معروف. وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه، لأنَّ من أنكر توحَش منه ونَبَا عنْه. أ وفصل الفيروز آبادي في محيطه معنى عرف فقال: "عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً وعِرْفانًا وعِرْفَةً، بالكسر، وعِرِفَانًا، بكسرتين مشددة الفاء: علمه، فهو عارفٌ وعَريفٌ وعَروفَةٌ. "2

وقد ورد في القرآن الكريم الفعل (عرف) بمعنى (علم) في كثير من المواضع منها قول الله تعالى: ﴿وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ الكَافِرُون﴾ [سورة النحل- الآية 83]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُم وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُون﴾ [سورة يوسف - الآية 58].

من خلال ما تقدّم عرضه من معانٍ لغوية حول مادة (عرف) في بعض المعاجم اللغوية التراثية السّابقة يتضح أن (العرفان) و (المعرفة) مصدران للفعل (عرف)، والمعنى المشترك المستنبط من هذه الحدود اللغوية المعروضة يبيّن أن العرفان مفاده اللغوي هو العلم بالشيء.

2) العرفان اصطلاحا:

جاء في معجم التعريفات للجرجاني (ت 816 هـ) حدِّ لمصدر الفعل (عرف) هو المعرفة ويقول إنها: "ما وضع ليدل على شيء بعينه وهي المضمرات والأعلام والمبهمات وما عرّف باللام والمضاف إلى أحدهما والمعرفة أيضا إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم؛ ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم بالعالم دون العارف. العارف: وهو مسبوق بنسيان حاصل بعد العلم فلذلك يسمى الحق، الحق تعالى بالعالم دون العارف." وهذا أحد الوجوه اللّطيفة التي جاءت في باب الفرق بين المعرفة والعلم عند ابن قيّم الجوزية في قوله: إنّ «المعرفة» تتعلق بذات الشيء. و «العلم» يتعلق بأحواله. فنقول: عرفت أباك، وعلمته صالحًا علمًا. ولذلك جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة. كقوله تعالى: ﴿فَاعُلُمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ ﴾ [سورة هود — الآية 14] فالمعرفة: حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس، والعلم: حضور أحواله وصفاته، ونسبتها إليه. فالمعرفة تشبه التصور. والعلم يشبه التصديق. ولا يقف البحث في مفهوم المعرفة والعرفان عند الحدود اللغوية فقط، بل إنّ لفظ العرفان وهو اسم الحدث من (عرف) موجود عند الصوفية أيضا، ويقصد به المعرفة التي لا تأتيهم من عقل ولا من حواس وتجارب.

¹ ينظر: أحمد بن فارس، معجم مقابيس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج 4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، مادّة: [عَرَفَ]، ص 281.

² مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8 2005، مادّة: [عَرَفَ].

 $^{^{3}}$ علي الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2 003، ص 3 218.

⁴ ينظر: شمس الدين ابن قيّم الجوزية، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: عماد عامر، دار الحديث، القاهرة دط، 2005، ج3، ص 265 – 266.

وإذا كانت دلالة العرفان والمعرفة هي العلم بالشيء في التراث اللغوي العربي، فإنّها تختلف بعض الشيء في التصوّرات المعرفية المعاصرة في مفهومها المنتمي إلى حقل العلوم العرفانية (Cognitive Sciences). وقد ورد في موسوعة اللسانيات والضبط المفهومي قائم على خصوصا على مصطلح العرفانية (cognition)، وقد ورد في موسوعة اللسانيات العرفانية أن العرفانية ترتبط بكل تصورات الوظائف الذهنية الواعية وغير الواعية. وبخاصة، تشكيلُ الإدراك الأحداث الذهنية (الميكانيزمات والمعالجات) والمعرفة المنطوية على كل العمليات المشتبكة المتراوحة بين إدراك موضوع منخفض المستوى إلى وظائف صنع القرار عالية المستوى. وهو منظور يُبيّن أن مفهوم العرفانية انتقل من كونها معرفة بمفهومها العام إلى كيفية حدوث المعرفة في الذهن.

وإذا جرى التعمق أكثر في مفهوم العرفانية يتضح أن لها مفهوما شهد تحولا من الدلالة على (معالجة المعلومة) إلى الدلالة على (التصوّر)، وتتصف العرفانية بأنّها (موجودة) فقط خلافا للمعرفة التي تتصف بأنها حقيقية، وفي هذا الصدد تجمع العرفانية المعلومات والمقاربات والأخطاء، وأيضا الآليات والعمليات التي بها تتطور كلها، وهكذا فإن شتى العلوم العرفانية تندرج في إطار طبيعاني أساسا: إذ يجب في البداية أن نحدد عبر دراسة العرفانية الطبيعية، كيف تعمل وما هي منتجاتها وتصوراتها، ثم يجب عن طريق العرفانية العقلانية أن نحدد كيف السبيل إلى تأطير هذه التصورات وإلى إمعان النظر فيها بشروط الحقيقة، وأخيرا، وعن طريق العرفانية الاصطناعية، ينبغي أن ننقل حاسوبيا هذه التصورات وطرق عملها، بطريقة ناجعة، إذا اقتضى الأمر. 2 والعرفانية في مجملها مفهوم يتأسس على الآليات التي يتم إدراك الوقائع والأحداث عبرها سواء الوقائع البسيطة أو الصعبة (عالية المستوى)، ودراسة هذه الآليات تتم من جانب بيولوجي لتحديد طبيعة عملها (أي من جانب ذلك التجهيز العصبي الدماغي)، ومن جانب عقلي لتمحيص وتصنيف المفاهيم المنتجة طبيعيا ومدى مطابقتها للحقيقة (فالتصورات في المرحلة العرفانية العقلية تقترب شيئا فشيئا نحو تحولها إلى معرفة؛ أي نحو محولها إلى حقيقة)، لتعمل العرفانية الاصطناعية المتعلقة بالذكاء الاصطناعي على حوسبة هذه التصورات الخاضعة لشروط الحقيقة ونقلها للمتلقي.

بناء على ما تقدم، العرفانية بمفهومها المعاصر تُعنى بالعمليات والوظائف الذهنية التي تشكّل إدراك التجارب والمعارف، ولها جانب بيولوجي عصبي كما لها جانب عقلي منطقي.

II. المفهوم الاصطلاحي للعلوم العرفانية (Cognitive sciences):

تعددت التعريفات حول مصطلح العلوم العرفانية (Cognitive sciences) منذ ظهوره، لكن أغلبها يجمع أن العلوم العرفانية أو العلوم المعرفية حقل متعاضد الاختصاصات همّه دراسة الذهن ووظائفه، والدماغ وتركيبته

¹ Vyvyan Evans, A glossary of cognitive linguistics, Edinburgh University press, Edinburgh, 2007 p 17.

 $^{^{2}}$ ينظر: غي تيبرغان وآخرون، قاموس العلوم المعرفية، تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2013 2 منظر: غي تيبرغان وآخرون، قاموس العلوم المعرفية، تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2013 2

العصبية، ومن المفاهيم التي اتسع تداولها عند المشتغلين بالعلوم العرفانية مفهوم جورج لايكوف* George) لعلم العرفان في مقولته: "علم العرفان حقل جديد جمع ما هو معروف حول الذهن من عدة تخصصات أكاديمية: علم النفس، اللسانيات، الأنثروبولوجيا، الفلسفة، وعلم الحاسب. يلتمس أجوبة مفصلة لأسئلة مثل: ما الذّهن؟ كيف نضع إدراكا لتجربتنا؟ ما هو النظام المفهومي وكيف ينتظم؟ هل كل البشر يستعملون النظام المفهومي نفسه؟ إن كان الأمر كذلك، ما هو ذلك النظام؟ إن لم يكن، ما هو بالضبط المشترك في طريقة تفكير كل البشر؟ الأسئلة ليست جديدة "لكن بعض الإجابات الحديثة ستكون جديدة." أما يلاحظ

القاهرة، ط 1، 2015، ص 167 – 168.

* يشير جورج لايكوف إلى أن الأسئلة التي طرحها ليست جديدة وقد سبق النظر والبحث فيها في النزعات الفلسفية التقليدية على وجه الخصوص، التي تنظر إلى العقل على أنه حرفي مجرد، حيث تدور الإجابات مبدئيا حول الاقتراحات التي يمكن أن يكون غرضها أن وظيفة العقل تحديد الخطأ أو الصواب، عكس النظرة الحديثة التي تأخذ بالاعتبار التصورات التخيلة للعقل كالاستعارة والكناية، والمجاز ...إلخ وتجعل منها مركزية في اشتغال العقل، كما ينص التصور التقليدي للعقل على أن القدرة على التفكير الهادف والعقل مجردين ولا تتجسد بالضرورة في أي كائن حي؛ لهذا فالمفاهيم الهادفة والعقلية هي ترنسندانتالية الهادف والعقل مجردين أن العقل ترنسندانتالي (مفاهيم وتصورات متعالية وتجريدية)؛ أي أنه مستقل عن الحدود الفيزيائية لأي كائن حي، فالتصورات والمعاني الموجودة في العقل مجردة تماما عن الأجساد والموجودات الواقعية، التي يقر التصور التقليدي بوجودها الواقعي واستقلال التصورات العقلية عنها. بعكس التصور المعاصر الذي يقدمه العلم العرفاني في مشاركة الجسد والتخيل في بناء المعني.

ومع أن كلا التصورين التقليدي والمعاصر للعقل يعتمدان على المَقْوَلَة (categorization) باعتبارها الطريقة الوحيدة التي نأخذ بها المعنى من التجربة، إلا أن تصنيف المقولات في النظر التقليدي هو تصنيف على أساس الخصائص المشتركة بين أعضائها ليس إلا. لذلك تصنف المقولات على أنها:

أ) مستقلة عن الطبيعة المجسدنة للكائنات التي يتم تصنيفها.

ب) حرفية تجريدية، بلا ميكانيزمات تخيلية (استعارة، كناية، وتصوير) مدرجة داخل طبيعة المقولات، على عكس النظرة المعاصرة القائلة بفاعلية التجربة الجسدية والتصوير في بناء المقولات ووضع معنى للتجربة.

وخلاصة رأي لايكوف في الإجابة عن الأسئلة المطروحة وفق التصور التقليدي أنها إجابات ذات طابع فلسفي تبعا لتصور فلسفي ينبع من ألفي سنة من الفلسفة حول طبيعة العقل. ولا يزال يعتقد على نطاق واسع على الرغم من الأدلة التجريبية الدامغة ضده.

^{*} جورج لايكوف (George Lakoff): هو أستاذ العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية في جامعة بيركلي بكاليفورنيا، وعضو مؤسِّس في معهد روكريدج، ويشمل مجال خبرته اللسانيات العرفانية والدراسة العلمية لطبيعة التفكير والتعبير عنه باللغة. زاول منذ منتصف الثمانينات تطبيق اللسانيات العرفانية على السياسة، خاصة في مؤلفيه لا تفكّر في فيل الخطاب السياسي بين المحافظين والتقدّميين، وحرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، بالإضافة إلى عمله على الفكر السياسي واللغة السياسية فقد نشط في مجاله الأكاديمي حول اللسانيات العرفانية وله نتاج غزير من المحاضرات والمقالات والكتب عنها، وهو مؤخّرا أحد أعضاء المجلس الأعلى العلمي لمعهد سانتا في (The Santa Fe Institute) كرئيس لرابطة اللسانيات العرفانية العالمية وكعضو في المجلس الأعلى لجمعية العلم العرفاني وكمنسق مع جيروم فيلدمان لمشروع النظرية العصبية للغة في المعهد العلمي الدولي للحاسوب في بيركلي. لمن أشهر مؤلفاته الاستعارات التي نحيا بها (1980) بالمشاركة مع مارك جونسون والمترجم إلى اللغة العربية عام (1996).

على مفهوم لايكوف هو تحديد المصدر العلمي الذي تكونت منه العلوم العرفانية والذي يجمعه في علم النفس واللسانيات...إلخ، وغايته تحديد طبيعة العقل/ الذهن وكيفية إدراكه للتجارب البشرية.

إلى جانب هذا المفهوم للعلوم العرفانية يؤكد جاي فريدنبيرغ (J. Friedenberg) أن العلوم العرفانية "يمكن تلخيصها تقريبا كدراسة علمية متعددة الاختصاصات للعقل. ومنهجيته الرئيسية هي الطريقة العلمية، وإن كنا سنرى أن العديد من المنهجيات الأخرى تسهم أيضا، والسمة المميزة للعلوم العرفانية هي النهج متعدد الاختصاصات. وهو ناتج عن جهود الباحثين العاملين في طائفة واسعة من الحقول وتشمل هذه الحقول الفلسفة وعلم النفس، واللسانيات، والذكاء الاصطناعي، والروبوتات، وعلم الأعصاب، وكل ميدان يجلب معه مجموعة فريدة من الأدوات والمنظورات. "2 وهذا رأي موافق ومؤكد لرأي لايكوف في ضبطه المفهومي للعلوم العرفانية حيث يجمعان أنها تضافر لطائفة من العلوم ذات وسائل وآليات علمية خاصة، تتعاضد تحت مسمى العلوم العرفانية.

وفي موضع علمي آخر ترد نظرة مختلفة عن سابقاتها في مفهوم العلوم العرفانية؛ إذ "إن العلوم المعرفية ليست علما بالمعنى الكامل للكامة، ولكنه فقط طريقة في التفكير لا تشكك أساسا بالتقسيم التقليدي للاختصاصات، وهكذا تكون العلوم المعرفية أرخبيلا من الاختصاصات المستقلة التي ينبغي أن يمكن تضافرها من توضيح ماهية المعرفة، وهناك تفرع لهذا الموقف يقول: إن العلوم المعرفية هي حقل بحث ينجم عن التقاطع الكلي والجزئي بين اختصاصات مختلفة تحظى باستقلالية مصونة تماما: كعلوم الأعصاب، وعلم النفس والألسنية، والذكاء الاصطناعي، وقد يحدد مكان هذا التقاطع حقل العلوم المعرفية، فتكون إذا تجميعا لاختصاصات فرعية عديدة: كالعلوم "المعرفية" للأعصاب، وعلم النفس "المعرفي"، والذكاء الاصطناعي (المعرفي). "3 ومع أنه من الظاهر أن أغلب المشتغلين على العلوم العرفانية يجمعون أنها ناتجة من تجمع عدد مرا العلوم المتوق عليها والمتكونة من: الفلسفة، واللسانيات، والرياضيات، وعلم النفس، والذكاء الاصطناعي، فقد طرح تيبرغيان هنا تصورا مفاده أن العلوم العرفانية ليست علما بالمعنى الكامل للكلمة، فهي كومة من العلوم المتواضحة المتواشحة، ولو كانت علما قائما بذاته فسنتساءل مبدئيا عن أي منهج سنتبعه في دراسة الظواهر المتعاضدة المتواشحة، ولو كانت علما قائما بذاته فسنتساءل مبدئيا عن أي منهج سنتبعه في دراسة الظواهر المتعاضدة المتواشحة، ولو كانت علما قائما بذاته فسنتساءل مبدئيا عن أي منهج سنتبعه في دراسة الظواهر

لذلك يحاول لايكوف الإجابة عن الأسئلة المطروحة بطريقة معاصرة بما طرحته العلوم العرفانية من تعدد المناهج التي تحلل بها الذهن وعملياته كعينة متجسدة قابلة للدراسة التجريبية لا باعتباره عينة مجردة صرفة.

لتفصيل أكثر في التصورات التقليدية ينظر:

Look: George Lakoff, Women, Fire, and dangerous things, what categories reveal about mind, The University of Chicago Press, Chicago and Tends, 1987, p xi - xii (Preface).

¹ George Lakoff, Women, Fire, and dangerous things, what categories reveal about mind, pxi (Preface).

² Jay Friedenberg, Gordon Silverman, Cognitive science an introduction to the study of mind, Sage publications, California, 2006, p2.

 $^{^{2}}$ غي تيبرغيان وآخرون، قاموس العلوم المعرفية، تر: جمال شحيد، ص 2 6.

المعرفية، هل تتبع منهج الرياضيات أم منهج الفلسفة أم منهج علم النفس أم غيره؟ فهذا طرح يقودنا نحو البحث في علمية العلوم العرفانية.

ولإن كانت هذه المفاهيم المتقدمة تستخدم مصطلح العلوم العرفانية وتحاول وضع مفاهيم له، فإن بعض المترجمين العرب للسانيات العرفانية يفضلون تسمية هذا العلم بـ "العلم الإدراكي"، ومنهم تحسين عزيز رزاق في ترجمة تصوّر العلوم العرفانية لدى زينايدا بوبوفا التي تذهب إلى أن "العلم الإدراكي يعد مادة عامة ويمثل مصطلحا شاملا لعدد من العلوم. مثل السايكولوجيا الإدراكية واللسانيات الإدراكية والنظرية الفلسفية للإدراك والتحليل المنطقي للغة ونظرية الذكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب."

من خلال المفاهيم المتقدمة في تحديد ماهية العلوم العرفانية ومفهومها يمكننا استنباط رؤى عدّة اتضحت من المفاهيم الواردة:

- رؤى عامة مشتركة:

تتفق في النظر إلى العلم العرفاني كمزيج من العلوم المستقلة المتضافرة ممثلة في: الفلسفة، وعلم الأعصاب وعلم النفس، واللسانيات، والذكاء الاصطناعي، والرياضيات، ويمكننا أن نضيف الحاسوبيات التي تحاكي في عملها العمليات العقلية، وكلها متعاضدة تسعى لتأدية مهمة علمية منهجية هي وظيفة العلم العرفاني. وتتجلى في اتخاذ العقل البشري مادة للبحث، حيث تدرسها العلوم العرفانية من عدة جوانب كوظائف الذهن وآلياته التي تقوم عليها عمليات الإدراك، والتصور، والجانب العصبي للدماغ الذي يسمح بحدوث وظائف الدماغ على رغم ذلك المستوى من التعقيد.

- رؤى خاصة:

انفرد بهذه الرؤية غي تيبرغيان (Gay Tibergan) وفيها قال إن العلم العرفاني ليس علما بالمعنى التام للعلم؛ لأنه مجموعة من العلوم وبالتالي مجموعة من المناهج التي تتعاون في سبيل وضع دراسة علمية للذهن البشري، وإذا قال إن العلم العرفاني مجموعة من المناهج، فهذا يفضي إلى كون العلم العرفاني ليس له منهج محدد يقوم عليه في ذاته، ويحقق له الاستقلال عن بقية العلوم المكوّنة له.

والرؤية الأخرى هي اختلاف مسمّى العلوم العرفانية، حيث سميت العلوم الإدراكية وهي تسمية استعملتها زينايدا بوبوفا ويوسف ستيرين لمَا تحمله تسمية الإدراكية من دلالة على وظائف عقلية وعصبية معًا.

الا. مهمة العلوم العرفانية:

يمكننا تحديد مهمة العلوم العرفانية انطلاقا من مادة بحثها (العقل/ الذهن البشري)، فهي تدرس العمليات التي يؤديها العقل البشري لمعالجة المعلومات، وإنتاج المعرفة، واللغة وفهم قدرات العقل وآلياته في ذلك، ووصف ودراسة أنظمة تصور المعارف واعادة صياغتها، وفي الوقت نفسه تتضمن دراسة المبادئ العامة لتنظيم القدرات

¹ زينايدا بوبوفا، يوسف ستيرنين، اللسانيات الإدراكية، تر: تحسين رزاق عزيز، بيت الحكمة، بغداد، العراق، ط1، 2012، ص

الإدراكية للإنسان في آلية ذهنية موحدة وتثبيت علاقاتها المتبادلة وتفاعلاتها. أ بتعبير آخر تهتم العلوم العرفانية بالعمليات العقلية التي تعد عمادها معالجة المعلومات، وتهتم من جهة أخرى بالقدرات العقلية وتضافرها، والتي تسمح بمعالجة المعلومات وإنتاج المعرفة. من جهة أخرى يجري العمل على توضيح أن مهمة العلوم العرفانية أوسع من المهمة المحددة هنا بكثير، فهي لا تتعلق فقط بالعمليات العقلية كالأفكار الواعية والحالات العقلية المتعمدة مثل: المعتقدات والرغبات، بل تتسع لتضم دراسة العمليات العقلية غير الواعية أو اللاإرادية، مثل معالجة عقولنا للتجارب وتصنيفها وجمعها في صيغة "خبرة" وصفوة القول في مهمة العلم العرفاني هي البحث في العمليات التي يؤدّيها العقل البشري باعتباره معالج معلومات (Information Processor) يتطلب في عملياته هذه عددا من الوظائف العرفانية، والآليات والطرائق التي يسعى العلم العرفاني إلى كشفها.

IV. نشأة العلوم العرفانية:

يُرجع كثير من العلماء العرفانيون نشأة العلوم العرفانية إلى الاتجاه الجشطاتي (Gestalt) في علم النفس أو علم النفس الجشطلتي ألذي نشط في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين؛ لأن الاتجاه الجشطلتي يقول بفكرة مفادها أن الذّهن (mind) ينبثق من الخصائص الفيزيقية للدماغ (Brain)، ويتعلق

³ J. Friedenberg, G. Silverman, Cognitive science an introduction to the study of mind, p 3.

اعتمادا على دراسة كلّية تعتمد مفهوم البنية وتكشف الروابط بين العلوم. للاستزادة ينظر: بول جيروم، علم نفس الجشطات، تر:

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 14.

² Look, João Branquinho, the foundations of cognitive science, Clarendon Press, Oxford, 1st Ed, 2001, p xiii (introduction).

^{*} ظهر علم النفس الجشطاتي (Gestalt Psychology) بداية القرن العشرين على يد ثلة من العلماء الألمان أبرزهم ماكس فيرتهيمر (Max. Wertheimer) (Wolfgang Kohler)، وفولفغانغ كوهلر (Wolfgang Kohler) (P943–1880)، وكيرت كوفكا (Kurt Kooffka) (Kurt Kooffka) كرد فعل على علم النفس السلوكي والمنهج التحليلي في علم النفس السائد منذ القرن التاسع عشر المتأثّر بمنهج العلوم الطبيعية كالعلوم الفيزيائية والكيميائية الذي كان يحلّل الأجسام إلى جزيئات، والفيسيولوجيا التي كانت تعزل أعضاء وتكفككها إلى أنسجة وخلايا لتحليلها، وكذلك فعل علم النفس الذي حصر مهمّته في تحليل وقائع الشعور أو السلوك من خلال تجزيئها وعزل عناصرها ثم الكشف عن قوانين ائتلافها، ونقد علمُ النفس الجشطلتي هذه التصوراتِ التحليلية النفسية وطرح بديلا لها هو الرؤية الكلّية المنظمة للظواهر النفسية؛ التي رأى من خلالها أنّ الفهم الجبيّد للظاهرة النفسية يتحقق عنما ننظر إليها ككلّيات منظمة مبنينة، وليس عندما نفكّكها إلى جزيئاتها لأنّ حاصل البحث في الكلّ يختلف عن حاصل الأجزاء، كما يجب النظر إلى الوقائع النفسية (الجشطلتات) كحدود بنيوية داخلية/ باطنية (Inner structural determination)

صلاح مخيمر، عبده مخائيل رزق، مراجعة يوسف مراد، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، د ط، 1963، ص 17. Look: M. Wertheimer, K. Riezler, Gestalt Theory, Social Research, Vol. 11, No. 1 (FEBRUARY 1944), pp 83 – 85. 78-99, http://www.jstor.org/stable/40982002

Look: Robert J. Sternberg, Talia Ben-Zeev, Complex Cognition the Psychology of human thought Oxford University Press, 2001, p 28.

بالأفكار المتصلة بالإدراك عموما وبالإدراك البصري خصوصا؛ أي أن العقل البشري يتكون من الخصائص والعمليات العصبية للدماغ وما نشكّله من خبرات ناتجة عن التجارب المدركة حسيا. وفي رؤى أخرى يبدو أن العلوم العرفانية ظهرت عام 1960م كنوع جديد من علم النفس سمي بعلم النفس العرفاني بالسلوك. ثم تحوّل (behaviorist) واهتمامه العميق بالسلوك. ثم تحوّل علماء النفس العرفاني الي دراسة العمليات الباطنية العقلية كمحور جديد لعلم النفس العرفاني متبنين الحاسوب وعمله كعقل استعاري؛ إذ يصفون الوظائف العقلية من منظور تمثيلي وحاسوبي، مؤمنين أن العقل يشبه الحاسوب حيث يمكنه الفهم انطلاقا من معالجة المعلومات. 2

هذا ولم يكن تبني الحاسوب كاف لتحديد العمليات العقلية وفهمها، بل امتد تبني التصورات لدراسة الوظائف العقلية بنفس القدر إلى الفلسفة؛ وذلك تبعا لتلك البصمات الفلسفية في ضبط دور العقل في الإدراك وفهم جوهر المعرفة وطبيعتها، لاسيما ما جاء من أفكار فلسفية عند رونيه ديكارت (R. Descartes) (650 م وفهم جوهر المعرفة وطبيعتها، لاسيما ما جاء من أفكار فلسفية عند رونيه ديكارت الاتجاه الفينومينولوجي م 1650م) ونزعته العقلية وما دار من آراء حول نظرية المعرفة، خاصة تصورات الاتجاه الفينومينولوجي (Phenomenology) القائلة إنّ الإدراك لا يحدث إلا بتفاعلنا مع العالم الخارجي عن طريق الحس عندما تمر الظواهر المحسوسة بالإدراك لتصبح معرفة، فهي (المعرفة) تتولد عن العقل والإدراك معًا، وهذا أحد أهم الأصول التي قامت عليها العلوم العرفانية من جانب فلسفي.

من جهة أخرى مثل الابتكار المعلوماتي وخاصة ما سماه نوربرت واينر (N. Wiener) السيبرانطيقا (Cybernitics) خطوة متقدمة في تأسيس العلوم العرفانية، فقد عمل من خلالها على فهم عمليات العقل البشري اعتمادا على عمليات الحاسوب والمنطق الرياضي، الذي يقوم عليه " بهدف الوصول إلى أنموذج لعمل الدماغ البشري وما يقابله من فهم للعالم الخارجي. "3 فقدّمت السيبرانطيقا بعد ندوات تطويرية عدّة لها المبادئ التي يعتمدها العرفانيون في تفسير العمليات الذهنية.

أمّا من الناحية الزمنية لظهور العلوم العرفانية، فقد ظهرت بصفة واضحة في خمسينات القرن العشرين وهو التاريخ الذي يقرّ به أغلب العرفانيين، بينما يبدو أن للعلوم العرفانية مراحل زمنية مختلفة أسفرت عن ظهورها الرسمي في الخمسينات، وقد حُدِّدت اعتمادًا على ما قدَّمَه علمان من أعلام العلوم العرفانية أحدهما:

• هيوارد جاردنر (Howard Gardner): الذي يرى أن العلوم العرفانية تبدأ من ندوة «هيكسون» المنعقدة ع عام 1948م، وكان موضوعها (آليات المخ في السلوك 1948م، وكان موضوعها (آليات المخ في السلوك Behavior)، التقى فيها لمدة أسبوع تسعة عشر عالما من حقول علمية عدّة (الرياضيات، الكيمياء التشريح، العصبونات، علم النفس، والتحليل النفسي)، وقد صرح جاردنر بعد هذه الندوة بأنها ستكون

 $^{^{1}}$ ينظر: محي الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2017 ص 2017 .

² Look: J. Friedenberg, G. Silverman, Cognitive science, p 17.

 $^{^{3}}$ ذهبية الحاج حمو ، العلوم المعرفية بحث في النشأة والمفاهيم ، مجلة أبوليوس ، مج 6 ، ع 2 ، 2019 ، ص 3

بداية الانطلاق نحو تطوير نظريات عن العقل تستطيع الإقلاع عن مقاربات دو سوسير اللسانية، وعن المنهجية السلوكية في علم النفس وفي اللسانيات، وعن مقاربات سيغموند فرويد السيكولوجية، وعن تقاليد فلسفية تجريدية وتأمّلية ممتدّة. وفي الواقع ليس إقلاعا تامّا بل نسبيا فاللسانيات العرفانية كأحد فروع العلوم العرفانية تجدّد في التحليل اللساني ولا تلغي كلّ ما سبقها من تصوّرات، ونضرب مثالا هنا على الدّراسة التركيبية في اللسانيات العرفانية التي تبحث في كيفية إنتاج العبارة اللغوية على مستوى الذّهن؛ أي ماهية العمليات الذهنية وآلياتها التي يتم بها التفكير في العبارة المراد إنتاجها، وتركيب وحداتها بانتقائها من المعجم الذهني حسب مقتضى الخطاب، وبالتالي تنقل اللسانيات العرفانية دراسة الظاهرة اللغوية من التحليل الذارجي إلى التحليل الدّاخلي الذهني، ممّا يتوافق مع التفكير التفسيري في اللسانيات التوليدية ويتجاوز لسانيات دو سوسير.

• جورج ميللر (George Miller): الذي رأى أن العلوم العرفانية تبدأ مع (ندوة نظرية المعلومات [MIT] التي عقدت في معهد ماساتشوسيتس للتقنية [MIT] من قبل جماعة خاصة معنية بنظرية المعلومات في 11 سبتمبر عام 2.1956

وينسب ظهور العلوم العرفانية إلى مجموعة من الأعلام البارزين على مستوى المقاربات العلمية المتباينة التي أسستها وهم: نوام تشومسكي* (N. Chomsky) في اللسانيات، جورج ميللر (G. Miller) في علم النفس التي أسستها وهم: نوام تشومسكي* (J. McCarthy) ومارفن مينسكي (M. Minsky)، وألين نيوال (A. Newell) وهريرت سيمون (H. Simon) في الذكاء الاصطناعي، ويرجع عدّهم أهم رواد العلوم العرفانية لتلك الأعمال التي قدموها في بداية تبلور العلوم العرفانية.

 $^{^{1}}$ ينظر : محي الدين محسب، الإدراكيات، ص 1

^{*} وعقب هذه الندوة ظهر مقال جورج ميللر وعنوانه (الرقم السحري 7 زائدا اثنين أو ناقصا اثنين: بعض القيود على قدرتنا على center for cognitive تشغيل المعلومات) وتأسس على يد ميللر وجيروم برونر في جامعة هارفارد (مركز الدراسات الإدراكية Hugh Christopher)، أما الاستعمال الفعلي لمصطلح العلوم العرفانية فقد بدأ مع هاف – كريستوفر لونجيت –هيجنز Longuet-Higgins الذي جمع بين الاشتغال بالكيمياء النظرية ودراسة الذهن البشري والذكاء الاصطناعي. ثم تلاه دون نورمان (1980) الذي حدد مسائل في العلوم العرفانية في جدول له وهي: النمو، الوعي، أنساق الاعتقاد، إدراك اللغة، التفاعل، تعلم العواطف، التفكير، مهارة الذاكرة، الأداء. للاستزادة أكثر ينظر: محي الدين محسب، الإدراكيات، ص 26 – 28.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 24 – 25.

^{*} نوام (أو نعوم) تشومسكي ولد عام 1928 يشغل منصب بروفيسور في معهد ماساتشوسيتس للتكنولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية مختص في دراسة اللغة، واللسانيات، ومهتم بالسياسة من أشهر نظرياته النحو الكلّي (Universal Grammar)، ومن أهم مؤلفاته "البني التركيبية" (1957)، واللسانيات الدّيكارتية فصل في تاريخ الفكر العقلاني (1966)، وآفاق جديدة في دراسة اللغة والدّهن (2000)، والكثير من المؤلفات والدّراسات في اللسانيات والسّياسة خاصة ما يتعلّق بالسياسة الخارجية الأمريكية والإسرائيلية. ينظر: نوام تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والدّهن، تر: حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ط 1، 2005، ص 435.

ثانيا/ المقاربات البانية للعلوم العرفانية:

سبق القول إنّ العلوم العرفانية عند انبثاقها مرت بمجموعة من المراحل الزمنية، عُقِدت خلالها عدة ندوات أسهم فيها عدد من العلماء في اختصاصات متباينة، وقد احتل فيها اختصاص الفلسفة، وعلم النفس العرفاني والعلوم العصبية، والذكاء الاصطناعي، واللسانيات مكانة بارزة في تقديم الطّروحات والأفكار المؤسسة والمجددة للانتقال بدراسة العقل؛ لذلك كان من الأهمية بما كان التعرف أكثر على هذه المقاربات، وجوهرها، وغايتها من بناء العلوم العرفانية.

1) الفلسفة (Philosophy):

تتأسس الفلسفة على التفكير في الوصول إلى الحقائق والمعرفة، التي لا تتأتى إلا بإعمال العقل وتفعيله من أجل الوصول إلى معنى وفهم للشيء الذي يفكر فيه الفيلسوف (أو الإنسان)، ذلك "أن الفهم هو غاية الإنسان من إمعان فكره." ومن الملاحظ أيضا أن الفلسفة مؤسسة على العقل سواء كان مصدرا للمعرفة، أو أداة للمعرفة، أو خالقا للعالم والإنسان صاحب المعرفة، أو طارحا للمشكلات والأسئلة الفلسفية، أو مجيبا ومقدّما للحلول... إلخ فالعقل هو محور البحث الفسلفي، ققد كانت الأفكار الفلسفية الأولى عنه أحد الأسس التي قامت عليها العلوم العرفانية حين تتولى اتجاهات الفلسفة المتنوّعة كالاتجاه التجريبي، والاتجاه العقلاني البحث في أشكال حدوث المعرفة ودور العقل في حدوثها.

وتعد الفلسفة أقدم الحقول في العلوم العرفانية؛ لأن جذور القضايا التي تحللها تعود إلى الفلاسفة الإغريق الذين هدفوا بصفة عامة إلى الإجابة عن الأسئلة الأساسية والمهمة حول المعرفة والعالم، من قبيل طبيعة الوجود واكتساب المعرفة، والسياسة، والأخلاق، والجمال، أما الفلاسفة العقليون منهم فيوجهون تركيزهم نحو المشكلات المتخصصة المتعلقة بجوهر وخصائص العقل، منطلقين في بحثهم عنها من طرح أسئلة من قبيل: ما هو العقل؛ كيف نتعرف على الأشياء؟ كيف تنتظم المعرفة الذهنية؟ وتحتل بعض القضايا الفلسفية موقعا أساسيا في العلوم العرفانية ومن بينها: 4

أ. قضية العلاقة بين العقل والمادة:

وهي أعمق قضية متواترة في الفلسفة العقلية أهم من اعتنى بها وبحث فيها روني ديكارت (René) كوهي أعمق قضية متواترة في الفلسفة الأولى" الذي ظهر فيه البحث في الفلسفة الأولى" الذي ظهر فيه البحث في ثنائية العقل/ المادّة، حيث حاول في طرحه تجاوز التفسير اللاهوتي لهما إلى التفسير الفلسفي، من خلال تأملات فلسفية في الحسّ الناتج عن تواصل الجسم والحواس مع العالم الخارجي، وأثبت انطلاقا منها أن بعض

¹ عبد الرحمن الشولي، فلسفة المعنى في الفكر واللغة والمنطق، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2016، ص 25.

² ينظر: أفراح لطفي عبد الله، الفلسفة فسيولوجيا العقل وعلم تشريح الأفكار، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص11.

³ Look: J. Friedenberg, G. Silverman, Cognitive science, p 15.

⁴ Look: A. Wilson, F. C. Keil, The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences, the MIT press Cambridge, Massachusetts London, England, 1999, p xv – xvi – xvii.

الأفكار متولّدة عن طريق الحواس، وبالتالي وجود الأشياء المادّية إلى جانب الفكر الذي هو جوهر الذّهن. كما عدّه قدرة ذهنية تمكّنه من الشّك والإدراك، والتخيّل والرّفض والنفي...إلخ، وهذا يجعله كما قال شيئا يفكّر... أي أنا روح، أو إدراك، أو عقل. وهذه الأفكار الدّيكارتية الأولى أسست لعودة النزعة العقلية في التحليل العلمي التي تأثرت بها العلوم العرفانية في دراستها للذّهن وعملياته المولّدة للمعرفة، مستثمرة ثنائية ديكارت (Dualism) التي تنص على أن البشر مزيج جوهري من جواهر عقلية (العقول) وجواهر مادية (الأجساد).

ب. قضية بنية المعرفة والعقل:

دار حول هذه القضية جدل بين الاتجاه العقلي (Rationalism) والاتجاه التجريبي (Empiricism) ليكشف عن طبيعة المعرفة ومصدرها، فذهب أنصار الاتجاه العقلي (وأهمهم ديكارت، اسبينوزا، ليبينتز) إلى أنّ المعرفة مصدرها العقل وليس التجربة والحواس، فهي جوهر وأفكار مجردة عند البشر. ثم توجهوا في بحثهم عن بنية العقل إلى أن المعرفة في بعض الحالات لا تتأتى من العقل ولا من الحواس، بل من مصدر وصفه العقليون بالفطري (Nativism)؛ ويشير إلى فطرية المعرفة (Nativism) والأفكار العقلية. في حين يذهب أنصار الاتجاه التجريبي (وأهمهم جون لوك، ديفيد هيوم) إلى أنّ المعرفة تتأتّى للبشر من الحواس وتجربتنا في العالم. إضافة إلى قضية أخرى في بنية العقل تتعلق بتموضع الوعي (Consciousness) ضمن بقية الظواهر العقلية.

وهذه القضايا العقلية التي تبحث في حدوث المعرفة تجعل الفلسفة أول العلوم التي تأسست عليها العلوم العرفانية؛ كونها فتحت باب البحث في العقل والوعي وبعض الظواهر العقلية الأخرى، وطبيعة المعرفة ومصادرها، قبل ظهور العلوم الأخرى التي صنفت الآن من العلوم المؤسسة للعلوم العرفانية. ومازالت هذه القضايا التي أنتجها الجدل بين الاتجاه العقلي والاتجاه التجريبي سارية في البحوث المعاصرة؛ حيث نجدها في البحث عن فطرية اللغة (Innateness of Language) وقالبية الذّهن² (Modularity of mind) التي تعدّ الآن من صميم مباحث العلوم العرفانية.

2) علم النفس العرفاني (Cognitive psychology):

علم النفس العرفاني فرع من علم النفس K يختص بدراسة معالجة المعلومات التي تنضوي عددا متنوّعا من العمليات مثل: الانتباه، الإدراك، التعلم، والذّاكرة، كما يتعلّق بالبنيات والتّمثّلات التي تشملها العرفانية، وأكبر فرق بين المقاربة النفسية والمقاربة النفسية السلوكية أن الأخيرة تشتغل على تحليل العلاقة بين المثير

² A. Wilson, F. C. Keil, The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences, p xvii.

أ ينظر: رنيه ديكارت، تأملات فيزيقية في الفلسفة الأولى تثبت أن الله موجود وأن نفس الإنسان تتميّز عن جسمه، تر: كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت - باريس، - 40، 1988، - 40 - 41.

المُلاحَظِ والاستجابة المُلاَحَظَةِ، بينما تشتغل المقاربة النفسية العرفانية على التحديد المفصل للعمليات الباطنية الذهنية الحاصلة بين المثير والاستجابة. 1

ويؤكد رأي آخر لروبرت سترينبيرغ (Robert J. Sternberg) على أنّ علم النفس العرفاني هو دراسة كيف يدرك البشر، ويتعلمون، ويتذكرون، ويفكرون في المعلومات، وعالم النفس العرفاني حري به دراسة كيف يدرك البشر تصورات متنوعة، ولماذا يتذكرون بعض الوقائع وينسون أخرى، أو كيف يتعلمون اللغة، وفي المجمل علم النفس العرفاني علم يبحث في تمثيل ومعالجة المعلومات بواسطة أنظمة ذهنية معقدة. وتبعا لهذه المفاهيم يختص علم النفس العرفاني بدراسة العمليات الذهنية التي تعالج المعلومات سواء كانت مدخلات حسية أم غير حسية، وتحفظها للاستعمال اللاحق الذي يحدث فيه استرجاع تلك المعلومات، كما أن علم النفس العرفاني مسؤول أيضا على دراسة وظائف الذهن كالتعلم، والإدراك.

وتعود بدايات استقلال علم النفس إلى سنة 1879 بتأسيس أول مختبر لعلم النفس على يد فيلهالم فوندت (Wilhelm Wundt)، درس فيه عناصر الخبرة الشعورية، وبعض أشكال العمليات العرفانية كالانتباه، والذاكرة متبعا في دراسته منهج الاستبطان (Introspection) الذي ينصّ على ملاحظة العمليات العقلية ثم وصفها. وكانت هذه بدايات علم النفس العرفاني أيضا، لكنّ تعرّض منهج الاستبطان للنقد لاحقا من قبل هيرمان أبنجهاوس (Herman Ebbinghouse)؛ لينتهج هذا الأخير في بحثه منهج التحليل التجريبي الهادف إلى دراسة العمليات العقلية/ الذهنية باستخدام أساليب موضوعية، كقوله إن المعرفة مجموعة من الارتباطات يمكن اكتسابها من خلال الخبرة والمراس؛ إذ عمل في تجاربه على رصد بعض العمليات العقلية كالحفظ والتذكر وقياسهما زمنيا من أجل الوصول إلى آلية عمل الذاكرة وتأثرها بالتكرار. 3

وفي مرحلة أخرى من تكوين علم النفس العرفاني أسهم علماء الجشطلت (Gestalt)، وعلى رأسهم ماكس فيرتهيمر (Max. Wertheimer)، كيرت كوفكا (Max. Wertheimer) فيرتهيمر بجملة من الأفكار التي تعدّ من صميمه كالتركيز على دراسة الظواهر النفسية، وفهم اشتغال العمليات الذهنية باعتبارها كلاّ متكاملا منظما لا يقبل فصل جزيئاته المكوّنة له لإدراك العلاقات القائمة بينها، وبناء على هذا حدّد الجشطالتيون مجموعة من المبادئ، والقواعد سمّيت بقواعد الإدراك مثل مبدأ التشابه، مبدأ التقارب، ومبدأ الاستمرارية، ومبدأ الإغلاق.

¹ Look: Michael W. Eysenck, The blackwell Dictionary of Cognitive Psychology, Basil Blackwell Cambridge centre, Massachusetts, 1st ed, 1991, pp 61 − 62.

² Look: - Robert J. Sternberg, Karin Sternberg, Cognitive Psychology, Wadsworth, Cengage learning, 6th ed, 2012, p 3.

⁻ R. A. Wilson, F. C. Keil, The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences, p xxxix.

 $^{^{3}}$ ينظر: عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط 3 0 ص 4 1. ينظر: المرجع نفسه، ص 3 2.

لكن البداية الرسمية لتبلور علم النفس العرفاني تُرجع إلى بداية النقد الموجه إلى مبادئ النظرية السلوكية عند عجزها عن تفسير بعض الظواهر في السلوك البشري، حين جنح روادها (جون واطسون J. Watson) و (سكينر F. Skinner) إلى التركيز على دراسة السلوك الظاهري، وتفسير حدوث السلوك بوجود أو غياب التعزيز (المكافآت)، الذي يمكن أن يفسر جميع أنواع السلوك البشري كالتعلم، واكتساب اللغة، وحل المشكلات مستبعدة بذلك الجانب الذهني؛ لذلك سرعان ما لقيت عدة انتقادات أحدها أنها ركزت على السلوك الظاهر وتغافلت عن تلك الأنشطة العقلية المعقدة، التي تبدو في بعض السلوكات بوضو كحل المشكلات الذي يقتضي سلاسل من العمليات العقلية، ورغم تطلع بعض علماء النفس لمعرفة ماذا يوجد في الدماغ إلا أنها لم تقف على هذا الغرض، كما كان من الانتقادات التي وجهت إليها أن النتائج المتوصل إليها من دراسة السلوك كانت خاصة بالكائنات غير البشرية (الحيوانات) أكثر من البشرية. وبالتالي لا يمكن تعميم تلك النتائج التي توصلت إليها في جميع الحالات.

ومن أهم موضوعات علم النفس العرفاني التي أسهم بها في بلورة العلوم العرفانية: 2

موضوعات تقليدية: تشمل دراسة الانتباه، والذّاكرة، والإدراك، التفكير والتخيّل، واللغة، وحلّ المشكلات، وتمثيل المعلومات السمعية والبصرية، والأسس البيولوجية للمعرفة التي يشتغل فيها على ربط السلوك العرفاني بالأجهزة الجسمية والحسية، ودراسة دور الجهاز العصبي والدّماغ في تنظيم وضبط العمليات العرفانية المختلفة كالتّعلم والذّاكرة، كما يهتم بموضوع النمو المعرفي للفرد منذ مرحلة الطفولة حتّى المراحل العمريّة المتقدّمة، وموضوع الأنماط العرفانية التي تبحث في الفروق بين الأفراد في أساليب معالجة المعلومات، وتحقيق الإدراك والفهم للمثيرات الحسية التي يتعامل معها الفرد، ومن هذه الأنماط التعقيد والتبسيط، نمط المخاطرة والحذر، الغموض والإيضاح وغيرها.

وموضوعات حديثة: يهتم علم النفس العرفاني بدراستها وتتمثّل في علم الأعصاب العرفاني (Neuroscience) المهتم بدراسة دور الدّماغ والتلف الذي يصيبه في تفسير العمليات العرفانية. والذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) في محاولاته تطوير العمليات الحاسوبية لتحاكي العمليات الذهنية الطبيعية، وموضوع تتمية التفكير (Developing Thinking) من خلال برامج عدّة غايتها النظر إلى أشكال التفكير على أنها قابلة للنمو والتّعلّم، ولابد من إدراجها ضمن مناهج ومقررات الصفوف التعليمية المختلفة وخصوصا ما يتعلق بأشكال التفكير العليا كالتفكير الإبداعي، والتفكير الناقد، والتفكير التأملي، والتفكير المجرّد المنطقي.

¹ Look: Robert J. Sternberg, Karin Sternberg, Cognitive Psychology, p 11 – 12.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 34 - 35 - 36.

3) العلوم العصبية العرفانية (Cognitive Neurosciences):

تتمثل العلوم العصبية في الدراسة التشريحية والفيزيولوجية للنظام العصبي، ويهتم العلم العصبي ببنية هذا النظام (النظام العصبي) ووظيفته عند البشر والحيوانات على السواء؛ لذلك يوفر علم الأعصاب مجموعة من المعارف التي تستخدم كأساس لفهم كيف تشتغل العمليات العرفانية التي تعطينا بدورها مستوى من الأجهزة، أو الوصف التطبيقي الذي يمكننا أن نبني عليه وصفا خوارزميا وحاسوبيا. وتهدف العلوم العصبية العرفانية إلى تفسير البنى، والعمليات الفيزيولوجية التي تقوم عليها الوظائف العرفانية الخاصة من مثل الذاكرة، والإدراك والانتباه وغيرها. كما تحدد موسوعة ماساتشوسيتس الأسئلة التي تنشغل العلوم العصبية العرفانية بالإجابة عنها وهي: كيف يمكن تفسير المعلومات المكتسبة عن طريق (الإحساس sensation)، على أنها تضفي معنى يتحدد من خلال عملية (الإدراك والتعرف) وتكون مخزنة أو معدّلة في صيغة (التعلم والذاكرة)، وكيف تستعمل للتدقيق في (التفكير والوعي)، وللتنبؤ بمستقبل حالة البيئة وعواقب العمل (صنع القرار)، لتوجيه السلوك البشري (السيطرة الحركية)، وعمليات الاتصال التي تعتمد على (اللغة). و

إنّ العلوم العصبية العرفانية تعمل على كشف وتفسير العمليات العصبية عبر تشريح الجهاز العصبي البشري، وفهم تلك الترابطات العصبية التي تسمح بحدوث العمليات العصبية العرفانية وتختص بدراستها العلوم العصبية العرفانية، هادفة من خلالها إلى ربط كلّ عملية عرفانية بعملية عصبية تحدث على مستوى الجهاز العصبي، فما قدمته العلوم العصبية العرفانية في هذا الصدد هو دراسة العمليات العرفانية من وجهة تجريبية تشريحية، لا دراسة افتراضية تعتمد على التجريد والصورنة فقط.

وبالعودة إلى تاريخ العلوم العصبية العرفانية نجدها تتمي إلى مظلة العلوم العصبية، التي ظهرت في القرن 19 على وجه العموم واهتمت بوظيفة الدماغ وبنيته. أما إبّان التّورة المعرفية المعاصرة فقد ركزت العلوم العصبية العرفانية في تكوينها على الوسائل التجريبية، والتصورات خاصة الإلكترو – فيزيولوجية، ووظيفة الدماغ التصورية، والتلاعب الجيني بالجزيئات، والحوسبة العصبية، والنظر فيما تقدمه للعمليات العصبية التي تتدرج ضمن إطار العرفانية، ويمكن اختصار ما يسعى حقل العلوم العصبية العرفانية إلى دراسته في إطار عمليات الاكتساب (اكتساب المعرفة)، التخزين، واستعمال المعلومات بواسطة الجهاز العصبي: الإحساس، الإدراك اتخاذ القرار، الذاكرة، اللغة، العاطفة، والوعي. 3 وإذا أخذنا بعين الاعتبار وتأملنا في هذه العمليات التي يدرسها علم الأعصاب العرفاني، فهي تصب في ما يهتم به حقل العلوم العرفانية، إلا أن ما تضفيه علوم الأعصاب هو الجانب التشريحي، والبحث عن مناطق حدوث هذه العمليات على مستوى النظام العصبي (النيوروني).

101

¹ J. Friedenberg, G. Silverman, Cognitive science an introduction to the study of mind, p 163.

² Look: R. A. Wilson, F. C. Keil, The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences, p LI.

³ Look: Ibid, p lvii.

4) الذكاء الإصطناعي (Artificial Intelligence):

يرجع ظهور الذّكاء الاصطناعي (AI) إلى الفترة الممتدّة بين عقدي الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، إبّان مولد الحاسبات (الكمبيوتر) التي كانت تعدّ ذكية بمدى محاكاتها لسلوك الإنسان، وهذا أثار جدلا فلسفيا في عقدي الستينيات والسبعينيات، لكنّ هذه المرحلة التي أطلق عليها كيفن واريك مرحلة الذكاء الاصطناعي الكلاسيكي كانت بمثابة تأسيس لتطوّرات وثورة الذّكاء الاصطناعي خلال عقدي الثمانينات والتسعينيات، حيث برز نهج جديد بالكامل من الدّراسة العميقة لمسألة الذكاء الاصطناعي تتمثّل في بناء أمخاخ اصطناعية بشكل فعّال، لتخليق ذكاء اصطناعي يمكن أن يكون ذكّيا في حدّ ذاته دون حاجة إلى برمجة دائمة ومتجدّدة، وحصل ذلك بالفعل خاصة في السنوات الأخيرة وما أثبتته تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال الصناعة والمالية على سبيل المثال.

وهذا يبرر تمكن الذكاء الاصطناعي (AI) من احتلال مكانة أساسية في تأسيس العلوم العرفانية؛ وما ذلك إلا لأنه يقوم على عمليات حاسوبية مماثلة للعمليات الذّهنية، وما تقوم عليه من منطق رياضياتي واستدلال، وهو النّصور الأساسي لتحديد مفهوم الذّكاء الاصطناعي وضبط العمليات التي يدرسها، ويذهب بلاي ويتباي إلى أنّ الذّكاء الاصطناعي دراسة للسّلوك الذّكي (في البشر والحيوانات والآلات)، كما أنه يمثل محاولة لإيجاد السّبل التي يمكن بها إدخال مثل هذا السلوك على الآلات الاصطناعية، ومن أبرز مميزات الذكاء الاصطناعي تجاوز الحدود التقليدية بين الفنون والعلوم، وبين الهندسة وعلم الأحياء، وبين الفرد والمجتمع؛ ما يجعله مجالا متشعبًا يجمع في الوقت نفسه بين الفنّ والعلم، وبين الهندسة وعلم النفس ما جعله يثمر عدا من البرامج التي تحاكي المشكلات النفسية للمرضى بهدف حلّها، وكذلك تحاكي مراحل التّطوّر والنمو التي تمرّ بها الكائنات الحيّة. 2

والهدف الأساسي للذكاء الاصطناعي هو فهم طبيعة الذكاء الإنساني عن طريق تطوير برامج للحاسب الآلي تكون قادرة على محاكاة السلوك الإنساني المتسم بالذكاء؛ بمعني قدرة برنامج الحاسب على حل مسألة ما أو اتخاذ قرار في موقف ما بناء على وصف لهذا الموقف. إن البرنامج نفسه يجد الطريقة التي يجب أن تتبع لحل المسألة، أو للتوصل إلى القرار بالرجوع إلى العديد من العمليات الاستدلالية المتنوعة التي غذي بها البرنامج. 3 وهذه محاكاة دقيقة للذّكاء الطّبيعي البشري والحيواني؛ فالغاية من الذكاء الاصطناعي تتجلى من

أ ينظر: كيفن واريك، أساسيات الذكاء الاصطناعي، تر: هاشم أحمد محمد، مراجعة: السيد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط 1، 2013، ص 7-8.

 $^{^{2}}$ ينظر: بلاي ويتباي، الذكاء الاصطناعي، تر: قسم الترجمة بدار الفاروق، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ط 2 2008، ص 2 15 - 18.

³ ينظر: آلان بونيه، الذّكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله، تر: علي صبري فرغلي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والأدب والفنون، الكويت، د ط، أبريل 1993، ص 11.

خلال مفهومه؛ ألا وهي تصميم وإنتاج برامج تضاهي في عملها عمل الدماغ البشري؛ لمحاولة فهم لغز الذكاء الإنساني والقدرات الذهنية التي تسمح لنا بالتعلم، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات...إلخ في مواقف معينة.

ويعود تاريخ الذكاء الاصطناعي إلى تجارب عدّة أوّلها تجربة آلان تيورينغ (Alan Turing) الذي يعدّ أحد علماء الرياضيات، وأحد البارزين في فكّ شفرة الآلة الألمانية (Enigma)، وأحد أبرز مبرمجي جهاز الحاسوب، وهذه التجربة هي ما أصبح يسمّى اختبار تيورينغ (The Turing test) المقترح عام 1950م وانطلق فيه من سؤال: هل تستطيع الآلة التفكير؟ أو بالأحرى هل هناك آلة ذكية؟ وشكل هذا الاختبار على النحو الآتى:

يواجه محقق لوحة مفاتيح متصلة بشاشة حاسوب منقسم إلى نصفين؛ وخلف نصف منهما يوجد حاسوب يردّ على الأسئلة، وخلف النصف الآخر يوجد شخص يرد على الأسئلة. وكلاهما غير ظاهر على الشّاشة، وريّما كانا في غرفة أخرى، والتفاعل الوحيد المسموح به هو الاتصال عبر لوحة المفاتيح والشاشة. ولدى المحقق خمس دقائق لمناقشة ما يحلو له مع الكيانين المجهولين. وفي نهاية هذه الفترة، يقرر المحقق أي الكيانين هو الإنسان وأيهما كان الحاسوب. والهدف من الحاسوب خداع المحقق، ليس لأنه بشر، ولكنه أكثر بشرية من الإنسان الخفي. أ وقد تعرّض هذا الاختبار إلى انتقادات وتوجيهات كثيرة أبرزها أن تيورينغ في اختباره يركّز على الأداء البشري أكثر من تركيزه على أداء الآلة، وإثر التطوير المستمر للذّكاء الاصطناعي وتطوير محاكاته للدّماغ والقدرات الذهنية البشرية فقد كشفت تطبيقاته المعاصرة ميادين كثيرة ينشغل بدراستها ومعالجتها من بينها: اللغات الطبيعية (Natural Languages) والترجمة الآلية خاصة، وكذلك البحث في لغات البرمجة (Problem solving)، والمنجة المعرفية للإدراك (Problem solving)، والمنفجة إلى ميادين غير هذه يضيق المقام عن التعمق فيها كلّها.

وما يجعل الذكاء الاصطناعي (AI) أحد العلوم المسهمة في بناء العلوم العرفانية اهتمامه بأغلب الميادين التي تعقد عليها العلوم العرفانية بحثها، مثل البحث في سيرورة العمليات الذّهنية كالذاكرة، وحلّ المشكلات، والتفكير وغيرها، التي يعمل الذكاء الاصطناعي على فهم حدوثها باستعمال الآلة (الحاسوب) انطلاقا من تصوّر التّشابه في معالجة المعلومات بين الحاسوب والذّهن البشري. من جهة أخرى يقع الذكاء الاصطناعي ضمن حقل العلوم العرفانية التي تتسم بالتّشعّب، فهو يضم (على أقل تقدير) علماء النفس، وعلماء البيولوجيا المختصين بدراسة الأعصاب، وعلماء اللغة، وعلماء الكمبيوتر، والفلاسفة. بهذا التشعب استحقّت العلوم العرفانية أن تكون العلوم التي تدرس طريقة اشتغال مخ البشر، والكائنات، والآلات؛ أي دراسة السلوكات الذّكية التي تعود الجهود العلمية في تفسيرها بالفائدة على أجهزة الكمبيوتر من حيث تطوير أدواتها، والرقي أكثر بقدرات الآلة الاصطناعية في اتخاذ القرار، وحلّ المشكلات، ودراسة الوعي لدى الآلة اعتمادا على محاكاة

-

[.] 107 ينظر: كيفن واريك، أساسيات الذكاء الاصطناعي، ص 1

السلوكات الذكية البشرية. 1 كما أن اعتماد العلوم العرفانية على علم النفس العرفاني وغيره من العلوم فتح الباب أمام الذّكاء الاصطناعي لاستثمار الأفكار المبتكرة الجديدة في شتّى هذه العلوم، وخلق علاقة تأثير وتأثّر بينه وبينها.

5) اللسانيات العرفانية (Cognitive Linguistics):

نظرت اللسانيات العرفانية إلى اللغة على أنها ذات بعد عرفاني، لاسيما من جانب تلك العمليات التي ينجزها العقل البشري كعمليات تركيب الجمل، وربطها بدلالتها بما يتناسب مع السياق لإنتاج اللغة وتحقيق التواصل، وقد مثلت هذه الرؤية ملمحا من ملامح اللسانيات التفسيرية التي بدأها نوام تشومسكي . (N) Chomsky بالدعوة إلى تحليل اللغة، وتفسير حدوث عمليات توليدها عوضا عن الاكتفاء بتحليل بنيتها الظاهرة فقط. كما فعلت الرؤية البنيوية السوسيرية، وهذا أحد التصورات التي حفّزت ظهور اللسانيات العرفانية (cognitive Linguistics) التي شكلت فيما بعد اتجاها علميا يهدف إلى تحليل، وتفسير اللغة على مستوى العقل البشري منطلقا من نقد مبادئ نظرية تشومسكي، والنماذج التي مرت بها وإضافة بعض البدائل لتصورات تشومسكي.

وقبل الحديث عن مراحل ظهور اللسانيات العرفانية وجب الوقوف عند أهم التعريفات التي حُدّت بها، فمن المشتغلين بها من يعدها "اتجاها بينيا* (Interdisciplinary) في البحث تطور مع نهايات 1950 في الولايات المتحدة وتعلق بتقصى العمليات الذهنية في اكتساب واستعمال المعرفة واللغة. على عكس السلوكية

^{. 159 – 158 – 157} مينظر: بلاي ويتباي، الذكاء الاصطناعي، ص 1

^{*} تحدد الأكاديمية الوطنية للعلوم مصطلح البينية (Interdisciplinary) بأنّه نوع من البحث يقوم فيه عالم منفرد أو فريق من العلماء بدمج المعلومات، والمعطيات، والتقنيات، والأدوات، والمنظورات، والتصوّرات، و/أو النظريات من حقلين أو مجالين أو أكثر من المعرفة المختصّة، بغرض تقديم فهم جوهري أو حل للمشكلات التي تتأتى من مجال حقل أو مجال واحد من الممارسة العلمية، ويذهب ويليام نيوال (W. Newell) أيضا إلى موافقة هذا التصوّر عن البينية مضيفا أن الدّمج هنا معناه أخذ أجزاء مستقلة من المعرفة وخلق علاقات متناغمة تشمل علاقات الجزء بالجزء، والجزء بالكل، والكلّ بالجزء. ويعود بدايات ظهور مصطلح البينية (Interdisciplinary) إلى النهضة الأوروبية التي شهدت سجالا حول طبيعة المعرفة: هل هي السّعي إلى التخصيص في ميدان معين أم إلى احتياز معرفة إنسانية شاملة؟ ولم تدخل بصفة رسمية إلى قاموس روبير الصغير العاوم الموفائية وأساسها القائم على تعاضد واندماج العلوم البانية لها مثل علم الأعصاب والفلسفة والذكاء الاصطناعي...إلخ، وفي إطار العرفانية وأساسها القائم على تعاضد واندماج العلوم البانية لها مثل علم الأعصاب والفلسفة والذكاء الاصطناعي...إلخ، وفي إطار تأسس اللسانيات العرفانية على مشارب معرفية عدّة كانت خاصّتها البارزة البينية والتعابر الاختصاصي.

ينظر:

William H. Newell, The State of the field: Interdisciplinary Theory, Issues in Interdisciplinary studies, No 31, 2013, p 23.

Steph Menken, Machiel Keestra, An Introduction to Interdisciplinary Research Theory and Practice Amsterdam University Press, 2016, p 31.

كاظم جهاد حسن، في البينية، نشأتها ودلالتها، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، مج 25، ع (2) الأداب، 2013، ص 244.

(Behaviorism) التي تركز على السلوك الملاحظ وعمليات المثير – الاستجابة (stimulus-response). ويلعب السلوك في اللسانيات العرفانية دور الوسيط فقط، بالنظر إلى تحفيزه التكيّف مع العمليات العرفانية. وموضوع البحث [في اللسانيات العرفانية] هو تقصى البنية الذهنية والإدراكية وتنظيمها بتحليل الاستراتيجيات العرفانية التي يستخدمها البشر في التفكير، وتخزين المعلومات، وفهمها، وانتاج اللغة." ويذهب إلى هذا القول أيضا فيفيان إيفانز (Vyvyan Evans) الذي رأى أنّ اللسانيات العرفانية إحدى المقاربات الأكثر ابتكارا وإثارة لدراسة اللغة والتفكير، التي انبثقت مع الحقل المعاصر للدراسة البينية (Interdisciplinary Study) المسمّى العلوم العرفانية، وهي مدرسة حديثة في التّفكير اللساني بدأت رسميا في الظهور عام 1970م كنتيجة للستخط على المقاربات الشكلية للغة، وتتجذّر اللسانيات العرفانية بعمق كذلك في الظهور الحديث للعلوم العرفانية خلال سنوات 1960 و 1970 خاصة في العمل المرتبط بالمقولة البشرية (Human Categorisation). 2

وفي التقاليد المتأخرة مثل علم النفس الجشطلتي انقادت البحوث المتأخرة خلال 1970 من قبل جماعة اشتهرت أنها جماعة « الآباء الروحيين » للسانيات العرفانية وهم رونالد لانغاكير، جورج لايكوف، ليونارد طالمي المشتغلون بالنحو العرفاني، الذي كان يسمى النحو الفضائي، ونظرية الاستعارة التصورية التي طورها لايكوف مع الفيلسوف مارك جونسون، كما طوّر لايكوف رفقة زميليّه إليانور روش، وشارل فيلمور مقاربات جديدة للمقولة، خاصة نظرية الطّراز (Prototype Theory) لقولبة التمثيلات اللسانية في أذهان مستعملي اللّغة، كما اشتغل ليونارد طالمي من جهته على الدّلالة العرفانية. وفي منتصف سنة 1980 جُمعت هذه المقاربات مع بحوث لروّاد آخرين في اللسانيات العرفانية على رأسهم جيل فوكونيي (Gilles Fauconnier) الذي دمج هذه المقاربات في برنامج بحثى واسع يتبنّي مقاربة تجريبية واسعة وغير قالبية للغة والذّهن، أصبحت تسمّى اللسانيات العرفانية. وتوصف اللسانيات العرفانية كحركة أو مشروع لأنها ليست نظرية خاصة، مع ذلك فهي مقاربة تتبنّي فئة مشتركة من المبادئ المُوجِّهة، والافتراضات، والتصوّرات التي تقود إلى سلسلة من النظربات المتتوعة والمتكاملة والمتداخلة والمتنافسة. 3

أمّا وفقا لما ورد في قاموس كامبريدج فهي " مقاربة للغة والإدراك ظهرت في أواخر 1980 نشأت من العمل على الاستعارة والنحو العرفاني، ومبدأها المركزي أن معرفة اللغة هي جزء من مجموعة من القدرات الإدراكية، وليس وحدة منفصلة كما في لغة تشومسكي التوليدية، وتركز بحوثها بشكل رئيسي على الاستعارة والمعنى اللفظي، والمفاهيم والنماذج الأولية، والأطر، ونمذجة العمليات العرفانية التي ينطوي عليها تفسير الخطاب. ويري أيضا عدد من أنصار اللسانيات العرفانية أنها تشمل دراسة النحو وتأويل النحو."4

¹ Hadumod Bussmann, Routledge Dictionary of linguage and Linguistics, Routledge, London, 1st ed

² Vyvyan Evans, Cognitive Linguistics a complete guide, Edinburgh University Press, UK, 2019, p 2- 6.

³ Ibid, p 6.

⁴ Keith Brown, Jim Miller, The Cambridge Dictionary of linguistics, Cambridge University Press 1st ed, 2013, p 84.

نلاحظ من الحدود المتقدّمة أن تاريخ ظهور اللسانيات العرفانية فيه خلاف، حيث يرجع حسب (Hadumod Bussmann) إلى عام 1950، ويرجع حسب (K. Brown & J. Miller) إلى عام 1950، ويرجع حسب (K. Brown & J. Miller) إلى عام 1950، ويرجع حسب هذا التحديد الزمني يحيلنا في الواقع إلى اتجاهين لسانيين متقاربين، الأول يقصد أن بداية اللسانيات العرفانية لها جانب كانت مع الاتجاه التوليدي، باعتباره اتجاها عرفانيا من جانب دراسته للغة كملكة وقدرة ذهنية لها جانب بيولوجي يحاول تفسير اكتساب اللغة، واستعمالها بطريقة مناهضة لأسلوب النزعة السلوكية. بينما يقصد بالاتجاه الذي ظهر عام 1980 تلك المجموعة من النظريات التي تبحث في المعنى وتشكّله، وتنظر إلى اللغة كعملية ذهنية مثل باقي العمليات العرفانية التي يقوم بها الذهن مثل: الذاكرة، الفهم، التفكير ...إلخ وسميت باللسانيات العرفانية، وقد نشأت كحقل مناهض للنزعة اللسانيات العرفانية — على كشف العلاقة الداخلية الوطيدة بين اللغة وبقية الملكات العرفانية. أكما نجد أن الاتجاه التوليدي ذاته قد تعرض للنقد في تصور فطرية اللغة وتصور مركزية التركيب وتهميش المعنى، هذا النقد الذي أسس للفرضيات الكبرى التي قامت عليها نظريات العرفانية لاحقا وهي:

- اللغة ليست ملكة عرفانية مستقلة.
 - النحو نظام تصوري (مفهومي).
- المعرفة اللغوية تظهر من استعمال اللغة.

وكانت هذه الفرضيات الثلاث المطروحة من قبل رواد اللسانيات العرفانية ردّا علميا على المقاربات السائدة للتركيب والدلالة في ذلك الوقت، وهي النحو التوليدي ودلالة شروط الصدق (المنطقية). حيث المبدأ الأولى يعارض فرضية النحو التوليدي المعروفة القائلة بأن اللغة ملكة أو وحدة عرفانية مستقلة (فطرية في الواقع)، منفصلة عن القدرات العرفانية غير اللسانية، أمّا المبدأ الثاني يعارض دلالة شروط الصدق -(truth) لواقع)، منفصلة عن القدرات العرفانية غير اللسانية، أمّا المبدأ الثاني يعارض دلالة شروط الصدق الصدق والكذب المرتبط بالعالم (أو على نحو أكثر دقة، نموذج للعالم). ويتعارض المبدأ الثالث مع الاتجاهات الاختزالية في كل من النحو التوليدي ودلالة شروط الصدق، إذ يتم البحث عن تعميم وتجريد تمثّلات الشكل النحوي والمعنى، والعديد من الظواهر النحوية والدّلالية التي تُرجَع إلى (الحد الخارجي) (periphery).

يلاحظ على السّاحة العلمية التي ولّدت اللسانيات العرفانية أنها قامت على دحض بعض التصورات السابقة لها في دراسة التركيب والدلالة ووضع البدائل لدراستها، بداية من دحض استقلالية الملكة اللغوية عن باقي القدرات غير اللغوية، وافتراض وجود علاقة بين القدرة اللغوية وبقية القدرات العرفانية. هذه الفكرة التي شكّلت فيما بعد قضية في اللسانيات العرفانية لضبط عملية الإنتاج اللغوي عند المتكلم، وعملية فهم دلالة

² William croft, Alan Cruse: Cognitive Linguistics, Cambridge university press, Cambridge, 1st ed 2004, p 1.

¹ Look: R. A. Wilson, F. C. Keil, The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences, p134.

الخطاب أو الرسالة اللغوية عند المتلقي، فالأمر لا يتعلق بمعرفة الكيفية التي يتم بها الإنتاج اللغوي ذهنيا، بل يتعدّاه لدراسة كيف يتم إدراك دلالة الخطاب اللغوي، وهي عمليات تتدخل فيها مجموعة من القدرات الذهنية الأخرى التي لا يمكن للقدرة اللغوية أن تستغني عنها. وكذلك كانت الفرضية الثانية لدحض النحو كما حدده تشومسكي، وافتراض أن النحو نظام تصوري مفهومي مرتبط بالدلالة والمعجم في بناء التركيب، وهو انعكاس لتصور تجربة برمتها ولا ينحصر في مجرد مطابقة معناه للمنطق، حيث صِدْقُ هذا المعنى يقع بمطابقته من جهة أخرى للواقع وهو ما قامت عليه دلالة شروط الصدق. بينما تسعى الفرضية الثالثة لتبيان أساس بناء المعارف اللغوية، والمتمثل في إدراك استعمالنا اللغوي وبنياته الصوتية، والنحوية، والدلالية، والمعجمية الذي تحت اللسانيات العرفانية في تعميم حدوثه في الذهن البشري.

وحتى تحقق اللسانيات العرفانية هذه الفرضيات انطلقت من تصورين كبيرين في مقاربتها للغة والذهن تمثلا في نوعين من القيود: قيد التعميم (generalization commitment)، والقيد العرفاني cognitive) (commitment)، والاثنان طورا لاحقا فروعا للسانيات العرفانية في الدلالة العرفانية، والنحو العرفاني. والقيد هو مجموعة الإجراءات التي يلتزم بها المتكلم في إنتاج خطابه، وهي قيود من افتراض راي جاكندوف . (R. Jackendoff) على نظريته الدلالية التصورية إضافة إلى قيود أساسية أخرى، ويتعلق قيد التعميم (generalization commitment) بذلك التصور الذي يدرس مستويات اللغة كاملة دون الاكتفاء بمستوى أو نظام واحد، باعتبار اللغة في مجملها قدرة ذهنية، وهذا نابع من الفكرة القائلة " إنه من المجدي معالجة مجالات مثل التركيب والدلالة والأصوات على أنها متميزة نظريا؛ حيث دراسة نظام التركيب تتطوى، جزئيا على الأقل، دراسة أنواع مختلفة قليلا من الظاهرة العرفانية واللسانية من دراسة النظام الصوتى، ومع ذلك، نظرا لقيد التعميم لا يتفق اللسانيون العرفانيون على أن النماذج أو الأنظمة الفرعية للغة منظمة بطرق متباينة بشكل كبير. أو أن النماذج المميزة أو الأنظمة الفرعية موجودة فعلا؛ لذلك يفرض قيد التعميم حسب اللسانيين العرفانيين وجود مجالات مختلفة من اللغة تشترك في بعض المبادئ الأساسية المنظمة، وعليه سيتمكن قيد التعميم كمقاربة من دراسة الأنظمة الفرعية للغة كنظام عام متكامل، مثل: توحيد النظام المعجمي مع النظام النحوي وتوفير 1 نظرية موحدة للبنية النحوية والمعجمية. 1 وهذا التصور المتعلق بقيد التعميم دعوة إلى دراسة اللغة ككل متكامل تركيبا وصوتا ومعجما، وهي نظرة مناهضة لتصور تشومسكي الأول القائل بمركزية التركيب في الإنتاج اللغوي وتفسيرية الصوت والمعجم.

أما القيد العرفاني (Cognitive commitment) فهو متعلق بمستويات التمثيل الذهني، التي تكون فيها المعلومة اللغوية منسجمة والمعلومة الآتية من الأنظمة المحيطة مثل الرؤية، والسماع غير اللغوي، والشم والشعور بالحركة، وهكذا. وتسمح لنا مستويات التمثيل الذهني من الإخبار والتحدث عما نرى ونسمع، ولو لم

21

¹ Look: Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive Linguistics an introduction, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2006, p28 – 40.

يكن هذا التمثيل الذهني ومستوياته، لما أمكننا استعمال اللغة في الإخبار عن المدخلات الحسية. أ بتعبير آخر يسعى القيد العرفاني إلى تحديد مدى قدرة اللغة على عكس معالجة القدرات الذهنية لمدخلاتنا الحسية، كونها الوسيلة التي نعبر بها عن فهمنا وإدراكنا للتجارب والوقائع الحسية. والعمل على هذه القيود طوّر مجموعة من النظريات الدلالية والنحوية التي بُني عليها اتجاه اللسانيات العرفانية.

وتتمثل أولى النظريات التي تأسست عليها اللسانيات العرفانية في النظرية الدلالية المسماة بالاستعارة وتتمثل أولى النظرية/ المفهومية (Conceptual Metaphor)، التي هدفت إلى توسيع نظرتنا إلى الاستعارة وإخراجها من قوقعة الحس الجمالي الأدبي إلى ضرورة الاستعمال اليومي التواصلي، وقد ألف فيها جورج لايكوف . G) لا Lakoff ومارك جونسون (M. Johnson) أول كتاب يحمل عنوان "الاستعارات التي نحيا بها" "لاستعارة التي نحيا العرفانية، وبعد "Metaphors we live by" عام 1980، وكان أول كتاب لفت نظر اللسانيين إلى اللسانيات العرفانية، وبعد نظرية الاستعارة التصورية جاءت نظرية جيل فوكونيي (Gilles Fauconnier) الأفضية الذهنية الذهنية (Les espaces mentaux : Aspect de la في كتاب فوكونيي construction du sens dans les langue naturelle) التعالي النظر في العلاقات (دهنيها المتكلم أو المتلقي لفهم وإدراك المعنى، كونه فضاء ذهنيا عند ارتباطه بأفضية ذهنية لمعاني أخرى حيث تتكاثر الأفضية الذهنية وتتسع كلما اتسعت المعاني التي ترد في خطاب ما.

ومن النظريات العرفانية كذلك التي أسست للسانيات العرفانية نظرية النحو العرفاني Crammar (Ronald langacker) لرونالد لانغاكير (Ronald langacker) ما بين 1987 – 1991، وقد بدأت كنموذج يمثل محاولة لفهم اللغة لا كخلاصة لنموذج لغة متخصصة، بل كنتيجة للمعالجات والميكانيزمات العرفانية العامة مما يجعل اللغة تتبع المبادئ العامة نفسها، مثل التصورات الأخرى (الذاكرة، الفهم، الإدراك...إلخ) للنظام العرفاني البشري. ومن المهم تحديد مقصود لانغاكير من مصطلح (نحو)، فهو لا يستعمله هنا بمعناه الضيق الذي يحيل على جزء متخصص من اللغة مرتبط بالمعرفة التركيبية و/أو المورفولوجية، بل استعمل مصطلح "نحو" بالمعنى المتحرر، فيحيل به إلى النظام اللغوي ككل بما فيه الصوت والمعنى والصرف تركيب. على عكس النحو التوليدي الذي حصر مفهومه للنحو في فطرية اللغة (النحو الكلي)، ودراسة التركيب كمركز للإنتاج اللغوي واعطاء الصوت والمعجم دور المفسرين الهامشيين؛ لذلك فإن نظرية النحو العرفاني تمثل نظرية دلالية.

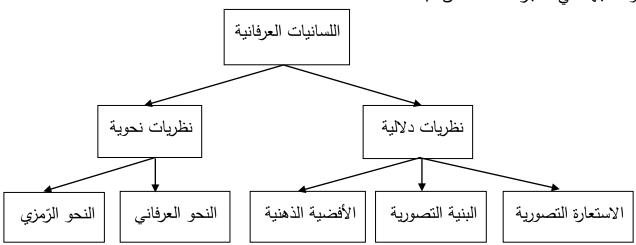
ولا تتأسس اللسانيات العرفانية على هذه النظريات المذكورة فقط، بل تشمل نظريات أخرى لاسيما الدلالية منها، كما تشمل تصورات قاعدية لهذه النظريات نفسها من بينها جهود كاتز، وفودور، وبوسطل في الدلالة التأويلية، التي بدأت نماذجها في التبلور بالنقد الذي وُجِّه لتصور تشومسكي للبنيات النحوية الخالية من أي مكون دلالي؛ حيث اقترح كاتز وفودور (Katz & Bostal)، وكاتز وبوسطل (Katz & Bostal) عام 1963

 $^{^{1}}$ ينظر: راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، تر: عبد الرزاق بنور، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، د ط، 2010 مل 63 – 68.

² Look: Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive Linguistics an introduction, p114.

و 1964 على التوالي نموذجا اعتبر الدلالة جزءا نسقيا في تحليل اللغة، وبالتالي مكونا خاصا بإسناد المعاني اللي المتواليات اللغوية، واقترحوا حينها ما سموه جهاز التأويل الدلالي الذي يعتمد على القاموس وقواعد الإسقاط. وهدف إضافات كاتز وفودور وبوسطل على نموذج البنى التركيبية لتشومسكي هو إدراج المكون الدلالي على النموذج. 1

وعليه تمثل اللسانيات العرفانية اتجاها لدراسة أحد قدرات الذهن وهي اللغة، وهذا ما جعلها تصنف ضمن العلوم المساعدة في ظهور حقل العلوم العرفانية، أما التصورات المذكورة أعلاه فتمثل أشهر التصورات والنظريات التي تأسست عليها اللسانيات العرفانية من بداية ظهورها إلى غاية تحولها إلى اتجاه أو مدرسة عرفانية، وخلال المراحل التي تطورت عبرها اللسانيات العرفانية تطورت معها أيضا نظرياتها، وتصوراتها وأضيفت نماذج أخرى مسايرة لآخر مستجدات البحث في اللغة والذهن، وسيأتي التفصيل في هذه النظريات ونماذجها في الأجزاء اللرّحقة من البحث.



المخطط رقم (01): مخطط توضيحي للاتجاهات الكبرى للسانيات العرفانية ويعض نظرياتها ثالثًا/ الحدود المنهجية والمعرفية للسانيات العرفانية في البحث اللساني العربي:

الغرض من وضع هذا العنوان في هذا المقام هو إعطاء لمحة تمهيدية عن حدود اللسانيات العرفانية في البحث العربي للتعرف على مقدار مسايرته للنظريات اللسانية، وفروعها التي تتشأ وتتجدد باستمرار، وعليه سنعمل على استكشاف الأساس المعرفي للبحث العربي إن وجد في اللسانيات العرفانية، ثم نتتبع التصور العربي العام للسانيات العرفانية، ولا نقصد بحدود اللسانيات العرفانية في البحث العربي مجموعة المفاهيم التي حدّدها الباحثون العرب للسانيات العرفانية، إنّما نقصد إطار دراسة اللسانيات العرفانية ونظرياتها في البحث العربي.

بالنّظر في الأساس المعرفي الذي نشأت منه اللسانيات العرفانية في مظانها الغربية، فقد أحرزت تقدّما ملحوظا في بناء النظريات، وتطوير نماذجها لاسيما الدلالية منها استنادا إلى مستجدات العلوم العرفانية، لكن ما

_

 $^{^{1}}$ عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1 ، 2000 ، 0

محلّ اللسانيات العرفانية ومرجعياتها المعرفية التي انبثقت منها في البحث اللساني العربي؟ ولضبط موقعها يتطلب منّا البحث هنا أن نجيب أولا عن السؤال: هل توجد لسانيات عرفانية في البحث اللساني العربي؟ وإذا وُجدت فما هي طبيعة البحث العربي وتصوراته عن اللسانيات العرفانية (Cognitive Linguistics)، والحدود التي يضعها الباحثون العرب لدراسة اللسانيات العرفانية والمصادر التي تنبثق منها.

1) اللسانيات العرفانية في البحث اللساني العربي:

يسعى هذا العنوان إلى إعطاء لمحة عامة عن تلقي اللسانيات العرفانية في البحث العربي، والإجابة عن السؤال السّابق هل توجد لسانيات عرفانية في البحث اللساني العربي؟ الذي لا يمكن الإجابة عنه دون الإشارة إلى أهم الجهود العربية في مجال اللسانيات العرفانية وطبيعة هذه الجهود؛ من أجل تقييد حيثيات ومقولات المقاربة اللسانية العرفانية عربيا.

يعد عام 1980م الولادة الرسمية للسانيات العرفانية مع ظهور كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" لجورج لايكوف ومارك جونسون (George Lakoff & Mark Johnson)، وبعد صدور هذا الكتاب اتسع البحث في اللسانيات العرفانية وتتابعت النماذج اللسانية العرفانية، في المقابل لم تُعرف اللسانيات العرفانية عربيا إلا مع نهايات القرن العشرين، في هذه الفترة بدأت تتسلل اللسانيات العرفانية إلى البحث العربي عن طريق مسارين الأول ترجمة الأعمال اللسانية العرفانية إلى اللغة العربية، والآخر إنتاج مؤلفات يمكن أن نقول عنها تقريبية تيسيرية، وإذا تقصينا المؤلفات المترجمة نجد أكثرها يصب في اتجاه محدد من اتجاهات اللسانيات العرفانية؛ إذ تصب أكثر الترجمات العربية في النظريات العرفانية الدلالية، وأشهرها على الإطلاق ترجمة مؤلفات جورج لايكوف وراي جاكندوف (Ray Jackendoff) ومؤلفاتهما العاكفة على المجال الدلالي العرفاني.

غنيت مؤلفات جورج لايكوف بمنح وجه جديد للاستعارة فلم يعد يقتصر استعمالها على جمالياتها الأدبية فقط، بل إنّ التّأمل في الخطاب المتداول بصفة يومية يكشف لنا الاستعمال الموسع للاستعارة كإحدى الأدوات التي تسمح بإتمام عملية التواصل بنجاح، وما يميّز وجهة نظره للاستعارة أنها ليست لغوية فحسب، بل تصورية/ مفهومية (conceptual) تتيح لنا إدراك التجارب، وربطها بمجالات أخرى والتعبير عنها لغويا، فالاستعارة التصورية (Conceptual Metaphor) بمفهوم لايكوف " تعم كلا من الفكر واللغة" وليست استعارة لغوية محضة، إنما استعارة غايتها بلوغ الكيفية التي يحصل بها الفهم؛ "فهم الإنسان للغته وتجربته والعلائق الرابطة بينهما؛ أي كيف تفعل التجربة في اللغة وكيف تفعل اللغة في التجربة." وهذا يبرّر نسبيًا نقل دراسة الاستعارة من المستوى اللغوي الجمالي إلى المستوى الذهني العرفاني.

أ جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، تر: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2016، 2016

 $^{^{2}}$ جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 2 د 2 ص 2 .

إلى جانب الاستعارة التصورية بحث لايكوف في مقولة الجسدنة (embodiment) التي تناقض التصور الكلاسيكي لملكة العقل المستقلة عن الجسد، ويطرح تصوّرا جديدا مفاده أن ملكة العقل متصلة بصورة ما بأجسادنا؛ حيث إن العقل يبني تصورات عن بعض التجارب عبر القدرات الجسدية والحسية، وعليه "تُبيّن البراهين المستمدة من العلم المعرفي أن الملكة النفسية الكلاسيكية خاطئة، فلا وجود لملكة للعقل مستقلة تماما ومنفصلة وغير مقرونة بقدراتنا الجسدية، مثل الإدراك والحركة. عوض هذا تدعم البراهين المنظور التطوري حيث يستخدم العقل وينشأ من هذه القدرات الجسدية." وهذه الحجة تجعلنا نبحث في كيفية استثمار العقل/ الذهن للقدرات الجسدية في بناء وإدراك المعارف.

وتمثّل الاستعارة التصورية والجسدنة التصورات الأساسية الكبرى التي تبناها لايكوف وجونسون لتأسيس أولى النظريات في اللسانيات العرفانية، والتي يجدر التّعرف على مدى اهتمام البحث اللساني العربي بها وبجديد الرؤى المطروحة في الاستعارة والإدراك، وإذا تتبعنا البحوث العربية فيهما نجد أنه تم أخذها بداية ترجمة لما جاء في مؤلفات لايكوف وجونسون؛ إذ ترجم كتاب الاستعارات التي نحيا بها إلى العربية عام 1996م من قِبَلِ عبد المجيد جحفة بعد صدوره في اللغة الأصل عام 1980 وهذا فرق زمني واسع، ثم ترجم كتابه النظرية المعاصرة للاستعارة الصادر عام 1993 والمترجم عام 2014 من قبل طارق النعمان، ثم كتاب الفلسفة في الجسد الصادر عام 1999 والمترجم عام 2014 من قبل عبد المجيد جحفة كذلك، وهذه الكتب أهم ما ترجم من مؤلفات لايكوف وجونسون لكن ليست كل ما ألف كلّ منهما، فبعض الكتب لم تحظ بترجمة حتى الآن مثل كتاب نساء ونار وأشياء خطرة: ما تكشفه المقولات حول الذهن المعادره عام 1987، ورغم ما جاء فيه من تأسيس للحقل العام الذي تندرج فيه نظريته الاستعارة وأطروحة الجسدنة.

من جانب آخر في الدلالة العرفانية تضع نظرية راي جاكندوف أسسها في مؤلفاته المختلفة، التي ترجم البعض منها إلى اللغة العربية مؤخرا. ومن هذه المؤلفات المترجمة كتاب علم الدلالة والعرفانية الذي عمد إلى تفنيد أطروحة مركزية التركيب التي اقترحها تشومسكي، وافتراض وجود بنية تصورية تتساوى فيها الحاجة إلى المعنى والتركيب والمعجم لإنتاج اللغة وإدراكها، وقد صدر كتاب علم الدلالة والعرفانية عام 1983 في لغته الأصل ثم ترجم إلى العربية عام 2010 من طرف عبد الرزاق بنور، كما نجد كتابه دليل ميسر إلى الفكر واللغة الصادر عام 2012 مترجم سنة 2019 من طرف حمزة بن قبلان المزيني، ورغم ما صرّح به عبد الرزاق بنور من تطلب فهم فكر جاكندوف في الدلالة العرفانية دراسة مسحية لجميع مؤلفاته؛ كون " كتاباته مركّزة جدا بحكم أنها تحيل بين السطور على الجو الفكري السائد، فتراه يناقش محاورا غائبا يفترض أن يكون القارئ عارفا بما

25

 $^{^{1}}$ جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد، ص 1

كتبه، مطلعا على ما جاء في أدبيات القضية، ممسكا بخيوط الجزئيات، أو على الأقل بمحاور النقاش والمصطلحات الأساسية." أ إلا أنه يُلاحَظ غياب تام لترجمة بقية الكتب للمؤلف نفسه مثل:

- نظرية توليدية للنّغم الموسيقي (A generative theory of tonal music) عام (1983) بالمشاركة مع فريد ليردال (Fred lerdahl).
- البنى الدّلالية دراسات معاصرة في اللسانيات عام (1990) in linguistics)
- أسس اللغة: الدماغ، المعنى، النحو، والنمو. , Foundations of language: Brain, Meaning, عام (2002).

إضافة إلى مؤلفات ونظريات أخرى لم يمسسها تيار الترجمة إلى اللغة العربية، لكن تبقى هذه أهم النظريات الدلالية التي حظيت المؤلفات المبثوثة فيها بالترجمة إلى اللغة العربية، ومحاولة إدخالها إلى حيّز البحث اللساني العربى.

أما فيما يخصّ النظريات النحوية العرفانية وترجمة المؤلفات التي تدور حولها فهي محدودة جدّا ولا نكاد نجد إلا كتاب مدخل إلى النحو العرفاني لرونالد لانغاكير (2008) الذي ترجمه الأزهر الزناد عام 2018 دون وجود ترجمة لكتب أو مؤلفات أخرى رغم تتابع ظهورها.

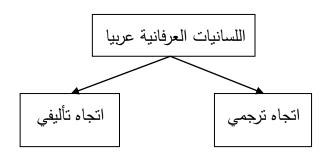
وتعد الأمثلة المذكورة من المؤلفات اللسانية العرفانية المترجمة أهم ما أدخل إلى البحث اللساني العربي ليشكّل تيارا للسانيات العرفانية، لكن ما يلاحظ على هذه المؤلفات المترجمة وغيرها أنها ترجمات انتقائية لا تخضع لأي تخطيط أو دراسة مسبقة وممنهجة، ويظهر ذلك فيما تُرجم دون التّبّه للتتابع الزمني لصدور الأعمال اللسانية العرفانية في أصلها الذي يجدر بالمترجم أخذه بعين الاعتبار؛ حيث تمثل تلك المراحل الزمنية التي صدرت خلالها المؤلفات مراحل لتغيّر منظور وفكر صاحب البحث بالزيادة، والتوسّع، والتّخلّي عن فرضيات وطرح أخرى...إلخ، وبالتالي حرّي بالمترجم أن ينظر في التسلسل الزمني للمؤلفات، حتى لا تكون معرفة القارئ العربي للسانيات العرفانية معرفة مجتثة من فكر قائم برأسه، فلا بدّ أن تكون الترجمة منظمة زمنيا وفكريا، ومنهجيّا؛ ليكون الإلمام باللسانيات العرفانية متكاملا وشاملا بداية من منابتها الفلسفية، وأبعادها الابستيمولوجية المعرفية إلى أحدث التطورات والنماذج التي بلغتها في أيّامنا هذه.

من جهة أخرى يلوح تيّار التأليف العربي في مجال اللسانيات العرفانية كاتجاه من اتجاهات البحث العربي في اللسانيات العرفانية الذي يُسْفِرُ تتبّع مساره على أنه مسار مركّز في قطب عربي واحد هو المغرب العربي لاسيما تونس والمغرب، البلدان اللّذان أصبحت مؤلفاتهما منتشرة بل ورائدة بصورة واسعة في البحث اللساني العربي، وكثر المؤلفون في كل من البلدين حول اللسانيات العرفانية ونظرياتها المختلفة، وعلى رأس هؤلاء الرواد محمد غاليم الحاج، عبد المجيد جحفة، صابر الحباشة، الأزهر الزناد...إلخ، إضافة إلى مشتغلين آخرين

ا راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ص5.

بالسانيات العرفانية في مختلف البلاد العربية مثل: عبد الرحمن طعمة، وعمر بن دحمان، وقد تتوعت مؤلفات الباحثين العرب بين اللسانيات العرفانية كاتجاه متكامل وبين البحث في إحدى نظرياتها، وبين البحث في اللسانيات العرفانية من جانب ذهني تجريدي كما هو حال البحث عند المغاربة مثل محمد غاليم، وبين البحث فيها من منظور عصبي تجريبي كما يفعل عبد الرحمن طعمة، وقد صرّح في أحد بحوثه المتعلقة باللسانيات العرفانية أن غايته من الدراسة اللسانية العصبية هي البحث في "العلاقة الجدلية بين اللغة والمخ من عدة مناح إمبريقية تحليلية؛ حيث طال بحث العلماء عن ماهية اللغة وأسسها وتكونها، من سيرورة إنتاجها حتى تراكبها عباراتٍ وجملاً على ألسنة المتكلمين في الحدث الاتصالي اللساني بين البشر." أ

ويمكن أن نضبط وجود اللسانيات العرفانية في البحث اللساني العربي بفرض اتجاهين كبيرين هما: اتجاه تبنّى ترجمة الأعمال الغربية وإدخالها حيز الدراسات العربية، واتجاه التأليف الذي يعمل روّاده على تعريف وتبسيط اللسانيات العرفانية وتكوين حركة لسانية عرفانية عربية.



المخطط رقم (02): الاتجاهات الكبرى للسانيات العرفانية عربيا

2) إطار البحث العربي في اللسانيات العرفانية:

إن الحديث عن إطار البحث العربي في اللسانيات العرفانية يبدو مبكّرا جدًّا مقارنة بالبحوث العربية في بقية الفروع اللسانية، ممّا يوجب في تحديد إطار اللسانيات العرفانية عربيا دراسة مسحية عامة للاتجاهات الكبرى الترجمية والتأليفية المذكورة سلفا - التي يحدد محتواها اللساني العرفاني إطار البحث العربي، وبالاستناد إلى محتوى هذه الاتجاهات الكبرى المفترضة يمكن أن ننطلق من تصنيفين لإطار البحث العربي؛ أحدهما تصنيف شمولي والآخر تصنيف تجزيئي للسانيات العرفانية ونظرياتها.

أ. التصنيف الشمولي:

إن إطلاق تسمية تصنيف شمولي على ما أُلِف عربيا في اللسانيات العرفانية ليس إلا من باب التنظيم والضبط المنهجي لمختلف الجهود العربية، التي تناولت اللسانيات العرفانية في عمومها ومجملة بكل نظرياتها الدلالية، والتركيبية، والنظريات اللسانية المؤسسة لظهورها وتبلورها، وقد اتضح من تتبع الكتابات والجهود العربية

 $^{^{1}}$ عبد الرحمن طعمة، بيولوجيا اللسانيات: مدخل للأسس البيو – جينية للتواصل اللساني من منظور اللسانيات العصبية، مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو، الجزائر، ع 37، 2016، ص 11.

اللسانية أن الأعمال الشمولية انحصر أغلبها في مؤلفات "الأزهر الزناد"، التي خصيصها لحقل اللسانيات العرفانية بصورتها العامة كاتجاه قائم بذاته له أسسه، وأبعاده، ونظرياته، وإذا تقدمنا بملاحظة وتحليل جهود الأزهر الزناد، فسنقف على مرحلتين كبيرتين للسانيات العرفانية تتحدّدُ من خلال تناوله العلمي لها وهي: مرحلة اللسانيات التوليدية، ومرحلة النظريات اللسانية المفهومية وتتابع التصورات فيهما شكّل المقاربة اللسانية العرفانية.

ضمت مرحلة اللسانيات التوليدية عددا من النظريات الذّهنية والبيولوجية المهتمة بتحليل العمليات الذّهنية المسؤولة عن توليد اللغة، والتي تعود مرجعيتها المعرفية إلى ثلاث قضايا جوهرية قامت عليها النظرية اللسانية التوليدية: أولها ما سماه تشومسكي معضلة أفلاطون (Plato's Probleme) حول الاكتساب اللغوي وكيف يتم على مستوى الدّماغ، والثانية حول الإبداع في إنتاج المعرفة عامّة والمعرفة اللغوية خاصة وهي قضية تعود لرونيه ديكارت (Renne Descartes)، والبحث في المسألة الدّيكارتية يسمح بالوصول إلى النظام المسؤول عن الإبداع اللغوي الموجود على مستوى الدماغ البشري، والقضية الأخرى مستمدة من فكر فيلهيلم فون همبولدت (Wilhilm Von Humboldt) القائلة بفطرية العضو اللغوي، وخضوعه لمبادئ النمو العضوي ممّا يجعل العضو اللغوي نظاما فطريا. أ وتركيز تشومسكي في دراسته للغة كعضو بيولوجي موقعه الدماغ البشري هو ما يجنح بنظريته التوليدية إلى تصنيفها كبداية للسانيات العرفانية.

وقد جمع الزّناد النماذج المختلفة التي مرت بها النظرية التوليدية، لاسيما العقلية والبيولوجية وما جاء به تشومسكي وحتى تلامذته في كتابه نظريات لسانية عرفنية، بداية بنظرية النحو الكلي أو الكوني Grammar) (UG) (UG) الذي يقوم على خاصية كبرى نووية تتمثل في تصور النحو الكلي عضوا بيولوجيا؛ لتصبح الفرضية البيولوجية ليست مجرد غطاء استدلالي للنظرية التوليدية، ولكنها أساس من أسس هذه النظرية. كما أنه لا يمكن أن نتحدث عن الجانب البيولوجي التجريبي، الذي ينص على أن العضو المسؤول عن توليد اللغة عضو بيولوجي يقع في الدماغ البشري في النظرية اللسانية التوليدية، ونغفل عن جانبها الفطري التجريدي الذي يقترض أن اللغة هي مظهر من مظاهر العقل. 2 ثم نظرية المبادئ والبرامترات & Principles (Principles & البرنامج الأدنوي (minimalist program) (1993 – 1993) القائم على "الاقتصاد عامة والاكتفاء بالأدنى الضروري خاصة." أليتضح من التوجه العلمي الابستيمولوجي الذي سلكه تشومسكي في نظريته التوليدية أنه ينظر إلى اللغة والعضو المسؤول عن توليدها من جانبها البيولوجي وطبيعته العقلية الذي يُجَهَرُ الإنسان به بصورة وراثية.

¹ Noam Chomsky, Cartesian Linguistics A chapter in the history of rationalist thought, Cambridge University press, The Edinburgh Building, 3 rd ed, 2009, p 13.

² ينظر: محمد محمد العمري، الأسس الابستيمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2012، ص 199.

³ الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، منشورات الاختلاف، د ط، 2010، ص54.

أما مرحلة النظريات اللسانية المفهومية/ التصورية فقد جمع فيها أغلب النظريات اللسانية العرفانية مثل: نظرية الاستعارة التصورية، النحو العرفاني، نظرية الخطاطة، والجسدنة ونظرية المزج التصوري، وهي النظريات الأساسية التي انبنت عليها اللسانيات العرفانية والتي تعد دلالية تبحث في تشكل المعنى في الذهن وفي مؤلف آخر نجده يدرس اللغة ويربطها بالجسد باعتبار "الجسد كائنا منتجا للمعنى بأدوات هي منه أعضاء (الدماغ والجوارح) وبوسائط لتلك الأعضاء (اللغة والإشارة)." العبارة أخرى يدرس الزناد في مؤلفه (اللغة والجسد) اللغة من منظور عصبي بيولوجي متعلق بالدماغ والجسد.

وفي مجمل القول عن التصور الشمولي للسانيات العرفانية فإننا لا نقع من البحوث والدراسات العربية إلا على بعض مؤلفات الأزهر الزناد التي خصصها للحديث عن اللسانيات العرفانية بصفة كلية من نظرياتها الأولى حتى آخر نماذجها ونظرياتها، ويمكن أن نقول أيضا عن مؤلفات الزناد أنها ذات هدف تعريفي تقريبي لهذا الاتجاه اللسانى الحديث خاصة للمتلقى العربي.

ب. التصنيف التجزيئي:

في الجهود العربية المتعلقة باللسانيات العرفانية يقع القارئ العربي على مؤلفات عديدة غايتها الخوض في اللسانيات العرفانية وتقريبها للمتلقي العربي بطريقة مبسطة ومركزة في الغالب على نظرية واحدة؛ وهذا الاهتمام بكل نظرية على حدة هو ما وضعنا على أساسه تسمية التصنيف التجزيئي والذي تمحورت دراساته اللسانية العرفانية حول النظريات الدلالية العرفانية وأكثرها تداولا نظرية الاستعارة التصورية/ المفهومية (conceptual التي لقيت حظّا وافرا من التأليف والترجمة، وهو ما يتضح من خلال عدة مؤلفات عربية مثل: مؤلف محمد غاليم الحاج المعنى والتوافق الذي حدد فيه المعنى كمشكل باعتباره بنية معلومات مرمزة في الذهن البشري، معتبرا أن أساس هذه البنية الدلالية الذهنية بنية تأليفية قوامها أوليات تصورية يحكم تركيبها مبدأ تأليف الدالات. أما التوافق فقصد به التوافق بين الدلالة والتركيب في إطار تصور أكفى هو التصور القالبي ذو الأسس اللغوية والنفسية والعرفانية. أوهذا جانب من جوانب الدراسة الدلالية العرفانية الحديثة التي تحولت إلى دراسة المعنى على مستوى الذهن.

إضافة إلى مؤلف عبد الجبار بن غربية "مدخل إلى النحو العرفاني" الذي عُد أول مؤلف عرّف عربيا بنظرية رونالد لانغاكير (Ronald Langacker) النحو العرفاني (Cognitive Grammar)، وفيه صرّح عبد الجبار أن النحو العرفاني نظرية دلالية شاملة وقفت منذ ظهورها في وجه التصورات والاعتبارات والمسلمات التي هيمنت على أغلب النظريات اللسانية الحديثة، ومن بينها التصور اللساني القائم على فصل مختلف

الأزهر الزناد، اللغة والجسد، مركز النشر الجامعي، تونس، د ط، 2017، ص5.

² محمد غاليم، المعنى والتوافق مبادىء لتأصيل البحث الدلالي العربي، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، د ط 1999، ص 490 – 491.

المستويات اللسانية التي تساهم في بناء المعنى وتشكله أوغايته إعطاء المعنى مكانة موضوعية في الدراسات اللسانية الحديثة؛ عبر دراسته بصورة متساوية ومترابطة مع العناصر اللسانية الصوتية والتركيبية المتشابكة التي تسهم في بنائه.

ولا تقف الجهود العربية التجزيئية عند هذين المثالين فحسب ممن عنوا بنظريات اللسانيات العرفانية، بل هناك عدد معتبر من البحوث العربية المختصة في التأليف في نظرية واحدة أو في اتجاه واحد كما نجد عند محمد الصالح البوعمراني في مؤلفه دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني فهو مؤلف وبحث في الدلالة العرفانية من جانب نظري وتطبيقي لأنه سعى إلى تطبيق بعض مبادئ الدلالة العرفانية على بعض النماذج العربية مثل النماذج الشعرية لأبي الطيب المتنبي.

وكثيرة تلك البحوث المترجمة عن نظريات اللسانيات العرفانية منفردة خاصة المعتكفة على دراسة النظريات الدلالية والاستعارة المفهومية مثل ترجمة كتاب الاستعارات التي نحيا بها من قبل عبد المجيد جحفة وكتاب النظرية المعاصرة للاستعارة من قبل طارق النعمان، إضافة إلى عدد من المقالات التي ضمها كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية المترجمة عن مؤلفاتها الأصلية المتعلقة باللسانيات العرفانية ودارت محتوياتها حول نظرية الأفضية الذهنية ومفهوم العلوم العرفانية.

والحاصل من عرض هذه المؤلفات والبحوث العربية في المجال اللساني العرفاني يُظهر أن إطار البحث العربي في شقيه الشمولي والتجزيئي عكف على البحث في التعريف بأهم النظريات البانية للسانيات العرفانية دون الإحاطة بها جميعا؛ حيث يكثر البحث في النظريات المتبلورة أولا كالتي قال بها جورج لايكوف، في حين نجد غيابا شبه تام للنظريات الدلالية التي جاءت على يد كاتز وفودور وبوسطل لنقد وجهة النظر الدلالية التشومسكية، والتي مثلت بدورها بدايات ظهور أولى نظريات اللسانيات العرفانية، كما اتضح أن البحث العربي حاول تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها:

- التعريف باللسانيات العرفانية والدوافع المؤدية إلى ظهورها والحقل العام الذي تنتمي إليه، وهذا نلمسه في البحوث الأولى للأزهر الزناد الذي حاول تحديد اللسانيات العرفانية ومنبتها المعرفي.
- إدخال اللسانيات العرفانية ضمن إطار البحث اللساني العربي ومحاولة تكوين اتجاه عربي مختص بالبحث فيها وفي نظرياتها جميعا، لمجاراة التطورات العلمية العالمية التي تشهدها اللسانيات باستمرار ولاسيما في علاقاتها بالتكنولوجيا.

وفي مقابل السعي نحو تحقيق هذه الأهداف المسطرة يصادف البحث العربي جملة من العوائق، يمكن إرجاعها إلى غياب التخطيط المنهجي في البحث العربي في اللسانيات العرفانية، سواء في التصنيف الشمولي أو في التصنيف التجزيئي، والمقصود بهذا أن التأليف والترجمة العربيين فيما يخص اللسانيات العرفانية في

30

¹ ينظر: عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكيلياني للنشر، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس ط1، 2010، ص28.

أبعادها الابستيمولوجية ونشأتها لم تكن بذلك التنظيم المنهجي، الذي تكون فيه المعرفة مبنية ومتكاملة تسمح بإحاطة شاملة بمجال اللسانيات العرفانية من منبعها المتمثل في العلوم العرفانية، ومناهضتها للتيار التوليدي ونماذجه الأولى المهمشة للدلالة، ثم تحديد مفهومها والتصورات العرفانية التي قامت عليها في دراسة اللغة، ثم تحديد النظريات التي تقوم عليها دون إغفال أية نظرية من النظريات اللسانية العرفانية.

من خلال ما تقدم عرضه من جهود عربية مقتضبة في اللسانيات العرفانية يمكن أن نقر بوجود لسانيات عرفانية في البحث العربي، لكن لا يمكن أن نقول بوجود اتجاه مستقل ومتكامل بذاته لدراستها وإدخالها حيز الدراسة اللسانية العرفانية العربية بعد، فهي ما تزال في مرحلة جنينية تكوينية يسعى المشتغلون عليها إلى التعريف بها، وبما جاءت لتحقيقه وتقريبها للمتلقي العربي، دون محاولة جادة لتطبيق نظرياتها على النظام اللغوي العربي، رغم بعض النماذج التي حاولت النظر في بعض القضايا اللسانية العربية من وجهة لسانية عرفانية.

3) الأساس المعرفى للسانيات العرفانية في الدراسات اللسانية العربية:

البحث في الأساس أو الأبعاد المعرفية للسانيات العرفانية في الدراسات العربية يستلزم الوقوف على منبعها ومنبتها الأول، الذي يصب في مجال العلوم العرفانية التي تم بيان مفهومها ونشأتها، والابستيمولوجيا القائمة عليها ومختلف المقاربات العلمية التي قامت عليها من علم النفس، وسيبرنطيقا، ولسانيات...إلخ، وقد عرفت العلوم العرفانية كامتداد للاتجاه الجشطلتي في علم النفس، وكمناهض أيضا للاتجاه السلوكي، وقد سبق الحديث عن المنشأ المعرفي الأصلي للعلوم العرفانية واللسانيات العرفانية، ولذلك نحن هنا بحاجة إلى معرفة درجة وقوف الدراسات اللسانية العربية على هذه الأبعاد المعرفية الابستيمولوجية للسانيات العرفانية، والذي سيتضح عبر مجموعة مهمة من الآراء والدراسات العربية التي سيأتي عرضها وتحليل وجهات النظر المعرفية فيها.

وأهم هذه الدراسات ما طرحه محي الدين محسب حول الإدراكيات بصورة عامة وبعدها الابستيمولوجي بصورة خاصة؛ محاولا في إحدى مقالاته أن يقدم للقارئ العربي استظهارا للجذور التاريخية، والابستيمولوجية لنشأة العلوم العرفانية التي يطلق عليها هنا مصطلح (الإدراكيات)، آملا أن تقدم المقالة إضاءات كاشفة لحركة الأفكار والمفاهيم الإدراكية؛ أي أن تقدم إضاءة للابستيمولوجيا الإدراكية نفسها التي نظر إليها على أنها (ثورة) في تاريخ العلم. أ وقد عمل محسب في مقالته هذه على تقريب الأساس الابستيمولوجي للعلوم العرفانية، التي فضل تسميتها الإدراكيات، للمتلقي العربي باحثا في الاتجاهات المعرفية الأولى التي دعت إلى ظهورها، ورأى أن الاستظهار لجذور الإدراكيات قد يذهب تارة إلى مدرسة علمية أو فلسفية بعينها، وتارة يذهب إلى عالم أو مفكر بعينه، وتارة ثالثة إلى نظرية إدراكية معينة؛ ما يعني أن العلوم العرفانية كحقل معرفي لم تتبلور من اتجاه عرفاني واحد، بل تعددت المشارب العلمية التي أسهمت في تأسيسه؛ ومنها المدرسة الجشطانية في علم النفس عرفاني واحد، بل تعددت المشارب العلمية التي أسهمت في تأسيسه؛ ومنها المدرسة الجشطانية في علم النفس

ينظر: محي الدين محسب، الإدراكيات، ص 1

ومدرسة الفلسفة الظاهراتية وعلاقتها بالإدراكيات في جانب الاهتمام بقدرة الإنسان على التفاعل فيما بينه وبين العالم، إضافة إلى هؤلاء الرّواد الذين برعوا في تحليل المفاهيم، ووضع المبادئ والطروحات التي بنت العلوم العرفانية لاحقا أمثال أوتو سيلز (Otto Selz) الذي أكد دور المشكلات، والمخططات الذهنية في توجيه عمليات التفكير والإبداعية. وليف فيجوتسكي (Vygotsky) الذي مثل أحد أقطاب علم النفس المضاد للسلوكية. 1

من جهة أخرى في الدراسات العربية حول ابستيمولوجيا اللسانيات العرفانية نجد من يؤسس أيضا لحقلها العام الذي تصنف ضمنه، وهو العلوم العرفانية متصديا لها برصد مسارها التاريخي، والضبط الزمني لظهورها ودوافع ذلك، ثم توضيح الغاية الأساسية من العلوم العرفانية المتمثلة في "وصف قدرات وكفاءات الذهن الإنساني وتفسيرها وتقييسها وتتميتها، وبالخصوص تلك المتمثلة في اللغة والتفكير والإدراك والتخطيط والقرار والانفعال والوعي والثقافة. فهي بمعنى من المعاني عبارة عن منظومة علمية جد واسعة في موضوعاتها ومناهجها، تهتم من جهة بمختلف قدرات وكفاءات الكائن الإنساني الذهنية، طفلا كان أم راشدا، سويا كان أم شاذا، ناجحا كان أم فاشلا...إلخ، وتعتمد من جهة أخرى على علوم الأعصاب والنفس واللغة والمنطق والاجتماع والتطور والإعلام وفلسفة الذهن." والاطلاع على ما جاء في دراسة الغالي أحرشاو عن العلوم العرفانية يبدي أنها لا تزيد كثيرا عن سابقاتها في التعريف به، وبتاريخه والمقاربات المشاركة في بنائه.

لكن ما يميّز هذه الدراسة أنها حددت الموضوعات الكثيرة التي أصبحت العلوم العرفانية تدرسها، ومن ضمنها اللغة والتواصل، ويُبرّر تخصيص هذا المبحث بالذات كونه متعلق بإدراك الكلام، وكيفية تأثير العلوم العرفانية في تحليله بإفرازها مختلف مستويات التمثل داخل اللغة؛ إذ إن كل مستوى يستدعي تحليلا منفردا وأن تمفصلها الحقيقي في إنتاج اللغة الشفوية، والكتابية، وفهمها يستلزم نظرية إضافية على ما عهد من النظريات اللسانية البنيوية، والتوليدية، والوظيفية؛ للنظر في الجانب الإدراكي لإنتاج الكلام، رغم تلك الصعوبات التي يواجهها البحث في إدراك الكلام والخطاب؛ بسبب التعقيد الموجود في النظام الإنساني أثناء مهمته في إدراك الكلام وفهمه وهذه الأرضية العلمية التي تسعى إلى تحليل اللغة المكتوبة والمنطوقة إدراكيا، تمثل إضافة للعلوم العرفانية في بنيتها الظاهرة والاستعمال التعرفانية في بنيتها الظاهرة والاستعمال النداولي إلى تحليل العمليات العقلية التي تؤدي إلى إنتاج اللغة.

وفي جهود عربية أخرى يتجه تحديد الإطار المعرفي الابستيمولوجي للسانيات العرفانية إلى عدّها ثورة من الثورات العرفانية، التي كانت واضحة عند نوام تشومسكي (N. Chomsky) بناء على تصور مفاده أن (العرفانية) لها علاقة بالتفكير؛ لذلك يمكن أن تفهم اللسانيات العرفانية بمعناها الواسع على أنها دراسة اللغة في

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 11، 12، 13.

الغالي أحرشاو، العلوم المعرفية: من مخاض التعريف والتأسيس إلى رهان التطبيق والاستثمار، المجلة العربية "نفسانيات"، مجلد 2 14، ع 59، 2018، ص 9.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 22، 23.

علاقتها مع الفكر؛ ممّا يجعل تشومسكي ومقاربته اللسانية جزءا مما يسميه (الثورة المعرفية/ العرفانية). وكانت سمتها الأساسية الاعتقاد الجديد بأن المعرفة كانت قابلة للاستقصاء أو البحث العلمي، والمعرفة اللغوية هي نوع واحد فقط من المعرفة، ولكن يمكن دراستها تجريبيا ويمكن صياغة الفرضيات حول بنية المعرفة اللغوية في العقل البشري. أمن هذا التصور الذي صاغه تشومسكي تنطلق الأسس الابستيمولوجية في اللسانيات العرفانية التي وجهت النظر والبحث في اللغة اتجاه العمليات العقلية المسؤولة عن توليد اللغة بدلا من الاكتفاء بتحليل اللغة الظاهرة المستعملة فقط.

ولو أمعنّا النظر والتمحيص في رأي محي الدين محسب، والغالي أحرشاو حول ابستيمولوجيا حقل العلوم العرفانية التي تمثل أرضية تستمد منها اللسانيات العرفانية آلياتها في تحليل اللغة، نلاحظ أنها تتمحور وتركز على نشأة العلوم العرفانية، ومفهومها، والمقاربات التي بنتها. في المقابل لا نجد طرحا للتصورات التي نشأت منها اللسانيات العرفانية كمقاربة ذات أثر في هذا الحقل المعرفي، عكس ما يظهر حول أن اللسانيات العرفانية ظهرت مع ثورة تشومسكي العرفانية، التي نقلت تحليل اللغة ودراستها من خارج الذّهن إلى داخله أين تولّد وتتتج.

ثم واصل تطوير اللسانيات العرفانية تلاميذ تشومسكي، الذين نقدوا بعض مبادئ نظرية تشومسكي المتمثلة في مبدأ مركزية التركيب، واعتبار الصوت والدلالة مكونين تفسيريين في مرتبة أقل من التركيب، ومقولة أن اللغة وفهمها يتم بمعزل عن بقية العمليات الذهنية، ثم طرح تلاميذ تشومسكي فرضية بديلة عن مقولاته مفادها أن الصوت والدّلالة مكونان موازيان للتركيب يحتلّن مكانة متساوية معه، أمّا المعنى في نظرية الدلالة التصورية (Conceptual Semantics theory)، فهو عبارة عن تمثيلات ذهنية مبنية في صورة تنظيم معرفي يُدْعَى البنية التصورية (Conceptual Structure) وهي ليست جزءا من اللغة، وإنما هي جزء من الفكر 2 لذلك نرى أن اللسانيات العرفانية لها أرضية معرفية وابستيمولوجية تبدأ من العلوم العرفانية، وتمتدّ إلى اللسانيات التوليدية لتضع إجراءاتها الخاصة بها في دراسة اللغة ذهنيا.

وحين نحاول تتبع الأساس المعرفي الابستيمولوجي للسانيات العرفانية، فإننا نبحث عن الأرضية المعرفية التي نشأت منها اللسانيات العرفانية في الدراسات اللسانية العربية، ومقدار الاهتمام بها، وتقريبها للمتلقي العربي إذ إن المعرفة الابستيمولوجية للعلم تسمح بتحديد التصورات التي قام عليها، وكيفية استثمارها، وبالتالي بلوغ الأهداف التي سطرها لتحقيق وإحراز تطوير وتقدم في ذلك العلم، لكن ما نراه في الجانب المعرفي للسانيات العرفانية في البحث اللساني العربي يبدو معاكسا جدا، فلا تكاد تهتم به الجهود اللسانية العربية إلا في إطار حديثها عن حقل العلوم العرفانية، كون اللسانيات العرفانية أحد علومه دون التفصيل في التأثير والتأثر بينه وبين

 2 ينظر: عبد السلام عابي، النذير ضبعي، من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية تحولات المباحث والمفاهيم، اللسانيات مج 24، ء1، 2018، ص 133.

¹ ينظر: بول كوبلي، دليل راوتليدج لعلم السيمياء واللغويات، تر: هبة شندب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2016، ص 314 – 315.

اللسانيات، لكنها تغفل ذلك الجانب الممتد للنظرية اللسانية التوليدية رغم أن اللسانيات العرفانية لا تشكل نظرية مناهضة للسانيات التوليدية، وإنما يمكن أن نقول أنها لسانيات مكملة ومعدلة للنظرية اللسانية التوليدية. وضرورة توضيح هذا الجانب لا تعني أن اللسانيات العرفانية اتجاه لساني جديد مجاوز لقديم، ولا هي نظرية أكثر تطوّرا ونضجا أو أقل قيمة، ولا بنظرية لسانية أحسن، ولا بنظرية أسوء. إنما الأمر أن اللغة لتعقدها وصعوبات حصرها تحتاج إلى مقاربات مختلفة أ تسمح بتوضيح، وبيان فعّال للتكامل المعرفي بين النظريات، والاتجاهات اللسانية المتهافتة في دراسة اللغة والعمل على تطوير الوسائل والأدوات المنهجية في ذلك.

إذا يمكننا ضبط التصور العام الذي ستنطلق منه هذه الدراسة حول اللسانيات العرفانية في البحث اللساني العربي، وتعريفه العربي من وجود جهود لسانية عرفانية عربية، تسعى إلى تقريب اللسانيات العرفانية للمتلقي العربي، وتعريفه بهذا العلم الجديد، لكن محاولاتها هذه تصطدم بجملة من العوائق المعرفية والمنهجية نرى أنها تعد حائلا دون تشكل اتجاه عربي في اللسانيات العرفانية يطور نماذجها، ومقارباتها، ويطبقها على المنظومة اللغوية العربية. وعلى هذه العوائق والإشكالات التي مهد ببعضها وأبرزه هذا التقديم العام يمكن أن ننطلق في تخصيص البحث عنها عبر معرفة طبيعة تلقي البحث اللساني العربي للسانيات العرفانية، واحتمال معاناة هذا التلقي من إشكالات حالت دون إحاطة عربية شاملة باللسانيات العرفانية، في مقابل احتمال القول بأن وجود إشكالات هو مجرد أوهام تدور حول اتجاه لساني مازال في مرحلة تكوّنه الأولى. هذه الطّروحات وأخرى هي ما ستتم مناقشته فيما سبأتي من البحث.

 $^{^{1}}$ ينظر: عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني، 0

الفصل الأول: في نظريات اللسانيات العرفانية

تمهيد:

يعد البحث والتحري عن مجمل نظريات اللسانيات العرفانية ضرورة معرفية لسببين اثنين: أولهما تقريب الأصول الابستيمولوجية التي انبثقت منها اللسانيات العرفانية، والنظريات الأولى التأسيسية التي نشأت منها، والآخر تبيين وتفصيل النظريات التي طوّرتها البحوث اللسانية العرفانية، التي وُسِمَتْ لاحقا بأنها نظريات محورية مكونة للسانيات العرفانية كاتجاه لساني علمي.

وقد هدف هذا البحث أن يشمل طرحا لمختلف نظريات اللسانيات العرفانية شاملا محيطا بكل النظريات، لا مقتصرا على ما عُدَّ نظريات مهمة فقط، رغم أنه معلوم أن نظريات العلم الواحد تكون غالبا متكاملة فتغطي النظرية اللاحقة ما غفلت عنه النظرية السابقة أو عجزت نماذجها عن بلوغه، وخلال العرض للنظريات سيتضح ذلك من خلال ما بُنيت عليه نماذج ونظريات اللسانيات العرفانية من نقد ودحض، وتجديد في الطرح بغية دراسة دقيقة وجديدة للغة، وفي هذا المقام نجد أنه سبق البحث والحديث عن النظريات اللسانية العرفانية العرفانية تحت تصنيفين هما: النظريات العرفانية وستناقش فيها النظريات الأولى النحوية، في المقابل سيتبع البحث تصنيفا آخر هو: النظريات التأسيسية وستناقش فيها النظريات الأولى التي مهدت لظهور اللسانيات العرفانية، والنظريات المحورية وسيتم البحث فيها عن النظريات التي تبلورت وأصبحت نظريات أساسية في اللسانيات العرفانية.

وللالتزام بمنهجية صارمة في تتاول هذه النظريات سنكتفي بما نادت به من مبادئ ونماذج في دراسة اللغة، والدلالة، والتركيب وغير هذه الموضوعات؛ إذ لا نحاول من خلالها توجيه الانتقاد ولا تبيين مدى نجاعتها أو فشلها في تحقيق دراسة ذهنية عرفانية نموذجية للغة، إنما الغاية هنا وضع نظريات السانيات العرفانية في المسار المنهجي الذي يسمح للمقبل عليها من الإحاطة الشاملة بمجمل نظرياتها التأسيسية والمحورية المُطوررة لها كاتجاه قائم برأسه، فلا تقف معرفتنا باللسانيات العرفانية هنا موقفا التأسيسية والمحورية المُطوررة لها كاتجاه قائم برأسه، فلا تقف معرفتنا باللسانيات العرفانية هنا موقفا مشابها لما مرّت به اللسانيات عند دخولها حيّز الدراسة العربية فكان أقل ما يقال عنها أنها تمحورت في ثلاث مسارات: "مسار استهلاك المقولات التراثية، ومسار استهلاك المقولات والنظريات الغربية. وبين هذين المسارين يتأرجح مسار ثالث يصدر عن مرجعية فكرية تلفيقية تحاول تارة إلباس مقولة من لدن الجاحظ – مثلا – ثوب رولان بارت. وفي كل هذه المسارات ثمة قفز على الشرط التاريخي والسياق المعرفي، التراث أنتج مقولاته الثقافية لصالح ظرفه التاريخي الخاص، وتفاعلا مع سياقه المعرفي الخاص وكذلك الموقف الثقافي الغربي لا ينفك عن شرطه وسياقه." والمقصود أن تلك الكتابات والاتجاهات اللسانية العربية التي حاولت إدخال اللسانيات إلى الدراسات العربية فانتهجت منهج التبسيط والتيسير وأخرى اتبعت طريقة التأصيل للسانيات والبحث عن جذورها في التراث اللغوي العربي، واتجاه عربي، آخر

1 محي الدين محسب، ضمن كتاب أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2009، ص 231.

حاول التأليف في اللسانيات ليكون حركة لسانية عربية وكل هذه الاتجاهات أغفلت حسب محي الدين محسب الشرط التاريخي والسياق المعرفي الذي نشأت منه اللسانيات والذي أدى إغفالهما إلى خروج اللسانيات عن غايتها في الدراسات اللسانية العربية.

ومن هذه الهوة التي وقعت فيها اللسانيات سابقا، وجب تناول النظريات التأسيسية للسانيات العرفانية حتى يتضح شرطها التاريخي وسياقها المعرفي الذي أسهم في نشأتها ثم نتناول النظريات التي تقوم عليها حاليا؛ لتحقيق هدفين:

الأولى: تتبع النشاط والديناميكية العلمية والمعرفية التي أسفرت عن اللسانيات العرفانية والوصول إلى ضبط علمي لسياقها المعرفي وما إن كانت قد نشأت من مجموعة من النظريات بالمعنى العلمي لمفهوم النظرية الذي ينص من جهة على أنها نظام من الفرضيات، تتحدد سلامتها على اختبار صحتها في الواقع العيني، ومن جهة أخرى، النظرية نظام استدلالي خالص منيع لا تطاله التجربة وهنا تصبح النظرية ضرب من العلوم العقلية، أ فضلا عن آلياتها المضبوطة في تحليل اللغة، أم أن اللسانيات العرفانية ظهرت من تراكم لطائفة من النماذج والأفكار التي تبنت النقد اللساني.

والآخر: محاولة وضع بناء منهجي رصين نتتبع عبره النشأة الفعلية للسانيات العرفانية من أجل أن نرى مدى انعكاسها بوضوح في البحث اللساني العربي.

أوّلا/ النظريات التأسيسية للسانيات العرفانية:

سبق القول إن اللسانيات العرفانية كان ظهورها الأول مع تلك الانتقادات التي وجهت لبعض نماذج نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية، التي أغفلت دراسة الدلالة وجعلت الصوت والمعجم مكونات مفسرة للتركيب الذي أولاه تشومسكي مكانة مركزية، لكن ما يطرح من تساؤلات هنا هو: هل اللسانيات العرفانية لم تقم إلا على هذه الانتقادات أم هناك ممهدات أخرى لظهورها؟ وقد عهدنا سماع قولة أن اللسانيات العرفانية صورة متحولة عن اللسانيات التوليدية أو امتداد لها، بسبب ذلك التقاطع في النزعة العقلية المعتمدة في دراسة اللغة حسب ما جاء في كثير من البحوث المعاصرة، وهذا ما سنعمل على اكتشافه.

ا. الأسس المعرفية الابستيمولوجية للسانيات التوليدية:

من الشائع عن اللسانيات التوليدية قيامها على المنظور الفلسفي في دراسة اللغة، وتبنيها لعدة مشكلات فلسفية مثلت انطلاقتها الأولى وأبرزها مشكلة أفلاطون التي تتساءل حول إمكانية " تفسير كيف يمكن أن نعرف هذا القدر الكبير جدا إذا ما سلمنا بأن ما لدنيا من أدلة هو من النوع المحدود جدا."²

 2 نوام تشومسكي، المعرفة اللغوية: طبيعتها، وأصولها، واستخدامها، تر: محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993 2

 $^{^{1}}$ ينظر: قويدر شنان، مفهوم النظرية في اللسانيات، مجلة المقري للدراسات اللغوية والنظرية والتطبيقية، مجلد 2 عدد 2019، ص 2

وهذه المسألة تطلب بلوغ تفسير لحدوث المعرفة بصفة عامة والتي تمثل المعرفة اللغوية جزء منها، من هنا بدأت مسيرة تشومسكي في خوض بحث فلسفي بقدر ما هو لساني لاستكشاف آليات توليد اللغة.

1) مشكلة أفلاطون (Plato's Probleme):

يذهب نوام تشومسكي في تحديده لمشكلة أفلاطون إلى الانطلاق من السؤال الذي عبّر به برتراند راسل عليها، وهو "كيف تأتّى أن تكون الكائنات البشرية رغم أن اتصالاتها بالعالم قصيرة وشخصية ومحدودة – قادرة على أن تعرف هذا القدر الكبير الذي تعرفه فعلا؟"1؛ حيث تمثل اتصالاتنا بالعالم مجموعة التجارب التي يخوضها الإنسان، وهي محدودة بطبيعتها لكن الغريب هو ذلك الكم الهائل من المعرفة الذي يبنيه العقل من خلال التجارب المحدودة بما فيها المعرفة اللغوية التي تعد جزءا من المعرفة عامة والتي يعمل هذا السؤال على كشف كيفية حدوثها.

أما تشومسكي فيرى أن المعرفة أو الأنظمة الإدراكية واتساعها تنشأ من " تفاعل التجربة مع طريقة الكائن الحي في بنائها ومعالجتها، بما يشمل الآليات التحليلية والمحددات الجوهرية للنضج والإدراك." على هذا تصبح المعرفة مجموعة التجارب التي تتفاعل مع العمليات الإدراكية العقلية للجنس البشري لتصبح نسقا ومخزونا عقليا، شرط أن يكون هذا الأخير خاضعا لمقدار نضج وإدراك عقل الإنسان المتفاعل مع هذه التجارب، فالمعرفة التي يمتلكها الطفل ليست بمقدار اتساع المعرفة التي يمتلكها الإنسان البالغ؛ وذلك عائد لمقدار النمو والنضج العقلي والتجارب التي احتك بها الطفل.

وقد أسس تشومسكي نظريته على افتراض ضرورة تفسير حدوث المعرفة لتفسير حدوث المعرفة اللغوية على وجه الخصوص كون هذه الأخيرة جزء من المعرفة، وكما أن للمعرفة جانبا بيولوجيا مرتبطا بالكائن الحي ونضج إدراكه فإنّ للمعرفة اللغوية كذلك جانبا بيولوجيا فطريا متمثلا في القدرة البيولوجية (ملكة اللغة اللغة المكوّن الفطري للعقل/ (ملكة اللغة النعة النعقل النحماغ (Mind/ Brain) الذي يتولد عنه معرفة اللغة إذا ما قدّمت له التجربة اللغوية؛ أي هذا الذي يحول التجربة إلى نظام من المعرفة؛ لذلك يعترف تشومسكي ببيولوجية المعرفة اللغوية ويدعو إلى العمل والبحث عن إثبات لها من خلال تقديم تجربة لغوية للدماغ وتزويده بأوليات بناء المعرفة اللغوية.

وبالنظر إلى مشكلة أفلاطون التي طرحها تشومسكي لتفسير حدوث المعرفة، فإننا نلاحظ ذلك الجانب الفلسفي العقلي الذي اصطبغت به ممّا يجعل الأصل في هذه المشكلة فلسفيا أساسا، لكن يكمن الاختلاف بين عقلانية تشومسكي والفلسفة العقلانية في موضوع الدراسة، حيث موضوع الدراسة في الأولى (عقلانية تشومسكي) هو الإدراك (Cognition)، بينما موضوع الدراسة في الثانية (الفلسفة

ا نوام تشومسكي، المعرفة اللغوية: طبيعتها، وأصولها، واستخدامها، ص 43. 1

² المرجع نفسه، ص 44.

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

العقلانية) هو المعرفة (Connaissance). وهكذا فإذا كانت الفلسفة العقلانية نظرية في المعرفة، فإن لسانيات تشومسكي نظرية في الإدراك. ولذلك، ورغم الروابط الكلاسيكية بينها وبين الفلسفة العقلانية، فإن الروابط الأقوى هي التي تجمعها بعلم النفس الإدراكي وبيولوجيا الإدراك وكل علوم الإدراك (Sciences)

1. Cognitives)

(2) مشكلة ديكارت (الإبداعية اللغوية) (Descarte's Probleme):

إن الحديث عن مشكلة ديكارت حول الإبداعية اللغوية يقودنا أوّلا للتحري عن إجابة السؤال: لماذا الإبداعية؟ ثم ما علاقتها بعلم النفس الإدراكي أو السايكولوجيا الإدراكية (Cognitive Psychologic).

عرفت مسألة الإبداعية اللغوية مع نوام تشومسكي لكن ما يجب معرفته هو ذلك الأصل الفلسفي الذي استنبطها منه، وغالبا ما يُرجع إلى أسئلة الفلسفة الديكارتية التي تعد الإجابة عنها تكملة لحل مشكلة أفلاطون حول بناء وتوليد المعرفة، لكن مشكلة ديكارت تسعى لمعرفة ذلك الجانب الذهني الذي يسمح بحدوث المعرفة، بعبارة أخرى تبحث في المكون الذهني الذي يسمح بإبداع المعرفة لدى الجنس البشري لذلك فإن اللسانيات الديكارتية عموما ومشكلة ديكارت بصفة خاصة " تركز أكثر من أي عمل آخر من أعمال تشومسكي على إبداع الوقائع، واستكشاف مضامينها عبر العلم العقلي و تفسير السلوك – وتماس حدود مضامينها مع السياسة والثقافة، وحتى مع الفن – لاسيما الشعر. بوصفه شكلا من الإبداعية التي يقوم بها أي إنسان في استعماله اللغوي [...] وبالنسبة لتشومسكي هذا الطرح يقترح أنك إذا أردت بناء علم للذهن واللغة، عليك تحاشي محاولة بناء علم لكيفية استعمال البشر لأذهانهم، وخاصة لغتهم. ولا تحاول بناء علم للسلوك اللساني، وربما في الواقع، إعطاء درجة لأي لغة تفرغ وتشكل كثيرا كيف نفهم و نفعل بناء علم الأفعال والسلوك عموما."

يذهب تشومسكي في كلامه السالف إلى أن الإبداعية لا تخص اللغة وحسب، بل حديثه يشمل الإبداعية في المعرفة عموما أيّا كان مجالها، كالإبداع في السياسة والثقافة والطب والقوانين بله الإبداع اللغوي العادي والإبداع الشعري، وهذا الإبداع للوقائع كما يسميه تشومسكي هو محور مشكلة ديكارت التي تبحث في كيفية استعمال البشر لأذهانهم للوصول إلى هذه المعارف الجمة؛ وهنا يقترح وضع علم يبحث في كيفية الإدراك والإبداع (التوليد والإنتاج دون سابق معرفة أو تجربة بأمر ما) مع الابتعاد تماما عن العلوم التي تفسر السلوك والأفعال الظاهرية فهي بالأساس نوع من الاستجابة لاشتغال الذهن وإبداعه، والتحري عن تفسير لها ليس إلا تفسيرا لعمل الذهن في توجيه السلوك.

من جهة أخرى يظهر أن مشكلة ديكارت مناهضة لعلم النفس السلوكي وتدعو إلى دراسة الإبداع المعرفي من جانب نفسى متعلق بالعلوم الذهنية مما يجعلها مرتبطة ارتباطا وثيقا بعلم النفس الإدراكي

² Noam Chomsky, Cartesian Linguistics a chapter in the history of rationalist thought, p 2.

 $^{^{1}}$ ينظر: محمد محمد العمري، الأسس الابستيمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، هامش ص 177 .

"الذي لا يهتم بالسلوك وإنما بما يقف وراءه من طبيعة (دماغ) واستعداد فطري (عقل)، دون أن تثير مسألة دراسة العقل أي حرج لدى تشومسكي؛ حيث إن الحديث هنا عن العقل ليست له أية علاقة بالوجود المادي وإنما هو حديث عن عالم مجرد، حديث عن بعض العمليات التي لا تعرف حتى الآن." وبالتالي فالوصول إلى معرفتها يتطلب دراسة العمليات النفسية الذهنية المرتبطة بعلم النفس العرفاني أو الإدراكي. ذلك الفرع من علم النفس الذي ينسب كل أنواع النشاط المعرفي إلى العقل، ويقصي كل الفرضيات التي تربط بين سلوك الأفراد ومحيطهم... وخلافا لعلم النفس السلوكي يتبنى علم النفس الإدراكي دراسة الذهن لا السلوك، باعتبار أن الأول (الذهن) هو الذي يحدد الثاني (السلوك)، وأنه الوحيد الذي يستطيع تفسير حقائق الكون التي لا تخضع لاحتمالات التفسير الآلي باعتماده مبادئ غير آلية أهمها مبدأ الإبداع. في هذه الحال يقدّم تشومسكي ضمن حل مشكلة الإبداعية علم النفس الإدراكي الذي عدّ في مرحلة ما أحد المرجعيات الأولى اللسانيات العرفانية.

يمكننا أن نقول هنا أن مشكلة ديكارت المرتكزة على الإبداعية اللغوية والفطرية متعلقة بالجانب الذهني في تبرير حدوث اللغة كفرع من المعرفة، وتفسير الآليات المسؤولة عن توليد المعرفة ذهنيا لا كما يقوم علم النفس السلوكي بتفسير السلوك الظاهري فقط، لتبقى هنا دراسة الإبداع اللغوي مسألة ذهنية وتفسيرها منوط بمعرفة ميكانيزمات الذهن في معالجته للمعرفة، أما غايته في القول بالإبداعية اللغوية هو مناقضة مقولة اكتساب اللغة سلوكيا، ومحاولة البحث عن تفسير لوقوع الإبداع والإبداع اللغوي خاصة كونه خاصية ينفرد بها الجنس البشري، وإذا كان سؤال أفلاطون يتمحور حول كيفية بناء الإنسان للمعرفة من عدد محدود من التجارب، فإن سؤال ديكارت يتمحور حول كيف يبدع الذهن المعرفة دون حاجة لهذه التجارب (بقدرة ذاتية).

3) المظهر البيولوجي في لسانيات تشومسكي:

يرجع المنهج البيولوجي في دراسة اللغة إلى العالم الأمريكي إيريك لينبرغ (Biological Fondations of Languge) الذي دعا فيه إلى ضرورة تبني دراسة الجوانب البيولوجية اللغوية في الدماغ المسؤولة عن الفهم وإنجاز الكلام، وقد كان يبحث عن ماهية طبيعة الادعاء القائل بفطرية السلوك اللغوي الوراثي وغريزيته من أجل الوصول إلى اكتشاف العمليات البيولوجية في إنتاج السلاسل اللغوية، مدركا أن مهمة البيولوجيا هي معرفة الكيفية التي يتمّ خلالها صياغة الأشكال اللغوية المختلفة للبنية الفطرية الغريزية في الدماغ البشري، وهذا بالطبع سيلقي عبئا آخر على البيولوجيا متعلقا بالوصف الدقيق لردود الفعل الإنسانية والتي لن تقود بالضرورة لإثبات البنية الفطرية الغريزية وصفاتها العامة ولكنها ستشرح وتوضح بطريقة أو بأخرى الطبيعة الدقيقة للأنظمة التي

 $^{^{1}}$ المرجع السابق، ص 1

² ينظر: المرجع نفسه، ص 191.

تعمل من خلالها هذه البنية الفطرية الغريزية الوراثية، والواقع يعتبر اكتشاف البنية الوراثية وفاعلياتها العاملة في الدماغ البشري عملا تجريبيا مخبريا يمكنه أن يكون جزءا لا يتجزأ من المعرفة العلمية الحديثة. أ ونرى هنا أن هدف لينبيرغ من وراء الدراسة البيولوجية اللغوية إدخال اللسانيات حيّز العلوم الطبيعية من خلال نظرته إلى اللغة كنتيجة لعمل عضو بيولوجي دماغي.

ولم يكن الاهتمام بالمنهج البيولوجي في دراسة اللغة محصورا في لينبيرغ وحسب، بل اهتم تشومسكي بهذا الجانب أيضا وشكّل مع لينبيرغ وآخرين اتجاها سمي بالاتجاه الفطري (nativism) وهم يذهبون إلى القول بأن "العقل الإنساني لا يولد صفحة بيضاء كما كان يُزعم من قبل، بل إنه مزود بقدرات فطرية داخلية محكومة بيولوجيا. وهذه القدرات تمثل نسقا للتعرف، والتصنيف، وقياس الأنماط." وقد اتضح ذلك في عدد من القضايا اللسانية التي عالجها في لسانياته التوليدية لاسيما نظرية النحو الكلي وآخر برامج (Principals & Parameters) وآخر برامج نظريته البرنامج الأدنوي (Minimalist program).

أ. السمات البيولوجية في النحو الكلي (UG):

لقد أصبح من المعلوم عند ممارسي اللسانيات التوليدية والمهتمين بها أن للنحو الكلي سمتين بارزتين تأسس عليهما إحداهما الشمولية؛ أي أنه وضع ليكون نظرية شاملة لجميع الخصائص المشتركة بين الألسن البشرية، والأخرى هي سمة القطرية (Nativisme) والتي تتعلق بذلك المَلْمَح الطبيعي البيولوجي الذي يملكه الجنس البشري لتوليد اللغة. والذي بدوره مثل منعطفا في جوهر النحو منذ كان دراسة القواعد المتحكمة في بناء اللغة إلى كونه العضو الذهني البيولوجي المشترك المسؤول عن توليد اللغة، وهذا ما حدد به تشومسكي مفهومه عن النحو الكلي (UG)؛ حيث الملكة اللغوية في مرحلتها الأولية التي تمثل جزءًا من الإعداد الفطري للإنسان. و"محتواها عدد محصور من المبادئ اللسانية والقواعد النحوية المنسوجة خلقة في الخلايا العصبية للعضو الذهني في دماغ كلّ إنسان 4 فالنحو الكلي والقواعد النحوية المنسوجة خلقة في الخلايا العصبية للعضو الذهني في دماغ كلّ إنسان 4 فالنحو الكلي البشري. تتميّز هي الأخرى بطائفة من المظاهر التي تجعله جهازا خاصا باللغة لا بوظيفة حيوية أخرى.

 $^{^{1}}$ ينظر: مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط 1 1988، ص 1 174.

 $^{^{2}}$ محي الدين محسب، انفتاح النسق اللساني دراسة في التداخل الاختصاصي، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، ط د 2 2003، ص 88.

 $^{^{3}}$ ينظر: نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، ط 3 1990، ص 6 .

⁴ محمد الأوراغي، محاضرات في النظرية اللسانية والنماذج النحوية، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر منشورات ضفاف، بيروت، 2018، ط1، ص35.

ويميز تشومسكي من جهة أخرى بين النحو الكلي والنحو التوليدي فالأول في نظره يهدف إلى وصف القدرة الفطرية للمتكلم-المستمع المثالي، بينما الثاني هدفه وصف بنية التراكيب والجمل. لذلك يتضح جيدا هنا أن نحو تشومسكي المتعلق بالجانب البيولوجي هو النحو الكلي، وذلك واضح من مفاهيمه التي حددها له تشومسكي ذاته، من كون النحو الكلي قدرة فطرية محلها الدماغ البشري يخلق الإنسان مجهزا بها وراثيا وتميزه عن بقية المخلوقات.

وتتمظهر وظيفة النحو الكلي من خلال بنائه الفطري في كونه نظرية للمعرفة (المعرفة اللغوية) تتعلق بالبنية الداخلية للذهن البشري الذي يعد نظاما حاسوبيا يربط الأصوات بالمعنى²، فالنحو الكلي هو جهاز بيولوجي فطري يعمل على حوسبة عصبية لدمج المكونات اللغوية واكتساب اللغة وتوليدها. ولم تقف نظرية تشومسكي عن النحو الكلي عند هذا الحد، لكنها اتسعت وتطوّرت حتى بلغت أفكارا جديدة في عملية الاكتساب اللغوي، أطلق عليها نظرية المبادئ والوسائط (Principals & Parameters) وهي الأخرى ذات أبعاد بيولوجية تتمظهر في تلك الحوسبة العصبية التي يؤديها الذهن آن اكتسابه للغة.

ب. نظرية المبادئ والوسائط (Principals & Parameters):

قبل الحديث عن الجانب البيولوجي والعرفاني لنظرية المبادئ والوسائط يجب علينا سالفا أن نضبط الغاية التي من أجلها ظهرت هذه النظرية، والإضافات التي تفردت بها وتقدمت بها عن النحو الكلي.

يرجع ظهور نظرية المبادئ والوسائط إلى كتاب المعرفة اللغوية عام 1986 وما ذلك إلاّ لاكتشاف تشومسكي الثغرة في نظرية النحو الكلي معبرا عنها بقوله: "ولم نعُدْ نعُد النحو الكلي – في صورة التحول الفكري الثاني – شيئا يزودنا ببنية لأنظمة القواعد ولمعيار التقويم، بل يتألف النحو الكلي – بالأحرى – من أنظمة للمبادئ فرعية متنوعة، فله البنية القالبية modular التي نكتشفها بصورة منتظمة في بحث الأنظمة الإدراكية cognitive systems. ويرتبط كثير من هذه المبادئ ببراميترات يجب أن تحددها التجربة. "3 وهذا الاعتراف من تشومسكي يؤدي إلى دحض أحد أسس النحو الكلي التي طرحها بادئ الأمر وهو أساس الشمولية؛ حيث يصبح هذا الأساس نسبيا فالشمولية موجودة في شق فقط من نظام النحو الكلي باعتباره جهازا وراثيا، والشق الآخر لا يطاله مبدأ الشمولية حيث يختص بالخصائص المميزة للغة المكتسبة؛ لذلك أصبح النحو الكلي بمفهوم تشومسكي السالف مسؤول عن تزويدنا بالقوالب والقواعد الكلية الشاملة التي تتحدد من خلال الأنظمة الإدراكية بتعبيره؛ أي التي يمكن الوصول إليها وإثبات وجودها عبر دراسة الأنظمة الإدراكية واستقراء عملياتها المعلومة لاسيما عملياتها الإدراكية اللغوية المعرفع علينها المعلومة هو ما أطلق عليه وتوليدها)، وهذا الجانب الشمولي هو ما أطلق عليه وتوليدها)، وهذا الجانب الشمولي هو ما أطلق عليه

¹ Look: Noam Chomsky, Aspects of the theory of syntax, The MIT press, 1965, pp 4-8.

² V.J. Cook, Mark Newson, Chomsky's universal grammar an introduction, Blackwell Publishing, 3rd ed, p 11.

 $^{^{3}}$ نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية، ص 276

تشومسكي تسمية المبادئ (Principals)، التي ترتبط بدورها بما أطلق عليه تسمية الوسائط/ البراميترات (Parameters) التي تمثل الجانب الخاص من النحو الكلي بلغة معينة وتحددها التجربة اللغوية التي تمر بها المبادئ أثناء مرحلة الاكتساب اللغوي.

والواقع أن الدعوة إلى إعادة النظر في النحو الكلي بدأت منذ أواخر 1980 حيث تمت المطالبة بأن هذه المعرفة (النحو الكلي)، تتطلب مجموعة من المبادئ التي تطبق على جميع اللغات والوسائط التي تفصل وتميز بين محيط اللغات؛ إذ اكتساب اللغة حينها يعني تعلم كيف تطبق هذه المبادئ على لغة خاصة وأي قيمة ملائمة تضفيها هذه الوسائط على اللغة الخاصة، وكل مبدأ أو وسيط مقترح هو دعوى جوهرية لدراسة ذهن المتكلم وطبيعة اكتساب اللغة، وليس حول وصف لغة واحدة فقط، تقدم نظرية النحو الكلي بيانات محددة حول خصائص الذهن بناء على أدلة محددة، وليس اقتراحات غامضة أو غير قابلة للتحقق، ترتبط المفاهيم العامة للنظرية ارتباطا وثيقا بالتفاصيل المحددة، وتكمن أهمية نظرية النحو الكلي في محاولة دمج النحو والذهن واللغة في كل لحظة. أ وهذا التصوّر يؤدي إلى تفريع النحو الكلي اللغات عن بعضاء والبراميترات التي تميز اللغات عن بعضاء ويهدف النحو الكلي إلى وكيفية تأديته لعملية اكتساب اللغات ثم آليات تمايز هذه اللغات عن بعض، ويهدف النحو والذهن واللغة في مرحلة الاكتساب والتوليد اللغوي.

والغاية من إضافة نظرية المبادئ والوسائط إلى النحو الكلي هي محاولة منحه بعدا واقعيا يمس التجربة اللغوية الخاصة والمتتوعة، فقد تتبّه تشومسكي إلى أنه " أقام نحوه الكلي على مبادئ كلية عامة من شأنها أن تضيق طبقة الأنحاء الممكنة وتقيد صورتها باهتمامها بالخصائص النحوية المشتركة بين اللغات، وهو ما يفترض فيه، وفي الوقت نفسه لم تكن الطبيعة الكلية لتسمح لنحوه بملامسة ما هو جزئي يخص هذه اللغة أو تلك، خاصة وقد اتسع بكثرة حديث اللسانيين عنه، فعمل تشومسكي في نظرية المبادئ والبرامترات على إلحاق البرامتر بالنحو الكلي باعتباره عاملا في تحديد خصائص وجزئيات اللغات، ويدل إلحاقه بالنحو الكلي على عدم انتمائه إليه ومحتوى البرامتر لا يتحدد من داخل النظرية بالاستناد إلى أولياتها، بل يستمد محتواه من خارج النظرية التركيبية، وتتحدد قيمته استنادا إلى الوقائع التجريبية. وتتحدد قيمته استنادا إلى الجهاز النحوي، بل التجريبية. أن البرامتر ليس ذو طبيعة فطرية بيولوجية تتتمي إلى الجهاز النحوي، بل هو طائفة من الخصائص المكتسبة بواسطة التجارب اللغوية المتمايزة التي يخضع لها الجهاز النحوي الفطرى.

¹ Look: V.J. Cook, Mark Newson, Chomsky's universal grammar an introduction, p 11.

² محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية أفول اللسانيات الكلية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001، ص 134 - 135.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 134.

إن غاية تشومسكي من المبادئ والبراميترات هي تدارك الهنة التي اكتشفها في نظرية النحو الكلي. وهي أن مبدأ الشمولية أو الكلية التي قال بها لم يتطابق كليّا مع السمات الخاصة بلغات معينة فاضطر بعدها إلى إضافة ذلك المبدأ الذي يكشف ويفسر حدوث خصائص وجزئيات اللغات عن بعض، وميزة البرامتر الذي أضافه هي استقلاله عن النحو الكلي وإنما هو ملحق به فقط؛ حيث البراميترات تبني محتواها من تلك الجزئيات التي تتميز بها كل لغة عن الأخرى، ويحدث بناء هذا المحتوى أثناء المرور بتجارب لغوية منذ بداية اكتساب لغة ما.

وإذا كنا تعرفنا على نظرية المبادئ والوسائط والمهمة التي وضعت لأدائها، فمن الجدير بنا أن ندرك ذلك الجانب البيولوجي الذي يميّزها كونها إحدى نظريات تشومسكي التي أجمع اللسانيون على ميزتها البيولوجية، بينما الملاحظ على هذه النظرية أن بيولوجيتها مستمدة من النحو الكلي باعتبار "المبادئ والبرامترات جزئين مركزيين يساعدان في مهمة اكتساب اللغة." وخاصة المبادئ التي عدّها تشومسكي جزءا من الجهاز البيولوجي البشري، التي تسمح بحدوث عملية الاكتساب لأنها مشتركة بين جميع اللغات.

ج. البرنامج الأدنوي (minimalist program):

مثّل البرنامج الأدنوي (minimalist program) آخر برامج وتطوّرات النظرية التوليدية ما بين عامي 1993 – 1995، وقد أقر تشومسكي بهذا النموذج في كتابه The minimalist program عام 1995، الذي يمثل أحد برامج النظرية التي لها بعد بيولوجي واضح وتكمّل نظرية المبادئ والبرامترات فهو لا يقوم على القطيعة مع نماذج النظرية التوليدية التحويلية، بل " يشترك البرنامج الأدنوي في آراء حقيقية أساسية عدة مع ما سبقه منذ بداية 1950، حتى وإن اتخذت هذه الآراء أشكالا مختلفة كبحوث مستمرة." فمازال يبحث البرنامج الأدنوي في النماذج التوليدية بداية من الملكة اللسانية والعلاقة الوظيفية بينها وبين النظام العرفاني، ويشتغل على تطعيمها بإجراءات جديدة لبلوغ إجابات دقيقة وعميقة عن الأسئلة والانتقادات التي وُجّهت لنظريته. كما يهدف إلى دراسة عملية الاكتساب اللغوي وتفسير توليد اللغة بأدنى حدّ ممكن من الإجراءات والعمليات والمراحل الذهنية؛ وذلك محاكاة لسرعة عمل الذهن في اكتساب وتوليد اللغة، فالذهن لا يستغرق وقتا طويلا لفهم تركيب ما أو توليده حسب سياق التواصل.

² Noam Chomsky, The minimalist program, the MIT press, Cambridge, Massachusetts, 20th ed, 2015, p 2.

 $^{^{1}}$ ينظر: جيغري بوول، النظرية النحوية، تر: مرتضى جواد باقر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009 0 حص 55.

ويتميز البرنامج الأدنوي بأنه ليس نظرية بالمعنى المعرفي لمفهوم النظرية القائمة على مبدأ الصواب والخطأ، إنّما هو إطار عمل توجهه أسئلة للبحث ومحاور للاستكشاف ولبلوغ تفسير تام للملكة اللسانية بأبسط الإجراءات وأدنى حد من العمليات والاشتقاقات، وعبّر تشومسكي عن ذلك باستعمال مصطلح الاقتصاد؛ أي التقليل والتقليص في عمليات الاشتقاق وتبسيط إجراءات التوليد اللغوي، وهي المبادئ التي يستند إليها البرنامج الأدنوي للوصول إلى تفسير شامل وبسيط للملكة اللسانية.

- قضايا البرنامج الأدنوي:

إنّ تحديد القضايا التي يستند إليها البرنامج الأدنوي يستوجب الانطلاق من الأسئلة التي أعاد تشومسكي طرحها للوصول إلى المبادئ التفسيرية العامة في صورتها البسيطة والمختزلة، وهذه الأسئلة التصورية هي:

- ما هي الشروط العامة التي من المتوقع أن تلبيها الملكة اللسانية البشرية؟
- إلى أيّ مدى تحدد هذه الشروط الملكة اللسانية، دون بنية خاصة تكمن وراءها؟

ويتعلّق بالسؤال الأول طرح تجريبي إضافي قائل بأن الملكة اللسانية تحتوي عنصرين على الأقل: نظام عرفاني يخزن المعلومات، وأنظمة الإنجاز التي تدمج تلك المعلومات وتستخدمها بطرق متتوّعة، وهنا يهمنا النظام العرفاني في المقام الأول. 2 وقد أعاد تشومسكي طرح هذه الأسئلة ليبين تلك العلاقة التي بنى عليها برنامجه الأدنوي وارتباطه بما سبقه من نماذج.

من جهة أخرى نعلم أن الملكة اللسانية خضعت لهندسة وتحليل ضمن النماذج السابقة مثل نموذج البنى التركيبية (Syntactic structures)، ونظرية س-خط (X-bar)، ونظرية المبادئ والوسائط (principales & parameters)، وغير هذه النماذج التي مرّت بها النظرية التوليدية، وصولا إلى البرنامج الأدنوي الذي يحافظ على الفكرة الأساسية الأولى المقرّة بأن الجملة تنتج عن اشتقاق حاسوبي ذهني، ويتميز هذا الاشتقاق في البرنامج الأدنوي بتوافقه مع مبدأ «الاقتصاد» الذي تحدده الملكة اللغوية حيث لا يوجد ضمن تصميمها خطوات إضافية في الاشتقاقات، ولا رموز إضافية في التمثيلات، ولا تمثيلات تتجاوز الضرورية منها. ألا بناء على هذه الافتراضات المحددة من طرف تشومسكي لضبط رؤية جديدة للملكة اللسانية فقد اعتمد على دراسة طائفة من القضايا جمعها في ما سمّاه هندسة جديدة للنحو.

³ Look: Robert Wilson, Frank Keil, The MIT encyclopedia of the cognitive sciences, p 548.

 $^{^{1}}$ ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ، البرنامج الأدنوي: الأسس والثوابت، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ع 2 ع 2 31، 2017، ص 2 171.

² Look: Noam Chomsky, The minimalist program, p 2.

تخضع هذه الهندسة للمسلمات والفرضيات التي طرحها تشومسكي في البرنامج الأدنوي من اقتصاد في الاشتقاق الحاسوبي 1

وفي هذا التصميم يعمل المعجم على ترميز الخصائص الفُرادية للمداخل المعجمية، وهي خصائص لا تضبطها مبادئ النحو الكلّي، أو مبادئ الأنحاء الخاصة. ويمثّل المعجم الخصائص الصّواتية والصّورية (الشّكلية) والدّلالية للمفردات في شكل مصفوفات، بحيث لا تدمج إلاّ السّمات التي لا يمكن التنبؤ بها مثلا: كلمة نساء التي تحمل سمة الجمع بصورة فرادية؛ حيث لا يمكن التنبؤ بها من صورتها اللفظية بتعبير آخر، إنّ كلمة نساء تحمل سمة الجمع بصورة خاصة حيث لا تتبعها علامات الجمع المعلومة (جمع التكسير أو جمع المؤنث السالم)، وهذا التصنيف يمس أيضا الأفعال وفقا لسماتها الفرادية، وهذه السمات الفرادية (الخاصة) هي ما يشتغل المعجم على دمجها في إطار البرنامج الأدنوي، أمّا النسق الحاسوبي فيعمل في الجهاز النحوي على بناء التمثيلات وتوليد الاشتقاقات التي تحدد الخصائص العامة للملكة اللغوية، ويخضع النسق الحاسوبي مبدأ الاقتصاد في الاشتقاق ويقوم على ثلاث عمليات أساسية هي: انتق (select) ضم (Move) انقل (Move).

في إطار دراسة تشومسكي العقلية للغة وعبر تقصي نماذج النظرية التوليدية التحويلية يتضح أنه اتكأ على المنهج البيولوجي منذ أوّل نموذج له في نظريته عام 1957، وصولا إلى آخر تطوّرات نظريته البرنامج الأدنوي، وضمن هذه النماذج عمل تشومسكي على إثبات فطرية الملكة اللسانية وبيولوجيتها، كما اشتغل على بناء هندسة شاملة ومتكاملة عن كيفية اشتغال الملكة اللغوية وتوليدها للغة دون إغفال اعتبارها ملكة فطرية وجهازا وراثيا، وبناء على هذه الاعتبارات يذهب كثير من اللسانيين العرفانيين إلى عد نماذج النظرية التوليدية التحويلية فرشا أوليًا لظهور نظريات اللسانيات العرفانية المعاصرة، وهذا نراه في الفكرة الأساسية المتمثلة في النزعة الذهنية/ العقلية في دراسة وتحليل اللغة من قبل اللسانيات التوليدية واللسانيات العرفانية وهو أساس مشترك.

II. المظهر العرفاني في النظريات الدّلالية الانتقالية من التوليدية إلى العرفانية:

زعمت بحوث لسانية متقدّمة كثيرة أنّ النظريات الدّلالية المعاصرة انبثقت من الانتقادات البنّاءة التي وُجّهت إلى النظرية التوليدية التحويلية؛ حيث عملت على طرح فرضيات بديلة تسدّ الثغرة العلمية التي جعلت من نظرية تشومسكي ضعيفة في مرحلة ما، وقد انحصرت هذه الانتقادات في الجانب الدّلالي خاصة الذي همشه تشومسكي في نماذجه الأولى على الخصوص نموذج البنى التركيبية (1957)؛ لذلك نجده في النماذج اللاحقة من نظريته يشتغل على الجانب الدلالي المنطقي منها، وقد تجلّت أغلب تلك الانتقادات وبدائلها في بحوث كل من بوسطل (postal) وكاتر (Katz) وفودور (Fodor) التي أسفرت

 2 ينظر: المرجع السابق، ص 174 – 176.

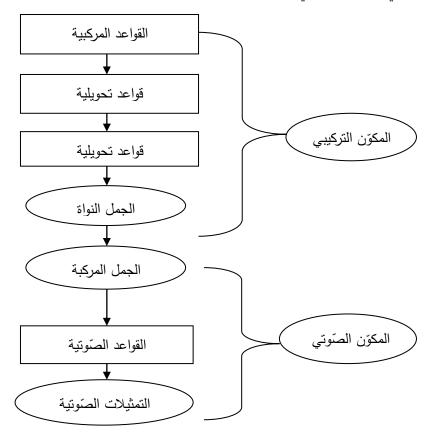
¹ Look: Noam Chomsky, the minimalist program, p154.

عن مجموعة من النظريات الدلالية التي نرى أنها ممهدة لظهور اللسانيات العرفانية لاسيما النظريات الدلالية العرفانية.

1) الدّلالة التأويلية: نموذج كاتز وفودور (Katz & Fodor) الدّلالة التأويلية:

من المعلوم أن نموذج تشومسكي البنى التركيبية لعام 1957 كان نموذجا نحويا بحتا، متكوّنا من: جهاز نحوي مسؤول عن توليد الجمل بواسطة قواعد يشترط فيها إعطاء "وصف تركيبي صحيح لكل جملة مركّبة" ممّا يدلّ على أن وظيفة جهاز تشومسكي النحوي الأساسية هي وصف الوحدات اللسانية البانية للجملة وصفا نحويا كأن تبيّن الاسم، الأداة، الفعل، ... إلخ، ويلاحظ أن التفسير في بداية نموذج 1957 هو تفسير نحوي لمركبات الجملة.

ومكون صوبي يؤوّل هذه الجمل صوبيا على مستوى ما سماه البنية السطحية في نماذجه التالية، في المقابل فقد كان خاليا من أي مكوّن دلالي يؤوّل ويفسّر الجمل على المستوى العميق، ويمثّل نموذج البنى التركيبية في المخطط الآتي:



المخطط رقم (03): نموذج البنى التركيبية سنة 1957.

 $^{^{-1}}$ مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص $^{-1}$

يلاحظ على نموذج 1957 أنه خال ومفتقر لأيّ مكون دلالي، ويؤكد على أنّ التوليد اللغوي يحتاج بصورة أساسية إلى قواعد نحوية وقواعد صوتية، إضافة إلى القواعد التحويلية التي تفرض إما تحويلات إجبارية لتوليد الجمل الأنوية أو تحويلات اختيارية يلتزم بها المتكلم أو يتركها حسب ما يتطلّبه المقام.

وهذه النمذجة الأولية للجهاز النحوي التوليدي كانت داعيا لكل من كاتر وفودور إلى اقتراح نموذج مكمّل لنموذج تشومسكي بحيث يكون وجود المكوّن الدلالي فيه إلزاميا لتقديم التأويل الدّلالي للعبارات والسّلاسل اللغوية، ووظيفته هي تفسير وإسناد الجوانب الدلالية إلى التركيب والعبارات، وعليه سُمّي هذا النموذج المقترح بـ "جهاز التأويل الدّلالي" حيث تقوم فيه الدّلالة مقام المكوّن التأويلي الذي يسند الدلالة إلى التراكيب المولّدة.

بنى كاتر وفودور جهاز التأويل الدّلالي على مقولتين هما القاموس الذي كانت وظيفته الأساسية إسناد المعاني إلى البنى التركيبية، وقواعد الإسقاط وهذين المكوّنين هما ما يحدد دلالة البنية التركيبية بحسب كاتر وفودور؛ إذ يفترضان أنّ "وجود مكون نحوي مكتف بذاته في القواعد النحوية يحدد البنية التركيبية والمحتوى المعجمي لكل جملة من اللغة." يلزم وجود مكون دلالي يعمل على تحديد وإسناد الدلالة إلى العبارة التركيبية المولّدة، وافتراض هذا المكون الذي من شأنه إضفاء جانب دلالي على التركيب هو ما اصطلح عليه بجهاز التوليد الدّلالي الذي يتكون من القاموس وقواعد الإسقاط كما سيأتي تبينه:

أ. مقولة القاموس (dictionary):

نحصر الحديث في هذا المقام عن القاموس في الإطار الدّلالي التّأويلي التوليدي الذي ينصّ أن قاموس لغة ما هو "ربط العناصر المعجمية بتمثيلات المعنى، ولكلّ مدخل معجمي قراءة أو أكثر من قراءة واحدة، حيث كل قراءة تمثّل معنى للعنصر المعجمي"، بتعبير آخر القاموس هو عناصر معجمية

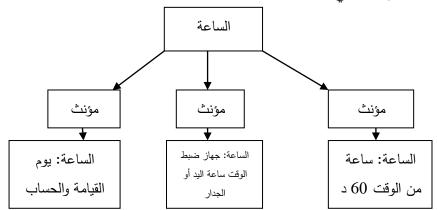
ميد المجيد جحفة، مدخل إلى الدّلالة الحديثة، ص 1

أمن المناسب جدا توضيح الفروق التي حدّدها عبد المجيد جحفة بين المعجم والقاموس، وتتمثل في أن المعجم جزء من المكوّن التركيبي يبنى على قواعد مجرّدة من مجموعة من الكلمات ذات الصيّغ المحدّدة التي ترد في سياقات متعددة. مثلا: الفعل (النحوي) يعمل = work هو تجريد من صيغ الكلمات (work, works, worked, working). والمعاني تنسب إلى الوحدات المعجمية وليس إلى صيغ الكلمات. ولذلك نجد أن صيغ الكلمات السالفة جميعها تدل على معنى العمل ولو كانت في صيغ متعددة، لكن الدلالة التي تنسب لكل صيغة تختلف عن الأخرى حسب الوضع النحوي الذي تحتله الوحدة المعجمية داخل الجملة، بينما القاموس يدخل في إطار المكون الدّلالي ووظيفته إعطاء تأويل دلالي للمفردات بمختلف القراءات والشروحات التي تخضع لها. ينظر عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 61. ويان هوانغ، معجم أكسفورد للتداولية، ص 380.

² Janet Dean Fodor, Semantics theories of meaning in generative grammar, Harvard university Press, Cambridge, Massachusetts, 1st ed,1980, p 64.

³ Ibid, p 64.

مصحوبة بخصائص المعنى المحصورة بما ينسجم مع العناصر التركيبية الأخرى المكونة للمتتالية اللغوية، ولذلك وُجد احتمال تعدد القراءات للعنصر المعجمي الواحد مثلا: العنصر المعجمي (ساعة) يحتمل عددا من القراءات هي:



كلمة الساعة مثلا في جملة «ساعة محمد أصلية» مفردة يمكن أن تحمل عدة قراءات وتقابلها معان مختلفة، لكن بوجود عامل اختيار لمعنى واحد يتم بموجب معيارين: 1

أوّلهما: يتجلى في الدّور التّركيبي للكلمة المقصودة في الجملة.

ثانيهما: يتمثل في الخاصيات الدّلالية للكلمات الأخرى الواردة في الجملة.

يتم التوفيق بين معاني الكلمات المختلفة (محمد وأصلية) مع كلمة (ساعة) حتى يتم الحصول على تنظيم صحيح ومنسجم، وكلمة ساعة هنا من حيث الخصائص التركيبية هي مبتدأ واسم مؤنث مفرد نكرة يحتاج إلى توضيح بالإضافة وضبط خبره بما يتناسب مع دوره التركيبي «المبتدأ»، ثم ضبط الخاصيات الدلالية لكلمتي (محمد وأصلية) بما يتناسب مع الخاصيات الدلالية لكلمة (ساعة) التي نقصد بها في المثال جهاز ضبط الوقت وبالتالي ستكون ملكا وتابعة لشخص حي (محمد) وقد وصفت بأنها أصلية لا مقلّدة ويلاحظ أن توافق دلالة كل كلمة مع الأخريات حسب خصائصها الدلالية هو ما يسمح باختيار دلالة قاموسية واحدة لمدخل معجمي ما لتوليد تركيب سليم دلاليا، وسنفصل أكثر في محتويات المدخل المعجمي الواحد الذي يشتغل عليها عاملي اختيار المداخل المعجمية بحسب معانيها القاموسية المختلفة التي يقتضيها موقف كلامي بعينه.

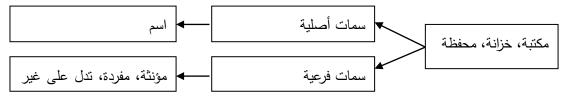
ب. ضبط السمات التركيبية للمداخل المعجمية:

تتحدّد وظيفة السمات التركيبية في نظر كاتر وفودور في الاشتغال على التمييز المقولي للمفردة من ضمن فئة المقولات المتعددة التي تتطوي عليها كل منظومة لغوية (الفعل، الاسم، الأداة ...)، وتقيد

¹ ينظر: الغالي أحرشاو، الطّفل واللغة تأطير نظري ومنهجي للتمثّلات الدّلالية عند الطفل، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1، 1993، ص 64.

 $^{^{2}}$ ينظر: عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 2

عملية ضبط السمات التركيبية للمداخل المعجمية في تبسيط إسناد الدلالة لها داخل التركيب اللغوي. وتنقسم السمات التركيبية إلى سمات أصلية وسمات فرعية، ونأخذ الكلمات التالية مثلا: مكتبة، خزانة محفظة، فالسمات التركيبية الأصلية المشتركة بينها أنها أسماء تندرج تحت مقولة (الاسم)، أمّا السمات الفرعية هي كونها: مؤنثة، مفردة، تدل على أشياء غير عاقلة... إلخ، ونمثّل هذه السمات كما يأتى:



ج. ضبط السمات الدلالية للمداخل المعجمية:

تضبط السمات الدلالية المحتوى الدّلالي للمدخل المعجمي (المفردة) التي بإمكانها (أي السمات) أن تكون مشتركة مع عدد من المداخل المعجمية الأخرى كما يمكن أن تكون متميزة عنها، ويقسم عبد المجيد جحفة هذه السمات الدّلالية إلى سمات جامعة (المشتركة) وسمات مانعة (السمات الدلالية المميزة لكل مدخل معجمي عن الآخر)1:

- السمات الجامعة المشتركة:

هي سمات تتشارك فيها المفردة مع بقية المفردات من الحقل الدلالي نفسه؛ إي تتشارك بينها ذلك المدلول العام الذي يكوّن الحقل الدلالي الجامع لها، مثلا: كلمة (شوط) تشترك في حقل دلالي واحد مع (ملعب كرة، لاعب، هدف، نتيجة... إلخ) هو الحقل الذي يدل على مباراة رياضية.

- السّمات المانعة المُمَيِّزَة:

هي جملة السمات التي تنفرد وتتميّز بها مفردة واحدة عمّا سواها من المفردات التي تشكل حقلا دلاليا واحدا، ونلاحظ مثل هذه السمّات المانعة المميزة في الأفعال التالية (جَاء، قَدِم، أَقْبَل) فهي تدل كلها على حقل حركة مجيء شخص ما إلى مكان معين أو إلى شخص آخر، لكن تبقى كل مفردة مميزة عن الأخرى في حال استعمالها داخل تركيب ذي مقام كلامي معيّن ولا يمكن وضع مفردة منها موضع الأخرى مثلا في الآية ﴿ وَجَاء رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا المَدِينَة يَسعُى ﴾ [سورة القصص – الآية 20] يتميز الفعل الأخرى مثلا في الآية على قدوم الشخص من مكان بعيد وهو ما صرّحت به الآية من أقصا المدينة أي من أطرافها البعيدة، بينما تدلّ مفردتي قدم وأقبل على المجيء من مكان قريب، لذلك لا يمكن أن تتبادل هذه المفردات مواقعها في تركيب اللغوي دون أن يحدث توتّر دلالي واضح، ثم إنه لو قلنا وقدم رجل من أقصا المدينة لحدث تناقض دلالي بين دلالة مفردة أقصا على بعد المسافة بينما نستعمل الفعل قدم الدّال على قربها.

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 64

د. قواعد الاختيار وقيود الانتقاء:

تخصّ قيود الانتقاء المحمولات في التراكيب اللغوية ومدى تساوق المفردات الأخرى (الموضوعات الحردة في التركيب مع خصائص المحمول -بالتسليم أن كل تركيب لغوي يبنى من محمول وموضوعات وبالتالي يتمكّن التمثّل الدّلالي للمحمول من الاتحاد مع التمثّلات الدلالية للموضوعات الأخرى، مثلا: المحمول (قنص) يستوجب في منفذه أن يكون [+ حي] فلا يمكن أن نقول: قنص القلم أرنبا، حيث القلم ليس كائنا حيا، بل يمكن أن نقول قنص الصياد/ العقاب أرنبا حتى يظهر التساوق الدلالي بين المحمول وموضوعاته، ومن ثمة تشكيل التمثل الدّلالي النموذجي المتعلق بتركيب لغوي معين.

ه. قواعد الإسقاط (projection rules):

تشتغل قواعد الإسقاط على إعطاء تأويل دلالي للجملة من خلال إسقاط وربط القراءات الدلالية على مقابلاتها من المكونات التركيبية في المتتالية اللغوية، كما أنها " تسقط القراءات المورفيمية على العبارات وتجري قراءات جوهرية للجملة بما في ذلك تفسير القدرة الفطرية للمتكلمين على إسقاط معرفتهم بالمعاني المحدودة لفئة من الجمل على فئات غير محدودة من الجمل المحتملة في اللغة. "أ علاوة على ربط القراءة الدلالية بمقابلها التركيبي تعمل قواعد الإسقاط على ربط القراءة المورفيمية للمفردة بنظيرتها التركيبية، أمّا جون ليونز (John Lyons) فيرى أن وظيفة قواعد الإسقاط "متعلّقة بكل جملة لها على الأقل تمثيل دلالي واحد بناؤه صحيح دلاليا" وبالتالي نلاحظ أن عمل قواعد الإسقاط هو ربط وإسقاط دلالة المفردة وبنيتها المورفيمية على الموقع التركيبي الذي تحتلّه في الجملة؛ حيث مجموع ربط دلالة كل مفردة بموقعها التركيبي الصحيح يعطي تأويلا دلاليا منسجما للجملة، شرط مراعاة وخضوع عملية الإسقاط لثلاثة قيود: 3

• القيد التركيبي:

يعمل القيد التركيبي على مراقبة عملية الضم والإدماج التي يتم تأويل الجملة فيها بمقتضى ترتيب سلمية العلاقات التركيبية من الأسفل إلى الأعلى؛ أي من التأويل الدّلالي لأصغر وحدة (المفردة) في بناء التركيب وصولا إلى تأويل التركيب تام والسليم نحويا ودلاليا، وقد عبر عبد المجيد جحفة عن ذلك بقوله: "تتألف المداليل بمقتضى السّلمية التركيبية فيكون الضم صاعدا انطلاقا من الرموز الموجودة في قدم

^{*} الإسقاط مصطلح مستمد من حقل الهندسة، ويؤشر من خلاله أن السمات التي تكون على مستوى المصدر يتم نسخها على مستوى الهدف، وهذا سبب إنتاجنا لعبارات كثيرة ومتنوعة، والإسقاط من بين المفاهيم الأكثر حضورا في اللسانيات العرفانية؛ لأنه أحد الآليات التي تبحث في طرق تمثل الذهن للعالم. للاستزادة ينظر: عبد العالي العامري، الدلالة المعرفية وهندسة المعنى، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج 28، ع 7، 2020، ص 373.

¹ Janet Dean Fodor, Semantics theories of meaning in generative grammar, p 64.

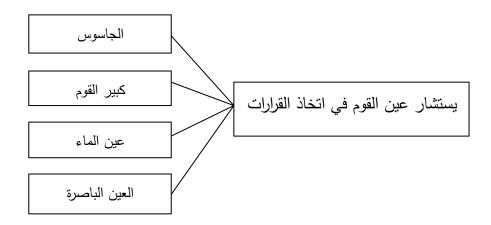
² John Lyons, semantics, vol 2, Cambridge university press, New York, 1st ed, 1977, p 410.

^{63 - 62} عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدّلالة الحديثة، ص

الشجرة التركيبية، وصولا إلى المقولات العليا التي تشرف على ما يَسْفُلُها،" ويمكن أن نقول أن سيرورة عملية التأويل الدلالي تتم بضبط وترتيب يماثل سيرورة بناء الجملة نحويا، حيث نبدأ بتركيب المفردات ثم المركبات الاسمية أو الفعلية حتى نصل إلى تركيب جملة تامة وهو ما يحصل في التأويل الدّلالي إذ نظلق من تأويل المفردات ثم نتدرّج حتى نبلغ تأويلا دلاليا للجملة كاملة.

• القيد الدّلالي:

يشتغل القيد الدّلالي في قواعد الإسقاط بموجب شرط أساسي وضروري هو تلاؤم وتواؤم المدلولات المضمومة إلى بعضها دون أن يكون بينها تضاد أو تناقض، مثلا في قولنا الشاطئ جميل، من غير المعقول أن نقول الشاطئ جميل وغير جميل في الوقت عينه وإلاّ يلغى شرط التلاؤم، وتحقق شرط التلاؤم يفضي بنا إلى مرحلة الانتقاء أو الفرز التي يتم فيها انتقاء مدلولات المفردات المتلائمة وإسقاط معلوماتها الموجودة في المعجم على المستوى التركيبي، باعتبار المعجم حاملا لدلالات متعددة للألفاظ توظف حسب سياق الكلام، فيتم إسقاطه في البناء التركيبي كي نحصل على تأويل جيد للمتتالية اللغوية والمثال التالى يوضح تلاؤم وآلية انتقاء المفردة حسب تركيب الجملة:



نلاحظ في المثال تعدد المدلول والقراءات المعجمية لمفردة "عين" لكن من خلال تركيب السياق الكلامي وموضع مفردة "عين" فيه الذي يشترط تلاؤم مدلولها مع مدلول المفردات المضمومة إليها يتم انتقاء مفردة العين بمعنى "كبير القوم".

• قيود الانتقاء:

تتعلّق قيود الانتقاء بالجمع بين شرط التلاؤم والضّم للحصول على جمل سليمة دلاليا؛ بحيث لا تكون لاحنة دلاليا ولا تكون معدومة التأويل الدّلالي، ولتوليد هذا النوع من الجمل تعمل قيود الانتقاء أيضا على المطابقة بين قراءة المفردة (تأويلها الدّلالي) وملاءمتها للمفردات الأخرى التي تبنى التركيب العام.

 $^{^{1}}$ المرجع السابق، ص 2

 $^{^2}$ ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

ولتموضع عمل قيود الانتقاء بين الدلالة والتركيب فقد تضاربت حول طبيعتها الآراء ورأى الدلاليون التأويليون أنها ذات طبيعة دلالية، 1 لكن نرى التأويليون أنها ذات طبيعة دلالية، 1 لكن نرى أنها تميل أكثر إلى الطبيعة التركيبية؛ لأن انتقاء المفردة يتم بالنظر إلى سماتها التي تتميز بكونها تركيبية أكثر منها دلالية.

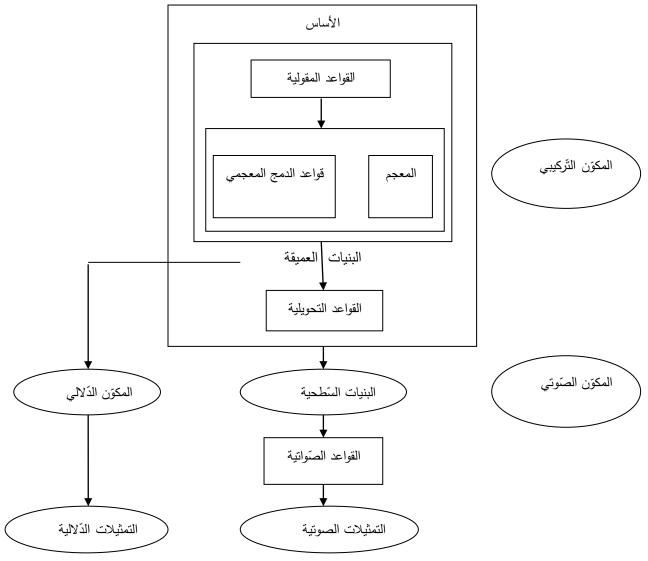
2) الدلالة التوليدية:

انطلقت الدلالة التوليدية بداية من نقد تصوّرات تشومسكي التي جاءت في نموذجه المعيار المبثوث في كتابه مظاهر النظرية التركيبية (Aspect of the theory of syntax) وقد حمل قضايا مهمة بالنسبة لنظرية الدلالة التوليدية هي:

- افتراض البينة العميقة (Deep structure).
 - افتراض أنّ الدلالة مكوّن تأويلي.

التي تتضح في هيكلة تشومسكي لنموذجه المعيار كالآتي:

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 1



المخطط رقم (04): قضايا النموذج المعيار 1965

وفي هذا النموذج يتكوّن النحو من مكوّن تركيبي ومكوّن دلالي ومكوّن صوتي؛ حيث يحتل المكوّن التركيبي المركز في النحو التوليدي بينما يعتبر المكون الصوتي والدلالي مكوّنان تأويليان للمكون التركيبي وما تولّده مكوّناته الأساس والقواعد التحويلية، ونقد تصوّر مركزية التركيب هو ما أدى إلى ظهور نظرية الدّلالة التوليدية بمختلف مجالاتها التي كانت " تصبّ جميعا في اتجاه واحد هو التأكيد على أولوية الدّلالة وأسبقيتها في توليد الجمل مع ما يترتب على ذلك من تغيير وتعديل هام في تصوّر طبيعة مكونات النظرية اللسانية." واشتغل عدد من اللسانيين منهم شارل فيلمور (George McCawley) وجورج لايكوف (George McCawley)

¹ ينظر: مصطفي غلفان، امحمد الملاخ، حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوى: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ط1، ص 110.

² المرجع نفسه، ص 123.

(Lakoff) على طرح افتراضات جديدة تدحض أطروحة مركزية التركيب وذلك انطلاقا من توجيه انتقادات لافتراض البنية العميقة وعلى رأس هؤلاء اللسانيين جورج لايكوف الذي رأى أنّ للبنية العميقة مجموعة من الخصائص هي: 1

- تمثل العلاقات النحوية الأساسية [مثلا: فاعل، مفعول به] في هذا المستوى (مستوى البنية العميقة) V بصيغة مقولات نحوية أساسية [مثلا: S (جملة)، NP (مركب اسمي)، NV (مركب فعلي)، V (فعل)، N (اسم)]، وافتراض تحديد مكونات "الجملة النواة"؛ أي الجملة التي لا تحتوي على جملة أخرى متضمنة فيها، لا يخرج عن إطار الجملة البسيطة بالنسبة للنحويين التقليديين
- التعميمات الملائمة حول اختيارات القيود والتوارد يمكن أن تصاغ في هذا المستوى؛ أي مستوى البنية العميقة، والمفروض هنا أن العلاقات النحوية الصحيحة الأساسية في جملة معلومة، عندها يمكن للتعميمات الصحيحة حول قيود الانتقاء وبعض علاقات التوارد من بين مجموعة أدوات الجملة أن تتموضع بشكل طبيعي.
- الوحدات المعجمية تصنف حسب سماتها الخاصة في هذا المستوى؛ أي مستوى البنية العميقة وهذا مرتبط بإثبات أن التمثيل الدلالي لجملة ما محدد على مستوى البنية العميقة، وقواعد التمثيل الدلالي محددة في صورة المكونات الدلالية المعجمية والعلاقات النحوية؛ لأن قيود الانتقاء متعلقة بالوحدات المعجمية.
- إن البنيات المحددة في مستوى البنية العميقة ستكون دخلا input للقواعد التحويلية التي ستنطبق عليها.

وقد عرض لايكوف افتراضات لسد الثغرات التي سقط فيها تصور تشومسكي للبنية العميقة أحدها حول خاصية التعميم التي يجب أن تتسم بها البنية العميقة، وهذا رد على الخاصية الأولى والثانية، كما أن تحليل لايكوف لمجموعة من الأمثلة عن "أدوات الظروف" في مقاله Instrumental adverbials أن تحليل لايكوف لمجموعة من الأمثلة عن "أدوات الظروف" في مقاله البنية العميقة؛ حيث مازالت تحتاج إلى تجريد أكثر لتكون شاملة وتحتل، على الأقل، الظروف فيها موقعا2 بالنظر في ما جاء به لايكوف نجد أنه ركز انتقاداته على طبيعة البنية العميقة ومدى كفايتها في وصف وتفسير كل القضايا اللغوية وذلك عبر الاستدلال بعدد من الظروف كأمثلة لإثبات عجز البنية العميقة في النموذج المعيار عن وصف وتفسير كل القضايا اللغوية.

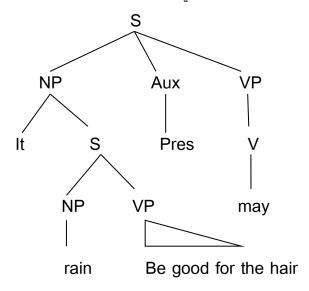
¹ Look: G. Lakoff, Instrumental adverbials and the concept of deep structure, Fondation of language, vol 4, No 1, 1968, P 4.

² Ibid, p 28.

من جهة أخرى نجد انتقادات أخرى موجهة إلى فرضية البنية العميقة تحاول البحث عن تفسير دلالي أعمق للتحويلات التركيبية الرابطة بين البنية العميقة والبنية السطحية، لاسيما قواعد التأويل الدلالي، وقد تبنى هذا التوجّه روس ورأى أنه بالنسبة للتحليل التركيبي يمكن البرهنة على أن الأفعال المساعدة (auxiliary verbs) في البنية العميقة هي أفعال أساسية في تكملة الجملة، وتمثيلها على مستوى البنية العميقة تركيبيا ودلاليا يفضي بنا تأويلها إلى بلوغ جملة أخرى مثلا (ولنحتفظ بالأمثلة باللغة الإنجليزية كما جاءت):1

(1) Rain may be good for the hair.

التي تمثّل على مستوى البنية العميقة كالآتي:



وهذا التمثيل على مستوى البنية العميقة -حسب روس- يسمح لنا بإدراك جملة مرادفة لهذه باستعمال فعل مساعد آخر وهي:

(2) It is possible that rain is good for the hair.

الفعل المساعد هنا هو (Be possible) غير أنه يختلف عن الفعل المساعد (may) إلا أنّ ما يثير الانتباه هنا هو الاهتمام بدلالة هذه الجمل على مستوى البنية العميقة؛ حيث التأويل الدلالي لها هو ما يسمح باستدعاء الجمل المرادفة.

وتحاول روس هنا أيضا إثبات بعض النواقص التي وقعت فيها فرضية البنية العميقة التشومسكية. لاسيما ما يتعلق بالتأويل الدلالي والمرادفات التي تنتج بين الجمل؛ أو لنقل بدقة تلك الجمل التي يستدعيها الذهن أثناء تمثيله لجملة معينة.

وما نشتغل على تبيينه هنا من عرض الانتقادات الموجهة لفرضية البنية العميقة، اهتمام تلك الانتقادات بوضع بدائل وافتراضات جديدة تنصب أكثرها على المستوى الدلالي ومستوى التأويل الدلالي

¹ Janet Dean Fodor, Semantics theories of meaning in generative grammar, p70.

خاصة، وهذا يقودنا إلى العمل على الافتراض الثاني الذي أسهم هو الآخر في تكوين النظرية الدّلالية المتمثّل في اعتبار الدلالة مكوّنا تأويليا؛ حيث لقي هذا الاعتبار كثيرا من الاهتمام لاسيما من قبل اللساني راي جاكندوف* لدحض فرضية مركزية التركيب وإثبات أهمية الدلالة في توليد اللغة، بناء على ذلك اقترح فرضية الهندسة الثلاثية (هندسة التوازي) بين التمثيل التركيبي والتمثيل الدلالي والتمثيل الصوتي.

إنّ اعتبار الدّلالة مكونا تأويليا أثار مشكلة لدى اللسانيين وعلى رأسهم تلاميذ تشومسكي؛ حيث ذهبوا إلى أن الدلالة بنفس أهمية التركيب؛ وبالتالي عليهم العمل على دحض افتراض تشومسكي القائل بمركزية التركيب، وقد برّر راي جاكندوف ضعف مقولة مركزية التركيب بكون المبادئ الصورية التركيبية ترصد الوقائع التركيبية من قبيل الرتبة والإعراب وموضع الصفات (قبل الموصوف أو بعده حسب كل لغة) التي لا علاقة لها بالدّلالة أ، بينما يأتي المكوّن الدلالي بعد تركيب الجمل ليؤول ما تم تركيبه، لكن ما يرمي إليه جاكندوف هو إلى أي مدى يمكن أن تكون الجمل المولدة صحيحة تركيبيا ودلاليا إذا جعلنا الجانب الدلالي في المرتبة الثانية بعد التركيب، علما أن السياق يجعل من دلالة جملة ما متعددة؟ لهذا افترض جاكندوف ما سمّاه الدلالة التصورية (conceptual semantics) المعارضة لتصورات تشومسكي حول التركيب والدلالة، حيث التركيب في تصوره يحيل على نلك الموضوعات التي يسميها بعض اللسانيين "دلالة" والتي تبحث في كون الشخص الذي لا يملك سوى تجربة محدودة مع اللغة يتوصل بكيفية معينة إلى فهم تعابير جديدة بطرق خاصة جدا، أما الدلالة فهي مصطلح يحصره في دراسة ما يسمى غالبا ترابطات بين «اللغة والعالم» أو بتعبير أنسب، في تصوره، ترابطات بين اللغة والعالم» أو بتعبير أنسب، في تصوره، ترابطات بين اللغة والعالم» أو بتعبير أنسب، في تصوره، ترابطات بين اللغة والعالم» أو بتعبير أنسب، في تصوره، ترابطات بين اللغة

_

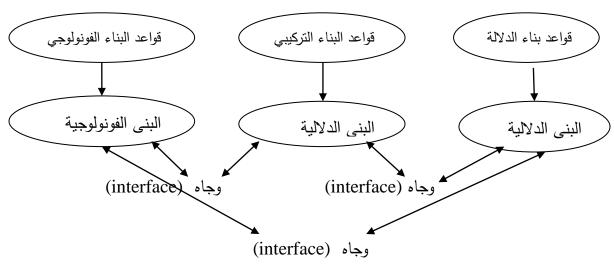
^{*} ولد راي جاكندوف (R. Jackendoff) عام 1945 تتلمذ على يد نوام تشومسكي وغيره من كبار علماء اللغة، ثم انتقل إلى دراسة علم النفس، والفلسفة، والإدراك الموسيقي، وهو بروفيسور يشغل كرسيّ «سيث ميرين» الشّرفي للفلسفة، واشتغل مديرا مشاركا لمركز الدّراسات العرفانية في جامعة توفتس الأمريكية. وعُرف ببحوثه واختصاصه في "علم الدّلالة التصوري"، و "الهندسة المتوازية" إضافة إلى بحوثه الرّائدة في "الإدراك الموسيقي"، نال جوائز عدّة من بينها جائزة "نيكود في الفلسفة العرفانية" سنة 2003، وجائزة «ديفيد روميلهارت للإسهامات الرائدة في مجال الأسس النظرية للإدراك البشري» من أشهر كتبه في هذه الاهتمامات العرفانية العلمية "علم الدّلالة والعرفانية سنة 1983"، وكتابه "نظرية توليدية للنغم الموسيقي سنة 1983 بالمشاركة مع فريد ليردال"، وكتابه "أسس اللغة: الدماغ، المعنى، النحو، والنمو سنة 2002"، وكتابه "اللغة والوعى والثقّافة سنة 2007".

ينظر: راي جاكندوف، دليل ميسر إلى الفكر والمعنى، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن ط1، 2019، غلاف الكتاب. وراي جاكندوف، علم الدّلالة والعرفانية، مقدّمة المترجم، ص 5.

أ ينظر: راي جاكندوف، الدلالة مشروعا ذهنيا، تر: محمد غاليم، ضمن كتاب دلالة اللغة وتصميمها، دار توبقال للنشر المغرب، 2007، ط1، ص 14.

وأجزاء أخرى من العالم بعضها داخل الذات (ويحتمل أن يتعلق بالأنساق التصورية، من بين أشياء أخرى) وبعضها خارج الذات (الموجودات الأنطولوجية). 1

هذه التصوّرات حول التركيب والدلالة التي افترضها تشومسكي دفعت بجاكندوف إلى القول بأنها تصورات غامضة وفيها نوع من التناقض خاصة بين تصور تشومسكي للتركيب والدلالة وممارساته عليهما؛ ولتدارك هذه التناقضات افترض جاكندوف مشروع الدلالة التصورية التي تعمل على جمع الدلالة والتركيب ومكونات أخرى تتعاضد جميعها لبناء اللغة، وعليه يصبح التركيب والدلالة والصوت متوازية بواسطة عدد من الوجاهات وفي مستوى واحد ويمثل لذلك بما يأتي:



المخطط رقم (05): الهندسة المتوازية (الهندسة الثلاثية)2

بناء على ما تقدم في نظرية الدلالة التوليدية ومن خلال اعتبار نقد البنية العميقة واعتبار الدلالة مكونا تأويليا يتضح أن غاية نظرية الدلالة التوليدية هي إثبات أن البنية الدلالية بنية أساسية في تحديد معنى العبارات اللسانية، أما العلاقات النحوية فتمثّل وسيلة شكلية لتحويل البنية العميقة ذات الصبغة الدّلالية في الأساس إلى بنية سطحية، وهذا التصور العام تجاه الدلالة في النظرية التوليدية يوجد عند مجموعة من اللسانيين وليس من حصرناهم في هذا العرض فقط، وانما تمّ ذكر هؤلاء لتأثيرهم في النظربات الدلالية اللاحقة.

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 19.

² Look: Ray Jackendoff, Language, consciousness, culture, essys on mental structure, the MIT press, 2007, p 49.

3) نحو الأحوال لشارل فيلمور (charlez fillmore):

تبلورت نظرية فيلمور (نحو الأحوال/ الحالة الإعرابية) في مقالة له تحمل عنوان The case for تبلورت نظريته هذه على طرح بعض رؤاه حول البنية العميقة وتركيب الجملة النحوي والدّلالي دهم مجموعة من الأفكار العامة التي يجب أن تنطلق منها نظريته: 1

- الطّابع الكلّي للقضايا التركيبية والدلالية المرتبطة بالحالة الإعرابية؛ أي العلاقة بين الفعل والوحدات اللسانية التابعة له في عبارة لسانية معينة.
- ضرورة إعادة النظر في مفهوم الحالة كما ورد في الدّراسات النحوية القديمة والدّراسات اللسانية البنيوية والتوليدية.
- تقديم تصوّر جديد لطبيعة العناصر والعلاقات المكوّنة للبنية العميقة انطلاقا من مفهوم الحالة الإعرابية.

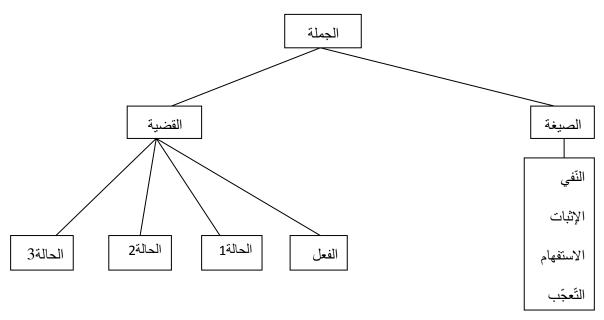
وقد تحرّى فيلمور إثبات هذه الأفكار العامة التي طرحها بداية وباعتباره أحد اللسانيين المشتغلين على الدلالة فقد انطلق من نقده للبنية العميقة كما صاغها تشومسكي أنها ليست عميقة بما فيه الكفاية لوضع تفسير دلالي للجملة. والمستوى الأعمق (deepest level) في نظر فيلمور هو المستوى الذي يجب أن يمثّل فيه للعلاقات التي تعبر عن الحالة الإعرابية بوصفها علاقات كلية (universal يجب أن يمثّل فيه للعلاقات التي تعبر عن الحالة الإعرابية بوصفها علاقات كلية العميقة. 2 relations) وهذه الانطلاقة النقدية توحي بطرح مكمّل وجديد لما يراه فيلمور نقطة ضعف في فرضية البنية العميقة في تصوّر تشومسكي.

والظّاهر في نظرية فيلمور أن نقده للبنية العميقة للجملة التي طرحها تشومسكي في النموذج المعيار الموسّع يجنح به في تجديده إلى اتجاه النحو الوظيفي، ويتجلّى ذلك في التصنيف الجديد الذي وضعه للجملة بعد أن أدار النظر في جانبها التركيبي النّحوي والدّلالي، ورأى أن "البنية العميقة للجملة تتركّب من مكوّنين اثنين: الصّيغة (modality) والقضية (proposition)، ويشكّل الفعل غالبا القضية الرئيسية في الجملة "حين تمثّل القضية تركيبًا دلاليًّا تبنى من محمول وموضوعات (الفعل والأسماء المتعلقة به) والصيغة تتكوّن من العناصر التي تبيّن هيئة الجملة مثل: النفي، التأكيد، الاستفهام، والتعجّب وتبني جميعها الجمل في سياقات مختلفة، ويمكن تمثيل تصوّره وفق التشجير الآتي:

 $^{^{1}}$ ينظر: مصطفى غلفان وآخرون، اللسانيات التوليدية، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

 $^{^{3}}$ ينظر: الغالى أحرشاو، الطّفل واللغة تأطير نظري ومنهجى للتمثّلات الدّلالية عند الطفل، ص 3



المخطط رقم (06): هيكل نموذج فيلمور لمكونات البنية العميقة.

وستتضح فائدة هذا التشجير أكثر من خلال الأمثلة التالية:

(1) أهدى محمد كتابا لفاطمة

بتطبيق نظرية فيلمور على المثال نجد:

 $_{3}$ قضیة = محمول + موضوع $_{1}$ + موضوع

محمول = أهدى

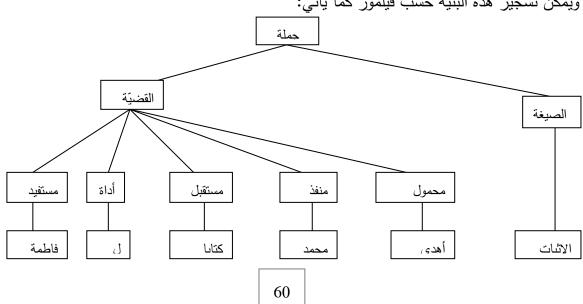
موضوع $_1$ = منفذ = فاعل = محمد

موضوع $_2$ = مستقبل = مفعول به = كتاب

أداة = اللام

موضوع $_{3}$ = مستفید = فاطمة

ويمكن تشجير هذه البنية حسب فيلمور كما يأتى:



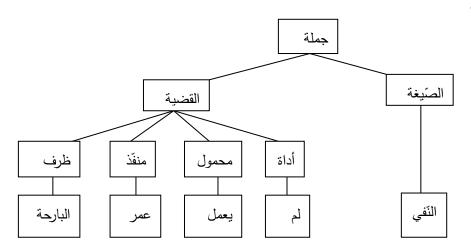
(2) لم يعمل عمر البارحة.

القضية = محمول + موضوع $_1$ + موضوع

محمول = لم يعمل

موضوع 1 = منفّذ = عمر

موضوع2 = ظرف



بناء على تحليل بنية الجملة وتشجيرها وفقا لما تقتضيه نظرية نحو الأحوال لشارل فيلمور، يمكننا أن نقول إنها نظرية تعمل على تشجير البنية العميقة الدلالية للجملة؛ لذلك فهي نظرية دلالية تغطي الجانب الدلالي الذي أغفله نموذج تشومسكي، حيث أضاف فيلمور في هذه المشجرات الوظائف الدلالية التي تحملها المكونات النحوية للجملة، فلا يمكننا تفريع بنية نحوية دون اللجوء إلى تفريعها دلاليا من أجل فهم أفضل لنموذج تركيب الجملة النحوي والدلالي في بنيته العميقة.

من خلال العرض الموجز المقدّم في وجهة نظر فيلمور نحو ضبط أدق للبنية العميقة للجملة نلاحظ أنه حقق وأثبت الأفكار العامة التي انطلق منها في نظريته، حيث القضايا التركيبية والدلالية المتعلّقة بالحالة الإعرابية هي العلاقة بين الفعل والأسماء المتعلّقة به في جملة معينة، وتتكوّن بينها علاقات نحوية مصحوبة بعلاقات دلالية ضرورية تفسرها الحالة الإعرابية، بينما الشمول فيها هو توافرها في كلّ الجمل ذات المحمول الفعلي، ثمّ نراه نجح في تقديم تصوّر جديد للعلاقات المكوّنة للبنية العميقة انطلاقا من مفهوم الحالة الإعرابية، فقد فرّع تشومسكي البنية العميقة للجملة مكتفيا بتحديد العناصر النحوية في مشجّراته، في حين تجاوز فيلمور هذا التشجير إلى تحديد العناصر الدلالية التي لا تنفصل عن العناصر النحوية، وكلّ ذلك على مستوى البنية العميقة للجملة (قبل تحويله إلى المستوى الصوّتي)، ممّا يعني أننا أمام تصوّر دلالي آخر يبحث في نمذجة وفهم دلالة التراكيب وهي في أذهاننا؛ وبالتالي فنظرية شارل فيلمور نحو الحالة الإعرابية نظرية نظرية بصورة أكبر.

وخلاصة القول أن القضايا التي تناولتها هذه الثلة اللسانية التي تزعّمت النظريات المذكورة تُبدي أنها اهتمت بصورة خاصة بدراسة الدلالة منذ تخلي تشومسكي عنها في نموذجه الأوّل، فاستمر بعدها البحث لإثبات الموقع المهم الذي تحتله الدلالة في تأويل وتفسير الجمل وحيازتها المركز الثاني بعد مركز التركيب باعتبارها مكوّنا مؤوّلا، ثمّ حيازة الدّلالة المركز التوليدي بعد إثبات الفرضية القائلة أن توليد المتتاليات اللغوية يتم دلاليا ثم نحويا، وبذلك يمكن أن نقول أن دراسة الدلالة والعمل على إضافتها المتتاليات اللغوية بدأ بعد الدلالة تأويلية تفسيرية مع نموذج كاتز وفودور ثمّ تحوّل إلى دلالة توليدية يبدأ توليد التركيب منها لا من الجهاز النحوي مع نموذج جاكندوف في هندسة التوازي، من هذا الجسر الدّلالي الانتقالي والذي نرى أنه يصب في ميدان اللسانيات العرفانية لكن في مرحلة نموّها الأولى؛ أي مرحلة اللسانيات التوليدية وتصوراتها الذهنية حول اللغة، يمكننا أن نستبشر بظهور جانب آخر من اللسانيات العرفانية وهو بزوغ جانب النظريات الدّلالية التي اتخذت من الدلالة (والدلالة باعتبارها ذهنية) موضوعا لبحوثها لترقى بها إلى المنزلة التي تبوّأتها الدّراسة التركيبية في البحوث اللسانية.

ثانيا/ النظريات المحورية في اللسانيات العرفانية:

على مدار خمسة عقود من ظهور الاتجاه الثاني من اللسانيات العرفانية الذي يعد اللغة منظومة ذهنية تحتل جزء كبيرا من النسق الإدراكي العام، وطوّرت جملة التوجهات تصوّراتها حول طرائق دراسة اللغة كمنظومة ذهنية وفهم تمثل الذهن لها وللعالم من خلالها، بناء على هذه التوجهات المختلفة نجد ضمن هذا الاتجاه نظريات لسانية عرفانية عديدة تتقارب في بعض التصوّرات العامة لكنها تتنافر في الآليات الخاصة لتحليل اللغة، وهنا تسوّغ لنا نظريات اللسانيات العرفانية طرح السؤال: ما الذي سعت هذه النظريات العرفانية إلى كشفه وتفسيره حول اللغة؟ وهل بلغت نظريات اللسانيات العرفانية غاياتها المسطرة؟ في إطار الإجابة عن هذين السؤالين سنطرح مختلف النظريات الصميميّة التي تأسست عليها اللسانيات العرفانية، والتي تُظهر دائما تكاملا وعلاقات شائكة لاسيما في أفكارها القاعدية.

لكن قبل الغوص في نظريات اللسانيات العرفانية المحورية وجب أولا تحديد المظلة العلمية التي تدخل تحتها نظريات اللسانيات العرفانية، ورأينا اعتماد التصنيف الغربي لها الذي يضم فرعين هما: الدّلالة العرفانية (cognitive grammar) ومقاربات النحو العرفاني (approaches).

ا. الدلالة العرفانية (cognitive semantics):

الدّلالة العرفانية نظرية طوّرها ليونارد طالمي (Leonard Talmy) لاسيما في كتابه الصادر عام الدّلالة العرفانية نظرية طوّرها ليونارد طالمي (Toward A Cognitive Semantics: concept structuring) عنوان systems) وحمل الجزء الثاني عنوان process in concept structuring)

وفي مقدّمتها مسألة بناء المعنى من وجهة ذهنية إدراكية لتكتشف اشتغال الذهن وميكانيزماته في نمذجة المعاني والتجارب الواقعية وتنظيمها وتخزينها، ويرى جورج لايكوف أيضا أن الدلالة العرفانية تهتم بثلاثة مداخل أساسية: 1

- ما الذي يجعل المفاهيم ذات معنى؟
- نظرية النموذج العرفاني: ما الذي نعرفه عن طبيعة النماذج العرفانية؟
- قضايا فلسفية عن المقاربات العامة للمعنى، والفهم، والحقيقة، والعقل، والمعرفة، والموضوعية.

تدل هذه المداخل التي تعنى بها الدلالة العرفانية على عدد من الاهتمامات المختلفة التي تركز عليها في تحليلها الذهني للمعنى؛ حيث تعتمد على بعض القضايا الفلسفية ومعطيات النماذج العرفانية (يقصد بها لايكوف في هذا المقام مختلف نظريات اللسانيات العرفانية: الأفضية الذهنية، الاستعارة التصوّرية...إلخ) وهذا يجعل من دراسة المعنى وفقا لمنظور الدلالة العرفانية ذا جانب ذهني فكري، لأجل هذا يقترح عبد العالي العامري مفهوما أدق للدلالة العرفانية بقوله: "تهتم الدلالة العرفانية ببلورة نموذج عام يحاول مقاربة كيفية حصول المعاني وما يحفزها، وذلك انطلاقا من خصوصيات الإدراك البشري وعوامل التجربة التي تفعل فيه؛ أي إن الدلالة العرفانية تبحث في العلاقة بين التجربة والنسق التصوري والبنية الدلالية التي ترمّزها اللغة، وتدرس الدلالة العرفانية الأنسقة التصورية، والمعنى، والاستنتاج إنها تدرس إجمالا، التفكير البشري "2 لكن مفهوم العامري يجنح إلى توسيع مهمة الدلالة العرفانية أكثر لتتجاوز دراسة المعنى وبناء التصوّرات إلى دراسة عمليات التفكير البشري وتمثيل المعرفة؛ أي البنية التصوّرية التي يمثل المعنى (المعنى اللغوي وغير اللغوي) وبناؤه جزء منها.

لتفاصيل أكثر ينظر: أليساندرو فالسي، وآخرون، في الثقافة والعرفان والتداول مقاربات بينية، تر: ثروت مرسي، عبد الرحمن طعمة، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2022، ص 76. وباتريك هيلي، صور المعرفة مقدمة لفلسفة العلم المعاصرة، تر: نور الدين شيخ عبيد، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص 98.

¹ George Lakoff, women, Fire, and dangerous things, p 269.

^{*} النسق التصوري: النسق مفهوم يختص بالجنس البشري دون غيره، والنسق من كل شيء الجمالا هو ما كان على نظام واحد عام في الأشياء فتلك العمومية قيد مهم لكي نقول بوجود النسق، وهذه العمومية تجعل منه المصطلح الأقرب لتوضيح مجمل الأفكار المتعلقة بالذهن والعرفان، مثلا نعلم أن العرفان نسق وما يجعله كذلك هو اجتماع عدد من المنظومات المتمايزة والمتكاملة (المنظومة اللغوية، منظومة الذاكرة، منظومة الذكاء، ... إلخ) تحت نظام واحد عام بسبب تكاملها هذا النظام العام هو ما يسمى بالنسق العرفاني، والتصور وظيفة ذهنية بازغة عن المنظومة العصبية. ومنه النسق التصوري هو المنظومات الذهنية المتكاملة التي تقوم على شرط الترابط بين الأجزاء لبناء كل عضوي يؤدي إلى قيام تصورنا الذهني.

 $^{^{2}}$ ينظر: عبد العالي العامري، الدلالة المعرفية وهندسة المعنى، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد 2 8، ع 2 2020، ص 2 56.

1) مبادئ الدلالة العرفانية:

تتمثل في أربعة مبادئ تتكامل من خلالها عمليات الدلالة العرفانية في تحليل نمذجة المعاني والبنيات التصورية، وهي:

أ. التجربة الحسية المجسدة والبنية التصورية:

يسمح هذا المبدأ للدّلالة العرفانية بالبحث في طبيعة التفاعل بين التجربة الحسية المجسدة، والبنية التصورية وما تطعّم به التجربة المجسدة البنية التصورية، وهذه الأخيرة بدورها تكوّن المستوى الأوحد للتمثيل الذهني الذي تتساوق فيه المعلومات اللغوية والحسية والحركية، الثري جدّا في قدرته التعبيرية عن الكائنات التي يمكن أن تعبر عنها اللغة، وفي تعبيره عن الصيغ التجريبية الأخرى (قدرة التعبير عن التجارب المجرّدة). أ ولذلك فالبنية التصوّرية بمنظور مفترضها راي جاكندوف تسمح بتمثيل المعنى وفهمه بغض النظر عن نوعه (معنى لغوي/ غير لغوي)، كما تسمح بصب التمثيلات الذهنية للتجارب الحسية (مدركة مسبقا) في معاني لغوية قابلة للفهم.

نتصور المثال: الكتاب في المحفظة.

يملك تصوّرنا للمحفظة خاصيات لبنية شكلية محدودة بحجم معين، لها أبعاد تضبطها ولها داخل وخارج ويمكن غلقها وتشغل حيزا محدودا في الفضاء، وما دام لها داخل وخارج والكتاب فيها فهي تملك خاصية الوعاء الذي توضع فيه الأشياء، وتصوّرنا للمحفظة على أنها وعاء هو نتيجة لتجربتنا الحسية الفيزيائية السابقة مع العالم الخارجي التي عرّفتنا على الوعاء كبنية محدودة توضع داخلها أشياء معينة، والمثال المذكور هو تدليل على أن "البنية التصورية تنبثق من التجربة المجسدنة الداخلية (التنظيم الذهني للمدخلات الحسية) والخارجية التي تكون ذات معنى عندما ينبثق من تجاربنا غير المباشرة أثناء تفاعل المحليات الذهنية مع بيئتنا/ محيطنا" ومنه يتم بناء المعنى في البنية التصورية بتفاعل العمليات الذهنية مع التجارب الحسية المجسدة.

ب. البنية الدلالية هي البنية التصورية:

ذكرنا في المبدأ الأول أن البنية التصورية هي تمثيل ذهني يضم التجارب الحسية والمعارف اللغوية وغير اللغوية ومن شروطها الثراء في قدرتها التعبيرية اللغوية، لكن يوجد ضمن البنية التصورية بنية أخرى تختص بالتمثيل اللغوي فقط وتضم مجموعة فرعية من الأبنية التصورية اللغوية تدعى البنية الدلالية، وهنا تُلاحَظ علاقة التضمن التي تربط بين البنية التصورية والبنية الدلالية التي افترض – بناء عليها – راي جاكندوف فرضية مفادها أن البنية الدلالية هي البنية التصورية؛ لأن البنية الدلالية هي بديل

[.] ينظر: راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ص68-69.

² V. Evans, Cognitive Linguistics a Complete guide, Edinburgh University Press, p 203.

يسمح بالتعبير لفظيا عن التصوّرات الذهنية المتواجدة على مستوى البنية التصورية أمما يعني أن البنية الدلالية انعكاس لغوى للبنية التصوّرية.

ويؤيد عبد المجيد جحفة هذا الطرح الذي يجعل البنية الدلالية هي البنية التصورية مستدلا بأن "كل ما يتصور (يتمثل في الذهن) يُعبّر عنه في اللغة كما تم تصوره في الذهن، وهذا يخلق التوازن بين البنية التصورية والبنية الدلالية التي تسقط البنية التصورية في مجال اللغة، وعليه تصبح البنية الدلالية تساوي البنية التصورية ويصبح المعنى الذي تهتم الدلالة العرفانية بدراسته تصورا مستخلصا من البنية التصورية مبثوثا في ألفاظ لغوية تمثل حمولة البنية الدلالية، لكن حتى وإن كان من المتفق جدّا بين اللسانيين العرفانيين أن البنية الدلالية هي عينها البنية التصورية، فإنه لا يخفى على المتأمل أن بعض التمثّلات والمعاني التي تحملها البنية التصورية لا يمكن التعبير عنها لغويا، فالذهن البشري يحمل من الأفكار والأحاسيس والتصورات أكثر مما يقدر الاستعمال اللغوي التعبير عنه وترميزه.

ج. فرضية المعنى الموسوعي (Encyclopaedic meaning):

ينظر اللسانيون العرفانيون إلى المعنى المشفّر بواسطة اللغة والبنية الدّلالية على أنه معنى موسوعي (Encyclopaedic) في طبيعته ممّا يعني أن الكلمات، والبُنى، والعبارات اللسانية المختلفة لا تمثل معنى محدودا صرفا، وهو ما يسمى المعنى القاموسي، لكن تعامل هذه العبارات اللسانية كنقاط اتصال مع مخزون واسع من المعرفة المرتبطة بتصوّر جزئي أو ميدان تصوّري³ يتحدّد بالعبارات اللسانية والغرض من هذا المبدأ هو تبيين الطبيعة الموسوعية للبنية الدّلالية بما تحمله من معاني موسوعية لا معاني قاموسية مخصصة، بل تضم معاني منصهرة في بوتقة الأطر الاجتماعية والثقافية وغيرها. مما يغيد أن الدلالة العرفانية لا تدرس بناء المعاني اللغوية الخاصة وحسب، بل تشتغل على فهم بناء كل المعاني الممكنة في البنية الدلالية بتوسط الأطر اللسانية من جهة (المعجم، الصرف، النحو) والأطر التداولية الثقافية والاجتماعية من جهة أخرى.

مثلا: الحذر من فلان إنه ثعلب.

نعلم مسبقا الصفات الكثيرة التي تميز الثعلب في نوعه وجنسه وصفاته ومظهره وسلوكياته، كما نعرف أشهر صفة له وهي المكر، لكن من المثال نفهم التحذير المقدم لنا من هذا الشخص بعينه بسبب مكره فنحن نلاحظ هنا أن البنية الدلالية تضم كل تلك المعانى حول مفردة ثعلب ولا تحمل صفة مكره فقط.

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 2

[.] 2 ينظر: عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدّلالة الحديثة، ص 2

³ Look: V. Evans, Cognitive Linguistics a Complete guide, p 351 – 352.

د. بناء المعنى هو بناء للتصورات:

ينظر هذا المبدأ إلى معاني التعابير اللغوية باعتبارها جزء من العمليات النفسية أو الذهنية، التي تجعل الدلالة العرفانية تهدف إلى تفسير الطريقة التي ترتبط بها اللغة والعالم ببعضهما في الذهن البشري¹؛ أي كيفية تمثيل التعابير اللغوية وتمثيل العالم الخارجي ذهنيا، ليصبح بناء المعنى سيرورة ناتجة عن بناء التصورات الذهنية تتميّز بالتعقيد لكونها تقوم بوظيفة الرابط بين اللغة والفكر.²

تعد هذه المبادئ الأربعة أهم مبادئ الدلالة العرفانية التي تتأسس عليها، ونجدها متغلغلة في أغلب النماذج التي تؤسس النظريات الجوهرية للسانيات العرفانية، والتي تسعى الدلالة العرفانية إلى تحديد طبيعتها (أي تحديد طبيعة النظريات التي تقوم عليها) من خلال المدخل الثاني الذي حدده لايكوف عن نظرية النموذج العرفاني وما الذي نعرفه عن طبيعة هذه النظريات العرفانية الفرعية، وقد حصرها في النماذج الاستعارية والمجازية، والأفضية الذهنية، والنماذج الرمزية والنحو العرفاني، وسيأتي التفصيل في هذه النماذج والنظريات باعتبارها الأساس في مجال اللسانيات العرفانية.

اا. نظرية الاستعارة التصوّرية/ المفهومية (conceptual metaphor) (1980):

1) مرحلة ما قبل الاستعارة التصورية:

لقد كان عام 1980 المرحلة الحاسمة التي ظهر فيها اتجاه اللسانيات العرفانية (الجيل الثاني) المستقل نسبيا عن اتجاه اللسانيات العرفانية (الجيل الأول) لعام 1957 (التصوّرات العقلانية لنوام تشومسكي)، هذا الأخير الذي اشتغل فيه جورج لايكوف، عندما كان أحد أقطاب الدلالة التوليدية (generative semantics) على بعض نماذجه خاصة نموذج 1965 وظهور افتراض البنية العميقة (deep structure) الذي أراد فيه جورج لايكوف أن يكون أكثر شمولية وتجريدا ليسع كل الظواهر اللغوية في كل اللغات، كما اهتم لايكوف في نموذج تشومسكي هذا بالمكوّن الدّلالي حيث وجّه جملة من الانتقادات مفادها أن أهمية المكون الدلالي بنفس أهمية المكون التركيبي في التوليد اللغوي ولابد من الموازاة بينهما.

وخلال اشتغاله مع الجيل الأول من اللسانيات العرفانية اعترف لايكوف في لقاء له عن قصور تصورات الجيل الأول ذات الصبغة الصورية المنطقية في بلوغ نموذج نحوي مثالي مستقل تماما عن "المعنى، والسياق، والمعرفة الخلفية، والذاكرة، والمعالجة المعرفية، والقصد التواصلي، وكل مظاهر الجسد."³ وهذا التصوّر البعيد لتشومسكي في وضع نظريته النحوية تتبه إليه لايكوف وإلى قصوره في

¹ ينظر: محمد غاليم الحاج، المعنى والتوافق مبادىء لتأصيل البحث الدلالي العربي، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1999، ص 47.

² ينظر: راى جاكندوف، دليل ميسر إلى الفكر والمعنى، ص 23.

 $^{^{3}}$ عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1 ، 2015، ص 3

بلوغ نتائج علمية شاملة وصارمة، كما كان من دوافع تحوّل لايكوف إلى الجيل الثاني مع ثلة من اللسانيين العرفانيين منهم جيل فوكونيي (G. Fauconnier) ورونالد لانغاكير (R. Langacker) للبحث في لسانيات متوافقة مع العلوم العرفانية وعلم الخلايا العصبية ألم بتعبير آخر، البحث في لسانيات لا تخضع كل الخضوع للمنطق الصوري بل تأخذ المعنى والسياق والمعالجة العرفانية والجسد ضمن هذه الدراسة اللسانية.

وضمن تصوراته الجديدة وتحوّل اتجاهه إلى البحث اللساني العرفاني، تتبّه لايكوف إلى خاصية جديدة حول الاستعارة والذهن مفادها أن الاستعمال الاستعاري للغة لا ينحصر في المستوى المجازي الفني الجمالي فقط، بل يتعدى ذلك إلى كونها عملية ذهنية من عمليات الذهن أودت بلايكوف إلى إعادة البحث فيها على أساس ذهني عرفاني انبثقت منه نظريته الاستعارة التصورية عام 1980 عبر الكتاب الذي ألفه بمعية مارك جونسون (Mark Johnson) الاستعارات التي نحيا بها (metaphors we live by) وعدً القاعدة الأساسية لتصوراتهما الجديدة الأولى حول الاستعارة.

2) مرحلة الاستعارة التصورية:

تنتمي نظرية الاستعارة التصوّرية كما تصورها جورج لايكوف، وعلى غرار التصوّر الغربي السابق الذي يرى أن الاستعارة شكل لغوي غرضه بلوغ بهرجة بلاغية واستعمال مجازي، إلى فرع الدلالة العرفانية وعلى وجه التحديد فرضية البنية التصوّرية (conceptual structure) التي تسمح للاستعارة بالتفاعل مع التجارب الحسية والجسد والأنساق الذهنية العرفانية وتسويغها لصياغة مفاهيم جديدة مبدعة للتعبير عن حاجات متجددة وليس من الضروري أن يكون قد مرّ بها الذهن مسبقا، ويبرر لايكوف فرضيته حول انتماء الاستعارة التصورية إلى البنية التصورية بكون البنية التصورية/ النسق التصوري في حد ذاتها ذات طبيعة استعارية فيقول: "إنّ الجزء الأكبر من نسقنا التصوري العادي استعاري من حيث طبيعته. وبذلك عثرنا على طريقة للشروع في التحديد المفصل للاستعارات التي تبنين طريقتنا في الإدراك والتفكير والسّلوك."²

إنه من اللآفت هنا في تصوّر لايكوف أن يعيد النظر في الاستعارة ما دامت بنيتنا التصورية في جزئها الأكبر العادي استعارية، بحيث تصبح الاستعارة آلية ذهنية عادية تؤدي وظيفتين:

الأولى: وظيفة ذهنية تؤدي إلى بنينة طريقتنا في الإدراك والتفكير والسلوك، وتحدث هذه البنينة بما انفتحت عليه الاستعارة التصورية من تجارب حسية، وتفاعل مع الجسد والعالم الخارجي والقدرات الذهنية

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 1

 $^{^{2}}$ جورج لایکوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحیا بها، ص 2

فأصبحت "مرتبطة بالعمليات العرفانية التي ترتكز على التجربة والتفاعل الذي ينشأ من خلال تشغيل القدرات الذهنية والحسية."¹

الثانية: إسهامها في تحقيق التواصل اليومي، فقد كسرت حدود الاستعمال البلاغي الجمالي إلى التداول اليومي المعتاد.

وإذا كانت هذه الوظائف مرتبطة بالاستعارة بمفهومها الجديد (الاستعارة التصورية)، فسنواجه السؤال التالي: ما هو جوهر الاستعارة التصورية وما طبيعتها حسب ما تصوّرها لايكوف وجونسون؟

أ. ماهية الاستعارة التصورية:

اجتهد جورج لايكوف ومارك جونسون في أول كتاب لهما في الاستعارة التصورية (الاستعارات التي نحيا بها) على تبيين ماهية الاستعارة التصورية عبر تقديم وتحليل كثير من الأمثلة، ووصلا إلى فكرة أساسية في الاستعارة التصورية تقول أنها ليست مقتصرة على اللغة والألفاظ، بل توجد في تفكير الإنسان وفي سيرورات الفكر البشري التي تعدّ استعارية في الأساس، ولا يمكن أن تبزغ لنا أي استعارات تصورية في اللغة، إذا كانت البنية التصورية أو النسق التصورية خاليا منها. 2 مما يعني أن الاستعارة التصورية قد نقلت من شكلها اللغوي (العبارات اللسانية) إلى العمليات الذهنية (بعدّها طريقة للتفكير)؛ حيث تعمل مع بقية العمليات العرفانية على إدراك تجريد العالم الخارجي وتجسيد المفاهيم المجردة وبالتالي بناء أنساق تصورية جديدة.

وقد افترض لايكوف أن الاستعارة التصورية تتشأ من مجال مصدر (target domain) ومجال هدف (target domain) وخطاطة بينهما، ولا يستقل المجالان والخطاطة عن التجربة الفيزيائية اليومية التي نعيشها، فالخطاطات التي تبنين تجربتنا الجسدية ما قبل التصورية (preconceptually) لها أساس منطقي، والترابطات البنيوية ما قبل التصورية تثير الاستعارات التي تنظم هذا المنطق على شكل مجالات مجردة، وبالتالي ما يسمى العقل المجرد (abstract reason) لديه أسس مجسدة في وظائفنا الفيزيائية المادية اليومية، وهذا ما يسمح لنا بتأسيس نظرية للمعنى والعقلانية في مظاهر الوظيفة المجسدة، ويقع بذلك بناء الاستعارات حسب تصور لايكوف هذا باحتكاك تصوراتنا الأولية المنطقية مع تجاربنا الجسدية هذه الأخيرة التي تبسط لنا تنظيم منطقنا العقلي بواسطة الاستعارات المولّدة، وبالتالي نحن أمام كفّتين متكاملتين في إنتاج معنى ذو طبيعة عقلانية تجريبية في آن واحد معًا.

¹ عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط 2006، ص 117.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 21، 23.

³ George Lakoff, women, Fire, and dangerous things, p 278.

أمّا زولتان كوفيتش (Zoltàn Kovecses) فيضيف على تصورات لايكوف وجونسون إيضاحات أخرى لماهية الاستعارة التصورية ويقول: إن الاستعارة كإحدى نظريات اللسانيات العرفانية تعرّف بوصفها فهم (understanding) مجال تصوّري ما بواسطة تعبير عن مجال تصوّري آخر، مثلا عندما نفكر ونتكلم عن الحياة بعبارة الرحلة لما تشتركان فيه من محطات ومراحل وتجارب نتعلمها... إلخ، ويقصد بمصطلح الفهم هنا مجموعة الآليات والخطاطات التي تعمل في صورة نظام متناسق بين المجال التصوري المصدر (source) والمجال التصوّري الهدف (target) من الواضح في تحديد كوفيتش للاستعارة التصورية استلهامه ذلك من مجموعة الأمثلة الكبيرة التي أدرجها لايكوف وجونسون في كتابهما الاستعارات التي نحيا بها، لكن إضافته تمثّلت في تقريب أعمق لطبيعة الاستعارة التصورية؛ إذ جعلها طريقة للتفكير تبنى من مجالين تصوريين لتقارب بينهما وأخيرا تظهر في شكل لغوي، وحقيق بنا هنا أن طهم أن جوهر الاستعارة التصورية وطبيعتها هو كونها عملية من عمليات التفكير وآلية ذهنية.

ب. مبادئ الاستعارة التصورية:

إن ما يجعل الاستعارة التصورية (CM) مغايرة لمفهوم الاستعارة التقليدية هو اعتمادها على مبدأين هامين في توليد اللغة، دفعا بها إلى الانزياح عن الاستعمال البلاغي إلى المشاركة في تحقيق التواصل اليومى العادي، وهذين المبدأين هما:

أولا: مبدأ ذهنية الاستعارة التصورية وقد قدّمنا الحديث سلفا في البحث عن جوهر الاستعارة التصورية عن السمة الذهنية لها، التي نقلتها من الشكل اللساني إلى مستوى العمليات الذهنية والتفكير.

ثانيا: مبدأ التجسيد/ الجسدنة* (embodiment) الذي أضافه لايكوف وجونسون و ينصّ هذا المبدأ أن العقل والذهن البشري ليس مستقلا تماما عن الجسد فيما يتعلّق بنمذجة المعرفة ومَقوَلَتها، حيث يمدّ

Zoltàn Kovecses, Metaphor a practical introduction, Oxford University press, 2^{nd} ed, 2010, p4. ¹ Zoltàn Kovecses, Metaphor a practical introduction, p 3 – 7.

^{*} الفهم: ينقسم الفهم الاستعاري في هذه الحالة إلى نوعين: أحدهما هو المعالجة قصيرة المدى لاستيعاب شيء ما في وقته الفعلي، أي يحدث تفسيره وتأويله في وقت التكلم، ويسمى بالفهم الآني (online understanding) والنوع الآخر يتأسس على الذاكرة بعيدة المدى أو يظهر من معالجة ثقافية تاريخية بعيدة المدى، في هذه مثل الحالات يأخذ الاستيعاب مدة طويلة من الوقت لاسترجاع معلومات عن المجال المصدر، وسمى بالفهم غير الآني (offline understanding).

بنظر:

^{*} الجسدنة: مثّلت مشكلة التمييز بين ثنائية العقل- الجسد محط جدال فلسفي لدى طائفة كبيرة من الفلاسفة منذ رينيه ديكارت (1596- 1650) حتى تبلور علم النفس العرفاني لكن تغيير مسار البحث عن التمييز بينهما إلى طريقة توليدهما للمعرفة بدأ مع الفلاسفة التجريبيين (خاصة جون لوك) الذين اهتموا بمشكلة المعرفة وكيف يتعلم العقل عن العالم والبحث في إمكانية تدخل الحواس في بناء المعرفة، وقد أظهرت اللسانيات العرفانية كحقل علمي معاصر سمة عقلانية مغايرة للعقلانية الفلسفية التي اهتمت بثنائية العقل/ الجسد، رغم أنها بقيت تستمد إلهامها من تقاليد علم النفس والفلسفة، فقد أكدت على أهمية التجربة الإنسان، التي تؤثر كلها على

الجهاز الحسي-الحركي الجهاز العصبي بمجموعة من المعلومات والمدخلات (input) التي تُمَقْرِلُ وتبنين تصوّرات ذهنية عن العالم الواقعي، وتصبح "طبيعة التصوّرات والطريقة التي تبنين وتنظم بها محصورة بطبيعة تجربتنا الجسدية"، وهذا ما أكد عليه لايكوف من أن الاستعارة التصورية تنشأ في جزء كبير منها من تجربتنا الفيزيائية المادية التي توفر مدخلات للذهن عبر الجهاز الحسي- الحركي، على هذا الأساس تسهم الاستعارة التصوّرية في بناء التصوّرات فنحن نعبّر استعاريا عن الاتجاهات الفضائية (فوق، تحت، يمين، يسار، ...إلخ) بنسبتها إلى أجسادنا. كما نعبّر استعاريا وعبر الجسدنة عن عاصمة الجسد أو أحد أعضائه مثلا: بغداد قلب الخلافة العباسية. فقد عبرنا استعاريا وعبر الجسدنة عن عاصمة الخلافة العباسية وأهميتها وهو تعبير متداول كثيرا وبشكل يومي وغير هذا من الأمثلة التي توضح أهمية مبدأ الجسدنة في الاستعارة التصوّرية.

ويظهر كل من مبدإ ذهنية الاستعارة والجسدنة جليا في أنواع الاستعارة التصورية التي حدّدها لايكوف وجونسون في مؤلفاتهما، وهو ما سيأتي بيانه وتفصيله.

ج. أنواع الاستعارة التصوّرية:

نعمل في هذا العنصر على التعمق أكثر في أنواع الاستعارة التصورية لا كما صنفها لايكوف وجونسون فحسب، بل سننظر أيضا في التقسيم الذين قدّمه كوفيتش باعتباره أحد أهم منظري الاستعارة التصورية. بتتبع ما قدّمه لايكوف وجونسون في أنواع الاستعارة التصورية نجد أنها قسمت إلى ثلاثة أنواع:

طبيعة تجربتنا، ووفقا لهذه النظرة التجريبية لا يمكن أن يكون الذهن البشري – بما فيه اللغة – بمعزل عن الجسدنة البشرية ولذلك فالجسدنة وفقا لتصورات اللسانيات العرفانية تأكيد على فاعلية الجسد وتنظيماته الحيوية في بناء المعرفة، وقد رأى لايكوف وجونسون أن العلم العرفاني توصل في قضية الجسدنة إلى أن العقل البشري شكل من العقل الحيواني (بفعل تأثير النزعة التطورية الداروينية) فهو عقل مفصل، بشكل لا ينفصم عن أجسادنا وعلى خصوصيات أذهاننا، وهذه الأخيرة بتفاعلنا مع بيئتنا تمدّنا بالأسس الأكثر لا وعيا لميتافيزيقانا اليومية؛ أي إحساسنا بما هو واقعي، لذلك فالجسدنة تعمل على إثبات فاعلية الجسد والجهاز الحسي – الحركي مع الدماغ والجهاز العصبي في عمليات الإدراك والوعي وبناء معارف الذهن البشري. ينظر للاستزادة:

⁻ سوزان شنايدر، ماكس فيلمانز، في صحبة الوعي موسوعة بلاكويل عن الوعي، تر: مصطفى سمير عبد الرحيم، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار الروافد الثقافية ناشرون، لبنان، ط1، 2021، ص 35 وما بعدها.

⁻Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive linguistics an introduction, p44.

⁻ جورج لا يكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد، ص 54.

¹ Vyvyan Evans, A glossary of cognitive linguistics, Edinburgh University press, Edinburgh, 2007, p 66.

:(Structural Metaphor) الاستعارة البنيوية

يقوم هذا النمط من الاستعارة على بنينة تصوّر استعاري ما عبر تصوّر آخر يمثّل التصوّر المحدر؛ حيث المجال المصدر يوفر بنية معرفية غنية نسبيا للتصوّر الهدف، ويتم فهم التصور الهدف (أ) بواسطة معاني بنية التصور المصدر (ب)، وبواسطة معاني الخطاطات التصورية بين عناصر المهدف (أ) وعناصر المصدر (ب) وبتعبير لايكوف مفاد الاستعارة البنيوية هي أن يبنين تصور ما استعاريا بواسطة تصور آخر 2 ، بغض النظر عما إذا كان المجال/ التصوّر المصدر مادي والتصور الهدف مجرد أم العكس.

مثال: يشتعل حماس اللاعب في المباراة.

في المثال يبنين فهم "نشاط اللاعب وقوته على خوض المباراة" بواسطة نشاط النار التي تتميز بالشرار سريع الانتشار وسرعة تحرّك ألسنتها وانتشارها، وهنا المجال التصوّري الهدف هو إظهار مدى نشاط اللاعب واستعداده للمباراة والمجال التصوري المصدر هو هَيَجان النار واستعارها.

:(Orientational metaphor): الاستعارة الاتجاهية

هي نمط استعاري تصوري يقوم على استعمال الاتجاهات المدركة بتفاعل الجسد مع العالم الفيزيائي؛ إذ يبنين نسقا كاملا من التصورات المتعالقة التي يرتبط أغلبها بالاتجاهات الفضائية: عال مستفل، فوق – تحت، داخل – خارج، عميق – سطحي، يمين – يسار ... إلخ ولذلك تعطي الاستعارات الاتجاهية توجها فضائيا للتصورات³، مثال: التعبير عن حالة الإحباط بالأسفل فنقول نزلت معنويات التلميذ لرسويه، وعلى العكس نعبر عن الفرح بالعلو، والنسق الذي تبنينه الاستعارة الاتجاهية الواحدة هو نسق مترابط ومتكامل، ففي المثال نزلت معنويات التاميذ لرسوبه عبرنا عن الإحباط والحزن باتجاه الأسفل ويتبع هذا التعبير (الحزن إلى أسفل) استعارات أخرى متناسقة مع الاتجاه الفضائي العام (الأسفل)، فليس من الممكن أن نقول: أنا أطير حزنا فهذه استعارة خارجة عن النسق الاستعاري المعبر عن الحزن.

> الاستعارة الأنطولوجية (Ontological Metaphor):

تعمل الاستعارة الأنطولوجية على بنينة مفاهيم وتصورات جديدة عبر مقولة (categorization) الكيانات، والمواد، والأحداث، والأنشطة، والأعمال، والحالات الوجودية الأنطولوجية، ومن جهة أخرى تسمح الاستعارة الأنطولوجية بالتعبير عن التصورات المجردة بواسطة تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية و "ينتج

 2 جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 2

¹ Zoltàn Kovecses, Metaphor a practical introduction, p 37.

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 3

هذا النوع من الاستعارات من تفاعل تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية (المادية) وخاصة أجسادنا، بحيث ننظر إلى الأفكار المجردة كالعقل والحقيقة والانفعالات ... باعتبارها أشياء مادية. 1

أمثلة:

1) لننظر إلى إدارة مؤسسة ما بعدّها شخصا فسنقول:

سمحت لى الإدارة اليوم بمغادرة العمل باكرا.

وافقت الإدارة على المشروع المقترح.

في هذين المثالين عبرنا استعاريا عن الإدارة بعدها شخصا والشخص هو كائن وجودي أنطولوجي، والحال هنا أن التعبير شخّص وجسد كيانا مجردا (الإدارة)، حيث أصبحت تقوم بفعل ما يقوم به الشخص الواحد.

2) لنظر الآن إلى الأفكار بعدّها شيئا ماديا:

وقع في تفكير عميق

هذه أفكار ميّتة

في هذين المثالين نرى التعبير عما هو مجرد (الأفكار) باعتبارها شيئا ماديا أنطولوجيا فقد عبرنا عن التفكير في المثال الأول باعتباره حفرة عميقة وهي شيء وجودي أنطولوجي، وكذلك أفكار ميتة فالموت لا يكون إلا للكائنات الحية مثل البشر والنبات والحيوان، وكلها كيانات موجودة.

إن هذه الأنواع الثلاثة من الاستعارات التصورية هي ما أولاه لايكوف وجونسون عناية خاصة وفصلا فيه بكثير من الأمثلة، وهي أنواع موجودة في استعمالنا اللغوي بصورة طبيعية أصبحت مسلما بها ومن البديهيات حتى أننا لا نلاحظ استعمالنا لها فهو يتم بشكل تلقائي، لكن كوفيتش زاد على تقسيم لايكوف للاستعارة آخذا باعتبارات مختلفة ستتضح من خلال عرض الأقسام التي حددها كوفيتش للاستعارة.

:(conventional metaphors) الاستعارات الوضعية

تتمثل في تلك الاستعارات التي يتواصل بها الناس بصورة عادية طبيعية وميزتها أنها بعيدة عن كل قصد إبداعي وجمالي، وجلّ ما نستشفه منها الميزة الاستعارية للاستعمال اللغوي العادي. 2 وعلى سبيل المثال نجد متكلمي اللغة العربية أو الإنجليزية أو أي لغة أخرى يتواصلون باستعارات تصورية متواضع عليها دون ملاحظة منهم؛ لذلك الاستعمال الاستعاري المتواضع عليه؛ إذ التواضعية في الاستعارة هي الرسوخ العميق لاستعمالها في التواصل اللغوي. وعندما نصف هذا القسم من الاستعارة بأنه وضعي يجب أن نستحضر الوضعية المعلومة مسبقا في اللسانيات، والسيمياء، وفلسفة اللغة التي ترى أن الدال

¹ رحمة توفيق، الاستعارة بين التصوّر اللساني والتصوّر البلاغي، حوليات الآداب واللغات، جامعة محمد بو ضياف المسيلة، الجزائر، مج 05، ع 11، 2018، ص 137.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 136.

والمدلول تربطهما علاقة وضعية اعتباطية، وبالتالي، مسألة الوضعية تعني كلا من الاستعارات التصورية والعبارات اللغوية التي تتجلى فيها الاستعارات التصورية. 1

وهنا بعض الأمثلة التي رأى كوفيتش أنها تعبر عن بعض المجالات المجردة التي يتم التواصل بها دون انتباه لجانبها الاستعاري التصوري:

الجدال حرب: { دافع عن فكرته.

ك هُزم الخصم في هذا الجدال.

الحياة رحلة: { قطع الطالب طريقا طويلا حتى نجح في البكالوريا

وإذا كانت أغلب الاستعارات التصورية وضعية في نظر كوفيتش إلا أنه ينبّه من جهة أخرى على وجود استعارات غير وضعية (مبتدعة وجديدة) (unconventional) لا تستعمل كثيرا في التواصل اللغوي العادي، بل تستعمل في اللغة الشعرية الأدبية، كما تستعمل في الشعارات واللغة الصحفية والسياسية وغير ذلك، على سبيل المثال استعارة الحياة رحلة التي يمكن أن تصاغ بعبارات استعارية تصورية غير وضعية وغير مستعملة بكثرة في التواصل اللغوي المعتاد: أوقفوا العالم، أريد النزول، فهي إبداعية وغير متداولة بقدر الاستعارات التي قدّمنا ذكر بعضها رغم أن الاستعارة الأولية التي استمدت منها هي الحياة رحلة لكن المتكلم يجعلها تتجلى في عبارة لسانية مبتدعة، وفي الاستعارات غير الوضعية كذلك يرى كوفيتش أنه من السهل التوصل إلى التصورات الاستعارية التي تتجلى استعاراتها الأولية في عبارات استعارية لسانية وضعية، لكنه من الصعب التوصل إلى الاستعارات التصورية الأولية عندما تتجلى في عبارات استعارية لسانية مبتدعة، على سبيل المثال استعارة الحياة مرآة، إن ابتسَمَث ابتَسَمَث المتسَمَث المتارتها الأولية الوضعية.

د. الوظيفة العرفانية للاستعارة:

لقد مثّلت الاستعارة منذ ظهورها عملية ذهنية ارتبطت وظيفتها في المفهوم العادي بأنها وسيلة لرؤية العالم وفهمه والتفكير حوله، وهذا فيما يرتبط بوظيفة الاستعارة العرفانية، وقد عمل كوفيتش على عرض هذه تقسيم أنواع الاستعارة التصورية حسب الوظائف العرفانية التي تؤديها وهي: البنيوية والأنطولوجية، والاتجاهية، وغالبا ما تتوافق هذه الأنواع في حالات خاصة.

سبق أن قدمنا الأنماط الثلاثة للاستعارة التصورية كما رآها لايكوف وجونسون، وقد بقيت على حالها عند كوفيتش، غير أنه من الجدير طرح تلك الحالات الخاصة التي تتفق فيها الأنواع الثلاثة من الاستعارة (البنيوية، الأنطولوجية، الاتجاهية):

¹ Look: Zoltàn Kovecses, Metaphor a practical introduction, p 34 - 35.

² Look: Ibid, p 36.

- الحالة الخاصة الأولى تتعلق بالاستعارة البنيوية والاستعارة الأنطولوجية؛ إذ تحتوي "كل استعارة بنيوية مجموعة متلائمة من الاستعارات الأنطولوجية تعتبر أجزاء فرعية فيها" وهنا تظهر علاقة احتواء جزئية للاستعارة الأنطولوجية ضمن البنيوية؛ لأنّ الاستعارة الأنطولوجية تربط غالبا بين مجال تصوري مجرد وآخر مادي فيزيائي يمنح ربط هذا الأخير المجال التصوري المجرد بنية الكيان، على سبيل المثال استعارة: الحياة رحلة تعطي هذه الاستعارة الحياة كيانا أنطولوجيا مثل كيان الرحلة لها (انطلاق، اتجاه، محطات، وصول أو نهاية، متعة...إلخ).
- حالة وجود تلاؤم بين بعض الاستعارات لنفس التصورات التي تكوّن مجموعة من الاستعارات المتلائمة تشتغل على بناء كيانات متعالقة تخص هذه المجموعة الاستعارية المنسجمة.

ه. طبيعة الاستعارة:

يسعى كوفيتش في وضعه لهذا النوع من الاستعارة إلى البحث عن الأساس الذي تتشكّل وتبنين منه، وما إن كانت جميع أنواع الاستعارة تبنين بالطريقة نفسها، وقد وجد أن الاستعارات المتقدم شرحها في عمومها تتأسس على المعرفة القاعدية للتصوّرات التي تبنين بواسطة مجال مصدر ومجال هدف، أما في نوع آخر من الاستعارة التصورية، التي يمكن تسميتها استعارة خطاطة الصورة 2 image-schema) metaphor.

وتتميّز استعارة خطاطة الصورة – حسب ما يرى كوفيتش – بربط قليل من التصورات بين المجال المصدر والمجال الهدف، وكما يدل اسمها ضمنيا، فهذا النمط من الاستعارات لديه في المجالات المصدر خطاطات صورة هيكلية (skeletal image-schemas)، مثل ما يتعلق الأمر بلفظة خارج out، وعلى العكس من ذلك، الاستعارات البنيوية غنية في بنيتها المعرفية وتوفر نسبيا فئة غنية من الترابطات بين المجال المصدر والمجال الهدف، مما يعني أن استعارة خطاطة الصورة ذات مساحة تصوّرية أقل من مساحة أنماط الاستعارات الأخرى، لكن خاصيّتها الأساسية هي السماح بتأسيس تصوّرات لاستعارات أخرى، وتستمد خطاطات الصورة التي تبني هذا النمط من الاستعارة من العالم الخارجي والتجارب الفيزيائية التي نتفاعل بها معه، وهذه بعض الأمثلة التي توضح بناء الاستعارات من خطاطات الصور المتوفرة:

خطاطة الصورة	الاتساع الاستعاري
داخل – خارج	أنا خارج الغنى
أمام – خلف	إنه متقدم في نوع الاحتيال

 $^{^{1}}$ جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 208

² Zoltàn Kovecses, Metaphor a practical introduction, p 42.

³ Ibid, p 43.

أعلى – أسفل نزلت معنوياتي

بالإضافة إلى استعارة خطاطة الصورة هناك نوع آخر يسميه لايكوف "استعارات الصورة" وهي تعمل مثل كل الخطاطات الاستعارية الأخرى، بواسطة خطاطة من بنية مجال أول إلى بنية مجال آخر لكن في استعارة الصورة المجالات هي صور ذهنية (mental images)، وبنية الصورة تضم كلا من جزء –كل البنية والبنية الأولية في الصور، وترتبط الصور بواسطة علاقات جزء –كل وهي مثل العلاقات بين السقف والمنزل، أو بين شاهد القبر والقبر ككل. وخاصية البنية تضم أشياء مثل: اللون، شدة الضوء والمظاهر الفيزيائية...إلخ، وفي الأحداث، تضم تصورات عن مظاهر إجمالية، وبعبارة أخرى، وجود بنية في نطاق صورنا المفهومية هي ما يسمح بإجراء خطاطة لصورة ما إلى أخرى باعتبار بنيتهما المشتركة التي تتميّز "بأحادية الانطلاق sone-shot metaphors؛ إذ ترسّم صورة واحدة فقط على صورة أخرى" على النقيض من عمل الاستعارات المتقدمة التي تربط مجموعة من المجالات التصورية الهدف، وهذا أحد الأمثلة التي توضيّح أن استعارة الصورة تتأسس على بمجموعة من المجالات التصورية الهدف، وهذا أحد الأمثلة التي توضيّح أن استعارة الصورة تتأسس على

الآن أنهار النساء

المحزومة بالأسماك الفضية

تتحرك بيطء كنساء عاشقات.

إنّ الصورة التي ترسّم هذا هي صورة النساء المتتابعات الماشيات على مهل بصورة انسياب النهر البطيء واللواتي تمنطقن بأحزمة فضية لامعة مثل سرب أسماك النهر اللامعة، وما يميّز عملية تناظر الصور في استعارة الصورة هو كون المجالات التصورية المشاركة في بنينتها صور ذهنية عرفية، الشيء الذي نلمسه من خلال ربطنا للصور الاستعارية ذهنيا حتى دون وجود ألفاظ لغوية تحيلنا على وجوب ربط الأحزمة بسرب الأسماك بسبب لمعانهما، لذلك فعملية الربط هنا تتم بين صورتين ذهنيتين بشكل كامل لا جزئي يحال عليه بعناصر لغوية.

و. مستويات عمومية الاستعارة:

يمكن أن تصنف الاستعارات التصورية حسب مستوى عموميتها التي وجدت عليه، وكما تقدّم خطاطات الصورة هي بنيات ذات تفاصيل قليلة جدا، مثلا خطاطة الحركة لديها فقط موقع انطلاق حركة في طريق إلى الأمام، وموقع نهائي، هذا الشمول المرتفع لخطاطة الحركة يظهر أكثر تفصيلا في حالة

¹ Look: George Lakoff, Mark Turner, more than cool reason a field guide to poetic metaphor The university of Chicago press, Chicago, 1989, p90.

^{.55} ص 2014 ، النظرية المعاصرة للاستعارة، تر: طارق النعمان، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، د ط، 2014 ، ص 3 Look: Ibid, p 89.

تصوّر "السفر" الذي يمكن أن نتصور فيه وجود مسافر، نقطة انطلاق، وسيلة سفر مثل السيارة أو الحافلة أو وسائل أخرى، جدول سفر، وجود صعوبات على مدى الطريق، مسار، مرشد سفر...إلخ.

يظهر من خاصية الشمول التي تتميز بها خطاطات الاستعارة أنه كلّما تم التخصيص في تصوّر شيء ما ازداد مستوى شمول الخطاطات، وتبيّن الخطاطات ذات المستوى الشامل خاصية أخرى تتمثل في إمكانية ملء تصوّر ما بمجموعة من التصوّرات الأخرى، مثال "الحركة" يمكن تزويده بطرق وتصورات أخرى: المشي، الجري، التّسلق...إلخ. ليرى كوفيتش أنه ضمن هذه الخطاطات يتحدد لدينا نوعين من المستويات: أولا خطاطات ذات مستوى شمولي (generic-level schemas) هي الخطاطة العامة التي يندرج ضمنها فئة (set) من التصورات البانية للخطاطات المخصصة (specific-level schemas) مثلما رأيناه في مثال الحركة التي تمثل الخطاطة ذات المستوى الشمولي أما المشي...إلخ فهي الخطاطات ذات المستوى الشمولي أما المشي...إلخ فهي الخطاطات ذات المستوى الشمولي أما المشي...إلخ فهي الخطاطات ذات المستوى الشمولي أما المشي...إل

وما يطرح بعد التعرف على نظرية الاستعارة التصورية وتوجّهات روّادها في عدّها آلية ذهنية عملها بناء الدّلالة وتوفير وسائل ذهنية لمحاولة تفسير عمليات بناء الأذهان للدّلالة انطلاقا من التجارب الجسدية الأولية هو: من أين يحصل الذهن البشري على الاستعارة التصورية قبل دخوله إلى عالم التجارب الجسدية والانتباه إلى عمل نظامه الحسي- الحركي، بتعبير آخر من أين يحصل ذهن الطفل الصغير على الاستعارة التصورية التي يبني بها عددا لا حصر له من الدلالات؟

في الواقع قد يبدو السؤال للوهلة الأولى بسيطا، لكن بالتأمل فيه سيظهر أننا بحاجة لمعرفة من أين تحصل أذهاننا على التصورات الأولية التي تمكننا من تشكيل خطاطة تصورية تربط بين المجال المصدر والمجال الهدف؟ هنا يطرح لايكوف جملة من الآراء المختلفة التي تمثّل أجزاء متكاملة تبني مصدر الاستعارة الأولى، وهي أربعة تصورات لمجموعة من المشتغلين بالدلالة العرفانية كما يأتي:

- نظرية الدّمج:

يرى مارك جونسون – وهو رائد هذه النظرية – أن الاستعارة التصورية وفقا لنظرية الدمج تحدث أثناء التعلّم، خاصة عند الصغار الذين لا يميزون بين التجارب الذاتية مثل العاطفة (غير الحسية الحركية) والتجارب الحسية الحركية؛ حيث تندمج لديهم في الغالب هاتين التجربتين لبناء معرفة بشي معين، مثلا: ما نعرفه من ربط الطفل للتجربة الذاتية عن العاطفة والمحبة والود بالتجربة الحسية الحركية الدفء، فالدفء هو ما يولّده الاهتمام والمراعاة تجاه شخص آخر. وفي هذه الحال يقوم الدمج ويتم بناء ترابطات بين التجربة الذاتية العاطفة والتجربة الحسية الدفء، ومع التطور الإدراكي للمتعلم يتم التمييز بين هذين التجربتين لكن الترابطات العابرة للمجالين تظل قائمة هذه الترابطات التي ستمكن الطفل في مرحلة متقدمة من بناء استعارات تصورية أخرى تربط بين تجربته الذاتية العاطفة وتجربته الحسية الدفء

¹ Zoltàn Kovecses, Metaphor a practical introduction, p 44.

في سياقات تواصلية أخرى كالاستعارة التصورية "ابتسامة دافئة" و "نظرة دافئة" و "استقبال حار "...إلخ. أ واختصارا لما افترضه جونسون حول الاستعارة التصورية وفقا لنظرية الدمج فهي تبنى بمرورها بمرحلتي الدمج التي يتم خلالها بناء ترابطات بين التجارب الذاتية والتجارب الحسية الحركية، ثم مرحلة التمايز التي يتم خلالها التمييز بين التجربتين بحيث يصبح أحدها مجالا مصدرا والآخر مجالا هدفا.

- نظرية الاستعارة الأولية عند غرادي (J. Grady) :

يرى غرادي في نظريته هذه أن كل الاستعارات المركبة والمعقدة تبنى أولا من استعارات جزيئية وذرية أولية، تنشأ بصورة طبيعية ولا واعية من التجربة الحسية الحركية والذاتية التي يتفاعل معها الذهن البشري يوميا؛ بعبارة أخرى تنشأ الاستعارات الأولية الذرية من الدمج الذي اعتبره جونسون نظرية تتكوّن من خلالها "ترابطات عبر – مجالية، وتتكون الاستعارات المعقدة بواسطة المزج التصوري التواضعي [...] عبر تلاؤم "أجزاء" استعارية صغرى وجعلها في كل أوسع، وكل بنية تنشط بصورة مشتركة استعارات أولية تشكل نَسْخًا استعاريا مركبا."²

بناء على هذه الرؤى يتضح أن نظرية غرادي تتأسس على ما تقدمة نظرية جونسون عن الدمج في مرحلة مبكرة مع بداية التعلم التي تبنى خلالها استعارات تصورية أولية ثم تمزج تصوريا أجزاء الاستعارات الأولية لتبنى استعارات أكثر تعقيدا كلما تعمق الذهن البشري في التجارب. ولتوضيح أكبر نمثل بما يأتي: ذكرنا في مثال نظرية الدمج أن الطفل يبني استعارة تصورية أولية من المجال الحسي الدفء عن المجال المجرد العاطفة، هذه الاستعارة الأولية يمكن أن يبني منها الطفل في مراحل أخرى استعارات تصورية جديدة مثل: كان بيني وبين صديقي لقاء حار، لكن مازال يسري برود كبير بيني وبين صديقي الآخر فقد تم الاحتفاظ هنا باستعارة العاطفة دفء كنتيجة لما أوصلت له التجربة الأولية عن الدفء الذي أحسه الطفل أثناء تعامل شخص ما بحنو وعطف معه لكنها وظفت لتوليد استعارات أخرى.

- النظرية العصبية للاستعارة عند نارايانان:

يبدي نارايانان وجهة نظر جديدة بشأن الاستعارة التصورية لكنها لا تستقل عن نظريتي جونسون وغرادي، فيرى أن الاستعارة ذات أساس عصبي تتولد عن طريق ترابطات الشبكات العصبية على مستوى الدماغ والتي تحدد المجالات التصورية، وتلك الترابطات هي المسؤولة عن التفعيل الاستعاري بين المجال المصدر والمجال الهدف، الذي بدوره يواصل توليد الاستعارات وفقا لاقتضاء الاستعارات توليد بعضها وهذا الاقتضاء هو ما ينتج سلسلة من الاستعارات المعقدة، ويظهر الاقتضاء في المستوى العصبي عندما تقضي متوالية عن التفعيلات العصبية، ولنسمها [أ]، إلى تفعيل عصبي إضافي، ولنسمه [ب]، إذا كان [ب] مقترنا بعنقود عصبي [ج] في الشبكة التي تخصص مجالا تصوريا آخر، فإن [ب] يمكنه

 $^{^{1}}$ جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد، ص 0

 $^{^{2}}$ المرجع نفسه، ص 90-91-94

أن يفعّل [+]. يشكل ذلك في هذه النظرية اقتضاء استعاريا: تفعيل [+] اقتضاء حرفي، و [+] مقترن استعاريا بـ [+]، بما أنه مجال تصوري آخر، ولذلك فتفعيل [+] عبارة عن اقتضاء استعاري. أ

وما يتضح من فرضية نارايانان العصبية أنها تعتمد على مخرجات نظرية الدمج ثم تتولد استعارات تصورية تستازم بعضها لوجود علاقات استدعاء بين مجموعة ما من التصورات، وقد حاول نارايانان تفسير ذلك من وجهة عصبية بيولوجية.

- نظرية المزج التصوري جيل فوكونيي ومارك تيرنر:

ترجع نظرية المزج التصوري (المزج المفهومي/ الدمج المفهومي) (conceptual blending) إلى جيل فوكونيي ومارك تيرنر في مؤلفهما (the way we think)، وترتبط بنظرية الأفضية الذهنية التي تعد من مبادئ نظرية المزج التصوري؛ لأن "الأفضية الذهنية هي علب صغيرة تصورية تبنى عندما نفكر و نتحدث عن أهداف فهم وأحداث موضعية" مما يعطيها سمة التكاثر توازيا مع تكاثر تخيلاتنا ومفاهيمنا عن حدث أو تجربة ما مع بقاء هذه الأفضية المتكاثرة مرتبطة ببعضها وهذا الارتباط هو ما يعرف بالمزج التصوري؛ إذ يتم مزج أفضية عديدة لعبارة لسانية واحدة وهذا ما ينتج عنه استعارات معقدة، ولنمثل لنظرية المزج بالمثل: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

يقوم استعمال هذا المثل على مزج مفهومي يعتمد على فضائين ذهنيين:

الأول: فضاء يتعلق بالحفر ويتضمن عناصر عديدة منها آلات الحفر والحفرة وغير ذلك.

الثانى: فضاء يتعلق بالمكر والخديعة والمخاطرة.

والفضاء المازج: هو ما يم فيه إسقاط الفضاء الأول على الفضاء الثاني لوجود مناسبة بينهما، فيناسب الحافر الشخص الماكر والحفرة تتاسب خطة المكر والوقوع فيها يناسب انقلاب ذلك المكر على صاحبه (أي حافر الحفرة)، وبذلك يحدث مزج فضائين تصوريين في فضاء عام هو انقلاب المكر على صاحبه.

وختام القول عن نظرية لايكوف المعاصرة "الاستعارة التصورية" أنها نقلة نوعية للاستعارة ولمفهوم الاستعارة ووظيفتها تجلّ ذلك في طائفة من المبادئ التي أعاد بواسطتها النظر إلى الاستعارة وهي:

- إن الاستعارة آلية ذهنية من آليات الذهن والتفكير تسمح بإدراك التجارب الحسية والمجردة وفهمها وبناء المعرفة، وترتبط بالجوانب الثقافية والاجتماعية المتواضع عليها في مجتمع معين.
- نقل الاستعارة من الزخرف البلاغي في الخطاب الخاص؛ أي من مجال استعمالها الضيق، إلى مجال أرحب حيث الاستعارة التصورية جزء من النسق الذهني وجزء من النظام اللساني التواصلي اليومي.

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 1

² Gilles Fauconnier, Mark Turner, the way we think conceptual blending and the minds hidden complexities, basic books, 2002, p40.

- تقوم الاستعارة التصورية على مبدأ أساسي هو الجسدنة، هذا المبدأ الذي يربط بناء الدلالات الذهنية والمعارف عن العالم الخارجي بالجسد والتجارب، التي تعد مدخلات عبر الجهاز الحسي الحركي ويناهض بذلك تصور المعرفة المجردة، وهو المبدأ الأكثر ورودا في أغلب أنواع الاستعارة التصورية، وعلى هذا الأساس ترجع عدد من النظريات منشأ الاستعارة الأول إلى التجارب الواقعية التي يتفاعل فيها الجسد مع الذهن، ثم يبنين من الاستعارات الأولية الناتجة استعارات جديدة وأكثر تعقيدا.

لكن رغم ما تصوّره رواد نظرية الاستعارة التصورية بأنواعها ومبادئها باعتبارها آلية هندسة الدلالة ذهنيا، إلا أن التساؤل يبقى قائما عن مدى شمولية الاستعارة التصورية كعملية ذهنية لتصميم وهندسة دلالة كل الكلام الذي تولده وتتلقاه أذهاننا، وهل حقا نحن نفهم الخطابات ودلالاتها ومعانيها بواسطة الاستعارات فقط، إذن ماذا عن الكلام والعبارات التي لا تقوم على استعارة تصورية كيف تربط وتصمم أذهاننا دلالتها؟ ولهذا نجد نظريات دلالية عرفانية أخرى تعضد ما افترضته نظرية الاستعارة التصورية ومعلى على تحقيق معيار الشمولية والربط بين الاستعارات المتولدة، وأحدها نظرية الأفضية الذهنية وما جاءت به من رؤى جديدة في فهم اشتغال الذهن لتحقيق الدلالة.

ااا. نظرية الأفضية الذهنية (Mental spaces theory):

يرجع الظهور الأول لنظرية الأفضية الذهنية (Mental Spaces theory) إلى اللساني الفرنسي جيل فوكونيي* (Gilles Fauconnier) مع صدور كتابه "الأفضية الذهنية" عام 1984 وهي نظرية دلالية تروم بلوغ تفسير علمي لديناميكية المعنى وبنينة الدلالة الذهنية وفهمها أثناء الاستعمال اللغوي من خلال اعتماد مجموعة من المبادئ أهمها الأفضية الذهنية التي يمثل الواحد منها حيزا ذهنيا يحتوي أنواعا محددة من المعلومات، وينشأ آنيا online أثناء لحظة التفكير أو الكلام، والواقع أن لحظة التفكير أو الكلام تُولِّدُ مجموعة من الأفضية الذهنية التي ترتبط فيما بينها وبهذا الترابط بين الأفضية يتولد الخطاب

^{*} جيل فوكونيي لساني فرنسي ولد عام 1944م، اختص في بداية تعليمه بدراسة العلوم الصحيحة وتخرج من مدرسة البوليتاكنيك بباريس بدرجة مهندس عام 1965، وحصل على سنة 1967 على شهادة الدّراسات المعمّقة في الرياضيات وبعدها انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتخصّص في اللسانيات وأعد فيها شهادة الدكتوراه في جامعة سان دييغو في كاليفورنيا أين تأثر بالمزاج العرفاني الجديد ونقله إلى فرنسا منتجا نظرية الأفضية الذهنية (Mental Spaces Theory) ونظرية المرج/ الدّمج التّصوري (Conceptual Blending Theory) بمشاركة مارك تيرنر، ومن أهم مؤلفاته كتاب الأفضية الذهنية مظاهر بناء المعنى في اللغات الطبيعية (Mental spaces Aspects of meaning construction عام 1984، وكتاب الطريقة التي نفكر بها: الربط التصوري والتشابكات الذهنية الخفية الماركة مارك Way we think Conceptual Blending and the Mind's hidden Comlexities) تيرنر. ينظر: منصور الميغري، ضمن كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدّلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج 1، ص 387.

(بالنسبة للمتكلم) ويفهم (بالنسبة للمخاطب)، وما يميز نظرية الأفضية الذهنية عن بقية النظريات الدلالية العرفانية محاولتها تفسير قضايا لسانية وتداولية لاسيما قضية الإحالة والافتراض المسبق أمّا مصطلح الفضاء (Space) فقد استُعمِل قبل ظهور نظرية جيل فوكونيي هذه من قبَلِ جماعة من اللسانين في مقدّمتهم رونالد لانغاكير (R. Langacker) أثناء تطويره لنظرية النحو العرفاني عام 1975م التي سُمّيت مبدئيا الفضاء النحوي* (Space Grammar) ثمّ غير تسميتها إلى النحو العرفاني Space Grammar) لما ذكره من أسباب وجيهة وفقا لتصوّره أبرزها أن تسمية إطار عمله بمصطلح الفضاء النحوي وتصنيفه كنفسير علمي (official explanation) سيفقده قيمته العلمية نظرا للتفاعل السلبي لعدد من الناس إزاء الابتذال والسذاجة الواضحين للمصطلح، وبالتالي فنظرية تسمّى الفضاء النحوي من الجلي أنها لن تُؤخّذَ على محمل الجدّ، لكن نظرية تسمى النحو العرفاني يكمن داخلها مدلولا فكريا

ويذهب جيل فوكونيي إلى أن الأفضية الذهنية "تبنى من بنى لسانية متمايزة لكنها تتامى في أي خطاب حسب الشروط التوجيهية للعبارات اللسانية، على سبيل المثال: الأفضية الذهنية التي سيتم تمثيلها على أنها فئات مبنية ومتنامية، منها فئات مع عناصر (a, b, c,...) وعلاقات تربط بينها , R₂a, على أنها فئات مبنية ومتنامية، منها فئات مع عناصر جديدة لها لتقوم بينها علاقات جديدة. "3 من مفهوم فوكونيي للفضاء الذهني يتضح أن بنيته الأساسية لسانية تتسع كلما اتسع الخطاب وتتوالد الأفضية نتيجة لذلك الاتساع الذي يتم فيه استدعاء مفاهيم وعبارات لسانية تبني هي الأخرى أفضية ذهنية، وتترابط هذه الأفضية فيما بينها بروابط (connectors) ذهنية، مثلا: أغلب الموسيقى التركية العثمانية موسيقى صوفية روحية. نلحظ في المثال ترابط عدد من الأفضية الذهنية حيث:

أ ينظر: يان هوانغ، معجم أكسفورد للتداولية، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2020، ص 415 – 416.

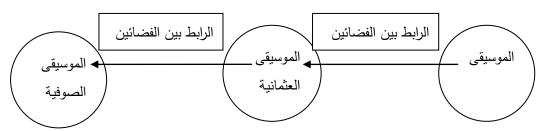
^{*} قام تصور الفضاء النحوي على مناقضة الأطروحات التقليدية في النحو، أما النحو في تصوره الجديد وبمصطلحات الفضاء النحوي، فهو مخزون مُبَنْيَنٌ من الوحدات اللسانية المتواجدة نحويا مع محتوى وحدات تشرحها، وعلاقتهما ديناميكية تفاعلية، وتُتشِئ خطاطة مشتركة من ترتيب محتوى الوحدات المثبت سابقا؛ لاستخلاص وإدراك جميع التشابهات التي تربط هذه الوحدات وتجردها بعيدا عن نقاط اختلافها. وتجدر ملاحظة أن الخطاطة هي آليات الوصف التجريدي الوحيدة المتموضعة في الفضاء النحوي، وهي الوظيفة المعادلة للقواعد وتشتمل على التعميمات لكنها محصورة جدا، وفيها يجب دائما وفقط توجيه العلاقات الخطاطية إلى محتوى البنى. للتوسّع يُرَاجَعُ:

Ronald W. Langacker, space Grammar, Analysability, and the English Passive, Language, Vol 58, No 1, 1982, p 25.

² Look: Ronald W. Langacker, Foundations of Cognitive Grammar Theoretical Prerequities Stundford University Press, Vol 1, 1987, preface, p vi.

³ Gilles Fauconnier, Mental spaces Aspects of meaning construction in natural language, Cambridge university press, 1st ed, 1994, p16.

الموسيقى عامة هي فضاء ذهني عام أول يولد لدينا تصور أنواع من الموسيقى مثل: المقامات العراقية أو سيمفونيات ديميتري شوستاكوفيتش، أو الموسيقى الشعبية للشراكسة (القافا)...إلخ، والموسيقى التركية العثمانية فضاء متولد عن الفضاء العام الذي يولد بدوره فضاء الموسيقى الصوفية الروحية وبين توالد هذه الأفضية تعمل الروابط الذهنية على الحفاظ على العلاقة بين الأفضية المتكاثرة.



المخطط رقم (07): ترابط الأفضية الذهنية عن مثال الموسيقى الصوفية.

1) نشأة نظرية الأفضية الذهنية:

لقد كان من المسلّم به في اللسانيات الشكلية أن دلالة اللغات الطبيعية من الممكن دراستها وتحليلها بما تتيحه أدوات المنطق الصّوري، لكنّ هذا التّوجه لم يحافظ على مكانته بظهور جماعة من اللسانيين وفلاسفة اللغة ينادون بقصور اللسانيات الشكلية في دراسة دلالة اللغة الطبيعية، وحاولت لذلك بعض البحوث التداولية واللسانية العرفانية تجاوز هذا القصور عبر التّنقيب عن الآليات والأدوات المعرفية التي تيسر عملية محاصرة الدّلالة وتحقيق كفاية تفسيرية لفهم دلالة الكلام؛ بناء على هذا القصور الذي استشفّه جيل فوكونيي من مراجعة أسس الدّلالة الشكلية وعلى جهة الخصوص تصوّرات نظرية دلالة شروط الصدق (truth-Conditional semantics) التي قاربت المعنى اللغوي بافتراض مبدأ التوليفية: يبني معنى الجملة من معنى كلماتها المجتمعة على الطريقة التي تتربِّب بها الكلمات بواسطة النحو. ووفقا لهذه الرؤية، إذا المعنى الدّلالي لجملة ما هو خرج (output) هذه المعالجة التوليفية، ويمكن أن تكون محدودة بما يمكن التتبؤ به من معانى مستقلة عن السياق وخصائص نحوية للكلمات المفردة. وأي معنى زائد، مثل الاستدلال الذي يمكن أن يستخرجه السامع من جملة واحدة منطوقة في سياق مخصوص، تقع خارج الاهتمامات المباشرة للنظرية الدلالية (نظرية دلالة شروط الصدق)، وتكمن في مجال التداوليات (pragmatics). من هذا المنظور، تهتم الدّلالة بمعنى الكلمات والجمل، بينما تتشغل التداوليات بما يعنيه المتكلمون عندما يستعملون كلمات وجملا في حالة لغوية معيّنة، وكيف يؤوّل السامعون هذا المعنى المقصود 1 وتجاوز نظرية دلالة شروط الصدق الأنساق والسياقات المحيطة ببنية اللغة كتجاوز السياق المقامي أو النسق الثقافي لنص ما بينما تكون لهذه الأنساق والسياقات قدرة على إفهام المعنى وتفسير بنائه هو مبرّر القصور الذي تعانيه اللسانيات الشكلية أثناء دراستها المعنى اللغوي حيث تحصره في مدى

¹ Look: V. Evans, Cognitive Linguistics a Complete guide, 2019, p 495.

انطباقه على الواقع دون الرجوع إلى ما تكشفه المقامات من معاني ودلالات يقصدها المتكلم ويؤوّلها السامع.

وكبديل عن دلالة شروط الصدق أخرج فوكونيي التحليل الدّلالي إلى نموذج موسمّع تتعاضد فيه أنساق عدّة داخلية وخارجية؛ لبلوغ تفسير لعملية بناء المعنى وتشفيره (من قبل المتكلّم) وفكّ تشفيره (من قبل السامع)، ويتجلّى هذا التعاضد بين الأنساق المتنوّعة عبر ثلاث افتراضات أساسية طرحتها نظرية الأفضية الذهنية هي كالآتي: 1

- تشفير المعاني في اللغة (اجتماع البنية الدّلالية بالوحدات اللسانية) هو تشفير جزئي وتمثيل ناقص البنية التصورية، التي تبنى على استمداد المعطيات من الحالات المتعدّدة للذهن ضمن التجربة الخارجية (exteroceptive)، بينما تمثيلات هذه التجربة التي تكوّن نسقنا التّصوري (بما فيه الأطر، المجالات، النموذج العرفاني المؤمثل، الاستعارات التصورية وغيرها) أقل غنى بالتفاصيل عن التجربة الحسية ذاتها، وبالتالي يبقى تشفير المعاني على مستوى البنية التصورية مفتقرا إلى ما تحمله التجربة الحسية والبنية التصورية، وعلى الرغم من أن البنية الدلالية "تشفر" البنية التصورية، فإنها لا تضمن سوى أن اللغة يمكنها أن توفّر الحد الأدني من الدلالات للتمثيلات الذهنية المحدودة التي قصدها المتكلم. بعبارة أخرى، يوفر تشفير اللغة معنى فقيرا ووظائف أولية كمثيرات لبناء أنماط تصورية غنية من لدن السامع.
- تفترض نظرية الأفضية الذهنية أن التصورات تنشأ من استعمال اللغة في السياق (context) ويتبع هذا الافتراض أنه ليس هناك مبدأ للتمييز بين الدّلالة والتداولية، مما يجعل هذه النظرية تفترض أن تصورات المعنى تُوجَّهُ بسياق الخطاب، الذي يشكّل جزء كاملا من عملية بناء المعنى، وحسب هذه الرؤية، بناء المعنى موضعي ومعيّن ويستلزم أن المعلومات التداولية والمعرفة السّياقية هي التي تشكّل وتوجّه عملية بناء المعنى.
- تفترض نظرية الأفضية الذهنية أن البنية التصورية تربط تقريبا العمليات التصورية المعقدة، التي تشمل الإسقاطات التصورية المتضمنة الاستعارات التصورية، المجاز التصوري، وعمليات استقراء الخطاطة، وهذه الإسقاطات التصورية وما تتضمنه تؤسس للترابطات (Mappings).

من هذه الفرضيات بدأت نظرية الأفضية الذهنية في التبلور لتبيّن أن مقاربة المعنى بعزله عن سياقه واعتماد أدوات المنطق الصوري الظاهرة في دلالة شروط الصدق غير كافية لتفسير بناء المعنى في اللغات الطبيعية، ومنه تستلزم دراسة المعنى وفق نظرية فوكونيي الربط بين الدّلالة (semantics) والتداولية وغير والتداولية (Pragmatics) عبر الإسقاطات التصورية، والاستعارات التصورية، والدّالات التداولية وغير هذه الأدوات والقضايا العرفانية.

¹ V. Evans, Cognitive Linguistics a Complete guide, pp 495- 496- 497.

وفي إطار الاعتماد على القدرات الذهنية، والبنية الدّلالية العرفانية، والتّداولية في دراسة الدلالة قامت نظرية الأفضية الذهنية على ظاهرة "الإحالة" المستمدة من نظرية الوظيفة الإحالية/ التّداولية قامت نظرية الأفضية الأفضية التي أسسها نونبرغ (Nunberg) عام 1979؛ حيث "بيّن أنه يمكن تأسيس روابط بين أشياء ذات طبيعة مختلفة سيكولوجية، ثقافية، أو أسباب تداولية موضعية، وهذه الروابط المؤسسة تسمح بالإحالة على شيء بمصطلحات التعبير عن شيء آخر مع ربط متلائم" وتظهر نظرية الأفضية الذهنية من خلال اعتمادها على ظاهرة الإحالة سعيا نحو تأسيس نظرية موسعة في فهم علاقة اللغة والتجربة في الواقع (باعتبارها أنساقا محيطة خارجية عن اللغة) والعمليات العرفانية التي تتفاعل كلّها لبناء الدّلالة.

وقد مرّ الاشتغال على نظرية الأفضية الذهنية وتطويرها بمراحل عدّة صنفها محمد عبد الودود أبغش في معيارين كبيرين معيار مضيّق ومعيار موستع:2

معيار مضيّق: يتمثّل فيما كتبه فوكونيي أو شارك في كتابته، وخصوصا كتبه الثلاثة البارزة:

الأفضية الذهنية: مظاهر من بناء المعنى في اللغات الطبيعية de la construction du sens dans les langues naturelle) الصادر عام 1984، وفيه برهنت النظرية صحتها الأمبريقية وكفاءتها الوصفية وقدرتها التفسيرية لعدد كبير من ظواهر دلالة اللغة الطبيعية بفضل تعميمها اللغوي، واتضح أن هذا الكتاب حسب لايكوف وسويتسر "يبحث في المشكلات المعروفة الأكثر صعوبة في الإحالة (reference) والاقتضاء (presupposition)، وحلها كلها بسهولة متساوية، وهي تتوافق أيضا مع كل البحث المنجز على الأنساق التصورية في حقل الدلالة العرفانية. نظرية فوكونيي أنيقة حقا، فقد أصبحت النظرية الموحدة المعتمدة لهذه المشكلات في اللسانيات العرفانية. "3 يبرز لايكوف وسويتسر أن أساس نظرية الفضية الذهنية دلالي عرفاني منطلقه دراسة عملية بناء المعنى من خلال تفسير ظاهرة الإحالة والاقتضاء من جانب لساني عرفاني.

الترابطات بين الفكر واللغة (Mapping in thought and language) الصادر عام 1997، "يكشف هذا الكتاب فكرة بسيطة: إن الترابطات بين المجالات هي قلب الملكة العرفانية البشرية الموحدة لإنتاج وتحويل، ومعالجة المعنى" وهذا الكتاب جاء ملمّا بأغلب أنواع الترابطات العرفانية التي من شأنها إنتاج المعنى، والت بيّنت نضج نظرية الأفضية الذهنية.

⁴Gilles Fauconnier, Mapping in thought and language, Cambridge University Press Cambridge, 1997, p1.

¹ Gilles Fauconnier, Mental spaces Aspects of meaning construction in natural language, p3.

 $^{^{2}}$ ينظر: محمد عبد الودود أبغش، نظرية الأفضية الذهنية مبادئها وتطبيقاتها، ص 36 – 37 – 38 .

³ George Lakoff and Eve Sweetser, foreword, in Mental spaces, p xv.

الطريقة التي نفكر بها: The way we think: Conceptual Blending and the Mind's الطريقة التي نفكر بها: (Mark Turner) وفي هذا العمل Hidden Complexities) الصّادر عام (2002) بالمشاركة مع (Conceptual) وفي هذا العمل توسّعت نظرية الأفضية الذهنية لتظهر منها نظرية أخرى سُمِّيَت نظرية المزج التصوّري integration).

المعيار الموسع: يشمل هذا المعيار أهم القضايا الكبرى التي اشتغل عليها فوكونيي، ومن تبعه وناصر نظريته في إطاري الأفضية الذهنية والمزج التصوري، وقد جمعها لايكوف وفوكونيي في خمس قضايا كما يأتى: 1

- تعميم ترابطات الأفضية الذهنية.
 - الاتساع في مجال النظرية.
- بداية المزج التصوري (conceptual blends) في نهايات 1990.
- توسّع كبير للمزج في شتّى المجالات: النحو، والصرف، والاستعارة.
 - اكتشاف الطبيعة النّسقية للتكثيف في تكامل شبكات العمل.

وسيأتي التدقيق أكثر في هذه القضايا من خلال التطرّق إلى مبادئ نظرية الأفضية الذهنية التي اتبعتها في التحليل الذهني للغة والمعنى خاصة.

2) مبادئ نظرية الأفضية الذهنية:

تشتغل نظرية الأفضية الذهنية على إيجاد تفسير للعملية العرفانية التي تتم لهندسة بناء المعنى ولبلوغ ذلك اتبعت جملة من المبادئ التي تبلورت إثر عبور نظرية الأفضية الذهنية على المراحل المذكورة آنفا، وهي:

أ. بواني الأفضية (Space Builders):

باني الفضاء هو الأدوات النحوية التي تعمل على فتح وبناء فضاء جديد أو الشفرات التي تركّز على فضاء موجود، كما أن بواني الأفضية تشتغل على ربط الأفضية، وتستمد هذه البواني من أشكال نحوية متنوعة مثل: مركبات حروف الجر (في 2015، إلى السّوق، في كلّية الآداب، من وجهة نظره ...إلخ)، الظروف الزّمنية والمكانية (اليوم، غدا، أمام، فوق ...إلخ)، ومركبات الفعل – فاعل (ظنّ محمّد أنّ عمرا ناجح])، وأدوات الشرط والجمل الشرطية (إن تستثمر وقتك تفلح). وتربط أيضا بواني الأفضية بين الفضاء الأبن والفضاء الأب الذي نتج منه الأول، وبالتالي فهي توضح علاقة التضمّن بين الفضاء الأب.

¹ Look: Gilles Fauconnier, George Lakoff, On Metaphor and Blending, Journal of Cognitive Semiotics, University of Lund, Sweden, Volume 5, Number 1-2, 2014, p394 - 396.

² Look: Gilles Fauconnier, Mapping in thought and language, 40.

ب. العناصر (Elements):

الأفضية الذهنية هي مجالات تصورية آنية تبنى أثناء تنامي الخطاب، وهذه الأفضية تتكوّن من العناصر التي تمثل بدورها كيانات تبنى أنيا أو تكون سابقة الوجود في النسق التصوّري، والعبارات اللسانية التي تمثل العناصر هي: المركبات الاسمية (NPs) وتشمل عبارات لسانية مثل: الأسماء (محمد، عائشة، عبد الرحمن)، الصّفات (الملك، لطيف، خيل عربية)، والضمائر (هو، هي، هم، نحن). وتمثلك المركبات الاسمية تأويلين: 1

الأول تأويل معرّف (definite interpretation): يتضمّن المركبات الاسمية المصحوبة بأداة التعريف «الـ/the» مثل: الخيل العربية، وأسماء الأعلام مثل: محمد. ووظيفته إعمال الصيغة الاقتضائية (presuppositional mode) لأنها تستلزم وجود معرفة سابقة؛ وهذا يعني أنّها تحيل على عناصر يُهتدى إليها سابقا: عناصر معهودة لدى المتكلم والسامع، أو سبق ذكرها في الحديث، والعناصر المدخلة بالصيغة الاقتضائية تتوالد مما يعني أنها تنتشر إلى الأفضية المحاذية، وعملية التوالد هذه يحكمها مبدأ الأفضلية (Optimization principle) الذي يسمح للعناصر بالتجمّع بخصائصها وعلاقاتها، كما يسمح لها بالانتشار عبر شبكة (Lattice) الأفضية الذهنية، ويمكّن هذا المبدأ الفضاء الذهني من إنشاء بنيات معقّدة بأقل ما يمكن من الأوامر الصريحة.

والآخر تأويل منكر (غير معرّف) (indefinite interpretation): يتضمن المركبات النكرة، والجموع العارية، وهذا النوع من التأويل يقدّم عناصر جديدة في الخطاب: عناصر غير مألوفة أو لم تذكر سابقا في الحديث.

ج. الخصائص والعلاقات (Properties and relations):

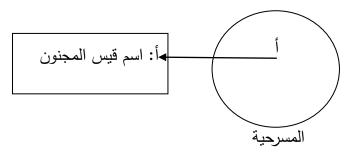
بالإضافة إلى بناء الأفضية الذهنية وإدراج أو إيجاد عناصر داخل هذه الأفضية، يعالج بناء المعنى أيضا المعلومات حول كيفية ترابط العناصر المتضمّنة داخل الأفضية الذهنية، فتبيّن بواني الأفضية الخصائص (properties) المسندة إلى العناصر، والعلاقات (relations) القائمة بينها في الفضاء الواحد. وسيوضتح المثال الآتي من مسرحية مجنون ليلى لأحمد شوقي عمل مبدأ الخصائص والعلاقات عندما يقول قائل مثلا: في هذه المسرحية، قيس مجنون.

باني الفضاء الذهني في المثال هو: في هذه المسرحية، وهو ما نعبّر عنه بالدّائرة التي نعيّن فيها أساس بناء الفضاء (المسرحية) لنبيّن أن الفضاء الذهني يعبّر عن العالم الواقعي داخل هذه المسرحية، والاسم قيس يعبّر عن عنصر ضمن هذا الفضاء التصوّري الذي سنمثّله بالحرف (أ)، والعبارة مجنون تحدد

¹ Look: Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive linguistics an introduction, p 371 – 372.

² Look: Ibid, p 372.

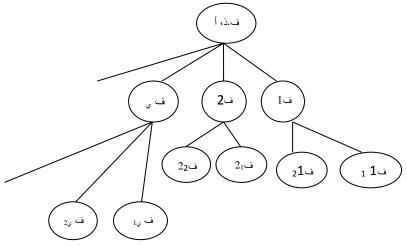
خاصية العنصر قيس، وهذا الإخبار يحدد في صندوق الحوار بعد الفضاء الذهني (المسرحية)، والتمثيل التخطيطي يكون كالآتي:



المخطط رقم (08): تمثيل الفضاء الذهني وفقا لمبدأ الخصائص والعلاقات

د. شبكات الأفضية الذهنية (Mental Spacess lattices):

عندما يبنى فضاء ذهني يرتبط بالأفضية الذهنية الأخرى المنشأة أثناء الخطاب، وفي كل مرحلة من مراحل الخطاب، يكون أحد الأفضية أساسا للنظام وقد يكون في البؤرة، والبناء في المرحلة اللاحقة ينتسب إلى الفضاء الأساس أو إلى الفضاء البؤرة؛ أو وتبنى تبعا لذلك شبكات الأفضية الذهنية من ترابط الأفضية المتكاثرة بالاسترسال في الخطاب، ويمكن تمثيل شبكة الأفضية الذهنية وفقا للرسم التخطيطي الآتى:



المخطط رقم (09): تمثيل تكاثر الأفضية الذهنية وبناء شبكتها

ه. النظائر والروابط (Counterparts and connectors):

ترتبط العناصر في مختلف الأفضية بروابط (connectors) تولّد إسقاطات بين العناصر المتناظرة (counterpart elements)، وتتعيّن العناصر المتناظرة على أساس الدّالة التداولية المتناظرة (pragmatic function)، وحين يرتبط عنصرين أو أكثر من أفضية ذهنية مختلفة بدالة تداولية فهما متناظران، وأكثر أنواع الدالة التداولية بروزا هو نوع التطابق (identity) مثال: في رواية أحدب نوتردام

² Look: Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive linguistics an introduction, p 375.

^{.48} ينظر: عبد الودود أبغش، نظرية الأفضية الذهنية مبادئها وتطبيقاتها، ص 1

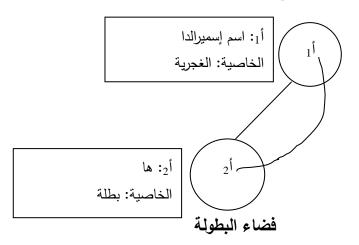
(notre dame de Paris) لفيكتور هيجو إسميرالدا هي فتاة غجرية طيّبة وجريئة، فإن جرى في خطاب أو حوار ما ذكر إسميرالدا أو غجرية نوتردام فسيفهم المتلقي مباشرة أن المقصود بطلة رواية هيجو أحدب نوتردام؛ حيث اسم إسميرالدا وغجرية نوتردام هما عنصران متناظران وعند قولنا: إسميرالدا الغجرية كانت بطلة بإنقاذها المسكين كوازيمودو.

يتحدد التناظر في المثال المذكور بين اسم إسميرالدا والغجرية، ويظهر أثر الروابط في بناء الأفضية الذهنية في ضمير الغائبة الهاء (ها) العائد على إسميرالدا والضمير في هذه الحال رابط أحال على إسميرالدا.

و. مبدأ الاهتداء (The Access Principle)

بيّنًا في المثال السابق كيف أنشئ رابط التّطابق بين الضمير العائد الهاء (ها) ومفسّره إسميرالدا وفي المخطط (4) يصل رابط التّطابق بين النظيرين العنصرين (أ1) و (أ2)، ونلاحظ أن رابط التطابق لا هدى الفهم إلى العنصر النظير الواقع في فضاء ذهني آخر، ومن الجدير التتبيه إلى أن رابط التطابق لا تدخله أي عبارة لغوية إلى التمثيل، بدلا من ذلك يمثل رابط التطابق إسقاطا وهو عملية ربط تصورية تتشأ من الاستدلال (inference).

الفضاء الأساس



المخطط رقم (10): ترابط النظائر وتحقيق مبدإ الاهتداء

ويحدد فوكونيي تطابق العناصر بكونه خاصية مشتركة في اللغة والأبنية العرفانية والروابط التصورية وهو مبدأ الاهتداء يسمى أيضا مبدأ التعيين (identification principle)، وينصّ على أن العبارة التي تسمّي أو تصف عنصرا ما في فضاء ذهني ما يمكن أن تستعمل للاهتداء إلى نظير هذا العنصر في فضاء ذهني آخر، ثم يصوغ هذا المبدأ على النحو الآتي:

¹ Look: Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive linguistics an introduction, p 375.

إذا ارتبط عنصران (أ) و (ب) برابط س (ب= س(أ))، فإنّ العنصر (ب) يمكن الاهتداء إليه بتسمية، أو وصف، أو إسقاطه على نظيره (أ). 1

ز. الأدوار والقيم (Roles and values):

يتعلّق مبدأ الأدوار والقيم بالمركبات الاسمية (noun phrases) التي رأى فوكونيي أن المنظور الكلاسيكي إليها لا يمكن أن يكون صحيحا في عمومه، فالأوصاف المحددة تملك سمات عديدة تفترض معالجتها تحت مسمى الوظائف (الأدوار)، على عكس مسمّى الإحالة الثابتة² (direct reference) بتعبير آخر الدور المتعلق بالمركب الاسمي هو إبراز الوظائف والتأويلات المحتملة، حيث ورود مركب اسمي في عبارة ما يمكن أن تكون له إحالة ثابتة على مرجع واحد، كما يمكن أن تكون له إحالات عديدة وهذا ما يوضّحه فوكونيي من خلال المثالين الذين طرحهما:

- (أ) يتغيّر الرئيس كلّ سبع سنوات.
 - (ب) سيّارتك مختلفة دائما.

نلاحظ أن الجملتين ملتبستان فكلّ واحدة منهما تحتمل عددا من الإحالات، فالجملة في المثال (أ) يمكن أن يكون معناها أن الرئيس يتم تبديله كلّ سبع سنوات ليشغل منصبه رئيس آخر، كما يمكن أن تعني أن الشخص الرئيس يطرأ عليه تغيّر كل سبع سنوات سواء في شكله كأن يصبح أصلعا، مسنًا، أو غير ذلك أو يتغيّر في طريقة تفكيره وسياسته، وكذلك العبارة في المثال (ب) يمكن الفهم منها أن مظهر السيارة يتغير في كل مرة، مثلا اللون، كما يمكن الفهم منها أن صاحب السيارة في كل مرة يغير سيارته بأن يأتي بسيارة جديدة نتيجة لتعدد السيارات عنده.

وينتج عن هذه الإحالات تعيين مبدأ القيمة في هذه الأمثلة، فيكون الدّور في المثال (أ) مرتبط بمنصب الرئيس بقطع النظر عمن يشغل ذلك المنصب، أما القيمة فهي مرتبطة بمن يشغل ويقوم بذلك الدّور؛ أي تخصّ الرئيس في حدّ ذاته.

تمثّل هذه المبادئ المعروضة الأسس الأولى التي بنى عليها فوكونيي نظريته الدلالية العرفانية الأفضية الذهنية، وقد وردت في كتابه الأول الذي تبلورت فيه نظريته الموسوم بالأفضية الذهنية عام 1984، وفي المرحلة الثانية من نظريته برزت جملة من التصوّرات حول العمليات والكيفيات التي ترتبط بها الأفضية الذهنية الناتجة عن عمليات التفكير والتواصل، لذلك وسم هذه الكيفيات بالترابطات (Mappings) واعتبرها ترابطات بين الفكر واللغة مادامت ناتجة عن أفضية متولدة عن عمليات التفكير والاستعمال اللغوي حسب السياق (على المستوى التداولي) ووظيفتها الأساسية هي الربط بين الأفضية الأفضية

¹ Look: Gilles Fauconnier, Mapping in thought and language, Cambridge university press Cambridge,1st ed, 1997, p 41.

² Gilles Fauconnier, Mental spaces, P 39.

³ Ibid, p39.

الذهنية والمجالات، وحدد هذه الترابطات في كتابه الحامل لعنوان Mapping in thought and الذهنية والمجالات، وحدد هذه الترابطات في كتابه الحامل لعنوان language)

ح. ترابطات الإسقاط (Projection mappings):

تعمل ترابطات الإسقاط على إسقاط جزء من بنية مجال على مجال آخر، وقد جاء بحالة الترابطات الاستعارية ردي (Reddy) عام 1979، ولايكوف وجونسون (Reddy) عام 1980–1991، ولايكوف وتورنر عام 1989، وآخرون كثر، والفكرة العامة ومارك تورنر (Turner) عام 1986–1991، ولايكوف وتورنر عام 1989، وآخرون كثر، والفكرة العامة والعميقة لحدوث ترابطات الإسقاط تأتي كالتالي: كي نتكلم أو نفكّر في أحد المجالات (المجالات الهدف) نستعمل بنية مجالات أخرى (المجالات المصدر) والألفاظ التي تتطابق معها. وبعض هذه الترابطات (ترابطات الإسقاط) تستعمل من قبل كل أفراد الثقافة، على سبيل المثال: "الزمان فضاء"، نستعمل بنية من تصوّرنا اليومي للفضاء، في مثل قولنا: الأسابيع تمضي الأيام تركض، الصيّف في الزاوية، وبهذا الاستعمال المشترك بين أفراد الثقافة واستنباطه من الاستعمال النعوي اليومي تصبح هذه الإسقاطات متجذّرة في المعجم والثقافة. أ

وأشار تيرنر (1991) أن الإسقاط يحدد بنية المقوّلة للغة والثقافة تحديدا فعليا، ومن الملاحظ أنه بالرغم من كون الألفاظ غالبا تجعل الإسقاطات شفافة، إلا أننا لا ندرك بصورة نموذجية هذه الترابطات أثناء الاستعمال، ففي حالات مشابهة، الإسقاط بالرغم من نشاطه العرفاني إلا أنه مبهم (opaque): ذلك أن إسقاط مجال ما على مجال آخر يتم بشكل آلي وعفوي إلى حدّ ما، وترابطات إسقاط مجال ما يمكن أن تنشأ محليًا في السياق، وفي مثل هذه الحال تكون الإسقاطات مدركة لا بانتمائها إلى اللغة بل باعتبارها إبداعية وجزءًا من الاستدلال المتنامي وبنية الخطاب. 2 إن المقصد مما أشار إليه تيرنر في نشوء ترابطات الإسقاط هو الغموض الذي يكتنف تفسير عملية الإسقاط عندما تتجاوز قدرة الألفاظ على تفسيرها وتبسيطها، ويرد هذا الغموض إلى الاتساع في الخطاب الذي ينبع من ثقافة يمكن أن تستعمل تصورات ومفاهيم مستجدة ومبتدعة لم يعتد المتخاطبان استعمالها، وهذا ما يجعل من الإسقاط عملية عفوية آلية تتميّز في بعض الحالات بالغموض.

ط. ترابطات الدّالة التّداولية (The pragmatic function mapping):

درس نونبيرغ عام 1978 الدّالة التداولية ثم استثمرها فوكونيي في نظريته (الأفضية الذهنية) ورأى أن الدالة التداولية تربط مجالين متلائمين يمكن أن ينشآ موضعيًّا ويتناسبان نموذجيا مع مقولتين من الأشياء المسقطة على بعضها، وبالتالي فالإسقاط يكون بواسطة دالة تداولية. مثلا يُرْبَطُ المؤلفون بالكتب التي ألفوها، ويُربط مرضى المستشفى بالأمراض التي يتعالجون منها. وهذا النوع من الإسقاط يلعب دورا

¹ Look: Gilles Fauconnier, Mapping in thought and language, p 9.

² Ibid, p 9.

مهمّا في بناء معرفتنا الأساسية ويوفّر معاني للعناصر المحدِّدة لمجال ما عبر نظائرها في مجال آخر. وترابطات الدالة التداولية مثل ترابطات الإسقاط، غالبا تكون مسؤولة عن التغيرات الدلالية، وتربط بين الكناية والمجاز العقلي، وفي الاستعمال اللغوي تسمح ترابطات الدالة التداولية بتحديد كيان ما بواسطة نظيره في الترابط، فعندما تقول الممرضة مثلا: القرحة المعدية الموجودة في الغرفة 12 تريد بعض القهوة. 1

تربط الممرضة في المثال بين المريض ومرضه، وتحدد المريض بالمرض المصاب به (القرحة المعدية) وهذا الربط لا يتم إلا بدالة تداولية ممثلة في نوع مرض الشخص الذي يحيل على المريض ذاته.

ي. ترابطات الخطاطة (Schema mappings):

يتمثّل النوع الثالث من أنواع الترابطات التي افترضها فوكونيي في الترابطات الخطاطة السياق (mappings التي تشتغل عندما تستعمل خطاطة عامة، أو إطارا، أو نموذجا لبناء موقع في السياق ففي إطار اشتغال النحو العرفاني (cognitive grammar) للانغاكير (لانغاكير (1987، 1981) البنى النحوية والوحدات المعجمية تستدعي خطاطات المعنى. ويمكن أن نلاحظ تبلؤر مثل هذه الخطاطات بالنتابع المرحلي في البناء النحوي باعتباره فئة من التوافقات بين الخطاطات المجرّدة. عبارة أخرى، تتتج ترابطات الخطاطة عن تجارب سابقة مدركة لدى الشخص تترك هذه الأخيرة خطاطة عامة ما أو إطارا (وهو ما سمي تجريد الخطاطة) يمكن أن ينطبق على كثير من النماذج، وبالتالي يظل في حاجة إلى الملء بالعناصر النحوية والوحدات المعجمية التي تحقق المعنى.

3) من الأفضية الذهنية إلى المزج التصوري (conceptual blending):

وتسمى أيضا الإدماج/ الدّمج التصوري (conceptual integration)، وهي المرحلة الكبرى الأخيرة التي بلغتها تصورات جيل فوكونيي ومارك تيرنر، والتي ترى أن المزج التصوري عملية عرفانية تتألف من دمج بنى جزئية من مجالين منفصلين في بنية واحدة مع انبثاق خصائص جديدة في المجال الثالث؛ أي المجال الناتج عن المزج، وقد نشأت هذه النظرية من إطارين قديمين في الدلالة العرفانية هما: نظرية الاستعارة التصورية ونظرية الأفضية الذهنية، وتنص نظرية المزج التصوري أن بناء المعنى يشمل مزج البنية التي تحكم تقدم جميع الأجزاء، والآلية التي تبسط ذلك تسمّى الدمج/ المزج التصوري وترنو إلى أن تكون عملية عرفانية أساسية وشاملة ومركزية في الطريقة التي نفكّر بها.4

وبمصطلحات هندسة نظرية المزج التصوري ومصطلحات مركز اهتمامها يتبيّن أنها ذات علاقة قريبة بنظرية الأفضية الذهنية؛ لأن جزءا كبيرا من هندستها يعتمد على استعمال الأفضية الذهنية وبنائها.

³ Look: Ibid, p 22.

¹ Look: Gilles Fauconnier, Mapping in thought and language, p 11.

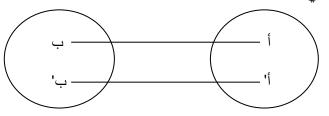
² Look: Ibid, p 11.

⁴ Look: Vyvyan Evans, A Glossary of Cognitive Linguistics, p12.

مع ذلك فإن نظرية المزج التصوري منفصلة وضعت لتبيّن ظواهر لم تستطع كل من نظرية الأفضية الذهنية والاستعارة التصورية تبيينها على نحو كافٍ، بينما أضافت نظرية المزج التصوري تدقيقا دلاليا نظريا تفرّدت به وحدها، وهو الاهتمام بدور اللغة في بناء المعنى، خاصة، المظاهر الإبداعية في بناء المعنى مثل: الاستعارات غير المألوفة وغير ذلك، وقد أثبتت هذه النظرية جدارتها في كونها مركزية في التفكير البشري والتخييل ولا ينحصر هذا في اللغة فقط بل في كثير من مجالات الأنشطة البشرية الأخرى. أمثل الإنتاج والإبداع الأدبي الذي اهتم به تيرنر خاصة، ويوضتح كل من فوكونيي وتيرنر هذه الإبداعية من خلال مبادئ المزج الذي يعد عملية عرفانية ولادة؛ لأنها تنتج فضاء جديدا بخصائص جديدة مبتدعة ولو كانت تحمل بعض خصائص الفضائين الممزوجين، وقد استبط فوكونيي بعض المبادئ التي يجب أن تلتزم بها عملية المزج خاصة أثناء المزج، وهي: 2

أ. خطاطة الأفضية المتقاطعة (Cross-space mapping):

يقول هذا المبدأ بوجود ترابط جزئي للنظائر بين الأفضية المدخلة، الفضاء (ف $_1$) والفضاء (ف $_2$) كما يوضّحه الشكل الآتى:



فء المدخل

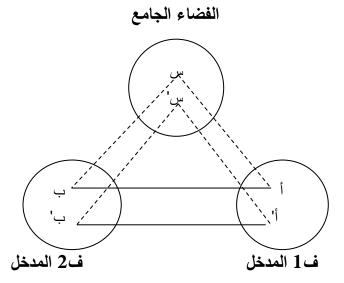
المدخل

ب. الفضاء الجامع (Generic space):

ينص هذا المبدأ على وجود فضاء جامع يربط بين الأفضية المدخلة، وهذا الفضاء الجامع يعكس بعض البنية المجردة والمنتظمة المشتركة بين المدخلات، ويحدّد الترابط الجوهري بين الأفضية الذهنية كما يوضّحه المخطط الآتي:

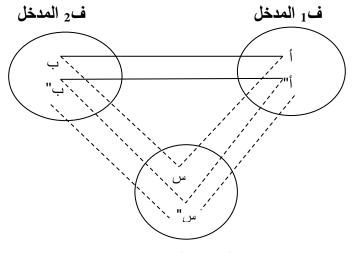
¹ Look: Vyvyan Evans, A Glossary of Cognitive Linguistics, p 12 – 13.

² Look: Gilles Fauconnier, Mapping in thought and language, p 149 - 151.



ج. المزج (Blend):

تسقط الأفضية المدخلة (ف $_1$) و (ف $_2$) على فضاء رابع كما في المخطط:



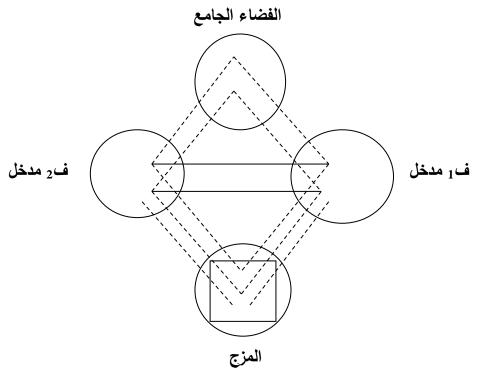
الفضاء المزيج

:(Emergent structure): البنية الناتجة

للمزج بنية منبثقة وليست بالضرورة ناتجة عن الأفضية المدخلة، بل تنتج عن ثلاث طرق متعالقة:

- التركيب (composition): يجمع معا الإسقاطات من الأفضية المدخلة وتتتج علاقات جديدة متاحة لم تكن موجودة من قبل في الأفضية المدخلة منفصلة.
- التكميل (completion): تسمح معرفة خلفية الأطر، والنماذج العرفانية والثقافية بإسقاط البنية المركبة في المزج من المدخلات، لتصبح جزء من بنية أوسع مكتفية ذاتيا موجودة في المزيج، فتكمّل الخطاطة التي أثارتها البنيات الموروثة في البنية المنبثقة الأوسع.
- البَلْوَرَةُ (Elaboration): ويمكن حينها أن تبلور البنية في المزيج، وهذا ما به يحدث المزج، فهو يتكون من عمل عرفاني ينسجم مع منطقه الخاص المنبثق.

ويمكن أن نجمل مبادئ المزج التصوّري في المخطط الآتي:



يلاحظ أن مبادئ المزج تعمل في تكامل وتعاون بحيث تنطلق من الربط بين العناصر المتناظرة في فضائين دخلين - أو أكثر - ثم يلي هذه العملية توليد فضاء جديد جامع لناتج تلك العناصر المسقطة ليحدث بعدها إسقاط الفضاء الجامع على فضاء المزج الذي تتبثق عنه دلالة جديدة مستقلة عن دلالة الأفضية المدخلة

وبالمجمل تعمل نظرية الأفضية الذهنية على تفسير هندسة المعنى ذهنيا بالاعتماد على الأفضية التي يمكنها أن تتوسّع وتتكاثر وتبني دلالة كلّ العبارات اللسانية المدخلة وتبدع دلالاتها حتّى، ويمكن القول إن نظرية الأفضية الذهنية بمبادئها وتفرّعاتها نظرية تتميّز بالشمول في دراسة المعنى بجمعها بين المعاني التي تفيدها الألفاظ والجمل داخل سياق استعمالها، وعليه تجمع هذه النظرية بين الدّلالة والتداولية وتسمح بتقسير بناء المعاني الموسّعة للجمل والخطاب.

IV. المقاربات العرفانية للنحو (Cognitive approaches to Grammar):

تمثّل المقاربات العرفانية للنحو الشّق الثاني من تفرّعات اللسانيات العرفانية التي تركّز اهتمامها على النحو من منظور عرفاني ذهني، وتهدف إلى الخروج بالنحو من كونه قواعد وقوالب ضابطة للغة إلى كونه عملية ذهنية عرفانية يمكن تفسير خصائصها، وفهم سيروراتها الذهنية لتوليد التراكيب النّحوية أثناء التواصل اللغوي والتّفكير، فقد انصبّت العناية في النحو العرفاني على القدرات الذهنية غير المقتصرة على اللغة وحدها، مثل القدرة على التّبئير وعلى تحويل الانتباه، والقدرة على متابعة شيء متنقّل، والقدرة على تكوين الصّور ومعالجتها، والمقارنة بين تجربتين، والقدرة على إقامة التّناسبات وتوليف العناصر

البسيطة لتكوين أبنية مركبة وهلم جرًا. وهذه القدرات الذهنية تتزاح بالتصوّر النحوي إلى عدّه نظرية طبيعية تتميّز بالشمول التصوّري والاقتصاد النظري اللذين يُعتبران خاصيتين مطلوبتين في سائر العلوم. وهو نظرية طبيعية بحكم مقبوليته النّفسية، وبحكم الموقع المركزّي الذّي يوليه للمعنى فيه إضافة إلى انتظامه الشامل الذي يعكس مباشرة الوظيفة الرّمزية الأساسية في اللغة وهي إمكانية ترميز المعاني صوتيّا؛ إذ الرمز في النحو العرفاني اقتران زوجي بين بنية دلالية وبنية صوتيّة بوجه يكون الواحد منهما قادرا على أن يستحضر الآخر، والتي تتحقّق بثلاثة أنواع من الأبنية اللغوية: الدّلالية، والصوتية، والرّمزية وإلا عراب يكوّنون استرسالا يقبل الاختزال التّام في مجموعات الأبنية الرّمزية. ويوضح تصوّر لانغاكير للنحو العرفاني اهتمامه بالدلالة والمعنى، الذي يمثّل أساس المقاربات العرفانية للنحو الرّافضة لأطروحة مركزية التركيب التشومسكية في النموذج التركيبي التوليدي، والمنادية بضرورة تفاعل البنية الصوتية والدلالية والتركيبية في تحقيق الوظيفة الرمزية أثناء التوليدي، والمنادية بضرورة تفاعل البنية الصوتية والدلالية والتركيبية في تحقيق الوظيفة الرمزية أثناء التوليد اللغوي العرفاني.

بناء على رفض أطروحة مركزية التركيب اعتمدت المقاربات العرفانية للنحو على أساسين الأول: مركزية المعنى من الجانب الدلالي والتداولي في تمثيل النحو؛ حيث تدمج المعنى في كلِّ من وصف وتفسير الظاهرة اللّغوية ولا يكفي حسب المقاربات العرفانية للنحو أن تدرس قضية نحوية ما دون النظر إلى جانبها الوظيفي الدّلالي، وكذلك يمكن لمعنى جزء من اللغة أن يفسر الخصائص الشكلية لهذه القضية النحوية، والأساس الآخر هو شمولية النحو (the scope of grammar)، وترى المقاربات العرفانية للنحو أنّ المعرفة اللسانية مجملة هي مادة النحو، وهذا على غرار النظريات التوليدية التي تقول بمركزية التركيب وإمكانية دراسته بمعزل عن المعنى أو الوظيفة.²

والانشغال بالعمليات العرفانية التفسيرية الجامعة للتركيب، والدلالة، والصوت المولدة للغة هو مركز سائر المقاربات العرفانية للنحو فضلا عن المقاربات العرفانية للنحو للإشارة إلى أن الدراسة العرفانية للنحو للإشارة إلى أن الدراسة العرفانية للنحو للإشارة إلى أن الدراسة العرفانية للنحو لم تتحصر في نظرية لانغاكير (النّحو العرفاني (Cogntive grammar) فحسب، بل هناك مقاربات أخرى نتجت عن اختلاف وجهات نظر اللسانيين العرفانيين إلى النحو باعتباره عملية ذهنية، كما نجد ذلك أيضا في عمل ليونارد تالمي (Leonard Talmy) في تطويره لمنوال النظام التّصوّري المبنين فرضيات وتصوّرات مشتركة تمثلت في: أطروحات الأنحاء الرّمزية (Symbolic grammars thesis).

¹ ينظر: رونالد لانقاكر، مدخل في النحو العرفتي، تر: الأزهر الزناد، مراجعة: الحبيب عبد السلام، منشورات دار سيناترا معهد تونس للترجمة، تونس، ط 1، 2018، ص 20- 24- 34.

² Look: Vyvyan Evans, Benjamin K Bergen, Jorg Zinken, the cognitive linguistics reader Equinox publishing Ltd, London, 1st ed, 2007, p 441.

والأطروحات المعتمدة على الاستعمال اللغوي (usage-based thesis) وهندسة النموذج العرفاني النحوي (The architecture of cognitive model).

1) أطروحات الأنحاء الرمزية (Symbolic grammars thesis):

تذهب هذه الأطروحات إلى أن الوحدة النحوية الجوهرية تتكوّن من بنية مزدوجة هي الشكل-المعنى أو وحدة رمزية (تسمى "التركيب الرمزي" في إطار النحو العرفاني للانغاكير أو بنية في مقاربات النحو المُبنين. وفي مصطلح لانغاكير، الوحدة الرمزية لها قطبان: قطب دلالي (المعنى) وقطب فونولوجي (الصوت). والفكرة الأساس هنا أن اللغة لها وظيفة رمزية جوهرية بحيث تمثل الوحدة النحوية الجوهرية وحدة رمزية بالجمع بين القطب الدلالي والقطب الصوتي، وهذا الطرح له جذور في نظرية سوسير اللغوية، التي تتأسس على العبارة اللسانية (الدال) والمفهوم (المدلول)، وما يميّز النموذج العرفاني أنه يتبنّى تصور دو سوسير بصيغة رمزية حول كون المدلول هو القطب الدلالي، والدال هو القطب الصوتي وكلاهما يمثّل وحدات سيكولوجية (نفسية) في الحدس اللغوي نتلاءم مع النحو الذهني وmental (mental المعرفة اللسانية) في ذهن المتكلم، والذي يصفه لاتغاكير بالمخزون المُبنين للوحدات الوحدات اللوحدات المودات المورية أن نتشاً من (وحدة مكتوبة + وحدة دلالية)، وهنا يلاحظ أن دراسة وحدة نحوية يتطلّب دراسة بيئة التواصل حيث يمكن للوحدة الرمزية أن تنشأ من (وحدة مكتوبة + وحدة دلالية)، وهنا يلاحظ أن دراسة وحدة نحوية يتطلّب دراسة بيئة التواصل حيث يمكن المودة المرمزية التي لا يمكن تحليلها دون اللجوء إلى جانبها الدّلالي.

2) الأطروحات المعتمدة على الاستعمال النحوي (usage-based thesis):

يقول هذا الصنف من الأطروحات إن النحو الذهني للمتكلم (معرفته اللغوية) تنشأ بواسطة تجريد (abstraction) الوحدات الرّمزية من التمثيلات الموجودة في الاستعمال اللغوي، وما يميّز هذه الأطروحات أنه لا يوجد مبدأ التمييز فيها بين المعرفة اللغوية والاستعمال اللغوي (الكفاية والأداء بالمصطلح اللساني التوليدي) حيث تبزغ المعرفة اللغوية من الاستعمال، ومن هذا المنطلق فإنّ المعرفة اللغوية هي معرفة كيف تستعمل اللغة. 2 بعبارة أخرى ينشأ النحو في الذهن انطلاقا من تجريد الوحدات اللغوية المستعملة في التواصل لبناء النحو الذهني الذي يمثّل بدوره المعرفة اللغوية التي تبزغ من الاستعمال اللغوي.

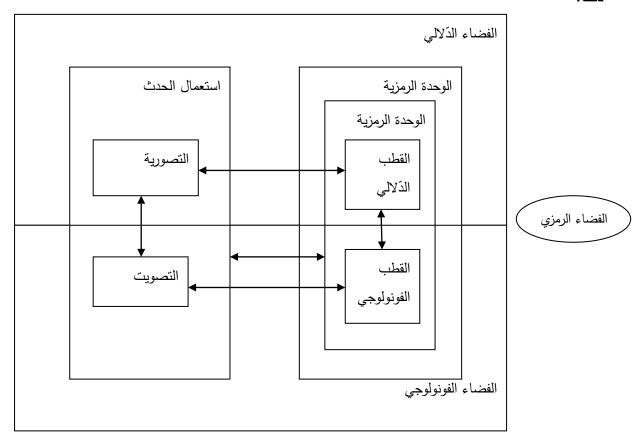
3) هندسة النموذج العرفاني النحوي (The architecture of cognitive model):

أساس هندسة النموذج العرفاني النحوي ممثّل في المخطط اللاحق الذي يبرز فكرة أن نشر وحدة رمزية في استعمال أي حدث معطى يتضمن كلا من الفضاء الدلالي (semantics pace) (المعنى) والفضاء

¹ Look: Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive linguistics an introduction, p 476.

² Look: Ibid, p 478.

الفونولوجي (phonological space) (الشكل)، وفي هذا المخطط إطار النحو يمثّل المعرفة اللغوية الاصطلاحية في ذهن المتكلم، وإطار الاستعمال اللغوي يمثل حدث الاستعمال أو التعبير. بالمصطلح المعتمد على الحدس، حدث الاستعمال يتألف من أصوات الخطاب وتأويلاتها المناسبة، ومن ثمّ يتميّز الإطارين بميزة "التصوّرية" و "الشفوية"، تمثل الأسهم الأفقية روابط مشفرة/ تلاؤمات بين وحدات المعرفة اللغوية الاصطلاحية في ذهن المتكلم والأنظمة الصوتية أو التصورية التي تتفاعل معا في عبارات مقامات استعمال اللغة وبعبارة أخرى يمكن أن نجمل مبدأ هندسة النموذج العرفاني النحوي في تلك العمليات الذهنية المنتظمة التي تربط الفضاء الدلالي بالفضاء الصوتي في مقامات الاستعمال اللغوي حيث يتم هذا الربط بين الفطب الذلالي بالفضاء الذي يمثل بنية تصورية بالقطب الفونولوجي الذي يمثل الأصوات التي يتلقاها المستمع وبهذه العملية يتم تداول الوحدات الرمزية ذات المكون الدلالي والمكون الصّوتي، والمخطط الآتي لرونالد لانغاكير يوضّح ذاكون:



المخطط رقم (11): نموذج النحو العرفاني2

¹ Look: Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive linguistics an introduction, p 479.

² Look: Ronald Langacker, foundation of cognitive grammar, theoritical prerequisites, vol 1 p77.

بعد تحديد الأطروحات الأساسية المشتركة بين المقاربات العرفانية للنحو سيتم الاشتغال هنا على تفصيل منظور كل نظرية عرفانية للنحو على حدة، ثم نرصد مختلف السمات التي تميّزت بها كل نظرية عن الأخرى.

أ. منوال النظام التصوري المبنين (Conceptual structring System Model):

ينصب اهتمام منوال النظام التصوري المبنين المصنف ضمن أطروحة الأنحاء الرمزية والذي افترضه ليونارد طالمي عام 2000 على الاسترسال (continuum) في العناصر المعجمية والنحوية باعتبارهما ملازمين للدلالة ومنشأ المعرفة اللسانية عامة، حيث يوفر استرسال الأنساق النحوية والأنساق المعجمية المساعدة أصنافا مختلفة من المعنى: المعنى الثرّي (rich meaning) وهذا الأخير الذي يحدده سياق تواصلي معيّن ينشأ من النسق النحوي المعنى الشريّ من النسق المعجمي المساعد؛ فالمعجم يحتوي المعاني المتعددة المساعد، بينما ينشأ محتوى المعنى الثريّ من النسق المعجمي المساعد؛ فالمعجم يحتوي المعاني المتعددة والموسوعية التي يختار منها النسق النحوي المساعد ما يتلاءم مع سياق التواصل، وعليه حسب النصور العرفاني، ليس هناك حاجة لوضع قواعد نحوية؛ لأنّ المعنى الخطاطي يشفّر بعناصر النسق النحوي المساعد الذي يستلزم تقييد كيفية اتحاد الوحدات النحوية مع البني المركّبة. وعليه "يمثل المعنى الخطاطي الناتج عن المقولات النحوية هيكلا ينضّد المعنى الترّيّ، لا من حيث طبيعته الشمولية، بل من خلال ما تنضوي عليه هذه الأبنية والقيود من مفاهيم تتعلّق بظواهر عرفانية إدراكيّة من قبيل القدرة الانتباهية والمنظوريّة، أو بما تعلّق بهذه الظواهر من مجالات ما قبل تصوريّة مرتبطة بالجسد وتجريته" ومن أهم هذه المجالات (Domains) التي اعتى بها ليونارد طالمي في منواله العرفاني واعتبرها مجالات أساسية مجالى الفضاء والزمن.

أ)1. بناء الفضاء (space) والزمن (time):

يعتمد ليونارد طالمي في تفسير بناء مقولتي الفضاء والزمن على مقولة الكمية (quantity) الموجودة في الفضاء على شكل مادّة (Matter) ذات خاصية مسترسلة (continuous) أو منفصلة (discrete) وتظهر في صورة كتلة (Mass) أو أشياء (Objects)، وتوجد مقولة الكمّية في الزمن عموما، كحركة في شكل مسترسل أو منفصل وعلى هيئة نشاط (Activity) وأفعال (Acts) سواء كانت هذه الحركة عملا معيّنا أو نشاطا متغيّرا. 2 مثل ما يبين الجدول أدناه:

² Look: Leonard Talmy, Toward a Cognitive Semantics Concept Structuring Systems, Vol 1 The MIT Press, Cambridge, Massachusetts, 2000, P 42.

الحبيب المقدّميني، التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية، ضمن كتاب دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2019 ص 110.

المنفصل	المسترسل	المجال
شيع: كتاب، سيارة	كتلة mass: الطّعام، الحيوان،	الفضاء المادة
	النبات	
عمل معیّن act: زفر،	نشاط activity: قرأ، لعب،	الزّمان الحركة
سعل	صلّی	

ويرى ليونارد طالمي أن هذين المجالين ينعكسان في مستوى الفهم بالطّريقة نفسها التي تعكس بها الأنظمة النحّويّة الأفكار والتّمثيلات العرفانيّة؛ فالأفعال والمركّبات الفعليّة تمثّل معروضًا لمقولات من مجال الفضاء مجال الزّمان نشاط/ عمل؛ أمّا الأسماء والمركّبات الاسميّة فتمثّل معروضًا لمقولات من مجال الفضاء كتل/ أشياء، لكن هذه المسائل غير ثابتة، وتخضع لما يصطلح عليه طالمي بالتّناوب المفهومي كتل/ أشياء، لكن هذه المسائل غير ثابتة، وتخضع لما يصطلح الله مفاهيم فعلية أو العكس وبالتالى تنتقل وتتناوب هذه المركبات بين مجال الفضاء ومجال الزمن، مثلا:

أهدى السلطان نظيره هديّة [نشاط، مسترسل]

تلقّى السلطان من نظيره هديّة [كتلة، مسترسل].

أ)2. التناوب المفهومي (conceptual alternativity):

يفصل طالمي أكثر في النتاوب المفهومي عبر ضبط الأنظمة الخطاطية المسؤولة عن هذا النتضيد، وهي كالتالي: نظام تشكل البنية (configurational structure system)، والنظام المنظوري (system prespectival)، والنظام الانتباهي (dynamic system-force).

أ) 1 – 2 - نظام تشكّل البنية (configurational structure system):

هذا النظام يفسر البنية الخطاطية أو التخطيط الهندسي في الفضاء أو الزمن أو مجالات نوعية أخرى لصنف الأشكال المغلقة الممكن تصنيفها. هذه الأخيرة (صنف الأشكال المغلقة) يمكن أن تعزو بعض البني إلى مشهد مرجعي معين، وتجزّأ المشهد إلى كينونات وموجودات في علاقات خاصّة أو تعزل هذه الكينونات نفسها عن بعضها، أو إلى الكيفيات الموصوفة بمثل هذه الكينونات عندما تتغير علاقاتها الداخلية بواسطة الزمن، ويتضمن نظام تشكّل البنية بدوره أربعة أنظمة صغرى (كينونات) تتمثّل في نظام وضعيّة الكميّة، ودرجة الاتساع، ونمط التوزيع، والمحوريّة.

² Look: Leonard Talmy, Toward a Cognitive Semantics Concept Structuring Systems, Vol 1 p 47.

¹ Look: Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive linguistics an introduction, p 516.

- نظام وضعية الكمية:

يقوم هذا النظام على ثلاثة حالات صغرى أوّلها حالة التعدد؛ وهي حالة تنطبق على الأفعال (مجال الزمن) مثلما تنطبق على الأسماء (مجال الفضاء)، وتنتج كذلك المتعدد والمفرد من الأسماء والأفعال أمثلا:

الأسماء: أرض [كتلة، مفرد]، أرضين [كتلة، متعدد]، رجل [معدود، مفرد]، رجال [معدود، متعدد] الأفعال: ضحك هو فعل ماض انقضى وانتهى فهو [غير متكرر، مفرد]، يضحك فعل مضارع مستمر غير منقض فهو [متكرر، متعدد].

أما حالة التحديد فتركز دراستها على المحدد وغير المحدد من الأسماء والأفعال، وفي ضوء هذا الاعتبار تنقسم الوحدات المعجمية على وحدات محدّدة وأخرى غير محدّدة، مع ذلك فإنه يمكن تحويل الوحدات المحددة إلى وحدات غير محدّدة والعكس. وأثناء عملية التحويل هذه تنقدح عملية/ حالة التحديدة التي يمكن أن تبدو من مفهوم الوحدات المعجمية ذاتها مثل: الأسماء المقترنة بمجال الفضاء المحدودة من قبيل (طفل، طاولة، كتاب)، والسماء غير المحددة الكتلة من قبيل (هواء، ماء)، ومن الأفعال المقترنة بمجال الزمان المحددة المنقضية من قبيل (ضحك، قرأ، جلس)، وغير المحددة وغير المنقضية (يجلس، يحكي). كما يمكن أن تنقدح حالة التحديد من اقتطاع جزء محدد من وحدة معجمية ذات سمة غير محددة باستعمال أدوات نحوية من قبيل (بعض، وكلّ) مع الأسماء، مثل: استشقت بعض هواء الصباح المنعش.

ترتبط المقولة الثالثة بحالة القسمة التي ترتبط بالتقطيع الدّاخلي (continuum) في تقطيع الكمية ويكون للكميّة وتتضمّن مقولتي الاسترسال (continuum) والتقاصل متعلّق بالحدود والمقاطع التي تسم الكمية، والاسترسال عكس ذلك فهو متعلق بترابط أجزاء الكمية ببعضها، ومن أمثلة الوحدات المعجمية الاسمية المسترسلة الماء، الهواء، الغابة وغيرها، ومن الأحداث المسترسلة نام، مشى، سعى وغيرها، ومن أمثلة الوحدات المعجمية الاسمية المتفاصلة الرّمل الأثاث. ومن الأفعال المتفاصلة تنقس، وقف وغيرها.

- نظام درجة الاتساع (degree of extension):

يشتغل هذا النظام على تمثيل كيفيّة تصوّرنا للزمن أو الفضاء من خلال حالة الامتداد (linear) وهو يتقاطع مع مقولة التّحديد، وعليه نجد في تمثيلاته الخطاطية لمعنى العبارات أنها قد تكون

 $^{^{1}}$ ينظر: الحبيب المقدّميني، التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: عثمان زاهية، الاسترسال النحوي الدلالي في اللسانيات العرفانية "ليونارد طالمي أنموذجا"، مجلة الكلم، مج 2 ع 2 2022، ص 2 243.

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 3

نقطة (point)، وقد تتسع هذه العبارات المحيلة على الكتلة أو الحركة فتكون ذات اتساع غير محدّد (unbounded extent) في تمثيلها الخطاطي، أو يمكن أن تَتَّحِدَ خصائصها فتصبح ذات اتساع محدد (bounded extent) ومن أمثلة ذلك:

مجال الفضاء (الأسماء):

- مدينة سمرقند. (نقطة)
- القارّة الآسيوية. (اتساع محدّد)
- الكون/المجرّة. (اتّساع غير محدّد)

مجال الزّمان (الأفعال):

- تشرق الشمس الساعة السّابعة. (نقطة)
- تشرق الشّمس بين السابعة والثامنة. (اتساع محدد)
 - تشرق الشّمس كلّ يوم. (اتساع غير محدّد).

- نمط التوزيع (Pattern of Distribution):

نمط التوزيع هو مقولة من المفاهيم التي تشتغل على استكشاف توزّع المادة في الفضاء، والحركة في الزمن، ومن الأمثلة على نمط توزيع المادة في الفضاء (الأسماء)، والحركة في الزمن (الأفعال) ما يأتي: 2

- ما يقع مرّة ولا يتكرّر [توفّي، قتل /القتل]
- ما يقع مرّة ويتكرّر [ومض، الومض (للبرق مثلا)]
- ما يكون دورًا (cycle) [سعى، السّعي (بين الصفا والمروة)]
 - ما يكون حالة ثابتة [نام، النّوم]
 - ما يكون متعدّدًا [تتفّس، التّنفّس]

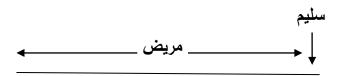
- المحورية (Axiality):

يرتبط نظام المحورية بكيفية بناء كمية مجال الفضاء (الأسماء) أو مجال الزمان (الأفعال) عبر محور موجّه، مثلا: الوحدات المعجمية سليم ومريض هي نقاط على محور متعلق بالصحة، تمثل الوحدة المعجمية سليم نقطة نهاية محور الصّحة بينما تمثل الوحدة المعجمية مريض بقية المحور، وهذا يفسر التوزيع المختلف للقسم المغلق على محور الدّرجة مثل: تقريباً وقليلا في علاقتها بهذه الصفات (سليم/ مريض) مثلا: يمكننا أن نقول مريض قليلا وسليم تقريباً، ولا يمكننا أن نقول سليم قليلا ومريض تقريباً

¹ Look: Leonard Talmy, Toward a Cognitive Semantics Concept Structuring Systems, Vol 1 p 61.

 $^{^{\}overline{2}}$ Look: Ibid, p 63.

حيث بناء هذه العبارات يتبع منوال المحورية، أ فالسّلامة أو الصبّحة هي ما يحتلّ آخر نقطة في درجة المحورية وتحتل الوحدة مريض بقية المحور، كما يتضح في المخطط:



أ) 2 - 2 - النظام الانتباهي (Attentional System):

يتحكم النظام الانتباهي في توزيع الانتباه عبر المادة والحركة (المشهد والمشاركين) ويتم هذا التحكم عبر (pattern of attention)، نمط الانتباه (attentional strength)، نمط الانتباه (mapping).

- قوة الانتباه (attentional strength):

هي عامل يمكن أن يصنف من ضعيف إلى شديد باعتبار حالة البروز أو البؤرة (prominence) التي تشغلها وحدة لسانية في الاستعمال، ويمكن تصنيفها بالمقارنة مع بقية الوحدات اللسانية أنها الأدنى أو الأعلى من حيث الظهور وهنا تقسم العملية الخطاطية العرفانية إلى خلفية وواجهة ملائمتين للعبارة اللغوية يمثلها المشاركون في التواصل اللغوي، ومن أمثلة عامل قوة الانتباه الإطار الدراسي الذي يمكن أن يبرز مجموعة من المشاركين دون غيرهم: تقوق محمد على إبراهيم في امتحان الرياضيات، تقهقر إبراهيم عن محمد في مادة الرياضيات، يتركز الانتباه في العبارة الأولى على محمد بينما يتركز في العبارة الثانية على إبراهيم، فتكون الوحدة (محمد) بؤرة وبقية العبارة خلفية، وتكون في المثال الثاني الفعل (تقهقر) بؤرة وبقية العبارة خلفية.

- نمط الانتباه (pattern of attention):

العامل الثاني من عوامل توزيع الانتباه يسمى نمط الانتباه (Pattern of Attention) الذي ينظم وينسق الانتباهات ذات القوة المختلفة في أنماط خاصة، ويمكن أن نحدّد عددا من الأنماط الهامة التي تعيّن صنفا من الأشكال على النحو التالي: 4

نمط بؤرة / مركز الانتباه (focus of attention) ويسمى كذلك نمط مركز -محيط تتموضع فيه قوة الانتباه الكبرى في المنطقة المركزية وتتموضع فيه قوة الانتباه الأقل أو الصغرى في المنطقة المحيطة. هذا النمط يشتغل باعتبار نظام واجهة-خلفية.

³ Look: Leonard Talmy, Toward a Cognitive Semantics Concept Structuring Systems, Vol 1 p 76.

¹ Look: Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive linguistics an introduction, p 525.

² Look: Ibid, p 526

⁴ Look: Ibid, p 76 - 77.

نمط نافذة الانتباه (Window of attention) يتم فيه تموقع الانتباه الأقوى في منطقة أو أكثر مع مشهد مرجعي خلفي بينما بقية المشهد يمثّل المنطقة الأقل قوة انتباه، وهذا النمط يعمل على إظهار منطقة من مشهد معيّن وليس معنى عنصر من العناصر اللسانية فقط.

نمط مستوى الانتباه (Level of Attention) يحدد هذا النمط الانتباه القوي على مستوى عال من التنظيم، ويمكن التنظيم أو البروز مع مشهد خلفي، بينما يخفّض الانتباه الأضعف إلى مستوى أدنى من التنظيم، ويمكن القول إن هذا النمط يدرس مستوى بروز البؤرة في مشهد معيّن التي يمكن أن تحتل هنا المشهد كلّه كقولنا: حديقة الحيوانات مسلّية، ويمكن أن تحتل جزءا بارزا فقط من المشهد كلّه، مثل: حيوانات الحديقة مسلية.

- ترابط الانتباه (mapping of attention):

هو العامل الثالث من عوامل نمط الانتباه الذي تترابط بواسطته الأجزاء المستقلة لنمط الانتباه على مناطق خاصة من المشهد الموصوف، وبواسطة عملية الترابط هذه يمكن لنمط انتباه منفرد أن يبرز بطرق مختلفة على نفس المشهد الموصوف، مثلا بروز العنصر الزبون في المثالين التاليين: باع التّاجر المزهرية للزّبون. واشترى الزّبون المزهرية من التاجر. في المثال الأول يكون (الزّبون) نمط انتباه أقل بروزا من بروزه في المثال الثاني.

أ) 2 - 3 - النظام المنظوري (prespectival system):

ينشئ النظام المنظوري وجهة نظر حسب منظور المشاركين والمشاهد، مما يعني أنه يتعلق بوجهة نظرنا التصورية إلى كينونة أو مشهد معين، ويضم أربع مقولات خطاطية (chematic categories): الموضع، والمسافة، والمظهر، والاتجاه²

- مقولتا الموضع والمسافة:

تتعلق المقولتان بالموضع والمسافة التصورية بين المتكلم والسامع والمشهد الموصوف، وتنضده نحويا المشيرات المقامية نحو أسماء الإشارة (القريب:هذا، البعيد:ذاك)، والظّروف (القريب:هذا، البعيد هناك).

- مقولة المظهر:

تقوم هذه المقولة على اعتبار نقطة منظور إن كانت متحرّكة أم ثابتة:

- إذا كانت هذه النقطة ثابتة، فإن مظهر المنظورية يكون مجملا (synotipic) مثل: نظر المشجع نظرة إلى الفريق الرياضي.
- إذا كانت النقطة متحرّكة، فإن مظهر المنظورية يكون تتابعيا (sequential) مثل: أخذ المشجع ينظر إلى الفريق الرّياضي.

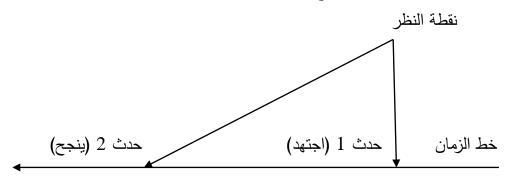
² Look: Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive linguistics an introduction, p 528.

¹ Look: Leonard Talmy, Toward a Cognitive Semantics Concept Structuring Systems, p 77

- مقولة اتجاه المنظور:

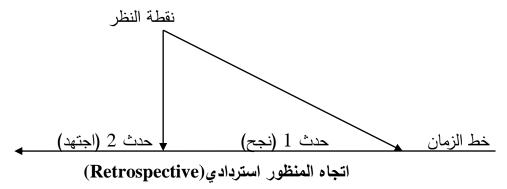
تتفاعل هذه المقولة بإحكام مع الانتباه و يرتبط بالحدث أو المشهد الموصوف وكيف تتمّ رؤيته من نقطة النظر، حيث يمكن أن يكون استباقيًا (prospective). 1

المثال الأوّل: اجتهد التلميذ قبل أن ينجح.



اتجاه المنظور استباقي (prospective)

ويمكن أن يكون اتجاه المنظور استردادي (retrospective) كما في المثال الثاني: نجح التلميذ بعد أن اجتهد.



:(dynamic system-force) نظام القوة الديناميكية -4 - 2

يرى طالمي أن "القوة الديناميكية هي النظام الخطاطي الرابع الذي يبني التصور مثل ما يتم التعبير عنه في اللغة فيما يتعلق بفئة معينة من التصورات، هذه التصورات هي تفاعلات القوة، ويمكنني القول بداية أنها تعميم على المفهوم التقليدي للسببية (causativity/causation)، لذا تشمل القوى الديناميكية تصورات مثل: كيان يملك نوعا من الميل الجوهري نحو الحركة أو نحو السكون، وجسم آخر يصطدم به وربما يتغلب على هذا الكيان، يمكن لهذا الكيان الأول، بدوره مقاومة هذا الميل للتغلب عليه، إذن لدينا كل تفاعلات القوى المعقدة هذه بالإضافة إلى ذلك هناك مفهوم الانسداد ومقاومة الانسداد، وكل هذه

 $^{^{1}}$ ينظر: الحبيب المقدّميني، التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية، ص 1

المفاهيم هي نظام القوة الديناميكية." من هذا التصور لنظام القوة الديناميكية عند طالمي يمكننا أن نتوصل إلى اعتماده على فرضية تفاعل كيانين من خلال تسليط قوة أحدهما على الآخر ليخضع الكيان ذو القوة الأضعف الكيان الأقوى، إذ يسمى الكيان الأضعف "المُعاني (agoniste) ويسمى الكيان الأقوى المُعارض (antagoniste) وهذا التصور للقوة الديناميكية يساعد في فهم دلالة العبارات اللغوية من خلال فهم تنظيم قوة الوحدات المعجمية، مثلا في قولنا: نثرت الرياح أوراق الشّجر، المعاني في المثال هي الأوراق، والمعارض ذو القوة الديناميكية الأكبر هو الرياح فقد نقلت الأوراق من حال السكون إلى حال الحركة.

يميز طالمي بين نوعين من القوة الديناميكية فمنها القوة الديناميكية الفيزيائية كما في المثال السابق، والقوة الديناميكية النفسية هي ما تفرضه اللغة على تصوراتنا التي تركّز اللسانيات العرفانية على دراستها – حول الصورة أو المشهد³ مثلا:

لم يخرج محمد من المنزل.

لم يستطع محمد الخروج من المنزل.

يلاحظ في المثالين أن المشهد يوضح بقاء محمد في المنزل ولم يخرج، لكن ما يتغير بين المثال الأول والمثال الثاني هو تصوّرنا للمشهد وإدراك القوة الديناميكية النفسية الموجودة التي تظهر في: لم يستطع محمد الخروج من المنزل قوة ديناميكية لم ندرك ماهيتها (مثلا مرض) فرضت على محمد فسدّته عن الخروج ونقلته من الحركة إلى السكون، وهي قوة ديناميكية نفسية نفهمها من عبارة لم يستطع الخروج.

تمثل هذه الأنظمة الخطاطية في منوال طالمي العرفاني لبناء الدلالة تصوّرا لمنوال معالجة الذهن للغة ودلالاتها، ولئن كان في ظاهره يبدو منوالا شكليا إلا أنه يفسر ويعلل اشتغال مجموعة من العمليات التصورية في بنائها لدلالة العبارات اللغوية؛ "ذلك أنّ دلالة عبارة ما لا تتكوّن في مضمون العبارة وما تحمله من دلالة معجميّة، وإنّما تتكوّن في طريقة انبناء العبارة وطريقة استعمالها في سياق التلفّظ ومقام القول" وقد سبق بيان ذلك التنضيد والانتظام في الأنساق والأنظمة الخطاطية لمنوال ليونارد طالمي.

ب. النحو العرفاني رونالد لانغاكير (Ronald Langacker):

النحو العرفاني أحد أهم المقاربات العرفانية للنحو التي وضعها رونالد لانغاكير وسمّاها من قبل "النحو الفضائي space grammar" في سبعينيات القرن الماضي، ثم غيّر اسمها إلى النحو العرفاني (cognitive grammar)، وقد بثّ نظريته في كتاب من مجلّدين الأول عام 1987 يحمل عنوان السس النحو العرفاني foundations of cognitive grammar" خُصّص لقضايا عامة، والمجلد

4 الحبيب المقدّميني، التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية، ص 116.

¹ Leonard Talmy, ten lectures on cognitive semantics, Brill, Leiden, Boston, 2018, p 41.

 $^{^{2}}$ عثمان زاهية، الاسترسال النحوي الدلالي في اللسانيات العرفانية "ليونارد طالمي أنموذجا"، 2 53.

³ Ibid, p 42.

الثاني صدر عام 1991 وخصص لتطبيق المبادئ والقضايا العامة على اللغة وسمّاه "تطبيق وصفي الثاني صدر عام 1991 وخصص التطبيق المبادئ والقضايا عن منوال طالمي في الأسس الأولية من اعتبار اللغة ذات طبيعة رمزية، وضرورة التزام تصور النحو والتركيب مسترسل واحد غير متفاصل مضيفا إلى هذه الأسس مبدأ التنبؤية (prototypicality) والطّرازية (prototypicality).

- التنبؤية (predictiveness) والطّرازية (prototypicality):

تسمّى التنبؤية أيضا قابلية التنبؤ (predictiveness) ويقصد بها لانغاكير الظاهرة المشتركة التي تتطلب من اللسانيين تسمية مبدأ، أو قاعدة، أو حكما، أو تعريفا ساريا، تنبؤية مطلقة absolute التي تعني أن هذه القاعدة أو الحكم...إلخ السّارية على فئة أو ظاهرة من الأنحاء بجب أن يمكن تعميمها على جميع عناصر هذه الفئة، مثلا: حكم جمع الأسماء المذكرة في العربية فإذا قلنا أن الأسماء المذكرة في العربية تجمع بإضافة الواو والنون ويسمى هذا الجمع جمع المذكر السالم: معلّم/ معلّون، مسلم/ مسلمون...إلخ، فهذا لا يعني أن طبيب تجمع على طبيبون (الجمع خاطئ) بل تجمع أطباء؛ وبالتالي لا يتحقق مبدأ التنبؤية المطلقة في هذه الحال (الجمع المذكر)؛ بحيث لا يمكن تعميم هذا الحكم على كافة عناصر الفئة النحوية (الأسماء).

من جهة أخرى يذهب لانغاكير إلى أن التنبؤية المطلقة قليلة الجدوى؛ لأنها لا يمكن أن تتلاءم مع اللغات الطبيعية، ففي بعض الأحيان تكون التنبؤية المطلقة غير معقولة بالنسبة للغة الطبيعية وقد تؤدي إلى استنتاجات خاطئة أو ارتباك مفاهيمي، لذلك يشترط النقليل من الاعتماد على التنبؤية المطلقة إلى مستوى مناسب وواقعي للموضوع، ويفترض لانغاكير مبدأ الطرازية (prototypicality) الذي يوفر تفسيرات أكثر واقعية في حالات عديدة، لكن اعتماده يعني أن عضوية الفئة ليست قابلة للتحديد من حيث النتبؤية المطلقة؛ إنها مسألة درجة تتناقص مع انحراف الكيان عن الطراز، ومع غياب نقطة فاصلة محددة يصبح بعدها المتحدث فجأة غير قادر على إدراك التشابه وبالتالي استيعاب كيان الفئة. ومما تتطلبه العملية التنبؤية سمة التعميم/ الشمولية لجميع عناصر الظاهرة النحوية، غير أن النحو العرفاني لا يسلم بأن التعميم هو شأن التركيب وأنه لا وجود للقسمة المعلومة الثنائية بين المطرد والشاذ؛ إذ ينفي هذا النحو الفكرة السائدة القائلة بوجود قائمة من القواعد بها يمكن أن نتنباً سلفا بالدّلالة، ليحلّ محلّ النتبؤية مبدأ الطرازية اعتمادا على ثلاثة أسباب يضبطها توفيق قريرة كما يأتي:

¹ ينظر: توفيق قريرة، الاسم والاسمية والإسماء في اللغة العربية مقاربة نحوية عرفانية، التسفير الفني، صفاقس، تونس ط1، 2011، ص 14.

² Look: Ronald Langacker, foundation of cognitive grammar, theoritical prerequisites, vol 1, p 48

³ Look: Ibid, p 48 − 49.

أولا: الصلة الوثيقة بين الأطرزة في تحديد ما يتواضع عليه من أبنية، مثلا: طراز الفعل المتعدّي إلى مفعولين يدور حول الأفعال القلبية أو أفعال الاعتقاد (ظنّ، حسب، خال...)، وإن أفعال المنح والعطاء (أعطى، وهب، منح...) ليست طرازية في هذه الأفعال بناء على سلوك نحويّ يتمثّل في أن أفعال الاعتقاد لا تخرج عن تعديتها إلى مفعولين ببديل كما تخرج إليه أفعال المنح التي يمكن أن تتعدّى بحرف جرّ، أ فنقول: أعطيت هندا كتابا، أو أعطيت كتابا لهند. ولكن يقال في الأفعال القلبية: خلت محمدا قادما. ولا يقال خلت محمدا لقادم. (جملة خاطئة نحويا)

ثانيا: رفض التنبؤية القصوى في تطبيق القاعدة بناء على أهمية الاصطلاح الصُورِيِّ اimagery (غير بالتغير والتبدل وعدم الاستقرار، فالمتكلم يملك الحرية التصورية في بناء وضعية واحدة بطرق مختلفة ولا يمكننا أن نتنبأ بشكل مطلق بالصور الجزئية المختارة والمصطلح عليها من قبل المتكلم، 2 ذكرنا في المثال السّابق بنائين: أعطيت هندا كتابا، أعطيت كتابا لهند. يمثلان مشهدين مختلفين لأن البناء الأول من الشكل إف، فا، س، ص] والبناء الثاني من الشكل إف، فا، س، لإ، ص] وعلى الرغم من أن الشكل الثاني يعد بديلا للشكل الأول إلا أن الشكل الثاني أكثر وضوحا من الأول لأنه يبيّن ويسم بصورة أوضح بين المعطى (ص) والعطية (س) بواسطة حرف الجر (لـ) "وسْمًا فيه تبئير على الاستفادة وانتقال الملكية من المانح إليه، لكن هذا الفارق بين الممنوح وموضوع العطية يبدو في الشكل الأول ضمنيا متوقفا على تأويل المفعول الثاني على أنه العطية. وهكذا فإن تتويع التصوير قد قاد إلى وجود الشكلين البديلين لأنهما يعكسان طريقتين في إدراك وضعية واحدة. 3 وهذا التعدد الاصطلاحي التصويري في تأويل البني يحد من تطبيق التنبؤية المطلقة.

<u>ثالثا:</u> يسمح العامل الثالث بإدراك دور المواضعية/ الاصطلاحية في تعقب تقلبات استعمال اللغة وتغيّرها، على سبيل المثال، رأينا سابقا أن البناء اللغوي الأول (أمثلة التعدية إلى مفعولين) ممثل للقاعدة والبناء الثاني توسيع له، لكن التنبؤية لم تخبرنا بهذا التوسيع ولم تقل شيئا عن الدرجة التي يمكن أن يكون بها الاتساع من بنية أصلية، ولا عن التقاطعات الممكنة، ولا عن الصور المماثلة التي يستخدمها المتكلم في التعبير عن الوضعيات المشابهة... وغير ذلك من الوضعيات المتعلقة بتغيّر اللغة عبر النّمن، 4 خلافا لما تقدّمه المواضعية/ الاصطلاحية التي تسمح بإحاطة بتغيرات الاستعمال اللغوي.

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 25

² Look: Ronald Langacker, foundation of cognitive grammar, theoritical prerequisites, p 51.

 $^{^{3}}$ المرجع نفسه، ص 26

 $^{^{4}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

ب) 1 - المقولات الأساسية في نظرية النحو العرفاني لرونالد لانغاكير:

يقوم النحو العرفاني لدى لانغاكير على جملة من المقولات النحوية العرفانية التي تتمحور حول تتضيد الوحدات المعجمية، وتفسير العلاقات النحوية بينها لتحقيق وكشف البنية الدلالية، ومدار هذه المقولات هو التعيين (designation) الذي ينتج عن بروز بعض الوحدات إلى مستوى محدد من التبئير (prominence) مع المحمولات، التي تنقسم هي الأخرى بدورها إلى محمولات اسمية (relational predications).

ب) - 1 - المحمولات الاسمية (nominal predications):

> الأسماء:

اهتم لانغاكير في نظرية النحو العرفاني بالأسماء وكيفية إدراك دلالتها ولم ينظر إليها باعتبارها ظاهرة لسانية فقط، بل رأى أن الاسم يشغل حيزا أو منطقة داخل مجال معين هذا الحيز قد لا تكون له حدود في المكان وقد لا تكون له حدود البتة، ويقصد بالحدود الحيز الذي تشغله عبارة ما داخل محيط أو ميدان معين، مثلا: يقول الرائي أرى بقعة سوداء على الحائط (إذا كان الحائط أبيضا) الذي يمثّل خلفية البقعة السوداء، وبالتالي تشغل البقعة السوداء حيزا فيه فالاسم هنا دلّ على شيء محدد ذي حيّز مضبوط يدركه الرائي بحاسة البصر، أما في حال كان الرائي قريبا جدا من الجدار حتى يرى البقعة السوداء فقط ولا تظهر له الخلفية البيضاء فيقول الرائي: لا أرى إلا الحمرة، وهنا اسم الحمرة غير محدد ولا مضبوط بحيّز مدرك. 1

وفي إطار تعيين حدود الاسم الذي يجعله لانغاكير ميزة فاعلة في التفريق بين الأسماء القابلة للعد (المحدودة) والأسماء غير القابلة للعد (غير المحدودة) يقول: "نفكر في شيء (نحيل عليه باسم) بوصفه متموضعا أساسا في فضاء ما، حينما يكون محدودا ويملك موضعه الخاص، وفي الوقت نفسه من جهة أخرى يمكن للشيء أن يستمر دون حدود ولا يمكن التفكير أنه يملك أي موضع خاص في المجال (الفضاء)." بالاستناد إلى ما رآه لانغاكير من احتلال الاسم لفضاء معين أو عدم احتلاله يتضح تصنيفه لنوعين من الأسماء هي: الأسماء المحدودة، والأسماء غير المحدودة أو كما اصطلح عليها بأسماء الكتلة.

- الأسماء المحدودة (Bounded nouns):

تعبّر الأسماء المحدودة عن أحياز ومواقع محددة في مجال عرفاني أولي أو مجال عرفاني غير أولي، والحدود التي يستلزمها اسم محدود هي التي تسمح بالفصل بين الحيز الذي يشير إليه والأحياز

² Look: Ronald Langacker, Cognitive grammar, a basic introduction, Oxford university press 2008, p 104.

مبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني، ص 1

الأخرى. إلا أن هذه الحدود ليست دوما حدودا واضحة بيّنة، فوحدات دلالية مثل: جانفي، حزيران، أكثر دقة من وحدات من نوع "فصل" (من فصول السنة) أو "ربيع" فهو يضم عددا من الأشهر التي تمثل فصلا ما؛ أي إن حدود العبارتين الأخيرتين حدود ضبابية غير واضحة، فالحدود التي تسمح بالفصل بين الحيز الذي يعيّنه مدلول ما ويشير إليه وباقي الأحياز الأخرى ليست دائما واضحة، بل يمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك، فنقول إن الحدود التي يستلزمها اسم محدود قد لا يكون لها أي وجود فعلي، وإنما قد تكون حدودا مفترضة. أمثلا عند قولنا: النسور أحد أنواع الطيور لا يمكننا أن ندرك الحدود التي يبرزها السم النسور في ميدان/ مجال الطيور فليس للنسور حدودا واضحة من حيث عددها وأنواعها وصفاتها...إلخ التي يمكن أن تضبط حدودها بدقة وبالتالي تبقى حدود مثل هذه الأسماء في ميدانها حدودا ضبابية غير واضحة المعالم.

ومنه الاسم المحدود من منظور لانغاكير هو المدلول الشاغل لحيّز أو منطقة في فضاء/ ميدان أساسي بعينه يفصله عن هذا الفضاء حدود المنطقة التي يتموضع فيها، وسواء كان هذا الفصل حقيقي أم افتراضي فهو ما يسمح بإدراك دلالة الاسم باعتبارها جزء من الفضاء الكلّي.

- الأسماء غير المحدودة (inbounded nouns):

يتميز الاسم غير المحدود/ اسم الكتلة عن الاسم المحدود في أنه لا يشغل حيزا معينا في الفضاء/ المجال الأساسي فقط، بل يمكن أن يتوسع ليبلغ الفضاء كله أو يختزل ليمثل حيزا، وهنا تظهر ثنائيات من الخاصيات التي تميز الاسم غير المحدود، هي التوسع/ الاختزال، التجانس/ عدم التجانس، التعدد/ عدم التعدد، مثلا في خاصية التجانس وعدم التجانس يمكن أن نطلق على كمية محددة من الماء اسم (ماء) في المقابل يمكن أن نطلق على الكمية الأكبر (المجال/ الفضاء) التي أخذت منها الكمية الأولى اسم (ماء)؛ وبالتالي يمكن للاسم المحدود (ماء) أن يعبر عن الاسم غير المحدود (ماء/ الفضاء) ويحدث هذا في حال وجود تجانس بين كميتي المادة. وكذلك الأمر مع خاصية التعدد وعدم التعدد فالأسماء غير المحدودة تقبل التوسيع والاختزال فقط، مثلا أن نقول: رمل كثير، وماء غزير، أو رمل قليل، وماء شحيح، ولا يمكن أن نقول ذلك من توسيع واختزال في الأسماء المحدودة.

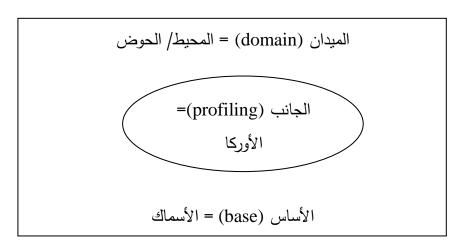
المدى والجانب والأساس (scope & profile & base):

يملك أي محمول مدى (Scope) يمكن بواسطته للمحمول أن يختار بنية جزئية للتعيين، لاقتراح التبئير الخاص للعنصر المعين ويُحال إلى المحمول وعنصره المعين بالأساس والجانب كل على حدة. ويلاحظ أن الجانب يبرز في التمثيل عن الأساس كونه عنصر التبئير مع ذلك فإنّ القيمة الدلالية لعبارة ما لا تكمن في الأساس وحده أو في الجانب وحده، لكنها تكمن في التوليف بينهما، إن تلك القيمة تشتق

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 78.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 80 – 81.

من تعيين وحدة مخصوصة محددة الماهية ومميزة بواسطة موقعها داخل تكوين أوسع. أوسيتضح ذلك من خلال المثال التالي: المحمول الاسمي [أوركا] تتحدد البنية الدّلالية إدراكيا لهذه الكلمة بأنها الحيوان السمكة المفترس المتميز بلونه الأسود وبياض في جانبيه، فهذه هي الهيئة التي يعينها المحمول أوركا أو يجنبها (profiling) بمصطلح لانغاكير، وسمكة الأوركا ليست سوى كيانا واحدا من آلاف الأسماك المماثلة في المحيط التي أفردناها وأبرزناها وجنبناها دون غيرها من الكيانات المشابهة لها والموجودة معها في المكان نفسه (المدى)، ولو كانت سمكة الأوركا في حوض لكان تجنيبها أبسط من تجنيبها ضمن مثيلاتها، وسواء كانت الأوركا في المحيط أو في الحوض فإن كليهما يمثل ما اصطلح عليه لانغاكير المدى (scope) الأكبر الذي تتم فيه عملية التجنيب، التي لا تتم إلا في مدى عرفاني ما يمثله في المثال المدى (scope) الأمدى ألمقهومي الذي يظهر في إطار الرؤية الذاتية الكامنة في إدراكه. "2 وفي هذا المثال المدى هو المحيط/ الحوض، الأساس هو الأسماك والجانب هو سمكة الأوركا ويمكننا أن نمثل المثال المدى هو المحيط/ الحوض، الأساس هو الأسماك والجانب هو سمكة الأوركا ويمكننا أن نمثل المثال المدى هو المحيط/ الحوض، الأساس هو الأسماك والجانب هو سمكة الأوركا ويمكننا أن نمثل المثال المدى هو المحيط/ الحوض، الأساس هو الأسماك والجانب هو سمكة الأوركا ويمكننا أن نمثل المثل المدى هو المحيط الآتي:



المخطط رقم (12): تجنيب الوحدات اللسانية.

الصورة والصورية (Image & imagery):

تتأس مقولة الصورة والصورية على تحليل تلك القدرة الذهنية التي تسمح للإنسان بتصوير وبناء وضعيات أو مشاهد (scenes) معينة بطرق لسانية مختلفة، وهذه القدرة هي ما يصطلح لانغاكير على تسميتها الصورية (imagery)؛ إذ يتمثل بناء معنى لعبارة لسانية ما بواسطة صور بدائل، والصور المتناقضة المفترضة على المشهد ترقى إلى تجارب ذهنية مختلفة نوعيا، وعليه، تبنى الصورة المجسدة

¹ Look: Ronald Langacker, foundation of cognitive grammar, theoritical prerequisites, p 183.

² ينظر: رونالد لانقاكر، مدخل في النحو العرفني، تر: الأزهر الزناد، ص 112.

بواسطة العبارة اللسانية جانبا حاسما من معناها. أبعبارة أخرى، تسمح لنا هذه الصور الذهنية البديلة والمتناقضة ببناء عبارات لسانية يختلف معناها باختلاف التبئير والتركيز المنصب على وضعية بعينها ولنتأمل المثال الآتي: ولنفترض وضعية من يريد الإخبار عن وجود كتاب في محفظته، فقد يقول شخص ما: الكتاب في المحفظة، ويقول آخر: المحفظة فيها الكتاب، ويقول ثالث: المحفظة تحتوي الكتاب، وكل الأمثلة حددت كتابا ومحفظة وعلاقة تربط بينهما، لكن كل متكلم عبر لسانيا عن الوضعية بطريقة مختلفة، أو بعبارة لانغاكير عبر عن الوضعية بواسطة صور بدائل.

تتم عملية بناء معنى وضعية ما عن طريق عبارات لسانية مختلفة/ صور بديلة عبر تبئير تلك الوضعية وتتويع الطرائق التي تفهم بها؛ لذلك يتم استعمال أصناف عدّة مما سمّاه لانغاكير التعديلات البؤرية (Focal adjutsments) وينقسم بدوره إلى ثلاثة حدّدها لانغاكير في: التعديلات البؤرية اختيارية (focal adjutsments perspective)، تعديلات بؤرية الاعتبار (focal adjutsments abstract).

:(focal adjutsments selection): التعديلات البؤرية الاختيارية

يرى لانغاكير أن التعديلات البؤرية الاختيارية تتم وفق ثلاث حالات، إحداها أن ترتبط المحمولات الدلالية باختيار تبئير وحدة لسانية من ميادين عرفانية متخصصة. ² مثلا: الكأس البلاستيكي الأزرق الكبير على الطاولة. يبين المثال الخصائص الدلالية للكأس باختيار خصائصه من بين كثير من الصور الذهنية من حيث اللون والحجم ومادة الصّنع، بهذه الخصائص تمّ التبئير الاختياري لوضعية الكأس إبرازه.

والحالة الأخرى: أن تكون المعاني ذات الصلة بعنصر معجمي ما متشابهة تماما بصرف النظر عن مواصفات المجال الخاصة بها، مثلا: العنصران المعجميان قريب (near) و قريب من في مواصفات المجال الخاصة بها، مثلا: العنصران المعجميان قريب من شيء معين، رغم أن العنصر المعجمي قريب من يشترط في دلالته على القرب وجود عنصر آخر يعضد بناء هذا المعنى.

أمّا <u>الحالة الثالثة:</u> فتتعلق بفضاء المحمولات (the scope of predication)؛ حيث يمكن تبئير وضعية ما انطلاقا من تجنيبها كما ورد في مثال الميدان، والأساس، والجانب.

:(focal adjutsments perspective): التعديلات البؤرية الاعتبارية

تعتمد هذه التعديلات في تنظيم المدركات على ما يسميه لانغاكير الترصيف واجهة-خلفية (figure-ground aligment)؛ يمثّل الوجه في المشهد بنية فرعية تبرز أكثر من خلفيتها لأهمية بالغة

¹ Look: Ronald Langacker, foundation of cognitive grammar, theoritical prerequisites, p 117.

² Look: Ibid, p 117.

³ Look: Ibid, p 118.

نابعة منها؛ إذ حولها ينتظم المشهد ولأجلها تتوفر أطره الخلفية، أ مثلا: كتابة كلمة على صفحة بيضاء فالكلمة هي الوجه وبياض الصفحة هو المحيط.

التعديلات البؤرية التجريدية (focal adjutsments abstract):

يشتغل عامل التعديلات البؤرية التجريدية على تجريد خطاطة لعلاقة عيناتها، التي تتميّز فيها عينة ما عن أنواع العينات الأخرى المذكورة؛ إذ الخطاطة يمكن أن تغطّي كل ميادين وخصائص عيناتها وبالتالي فالخطاطية (schematicity) ممكنة الوقوع في أي نوع من الميادين ومفهومها ينتمي إلى مستوى التخصيص 2 أي الدّقة في تمييز الخاصية التي تتميّز بها العينة المجرّدة والمبوّرة عن غيرها من العينات الأخرى، فحين نصف شخصًا ما بأنه قصير تكون عبارة قصير أكثر تجريدا من قولنا (لا يتجاوز طوله متر ونصف) مثلا، وهذه العبارة بدورها أكثر تجريدا من قولنا (طوله حوالي متر وبضع سنتيمترات).

ب. المحمولات العلاقية (relational predications):

ب) 1 - المسار والمعلم (trajector & Landmark):

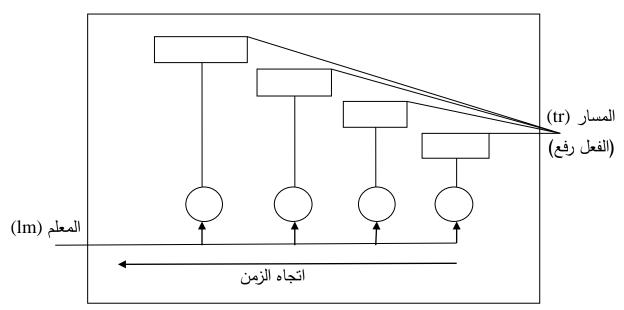
تقع مقولة المسار والمعلم ضمن مجموعة العلاقات التي تشتغل على بناء العبارات اللسانية، وقد سبق الحديث عن العلاقات التي تتنظم بواسطتها الأسماء (الميدان والأساس والجانب، والصورة والصّورية) وهي علاقات غير مقرونة بزمان، في حين مقولتي المسار (trajector) والمعلم (landmark) تتعلقان بدراسة العلاقات المقرونة بالزّمان أي تخص بناء الأفعال.

يذهب لانغاكير إلى أن المسار (tr) مشارك أساسي (بؤرة) في تفسير العلاقات الزمنية للعبارة اللسانية ويكون معلوما لدى كل من المتكلم والمخاطب؛ وحيث تبنى العلاقة المجنّبة بواسطة مشاركيها على مستويات مختلفة من التبئير، فإن هناك مشاركا واحدا يمثّل البؤرة الأكثر بروزا أثناء تموضع الكيان أو وصفه وهذا المشارك هو المسار (trajector)، بالإضافة إلى مشارك ثانوي بؤرة أقل بروزا هو المعلم (landmark)، وتحليل هذه العلاقة يكون وفق المخطط التالي في الفعل "رفع" مثلا:

¹ Look: Ronald Langacker, foundation of cognitive grammar, theoritical prerequisites, p 120.

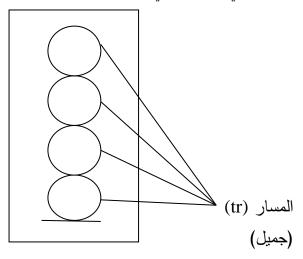
² Look: Ibid, p 132.

³ Look: Ronald Langacker, Cognitive grammar, a basic introduction, p113.



المخطط رقم (13): تمثيل الفعل رفع بمشاركين

يوضح الشكل تمثيل الفعل (رفع) في حال كانت العلاقة مرتبطة بزمان ومكان، حيث الزمان هو دلالة الفعل على المضي والمكان هو الانتقال من الأسفل إلى الأعلى المدرك من دلالة الفعل، وتُمثَّل العلاقة التي لا تتعلق بزمان مثل الصفات تمثيلا مدمجا ليس فيه تتابع مثلا الصفة "جميل" الخالية من الزمن لا تملك إلا مشاركا واحد هو المسار (tr) بينما يغيب المشارك الآخر (المعلم) الدال على الحركة الزمنية كما في الشكل الآتي:



المخطط رقم (14): تمثيل الصفة جميل بمشارك واحد.

بالمجمل تقوم مقولة المسار والمعلم على عنصري الزمان والمكان في تفسير بناء دلالة العبارات اللسانية.

¹ Look: Ronald Langacker, Cognitive grammar, a basic introduction, p 113.

ب) 2 - الاستقلال والتبعية (autonomy & dependece):

الاستقلال والتبعية مقولة اعتمدها لانغاكير لتفسير أهمية العبارات اللسانية التابعة في بناء المعنى العام للعبارة كاملة، حيث التبعية (dependence) هي استلزام رأس في مركب لساني ما أو أحد فروعه وحدات معجمية لبناء الدلالة التامة للعبارة اللسانية، وتكون "عبارة ما تابعة تصوّريا إذا اشتملت في بنيتها الدلالية على موقع شاغر لا تتحقق تلك العبارة ولا تُتجز إلا بعد إشباعه "أ ويتضح ذلك في عبارات من قبيل: مسلمون، قُرَّاءٌ، كانيّاتٌ ...إلخ، فالمركب الاسمي مسلمون مبني من عبارة مسلم و (ون) الدالة على الجمع، حيث عبارة مسلم مستقلة دلالية بينما (ون) عبارة تابعة لها لا تكتمل دلالتها إلا بالاتصال بها وكذلك مع العبارة كتابات المركبة من العبارة المستقلة كاتبة والعبارة التابعة (ات)، والعبارة قارئ المستقلة وتابعتها الوزن فُعًال. ولا تقع مقولة الاستقلال والتبعية في المركبات الفرعية فحسب بل تشمل أيضا الجملة، فالفعل الذي جذره (ر، أ، ي) له موقعين شاغرين مما يجعل له تابعين وليس تابعا واحد فقط أحدهما متعلق بالمسار الذي يعين الفرد القائم بفعل الرؤية؛ أي الفعل له تابع ممثل في الفاعل، والآخر متعلق بالنابع الذي يقع عليه الفعل وهو المفعول به وبالتالي يصبح للفعل رأى تابعين (رأى الولد الببغاء) الولد تابع أول والببغاء تابع ثان.

أمّا الاستقلال فهو متعلق بالوحدات اللسانية التي تصوّر معناها دون الحاجة إلى وحدات لسانية أخرى تابعة لها، وبالتالي خاص بالعبارات التي لا تملك مواضع شاغرة تستدعي تتمة لبناء المعنى، مثلا: 1/ أمسك الطّفل العصفور.

2/ وضع القارئ الكتاب في الحقيبة.

3/ خرج الطفل اللّعب قبل أن يتوقف المطر.

4/ أكمل الموظف عمله في سيارة الأجرة.

تعبّر مجموعة الأمثلة المتقدمة عن نوعين من التوابع (المتممات): التوابع المركزية، والتوابع الثانوية، ففي المثالين 1 و 2 كل من التوابع (العصفور، وفي الحقيبة) هي توابع مركزية؛ أي لا يتم تصوّر معنى التراكيب إلا بوجودهما، بينما في العبارتين 3 و 4 تمثل العبارات (قبل أن يتوقف المطر، وفي سيارة الأجرة) توابع ثانوية؛ أي يمكن تصوّر معنى التراكيب التام دون حاجة لذكرها.

وما يميّز مقولة الاستقلال والتبعيّة أنها يجب أن تكون مقولة عامّة تنطبق على القطب الفونولوجي وعلى القطب الدّلالي، كما تصدق على أغلب الحالات المتواترة في اللغة، ولذلك كان الاستقلال التصوري والتبعيّة التصوريّة مفهومين جوهرين التجأ إليهما العرفانيون لمعالجة عدد كبير من الظواهر اللغويّة

¹ عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني (نظرية رونالد لانغاكير)، ص 122.

والمفاهيم النّحويّة. 1 وليست هذه المقولة وحدها هي التي تعمل على أن تكون شاملة لجميع الظواهر اللسانية، بل جميع مقولات الأنحاء العرفانية التي اشتغل مؤسسوها عليها لتكون أنحاء بنائية تسعى لتكون شاملة في تحليلها وتفسيرها للظواهر اللسانية.

خلاصة:

بناء على ما تقدّم عرضه من مراحل تكوّن اللسانيات العرفانية بدءا باللسانيات التوليدية التي أبدت مظاهر عرفانية عميقة، ومثّلت أفكار تشومسكي وتلاميذه الجيل الأول من اللسانيات العرفانية يتضح أن:

- 1) المنطلق الفلسفي العقلي الإدراكي للسانيات التوليدية الذي بحث عدة قضايا إدراكية التي تعد الآن من صميم اللسانيات العرفانية، بداية بالبحث في كيفية اكتساب وإبداع المعارف سواء منها اللغوية أو غير اللغوية وهذه قضية ذهنية إدراكية محضة فهي تصب في بحث العمليات الذهنية التي تسمح بتوليد المعارف لاسيما اللغوية منها.
- 2) إثارة قضية المظهر البيولوجي الذي اتسمت به النظرية التوليدية هذا المظهر الذي تجلّى خاصة في نظرية النحو الكلي (UG) التي تعد في جانب كبير منها قدرة فطرية بيولوجية محلّها الدّماغ البشري ونظرية المبادئ والوسائط (P&P) التي تمثّل المبادئ فيها فرضية بيولوجية مشتركة بين الأدمغة البشرية، ثم تؤكد على هذين الأطروحتين بالبرنامج الأدنوي الذي يعيد النظر في الملكة اللسانية على أنها نظام عرفاني لتخزين المعلومات اللغوية.
- 3) تعد النظريات الدلالية النقدية لنماذج تشومسكي نظريات معدّلة لموضع الدّلالة في النظرية اللسانية التوليدية، كما نعدّها نظريات انتقالية من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية فالنظريات الدلالية لهذه الأخيرة ما هي إلا تطوّر مستمر للنظريات الدلالية التي صوّبت نماذج تشومسكي النحوية، وعلى وجه الخصوص جهود جورج لايكوف في تطعيم فرضية البنية العميقة بتمثيل مقولات جديدة لبلوغ خاصية الشمولية في البنية العميقة، وجهود راي جاكندوف في وضع فرضية هندسة التوازي التي أولت أهمية كبيرة للدّلالة.
- 4) رغم محاولة النظريات الدلالية السالفة الرّفع من وضعية الدلالة في الدراسة اللسانية إلاّ أنها وقعت في ثغرة الحفاظ على مركزية التركيب ولم تفلح في إجراء دراسة موازية بين الدلالة والتركيب، وهو ما وُجد في نماذج كل من كاتز وفودور وشارل فيلمور التي اتخذت من الدّلالة مكوّنا لتأويل التركيب وتأويل المفردات التي يبنى منها فقط.
- 5) نظريات اللسانيات العرفانية المحورية بشقيها الدلالي والنّحوي مركز بحثها الأساسي هو الدلالة والمعنى وقد قامت بادئ ذي بدء على مناهضة افتراضات تشومسكى العقلية القائلة بتهميش

¹ ينظر: صلاح الدين يحي، نظرية النحو العرفاني مستوى الثّالوث من الأبنية ذات التكوّن الجيّد (الدّلالة، التّركيب المعجم)، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج 04، ع 2، 2020، ص 110.

- المكوّن الدّلالي ثم توالت عليها البحوث وتطورت مناويلها؛ لتنقل البحث اللساني من الاشتغال على البنية الظاهرية للغة.
- 6) تعمل النظريات اللسانية العرفانية المحورية على إخراج اللسانيات من صومعة الدراسة العقلية المجرّدة إلى إضفاء جانب تجريبي يستثمر الجهاز الحسي الحركي وآليات اشتغاله في بناء المعنى وإدراكه، من هنا برزت الحاجة إلى فرضية الجسدنة التي تستثمر الجسد والحواس في تفسير إدراك المعنى.
- 7) أظهرت اللسانيات العرفانية في مراحل تكوّنها جملة من النظريات والمناويل الدّلالية والنحوية المختلفة وعليه نستنتج أن العرفانية اللسانية هي عرفانيات منها المتجاوزة لأطروحة المعنى مفهوم ذهني مجرّد وهو ما رأيناه في الدلالة العرفانية عامة التي تعتمد على مبدأ: البنية التصوّرية بنية مجسدة وهذا افتراض يبن مدى اهتمام الأطروحات العرفانية بالجهاز الحسي الحركي ومحاولة استثماره كعضو يضمن وجود مدخلات تسمح ببناء المعنى الذهني، إضافة إلى نظرية الاستعارة التصورية وحتى بعض مقولات مقاربات النحو العرفاني كما تقدّم.

وخلاصة القول إن اللسانيات العرفانية ونظرياتها نجحت فعليا في وضع دراسة جادة ورصينة لدلالة الظواهر اللغوية المختلفة ودلالة العبارات اللغوية ككل، والرفع من مكانة الدراسة الدلالية عكس لسانيات تشومسكي التي لاحظنا في مناويلها الأولى تهميش الدلالة.

الفصل الثاني: تجلّيات اللسانية العرفانية في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة

تمهيد:

شهد الدّرس اللساني المعاصر نماذج لسانية عديدة؛ تجريبية أمبريقية (دو سوسير وأتباعه) وعقلية صورية (تشومسكي وأتباعه)، إضافة إلى اتجاه اللسانيات العرفانية التي جمعت بين اللسانيات والعلوم العرفانية في إطار ما عرف حاليا بالدراسات البينية (Interdisciplinary)، وضمن هذا التطوّر المستمر للسانيات فإنّ الدرس اللساني العربي المعاصر لم يكن بمنأى عن هذا التّطوّر، بل كان مسايرا له رغم وجود بعض العقبات المنهجية والمضوعاتية تجاه بعض التصوّرات، والمبادئ، والمفاهيم التي تبنتها الاتجاهات اللسانية العربية، لاسيما اتجاه اللسانيات العرفانية الذي مازال في مرحلة التكوّن بالنسبة لبقية فروع الدرس اللساني العربي المعاصر.

ولهذه الجدّة يصعب تحديد تاريخ بروز اللسانيات العرفانية على ساحة التفكير اللساني العربي المعاصر ولكن من تقصي أوائل الجهود العربية في مجالها وُجد أنّ ظهورها العربي ينحصر في أواخر القرن العشرين ما بين 1990– 2000، وقد تراوحت بين ترجمات وتأليف يصعب تحديد أول جهد لساني عرفاني عربي منها، مع ذلك فقد كانت شحيحة جدا في هذا العقد، خلافا لما نجده بعد سنة 2000 م بالضبط من نشاط في الإنتاج العربي للسانيات العرفانية، متراوح بين الترجمة والتأليف التي نرى أنها بنت اتجاهات قائمة برأسها في البحث اللساني العربي، وكان من الرّواد العرب الأوائل للسانيات العرفانية عبد المجيد جحفة بترجمته لكتاب الاستعارات التي نحيا بها (Metaphors we live by) لجورج لايكوف ومارك جونسون عام 1996، ومحمد غاليم بمؤلفه المعنى والتوافق مبادئ لتأصيل البحث الدّلالي العربي عام 1999 الذي اهتم في جزء كبير منه بالبنية التصورية وآلياتها في إدراك الدلالة وانتاجها.

والمطلّع على التفكير العربي المعاصر في اللسانيات العرفانية يجد أنها استقطبت لسانيين وباحثين عرب كثر في مقدّمتهم من المغرب العربي: الأزهر الزباد، توفيق قريرة، صابر الحباشة، عمر بن دحمان، محمد غاليم وغيرهم، ومن المشرق العربي عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، تحسين عزيز رزّاق، سعيد بحيري وغيرهم، ومعهم بدأ الاهتمام العربي باللسانيات العرفانية ومنهم انطلقت فعاليات التلقي اللساني العربي للسانيات العرفانية؛ إذ اشتغلوا على التعريف بها في الوسط اللساني العربي كمجال لساني جديد يتسم بالاتساع (فاللسانيات العرفانية نتيجة دمج اللسانيات والعلوم العرفانية)، وعليه لا بد من تهيئة أرضية علمية خصبة ومناسبة تسمح باحتوائها في الخطاب اللساني العربي ثم يبدأ الاشتغال على تطوير مناويلها، ونماذجها، ونظرياتها. ومن هذا المنطلق سيتم الاشتغال في هذا البحث على طبيعة تلقي الدرس اللساني العربي المعاصر للسانيات العرفانية بتخصيص محاور نرى أنها من الأهمية بمكان وهي كالآتي:

- البحث عن وجود تلقي فِعْلي للسانيات العرفانية في الدرس اللساني العربي المعاصر، وضبط طبيعة هذا التّلقي.

- رصد اتجاهات الكتابات اللسانية العربية الكبرى، وصنوفها، وفروعها المرتبطة باللسانيات العرفانية، بناء على تصنيف هذه الكتابات اللسانية العربية لهذه الفروع وتحليلها.
- ضبط واقع اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة، وآفاق ورهانات بناء اتجاه لساني عربي قائم بذاته.
- الجهود اللسانية العربية في تحليل مقولات اللسانيات العرفانية وإعادة قراءة ظواهر اللغة العربية التركيبية والدلالية وغيرها، ومدى تفاعلها واستجابتها لهذه المقولات.

أوّلا/ مظاهر اللسانيات العرفانية في الدرس اللساني العربي المعاصر:

1. التلقي اللساني العربي للأنموذج اللساني العرفاني:

عندما نتحدث عن تلقي اللسانيات العرفانية (reception of cognitive linguistics) في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة، فإنّ المقصود من مصطلح تلقي (reception) الذي نستعمله هو الاستمداد والاستقبال، والتفاعل، والانفتاح على الخطاب بكل أنواعه اللغوي، والعلمي، والأدبي، وهو كذلك مجموعة من الاتجاهات، والطرق، والأساليب التي يستخدم فيها المتلقي المعلومات التي يتلقاها من الخطاب مهما كانت طبيعته وفي هذا المقام التلقي العربي للسانيات العرفانية هو مجموع آليات وطرق استقبال النظريات اللسانية العرفانية بمختلف أصولها، ومبادئها، ومناهجها، وأهدافها التي تمثل خطابا لسانيا عرفانيا وتناولها في الدرس اللساني العربي المعاصر.

والمتتبع للمنجز اللساني العربي في مجال اللسانيات العرفانية يلاحظ أنه مرّ بمحطات ومراحل عدّة مراحل أوليّة وأخرى متقدّمة، أسفرت عن تصوّرين عربيين عامين لوضعية وطبيعة التلقي العربي للسانيات العرفانية؛ قسّمنا هذه المراحل إلى قسمين: أحدها قائل بركود هذا التلقي، والآخر قائل بنشاطه حتى الآن.

1. ركود التلقي العربي:

ترى طائفة من اللسانيين العرفانيين العرب أن اللسانيات العرفانية كمجال بحث في الإطار اللساني العربي مجال يتسم بركود تلقيه وتأخره رغم مرور عقود عن ظهوره على السّاحة اللسانية الغربية، ومن أهم الرواد العرب القائلين بهذا الرأي: صابر الحباشة، الأزهر الزناد، توفيق قريرة وقد خصّ هذا الأخير تخلف البحث اللساني العرفاني العربي إلى تخلّف اللسانيات العربية كافة؛ حيث يردّه إلى ثلاثة عوامل رئيسية هي:2

 2 ينظر: توفيق قريرة، الاسم والاسمية والإسماء في اللغة العربية مقاربة نحوية عرفانية، ص 2

 $^{^{1}}$ ينظر: الشريف مرزوق، نظرية التلقى وأطروحاته، مجلة النص، مج 07، ع01، 194، 07، ص07

- الموقف المسبق من النظريات: فهي عند البعض لا تخص اللغة العربية بل اللغات الأوروبية التي كتبت بها ولأجلها، ومن منظور بعض اللسانيين العرب إن النظرية اللغوية العربية كاملة شاملة لا تحتاج أن تفيد من غيرها.
- قلة الكفاية العلمية: يتطلب الاطلاع على النظريات اللسانيات في لغاتها الأصلية معرفة شاملة باللسان الذي كتبت به النظرية وبالمصطلحات والمفاهيم والمبادئ والخلفيات التي انبثقت منها والتي تمتد جذورها أحيانا إلى الفلسفة اليونانية، وكذلك على الفروق التي يتميز بها كل مذهب، وهذا الضرب من الباحثين اللسانيين يتطلب إنتاجه أرضية خصبة تعطي الدراسات اللسانية الحديثة نصيبها من الاهتمام والبحث غير أن هذا المطلب ما يزال في جلّ الجامعات العربية عزيزا؛ لذلك غالبا ما يكون الدّارس في اللسانيات غير متشبع بالأطروحات اللسانية الحديثة يكرر ومن غير روح تجديدية مقولات النحو والبلاغة.
- قلة الترجمات المختصة في اللسانيات العرفانية: وهذه الترجمة إن توفّرت عادة ما يتحكم فيها ميل المترجم إلى اتجاه لساني دون آخر وهذا الميل يساهم في حسر الرؤية من ناحية وفي قلة الوضوح والتبسيط من ناحية ثانية، فإذا استثنينا قلة من الترجمات العربيّة لبعض التيارات أو الأعلام اللسانية التي تراعي التبسيط والتدقيق وحسن التأطير فإن البقية لا تقيم وزنا لعسر المصطلحات ولا لغموض المفاهيم ولذلك غالبا ما تكون النصوص قليلة الوضوح بالنسبة إلى القارئ العربي.

ومنظور توفيق قريرة هنا يحدد كافة العوامل الأساسية التي تعرقل تطور البحث اللساني العربي عامة واللساني العرفاني على وجه الخصوص، يضاف إلى هذا الموقف توجّه صابر الحباشة في إرجاعه أسباب تخلف الدراسات اللسانية العرفانية عربيا إلى "قلّة معارفنا عن الجانب الذهني [...] وحداثة المنهج العرفاني في منشئه الغربي (إذ لم يتجاوز العقود الأربعة) وفي تشتت التلقي العربي له، وعدم التمكّن من مفرداته وعدم التنسيق بين الباحثين المهتمين حتى في ترجمة مفرداته (التي تتفاوت الاجتهادات في شأنها تفاوتًا) وبخاصة في عدم بلوغ التلقي العربي لهذا المنهج مرحلة الإبداع فيه وتأصيله..." فهي تتزاوح بين أسباب علمية من حيث محدودية الإحاطة بموضوع اللسانيات العرفانية وجدّته وضعف التمكن من مفرداته وتجاوز مرحلة التعريف الحد الطبيعي بله التعمّق في مشكلة المعرفة بالجانب الذهني؛ فبعض الافتراضات الذهنية النفسية في اللسانيات في منبتها الغربي لم يقم على دلائل حتّى الآن وهي فرضيات يزعج التصريح بعدم إثباتها علماء النفس العرفاني مثل فرضية دو سوسير عن التصور النفسي للدال والمدلول فقد صرّح صلاح الدين الشريف بأن اللسانيات لم تتوصل بعد إلى تفسير لهذا التصور النفسي وذلك راجع لسبب بسيط، وهو أن البيولوجيا ليست عاجزة في الوقت بعد إلى تفسير لهذا التصور النفسي وذلك راجع لسبب بسيط، وهو أن البيولوجيا ليست عاجزة في الوقت

119

 $^{^{1}}$ صابر الحباشة، دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن واللغة والواقع، ص 6 – 7.

الحاضر عن حلّ الشفرات العصبية المسجلة للمعلومات الذهنية فقط، بل عاجزة عن الجزم الموجب لوجودها. أ وأسباب منهجية من حيث تتسيق، وتتظيم البحث وتكوين اتجاه لسانيّ عرفاني عربي.

أما الأزهر الزّناد فيبيّن ويشدد أن التلقي والبحث العربي للسانيات العرفانية مازال بحثا متخلّفا عن نظيره في المظان الغربية الأولى لها؛ حيث "يظل تأخر البلاد العربية في هذا المجال صارخا صريحا، فعسى أن يكون هذا دعوة إلى ذلك إذا توفّر سبيل إلى إنشاء دراسات عرفانية عربية عامة كانت أو مخصوصة بمجال منها بعينه من قبيل اللسانيات، ولعّل توفّر بعض الدراسات في هذا المجال – احتشامها واقتضابها واكتفائها بقضايا الاستعارة – يمثّل لبنة أولى يمكن البناء عليها. وهذا الرأي نرى أنه لم يعد ساري المفعول الآن كما كان في سنة 2010 وما قبلها، لكنّه وعلى الرغم من إقراره بتخلف البحث اللساني العرفاني العربي إلا أنه لا ينكر وجود بعض الجهود العربية فيها التي يمكن البناء عليها إذا تمّ توجيهها وتوفرّت لها السبل.

مما تقدّم، يلاحظ أن الرؤى العربية المختصة تُرجع تخلف التلقي العربي للسانيات العرفانية وركوده إلى أسباب عانت منها اللسانيات العربية عامة ومنذ ظهورها، حيث تتحصر في ضعف الإحاطة بمنابت اللسانيات واللسانيات والعرفانية في أصولها، وفوضى المعلومات وقلة التنظيم المنهجي التي يعاني منها الباحث العربي فينما نقع على بحوث ومؤلفات قطعت شأوا في اللسانيات العرفانية وبلغت البحث في العرفان عامة والهندسة الدلالية، نجد بعض البحوث في البلدان العربية مازالت في مرحلتها الجنينية المقتصرة على التعريف السطحي والتبسيط.

2. نشاط التّلقى العربى:

تعود الإشادة بتلقي اللسانيات العرفانية العربي إلى ثلة من اللسانيين العرب الذين تجاوزوا المرحلة الأولية في البحث اللسانيات العرفانية سواء بمعالجة أحد نظرياتها أو أحد فروعها بصفة خاصة أو تتاولها بالبحث في مجال اللسانيات العرفانية سواء بمعالجة أحد نظرياتها أو أحد فروعها بصفة خاصة أو تتاولها بالبحث بصورة شاملة، لكنه توخّى في كل مراحله تقديم اللسانيات العرفانية في قالب منهجي علمي دقيق، ومن أهم اللسانيين العرفانيين العرب المدافعين عن هذا التوجه عبد الرحمن طعمة. وهذا ما نلمسه في مقولته "إننا نتوخى فيما نُقدّمُ أقصى درجات حَيطة المقال، والتثبّت من المعلومات، ونُحاول قدر المستطاع تقديم المقاربات من خلال منهج علميّ بينيّ، وتجدنا نعيد بعض البنود -كما قلتُ - ونقدمها في سياق جديد، حتى لا نُحيل القراء على مفقود، أو مجهول، أو على إصدار بعيد المنال، فليس غرضنا هو التُكْرار أو الإعادة، بل أنْ يجد الباحث ما مفقود، أو مجهول، أو على إصدار بعيد المنال، فليس غرضنا هو التُكْرار أو الإعادة، بل أنْ يجد الباحث ما مفقود، أو مجهول، أو على إصدار بعيد المنال، فليس غرضنا هو التُكْرار أو الإعادة، بل أنْ يجد الباحث ما مفقود، أو مجهول، أو على إصدار بعيد المنال، فليس غرضنا هو التُكْرار أو الإعادة، بل أنْ يجد الباحث ما قدماء إليه في ركن واحد، وفي مقام مسترسِل غير منقطع السرد، فلا يدخل في تيه البحث عما قدمناه هنا أو يحتاج إليه في ركن واحد، وفي مقام مسترسِل غير منقطع السرد، فلا يدخل في تيه البحث عما قدمناه هنا أو

 $^{^{1}}$ ينظر: منية عبيدي، التمثيل الدلالي للجملة منوال جاكندوف 1983، منشورات علامات، مكناس، المغرب، ط1، 2013 مقدمة محمد صلاح الدين الشريف، ص 20

 $^{^{2}}$ ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص 2 - 31.

هناك." وهذه المقولة أحد البراهين على أن البحث اللساني العرفاني العربي لم يكن جزافيا كلّه مثلما درجت بعض البحوث على الحكم عليه، إنما تأسس على منهج علمي بيني وسطر أهدافا علمية أهمها توفير بحوث متكاملة شاملة للباحثين والمهتمين العرب بميدان اللسانيات العرفانية، وهذا الهدف عدّ الأهم نظرا للمرحلة الجنينية التي تمر بها اللسانيات العرفانية في الدرس اللساني العربي.

وهنا يتضح أن الرؤى حول تلقي اللسانيات العرفانية تعددت وتضاربت بين التخلف ومواكبة البحث اللساني العرفاني، لكن يمكن القول برأي وسط وهو أن البحث اللساني العرفاني في الدرس العربي في بداياته الأولى كان الإنتاج فيه قليل، لكن بعد مرور العقد الأول من ظهورها في البحث اللساني العربي بدأت تشهد نشاطا واسعا على مستوى التعريف، والتقريب، والتنظير، وكذلك على مستوى التحليل والتطبيق على ظواهر اللغة العربية، متجاوزة ذلك إلى استثمار اللسانيات العرفانية في حقل تعليمة اللغة العربية وتعليمية اللغات مثاما نجده في مؤلف عبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم "المقاربة العرفانية في تعليم اللغة العربية العربية الماطقين بغيرها" والهدف من هذا الكتاب "تعميق النظر في مفاهيم الحقل العرفاني الكبرى، وتدبر خلفياتها المرجعية وقيمتها الإجرائية، وما تثيره من قضايا ابستيمولوجية، وذلك من خلال أبحاث ودراسات قيمة ونوعية [...] ومحاولة استثمار بعض جوانبها في دراسة اللغة العربية بصفة عامة، وللناطقين بغيرها بصفة خاصة." إضافة إلى عدد كبير من المقالات العلمية العربية في مقولات اللسانيات العرفانية التي تظهر تقدّما واضحا في الوعي ونتيجة لهذا النشاط – وإن كان متأخرا – ظهرت مجموعة من التوجهات والتصورات اللسانية العربية المعاصرة حول تلقى اللسانيات العرفانية تراوحت بين الترجمة والإنتاج.

II. اتجاهات التلقي اللساني العربي للسانيات العرفانية:

في إطار نشاط حركتي الترجمة والإنتاج اللساني العرفاني العربي ظهرت اتجاهات متعدّة رأينا أنه من الأفضل تقسيمها إلى اتجاهين أساسيين كبيرين: اتجاه الترجمة ينضوي تحته اتجاهين فرعيين: اتجاه شمولي واتجاه تجزيئي؛ ويُقصدُ بتسمية الاتجاه الشمولي مجموع المؤلفات اللسانية العرفانية العربية التي تتاولت اللسانيات العرفانية كانت محيطة وشاملة أو تسعى للإحاطة بجميع نظرياتها وأصولها وأبعادها الابستيمولوجية. والاتجاه التجزيئي هو مجموع الجهود اللسانية العرفانية العربية التي تتاولت أحد جوانب اللسانيات العرفانية فقط

¹ عبد الرحمن طعمة، في انثروبولوجيا اللسانيات والذهن والخطاب والثقافة، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2022، ص 12.

² ينظر: عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، المقاربة العرفانية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، المنتدى الأوروبي للوسطية، بلجيكا، د ط، 2020، غلاف الكتاب.

كنظرية واحدة، أو مبدأ واحد أو غير ذلك. والاتجاه الرئيسي آخر ممثل في اتجاه التأليف ينضوي تحته كذلك اتجاهات فرعية شمولي، تجزيئي، تيسيري، وتحليلية تطبيقية.

1. اتجاه الترجمة:

يبدو من الطبيعي جدا أنّ نقل أي خطاب مستجد في ساحة علمية معيّنة أو في خطاب متصل بثقافة ما إلى ساحة علمية أخرى؛ بغية التعرف عليه ينطلق من الترجمة، مثلما اتضح ذلك الفعل الترجمي من قبل في نظريات لسانية وأدبية كثيرة نقلت إلى إطار البحث العربي، إمّا عن طريق أخذ الباحثين العرب اللسانيات من الجامعات ودوائر البحث الغربية مباشرة أو عن طريق ترجمة أعمال اللسانيين الغربيين؛ لذلك خضعت اللسانيات العرفانية في الدراسات اللسانية العربية أثناء دخولها حيز البحث العربي لما خضعت له اللسانيات عامة من اطلاع وترجمة تهدف إلى تقريب اللسانيات العرفانية للقارئ العربي وتبسيطها ليتعرف عليها أولا ثم ليشارك في تطوير مناويلها من جهة أخرى، وقد برزت جهود ترجمية عربية معتبرة في مجال اللسانيات العرفانية قادت هذا الاتجاه وكان على رأسه عبد المجيد جحفة، إضافة إلى جهود عبد الرحمن طعمة، ومحمد غاليم، وعبد الرزق بنور، والمنصف عاشور وآخرون ممن كان لهم أثر في بلورة ما يمكن تسميته اتجاها ترجميا عربيا في اللسانيات العرفانية.

أ. جهود عبد المجيد جحفة الترجمية:

من تتبع أهم جهود اللساني المغربي عبد المجيد جحفة الترجمية في ميدان اللسانيات العرفانية، اتضح أنه أولى اهتماما خاصاً بالدّلالة العرفانية وما يتعلّق بها من نظريات وتصوّرات ترجمة وتأليفا، وأهم أعماله الترجمية تمحورت حولها ونلاحظ ذلك في ترجمة كتب لايكوف وجونسون: الاستعارات التي نحيا بها، وحرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، وكتاب الفلسفة في الجسد الدّهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، وقد انتحى في ترجماته تقديم الموضوع العام للمؤلف والميدان العلمي العام الذي تنتمي إليه حيث يقول: "يدخل هذا الكتاب بوجه عام، في إطار ما دعي بتيار الدلالة المعرفية (cognitive semantics) وقد أتاح هذا التيار بلورة أنموذج عام يحاول مقاربة كيفية حصول المعاني وما يحقزها" أوفي مقام آخر من كتاب الفلسفة في الجسد يواصل اشتغاله على الدلالة العرفانية ومسألة الاستعارة التصورية وأهمية الجسد والجانب المادي في بناء المعنى وتوليده والسماح بإيجاد تفسير لكيفية بنائه، فيقول: "سعينا بترجمتنا لهذا الكتاب إلى لفت الانتباه إلى هذا التصور الذي يسند محتوى تجريبيا مباشرا لنظرية الاستعارة، ويمدّها بأسس مادية تفسر الحديد للاستعارة، هذا التصور الذي يسند محتوى تجريبيا مباشرا لنظرية الاستعارة، ويمدّها بأسس مادية تفسّر الحديد للاستعارة، هذا التصور الذي يسند محتوى تجريبيا مباشرا لنظرية الاستعارة، ويمدّها بأسس مادية تفسّر

¹ جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ص 5.

البناء الاستعاري وتبرز نسقيته من خلال التركيز على العمليات المتجسّدة في الذهن البشري." وسيأتي تفصيل كافة تصوّرات عبد المجيد جحفة في اللسانيات العرفانية من خلال ترجماته وما يطمح إلى تحقيقه منها.

أ) 1 - ترجمة كتاب الاستعارات التي نحيا بها:

سبق الحديث عن كتاب الاستعارات التي نحيا بها لجورج لايكوف وأهميته التي اكتسبها في الوسط اللساني كأول المؤلفات في اللسانيات العرفانية، التي طرحت تصوّرات جديدة حول الاستعارة والذّهن وبناء المعنى وأصبحت تصنّف ضمن مجال الدّلالة العرفانية؛ ونظرا لمجموع الطروحات الجديدة التي فرضها الكتاب اشتغل جحفة على ترجمته ونقله إلى البحث اللساني العربي، وقد تمت طباعته ونشره مرتين الأولى سنة 1996 والثانية سنة 2009 وضمن الأخيرة بيّن ما يأتي:

أ) 1 - 1- الدلالة العرفانية:

هي التيار العلمي العام الذي ينتمي إليه الكتاب، وتبيين الروافد العامة التي تأسس عليها واستثمرها في تقديم نظرية تفسيرية للآليات الذهنية وتفعيل التجربة الحسية في بناء المعنى "ويستند هذا التيار على مركزية البعد المعرفي عند البشر في قيام المعاني اللغوية (وتأويلها) والمعاني غير اللغوية على السواء؛ أي إسناد معنى إلى شيء ما، أي إدراكه، بحيث يصبح الإدراك مرادفا لإسناد المعنى وقيامه" وإذا تأملنا مبدأ الإسناد نجده عملية ذهنية في الاستعارة التصورية فنحن لا ندرك معنى شيء مجرّد إلا بإسناده إلى شيء شبيه له محسوس وقد سبق طرح هذه التصورات ودعّمت بأمثلة في موضع الكلام عن الاستعارة التصورية في الفصل السابق. ثم يفصل جحفة في ثلاثة روافد من مجموعة الروافد التي تأسس عليها تيار الدلالة العرفانية ككل وهي: 3

- القيد العرفاني (cognitive constraint):

يعتمد هذا القيد على نظريات علم النفس التجريبي والعرفاني وتتلخص وظيفته في وجوب افتراض مستويات للتمثيل الذهني تتضافر فيها المعلومات القادمة من أجهزة بشرية أخرى، مثل جهاز البصر، والجهاز الحركي، والأداء غير اللغوي، وجهاز الشم...إلخ. ودون افتراض هذه المستويات التمثيلية يستحيل أن نقول إننا نستعمل اللغة في وصف إحساساتنا، وإدراكاتنا، وتجاربنا المختلفة بوجه عام. يشير جحفة من تصوّره للقيد العرفاني إلى فاعلية الأجهزة الحسية – الحركية في بناء المعنى فدمج مدخلاتها على مستوى الذهن البشري هو أحد أسس بناء المعنى، وهنا نلاحظ أهمية الجانب المادي والمحيط والعالم الخارجي في تكوين المعنى.

 $^{^{1}}$ جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد، تر: عبد المجيد جحفة، ص 1

لمرجع السابق، مقدمة المترجم، ص 2

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2 – 6 – 7.

- دلالة الأطر (frame semantics):

تعتمد هذه النظرية على العلاقات الرابطة بين الألفاظ داخل حقول دلالية. وتمثل هذه العلاقات حجر الزاوية في دفاع شارل فيلمور عن الفهم الموحد، وبالتالي الاستغناء عن شروط صدق ممكنة في عالم ممكن. فالإطار الموحد ببنيته الدّاخلية التي تعكس مجالا معينا من التجربة، يصبح بمعنى معين "شروط صدق" داخلية على قيام المعنى ووجوده.

- الأفضية الذهنية (mental Spaces):

يرى جحفة أن عصارة نظرية فوكونيي تتمحور على تصور مفاده أن اللغة لا ترتبط بالعالم الفيزيائي الخارجي مباشرة، بل هناك مستوى وسيط يعمل على بناء الترابطات هذا المستوى يتمثل في الأفضية الذهنية التي تسمح ببناء المعنى وحدوث التنظيم الدلالي عبر بناء الأفضية وتكاثرها وارتباطها ببعضها.

بعد تحديد الروافد الكبرى التي تأسست عليها طروحات الكتاب عرض جحفة رؤى أخرى وانتقاداتها عن المعرفة (البعد المعرفي)، وإمكانية مقاربتها موضوعيا ومقاربتها تجريبيا حسب أشهر النظريات الدلالية العرفانية. وقد مثّلت المعرفة في الطّرح الموضوعي قاسما مشتركا باعتبارها ذلك العنصر الذهني عند الجنس البشري وبهذا تكون اللغة، وهي عبارة عن رموز وعمليات خوارزمية تعالج هذه الرموز، لغة تعكس الفكر البشري، أي ما يقوم به من عمليات ذهنية. وتكون الرموز اللغوية تمثيلات داخلية لحقائق خارجية، وضمن هذا التصور الموضوعي للمعرفة برز تياران؛ تيار النظرية الخوارزمية للعمليات الذهنية التي لا تمثل سوى معالجة صورية لرموز اعتباطية بصرف النظر عن معاني هذه الرموز، وتيار نظرية المعنى الرمزية التي تفترض احتمال وجود معنى للرموز الاعتباطية، لكن بعض الباحثين في نظرية المعرفة الموضوعية يرى أنها نظرية غير كافية وتشكو من خلل عدم الانسجام الداخلي في رصدها للمعنى، ونتيجة لذلك تم اقتراح نظرية ذهنية بديلة تركّز على: دور خلاسان في تحديد التصورات الدّالة، وقدرة الخيال البشرى على خلق تصورات دالة. أ

أ) 1 - 2 - 1 المعرفة في الطّرح التجريبي:

قام هذا التصوّر على الانتقادات الموجهة للأطروحة السابقة القائلة إن المعرفة موضوعية، خاصة من قبل لايكوف وجونسون اللذين أكّدا على البعد التجريبي في فهم المعنى وبنائه، وما هو تجريبي يقصد به البعد الحسي – الحركي، والبعد العاطفي، والبعد الاجتماعي، يضاف إلى كل هذا القدرات الفطرية التي توجه التجربة وتجعلها ممكنة. وفي حيّز تنازع اتجاهي الطرح الموضوعي والطرح التجريبي المعرفة، يبسط عبد المجيد جحفة نقاط تعارض الطرح الموضوعي والطرح التجريبي للمعرفة على الشكل الآتي:

 $^{^{1}}$ ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، مقدمة المترجم، ص 0

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 9 – 11.

- إذا كان الطّرح الموضوعي ينظر إلى الفكر باعتباره محايدا، فإن الطّرح التجريبي ينظر إليه باعتباره يقتضي، بشكل أساسي وجوهري، نوع التجربة المبنينة التي تتتج عن كون البشر يملكون أجسادا، ولهم قدرات حسية حركية فطرية، ...إلخ.
- إذا كان الطرح الموضوعي ينظر إلى المعنى انطلاقا من نظرية توافقية تضم الرموز إلى الأشياء الخارجية فإن الطّرح التجريبي يعتبر المعنى مرتبطا، بالأساس، بإسقاط خيالي (imaginative projection) يستعمل آليات مثل المقولة والاستعارة والكناية، تتيح أن ينتقل البشر مما يقومون بتجربته بكيفية مبنينة إلى نماذج معرفية مجرّدة.
- إذا كان الطرح الموضوعي ينظر إلى سيرورات الفكر باعتبارها معالجة لرموز مجردة عن طريق عدد هائل من الخوارزميات المبنينة بشكل دقيق، فإن الطرح التجريبي يشترط عددا قليلا من السيرورات المعرفية العامة التي يعطي تطبيقها على النماذج المعرفية المجردة ما يمكن تسميته "العقل" البشري. 1

بعد تقديم جحفة للإطار النظري العام وروافده وأسسه التي اعتمد عليها لايكوف وجونسون في وضع كتابهما الاستعارات التي نحيا بها، وطرح تصورات جديدة عن الاستعارة وآلياتها الذهنية وفاعليتها في توليد المعنى، أجمل المباحث الأساسية للمؤلّف ومراميها ضمن عنوان فرعي (الاستعارات التي نحيا بها)؛ حيث رأى أن هذا الكتاب يبحث في الكيفية التي يفهم بها الإنسان لغته وتجربته والعلائق الرابطة بينهما؛ أي كيف تفعل التجربة في اللغة وكيف تفعل اللغة في التجربة؛ ولأن جزءًا كبير من تجاربنا وسلوكنا وانفعالاتنا استعاري من حيث طبيعته، فقد عمل هذا الكتاب على انتقاء آليات اشتغال التعابير الاستعارية لقياس هذا التفاعل ورصد بعض خصائصه، ومن الافتراضات المركزية أيضا في هذا الكتاب ممارستنا للحياة بواسطة الاستعارات وحتى دون شعور منا بتلك الممارسة، وعليه تتجاوز الاستعارة، بمفهوم لايكوف وجونسون، المظهر اللغوي إلى المظهر النقافي العام الذي تتأثر به اللغة كما تتأثر به بقية سلوكات الجنس البشري.²

أمّا عن ترجمة هذا الكتاب فإن جحفة ينبّه إلى أن الترجمة يمكن أن تحدث خللا جرّاء نقل استعارات وعبارات من لغة وثقافة معينة (إنجليزية) إلى لغة وثقافة مختلفة عن الأولى (اللغة العربية) مما يُوجِدُ غالبا اختلافا بين التصورات، مع ذلك فالترجمة لها وجه استفادة يتمثّل في محاولة تأسيس تعامل جديد مع عدد كبير من المشكلات والقضايا الدلالية في اللغة العربية، وعلى رأسها البناءات المجازية، فقد ظلت دراسة هذه البناءات رهينة مقاربات بلاغية مدرسية يرددها الجميع دون عمق أو طرح للأسئلة المناسبة بصدد الأسس الممكنة والمقنعة في قيام التعبير المجازي وخصوصيته.

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، مقدمة المترجم، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 13.

أ) 2- ترجمة كتاب حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل:

يمثل هذا الكتاب امتدادا لتصوّر الاستعارة عند لايكوف وجونسون، لكنه ضمّنه تصوّرا مختلفا عن تصور الاستعارات التي نحيا بها، فهي في هذا الكتاب أصبحت "استعارات قاتلة" وهو ما تؤكد عليه المقالات الثلاث التي ضمّها كتاب الاستعارات التي تقتل، فقد تحوّلت الاستعارات إلى أداة قتل عندما استُعملت "كبناء استدلالي لتبرير الحرب (حربي الخليج الأولى والثانية) وتسويغ الهجوم على البشر. الاستعارة قد تقتل عندما تخفي وجه الحرب البشع، [...] فالإدارة الأمريكية لم تدخل الحرب على العراق بالسّلاح فحسب، بل دخلتها أيضا بترسانة استعارية." وفقا لهذا النصور يمكن استغلال الاستعارة لأهداف مغرضة في الإطار السياسي والعسكري وتضليل الرأي وإطار النقاش العام، وإخفاء ما يريد المتكلم أن يخفيه، لكن لايكوف انتبه إلى هذه الأغراض فأخرج كتاب الاستعارات التي تقتل كخطاب توعية يحلل اللغة والفكر ويكشف الأسس والتوجهات الخفية للسياسات الأمريكية.

- ومجمل التصورات التي حددها لايكوف في الكتاب الذي بين أيدينا حدّدها جحفة فيما يأتي:2
- اللغة في تصوّر لايكوف تأتي دائما بما يسمى التأطير (Framing) فكلّ كلمة تحدد بالنظر إلى إطار تصوّري معيّن.
- الاستعارة لا تستعمل بالمعنى اللغوي العادي كآلية للتجميل المجازي وتحسين الأسلوب، بل هي مصطلح أغنى وأعقد يعنى الأطر والنماذج التي تسمح ببنينة المعرفة والمفاهيم والأنساق التصورية، إنها آلية لترميز المعرفة وبناء سَنَنِها، إنها جزء من خطابنا اليومي.
- تحكم الاستعارة علاقة تفاعلية مع الجسد والخيال والثقافة والعالم الخارجي، وهي ليست مستقلة عن التصور التجريبي. وهذا تصوّر أراد جحفة التأكيد عليه هنا فضلا عن وروده في مقدمته في كتاب الاستعارات التي نحيا بها؛ وذلك نظر لكون التصور التجريبي الأساس الذي بنى عليه لايكوف نظرية الاستعارة بدحضه للتصوّر الموضوعي الكلاسيكي الذي يعزل الذهن البشري عن العالم الخارجي.
- الاستعارة لا تقوم على أساس المشابهة بقدر ما تقوم على عملية الربط (mapping)؛ إذ تقوم الروابط بعملية اختراقية بين مجالين أحدهما هدف والآخر مصدر.

بعد هذه الإفاضة من عبد المجيد جحفة في الإطار المعرفي للاستعارة انتقل إلى موضوع الكتاب الأساس، وهو الاستعارات التي تقتل هذه الأخيرة التي ظهرت في الرسالة الإلكترونية التي حررها لايكوف بعنوان "الاستعارة والحرب" إثر غزو العراق للكويت، وقد برّر جحفة أهمية ترجمتها إلى اللغة العربية لإبراز أن المثقّف في البلاد الغربية ينشغل ببحثه العلمي وما يقتضيه من تخصّص واعتكاف، وما يتطلّبه من وقت

¹ جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، تر: عبد المجيد جحفة، عبد الإله سليم، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط 1، 2005، ص 5.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 6 – 7 – 8

غير أنه في الآن نفسه ينشغل بقضايا بلده وبقضايا الإنسانية العامة واليومية، من أمثال جورج لايكوف، نوام تشومسكي، ميشيل فوكو، جاك ديريدا وغيرهم من جهة، ومن جهة أخرى تمت ترجمة هذه المقالات لكونها تدرس الاستعارات التي تعكس الأنساق التصورية التي يحملها الفكران الغربي والعربي إزاء بعضهما.

وقد استهدف لايكوف في مقالاته التي ضمها كتاب الاستعارات التي نقتل طائفة من الاستعارات التي استعمالها الرئيس الأمريكي بوش وبوش الابن تجاه صدام حسين ونظامه، وكيف صور الحرب ضد صدام حسين بعدها صفقة تجارية لابد من كسبها معتمدا على كثير من الاستعارات وشخصيات الحكايات الخرافية لتغطية ضراوة وبشاعة الحرب لدى الرأي العام، فنجده تارة يصور صدام حسين في صورة الشرير الذي لابد من ردعه وفي الوقت نفسه يمثل صدام حسين بطلا من وجهة النظر العربية؛ لأنه دافع عن الكرامة العربية الإسلامية، وهذا الاختلاف في التصور ناتج عن اختلاف الأنساق التصورية في الفكر الغربي والعربي. وبواسطة الاستعارات يبدو أن "الجمهوريين نجحوا في تشييد أطر في أذهان المواطنين الأمريكيين لن يكون بمقدور الوقائع تغييرها، وبالتالي فإنّ المعركة الحقيقية إزاء هذا التأطير ينبغي أن تخاض على مستوى الأذهان لا على مستوى الوقائع فحسب." والمعركة التي تخاض على مستوى الأذهان هي ما أراد لايكوف إبانته والكشف عنه من خلال التنبيه إلى الاستعارات الخطيرة (القاتلة) المستعملة وتعرية الحقيقة التي تخفيه.

أ) 3- ترجمة كتاب الفلسفة في الجسد الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي:

يبين جحفة في تقديمه للترجمة هدف الكتاب المتمثّل في إعادة النظر في جزء هام من الأدبيات الفلسفية بناء على النتائج التي توصل إليها العلم العرفاني المعتمد على الأبعاد التجريبية لاشتغال الذهن البشري؛ وهي النتائج التي من شأنها إبراز بعض الأسس التي تقوم عليها هذه الأدبيات، وتفكيك أشكال بنائها، وخاصة "البناء" بواسطة الفكر الاستعاري. بعبارة أخرى هدف الكتاب منصب على استثمار نتائج العلوم العرفانية التجريبية في فهم عمليات الذهن البشري، وبالتحديد فهم بناء الاستعارات من خلال التجربة المادية؛ وبالتالي إمكانية طرح منظور فلسفي مغاير يعير أهمية أكبر لفاعلية التجربة الجسدية وهو ما يمكن تسميته "فلسفة في الجسد" أي أن الفكر مرتبط بالجسد.

وفي ترجمة جحفة لهذا الكتاب بدأ بتعليل عنوانه لماذا "الفلسفة في الجسد" وأصل الكتاب philosophy (philosophy وفي ترجمة جحفة لهذا اللحم، رأى أن وضع هذه التسمية لأن ثمة معنى متصل بالمعنى أعلاه يعتبر فيه هذا "اللحم" كناية عن المادة، وهو كناية في هذا المعنى عن الجسد البشري، وعن الوجود الفيزيائي أو الجسمي عامة، وهذا هو المعنى الذي استندنا إليه في ترجمتنا للعنوان، قهذا الأخير يظهر في ترجمته أهمية الجانب

 $^{^{1}}$ المرجع السابق، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، مقدمة المترجم، ص 2

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص

المادي كأحد موضوعات الكتاب المترجم الذي تميّز بمحتوى ذي طبيعة تفكيكية نقدية؛ إذ يعمل على إعادة النظر في مسائل فلسفية سابقة عديدة بقيت ثابتة طول عصور وأهمها الفكر المجرد، وهذا ما يظهر في العنوان الفرعي للكتاب "الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي" الذي يروم تفكيك التصورات الفلسفية الغربية المجرّدة وإبراز أهمية تفاعل الذهن والجسد في بناء المعرفة والتصورات واعتمادها على الاستعارة أساسا، والعمل على الطرح التجريبي المادي في بناء التصورات يرنو إلى إيجاد حل للمفارقات الواضحة في الفكر الغربي، فهو "يرفض في مجمله التّجسد، أي انبناء التصورات وفق إمكانات الجسد البشري، فيما يعتمد في خطابه على استعارات تصوّرية متجسدة. "أ ومن الجدير هنا ملاحظة الأدوات العلمية الجديدة التي يمكن أن ينتجها هذا الطرح الفلسفي التجريبي الجديد أثناء وضع حل لهذا النتاقض الفلسفي.

من جهة أخرى يمكن أن نلاحظ تطلّع لايكوف وجونسون إلى وضع دراسة لفهم النسق الاستعاري للفكر الفلسفي والذهن وليس للغة العادية فحسب؛ إذ سبق في مواضع متقدّمة عديدة إثبات استعارية اللغة العادية حيث كانت المادة التجريبية لنظرية الاستعارة التّصورية في كتاب الاستعارات التي نحيا بها، أما في كتاب الفلسفة في الجسد " تشكّل لغة النسق الفلسفي، والبنية الاستعارية للمفاهيم الفلسفية، المعطيات الأساسية التي ينطلق منها المؤلفان، "2 وهنا يتضح أن جحفة يبيّن اشتغال لايكوف وجونسون على إثبات استعارية اللغة في عمومها سواء اللغة المستعملة بين عموم الناس أو اللغة الخاصة بمجال معين (لغة الفكر)، ويلاحظ ذلك في أعمال لايكوف وجونسون حيث انتقلا من الاشتغال على استعارية اللغة العادية إلى الاشتغال على إثبات استعارية المفاهيم الفاسفية والفكر.

إضافة إلى تنبيه جحفة على الارتقاء التحليلي اللغوي لكل من لايكوف وجونسون في إثبات استعارية اللغة والفكر كمادة تجريبية لكتابي الاستعارات التي نحيا بها والفلسفة في الجسد، يشير إلى ضرورة الإحاطة المنهجية والموضوعاتية التي يلتزم بها لايكوف وجونسون؛ إذ يدرك متتبع مؤلفاتهما أنهما اشتغالا وفقا لتكامل بين التصورات الواردة في كتابي الاستعارات التي نحيا بها والفلسفة في الجسد، فاشتغلا في الكتاب الأول على رد بعض الاعتبارات الفلسفية عن الاستعارة منها: إن الاستعارة لا معنى لها، وإن بعض المبادئ الدلالية والتداولية تسمح بإسناد معان حرفية إلى الجمل الاستعارية، وهي اعتبارات راجعة إلى الأخذ المغرق بأفكار الفلسفة التحليلية والفكر الغربي التقليدي عموما الذي يرى أن التصورات كلها واعية وحرفية وغير متجسدة. 3 لهذا وجبت إعادة النظر في هذه الاعتبارات بالاستناد على النتائج التجريبية لعلم عرفاني متجسد حول الذهن والفكر واللغة

 $^{^{1}}$ المرجع السابق، مقدمة المترجم، ص 1

² المرجع نفسه، ص 11.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 15.

إذ تصبح التصورات استعارية ومتجسدة، وعليه فإن نظرية الاستعارة التصورية من وجهة نظر لايكوف وجونسون تتأسس على التصورات الآتية:

- الاستعارات تصوّرية في طبيعتها، واللغة الاستعارية ثانوية في هذا الباب.
 - تتشأ الاستعارات التصورية من تجربتنا اليومية.
 - الفكر المجرّد استعاري بشكل واسع.
- الفكر الاستعاري حتمي ولا يمكن تجنبه، ومهيمن ومنتشر، ولا واع في أغلبه.
 - التصورات المجردة لها نواة حرفية ولكنها تتوسع بواسطة الاستعارات.
 - لا تكتمل التصورات المجردة دون استعارات.
- أنساقنا التصورية ليست متسقة عموما، مادامت الاستعارات المستخدمة للتفكير في التصورات قد تكون غير
 متلائمة.¹

وهذه التوجّهات في وضع نظرية الاستعارة التصورية تسعى جميعها إلى إثبات استعارية الفكر واستعارية اللغة ومن جهة أخرى إلى توضيح فاعليه التجربة في بناء الاستعارات وبناء الفكر عموما، وقد تدرّجت كتب لايكوف وجونسون في افتراض هذه الطروحات وإثباتها ودحض الطروحات التقليدية عن الفكر المجرد المستقل عن التجربة.

يرى عبد المجيد جحفة أن الاستعارة التصورية مبحث فرعي رئيسي في اللسانيات العرفانية يسعى إلى وضع أسس تفسيرية للأنساق التصوّرية واللغة في الدراسة العامة للدّماغ والذهن، مع ذلك لم يرد في هذا الكتاب حبّر للحديث عن اللسانيات العرفانية والعلوم العرفانية، لذلك قدّم جحفة حوصلة عن العلوم العرفانية كتقديم للإطار العام لموضوع الكتاب تمحورت حول مفهوم العلوم العرفانية، فذب إلى القول إنها علوم الذّهن تسعى إلى فهم الإدراك، والتفكير وعمل الذاكرة، وفهم اللغة، والتعلم، وظواهر ذهنية أخرى. وهذا ما يجعل مجال البحث متنوعا بشكل كبير، يشمل ملاحظة سلوك الأطفال، والنظر في برمجة الحواسيب وقيامها بحل مشاكل معقّدة مثلما يشمل تحليل طبيعة المعنى، وما يساعد العلوم العرفانية على تحليل هذه العمليات جمعها لمجالات معرفية مخصصة لدراسة المعرفة: العلوم العصبية، وعلم النفس العرفاني، الذكاء الاصطناعي، الأنثروبولوجيا، فلسفة الذهن، الرياضيات التطبيقية، اللسانيات وغير هذه العلوم. وهذه الإضافة من طرف جحفة غايتها وضع القارئ العربي ضمن المجال العام الذي ألّف لأجله كتاب الفلسفة في الجسد، وهو العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية التي نستشفها من تركيز لايكوف وجونسون بحثهما على الاستعارة التصورية.

[.] 1 ينظر: المرجع السابق، مقدمة المترجم، ص 1

² ينظر: المرجع نفسه، ص 17 – 18.

أ) 3 - 1 - 1 النموذج الوصلى للذكاء الاصطناعي وعلم الخلايا العصبية:

اهتم جحفة في هذا العنصر بإبراز الأهمية التي تمنحها العلوم العرفانية لدراسة اللغة والفكر واشتغالها على وضع نظرية شاملة موحدة الفكر واللغة تتجاوز التصور العصبي الذي يرجع فهم عمل الفكر واللغة بناء على عمليات الدماغ وآلياتها فقط إلى نظرية مؤسسة على الحوسبة العصبية مخالفة للتمثيل الرمزي الرياضياتي وهذه النظرية هي ما أطلق عليها النموذج الوصلي وهو عبارة عن شبكات كبرى من الأجهزة البسيطة جدا تكمن مهمتها في ترجمة التعليمات وتنفيذها، وتتصل ببعضها بعضا وتُقيم ترابُطات مكثفة وتعمل بشكل متوازٍ. وكل جهاز له قيمة تفعيل رقمية يوصلها إلى الأجهزة الأخرى تبعا لترابطات تتفاوت قوتها. وتتميّز النماذج الوصلية بأنه لا يتم ترميز المعرفة فيها بواسطة بنيات رمزية بل في الشكل الذي تتخذه المعاملات الرمزية التي تحدد فعالية الوصلات بين الأجهزة. أ في افتراض هذا النموذج يحاول جحفة توضيح العملية الحاسوبية العصبية التي يمكن اعتمادها في بناء نظرية شاملة الفكر واللغة، باعتبار الحوسبة عملية رياضية اشتهرت جدا في مجال الذكاء الاصطناعي، فأصبح من الجدير استثمارها في فهم الحوسبة العصبية التي تسمح بصورنة المعرفة في بنيات مرزية ذهنية مجرّدة.

أ) 3- 2- الاستعارة الأولية والنظرية العصبية:

يعد البحث في العلاقة بين الاستعارة التصورية والنظرية العصبية من أحد التطويرات التي اقترحها كل من جوزيف غرادي (Joseph Grady) 1997 (وكريستوفر جونسون (Christopher Johnson) 1997؛ إذ تشتغل هذه النظرية على حوسبة الاستعارات وسريفيناس نارايانان (Srivinas Narayanan) 1997؛ إذ تشتغل هذه النظرية على حوسبة الاستعارات التصورية عصبيا بواسطة ترابطات عصبية تربط النسق الحسي-الحركي بمناطق قشرية أعلى في الدّماغ وعبر هذه الترابطات تتم تقوية الخلايا العصبية المرتبطة بالمجموعات العصبية الموجودة في المصدر والهدف التي تفعّل بعضها خلال مرحلة الدّمج. وتنتج هذه الآلية التعلّمية العصبية نسقا تواضعيا وقارًا من الاستعارات الأولية التي تميل إلى الاستقرار بشكل دائم في النسق التصوري، بناء على هذا التصور فالاستعارة ظاهرة عصبية تثبت أن ما أسماه لايكوف وجونسون ترابطات استعارية تتحقق ماديا بوصفها ترابطات وخطاطات عصبية. إنّها تشكل الآلية العصبية التي تقوم بالتعبئة الطبيعية، والحتمية، للاستنتاج الحِسي- الحركي كي يتم استعماله في التفكير المجرد، وتبرز الاستعارات الأولية تلقائيا وآليا دون أن نكون واعين بها.

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 22

² ينظر: المرجع نفسه، ص 25 – 27.

من خلال عرض المؤلفات اللسانية العرفانية التي تبنّى عبد المجيد جحفة ترجمتها، في الغالب، يتّضح أن له منهجا متبّعا وطريقة خاصة به، تهدف إلى تحقيق عدد من الغايات المسطّرة أفصح عنها في مقدّمات ترجماته، ويمكن حوصلتها فيما يأتي:

- يقدّم جحفة في ترجماته حوصلة عامة عن الإطار المعرفي التي ينتمي إليه المؤلف، ثم يتدرّج من العام الذي الخاص ليبلغ الموضوع الأساس الذي يعالجه المؤلف، وهذا ما يلاحظ في مقدّمات الترجمات؛ إذ نجد تحديدا دقيقا وواضحا فيها للحقل العلمي الذي تتتمي إليه الاستعارة باعتبارها الموضوع الأساس في دراسات لايكوف وجونسون، فينتقل جحفة من إطار العلوم العرفانية إلى اللسانيات العرفانية إلى الدلالة العرفانية وأسسها التي بيّنها في "الاستعارات التي نحيا بها" (القيد العرفاني، دلالة الأطر، الأفضية الذهنية)، منتقلا إلى توضيح نقد المعرفة المجردة وافتراض المعرفة التجريبية الذي قامت عليه نظرية لايكوف وجونسون، وهو الطرح الذي يكرره ويؤكد عليه في الترجمات الثلاث.
- تستهدف ترجمات عبد المجيد جحفة الفئة العربية التي مازالت في حاجة إلى الاطلاع الدقيق على حقل العلوم العرفانية وفرع اللسانيات العرفانية بنماذجه المختلفة على وجه الخصوص؛ لذلك نجده يشير في مواضع كثيرة من الترجمة إلى أهدافه، فيقول في "الاستعارات التي نحيا بها" إن الترجمة باعتبارها خيانة يمكن "الاستفادة منها قدر المستطاع، ويكمن وجه الخيانة/ الاستفادة، كما نتصوّره، في محاولة تأسيس تعامل جديد مع عدد كبير من المشاكل والقضايا الدلالية في اللغة العربية، وعلى رأسها البناءات المجازية، فقد ظلت دراسة هذه البناءات رهينة مقاربات بلاغية مدرسية يريدها الجميع دون عمق أو طرح للأسئلة المناسبة بصدد الأسس الممكنة والمقنعة في قيام التعبير المجازي وخصوصيته. إن ما نريده، بالفعل، هو خيانة المعطيات الإنجليزية الكثيرة التي ينبني عليها الاستدلال في أصل هذا الكتاب فنضع "مخووناتنا" في اللغة العربية"¹ وهي غاية استمر في تحقيقها في ترجمته لكتاب حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، حيث سعى في ترجمته إلى الإشادة بالخروج من حيّز الدراسات اللسانية والثقافية العربية في الاقتصار على تحليل الخطاب الأدبي إلى تحليل جميع أنواع الخطاب بما فيها الخطاب السياسي والإعلامي الذي يتجدد في كل حين، وقد برز هدفه في كتاب الفلسفة في الجسد من خلال تصريحه باشتغاله على لفت الانتباه إلى هذا التصوّر الجديد للاستعارة الذي يسند محتوى تجريبيا مباشرا لنظرية الاستعارة، ويمدّها بأسس مادية تفسّر البناء الاستعاري وتبرز نسقيته بالتركيز على العمليات المتجسّدة في الذهن البشري من جهة، ومن جهة أخرى يهدف من خلال ترجمته هذه إلى فتح آفاق المراجعة والتفكيك لتصوّراتنا الخاصة؛ أي التصوّرات الفكرية العربية، لا بخصوص البناء الاستعاري

 $^{^{1}}$ جورج لایکوف، مارک جونسون، الاستعارات التی نحیا بها، ص 1

فحسب، وإنما بخصوص الحقيقة الفكرية والفلسفية عامة وإعادة قراءة أنساق الفكر والثقافة. 1 ويترتب عن استقراء أهداف جحفة من ترجماته لمؤلفات لايكوف وجونسون سعيه نحو وضع المتلقي العربي في إطار البحث اللساني العرفاني المعاصر، وضرورة استثماره لمعطيات الفكر العرفاني والتجريبي الغربي لإعادة قراءة قضايا اللغة العربية بأدوات لسانية معاصرة.

- ورغم الجهود المبذولة الواضحة في ترجمات جحفة التي اهتمت بتصوّر واحد هو تصور لايكوف وجونسون في الاستعارة وعنيت بنقله إلى العربية في مشروع متكامل، إلا أنه قصر ترجماته على موضوع الاستعارة وجهود لايكوف وجونسون فقط، وهذا ما يجعل مشروعه التُرجمي في اللسانيات العرفانية مشروعا جزئيا، قدّم من خلاله نظرية الاستعارة التصوّرية للمتلقي العربي في صورتها الموسّعة ضمن مشروع ترجمي متكامل.

ب. جهود عربية أخرى في بلورة اتجاه الترجمة للسانيات العرفانية:

لا تتوقف الأشغال الترجمية العربية عند جهود عبد المجيد جحفة بل تتجاوز ذلك إلى عدد لا بأس به من الترجمات المتفرقة والمتراوحة بين الكتب، والقواميس، والمقالات، ومن أشهر الكتب المترجمة في حقل العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية ما يأتى:

ب) 1 - ترجمة الكتب والقواميس:

-1 - 1 ترجمة عبد الرزاق بنور لكتاب علم الدلالة والعرفانية:

كتاب راي جاكندوف علم الدلالة والعرفانية عنوانه في لغته الأصل (الإنجليزية) Semantics and (الإنجليزية) كتاب راي جاكندوف علم الدلالة والعرفانية عنوانه في لعبد الرّزاق بنّور سنة 2010م، حيث قدّم لترجمة الكتاب بمقدّمة متميّزة جاءت في شكل ملاحظات عن الإطار العام لموضوع الكتاب محطّ الترجمة، ومنهج جاكندوف، وأسلوبه وتصوّراته عن النظرية العرفانية والتوليدية ككل، لاسيما نظرية الدلالة التّصوّرية، ثم يصل إلى تبرير ترجمته العربية وبعض الاختيارات المصطلحية والنحوية والتعبيرية التي مثّلت التباسا عند نقل نصوص جاكندوف إلى اللغة العربية، وفي ما يأتي أهم الملاحظات التي قدّمها بنور لقراء ترجمته.

- راي جاكندوف مختص في علم الدلالة وبتخصيص أكثر في علم الدّلالة التّصوري conceptual (conceptual بعدما كان مهتما بتطوير تصوّرات نوام تشومسكي بما تطرحه فلسفة اللغة الأمريكية والنظريات الدلالية المنطقية، وعلم النفس العرفاني من جهة أخرى؛ لذلك كان من الصّعب فهم تصوّر وفكر جاكندوف من خلال قراءة كتاب واحد أو مقال منفرد له، بل فهم مشروعه الدلالي التصوري يوجب اطلاعا شاملا لكل مؤلفاته؛ فكتابات جاكندوف تتميز بالكثافة المعرفية و "تحيل بين السطور على الجوّ الفكريّ

 $^{^{1}}$ جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد، ص 2

السائد، فتراه يناقش مُحاورا غائبا يفترض أن يكون القارئ عارفا بما كتبه، مطّلعا على ما جاء في أدبيّات القضيّة، ممسكا بخيوط الجزئيات، أو على الأقلّ بمحاور النقاش والمصطلحات الأساسية." وعليه يصرّح عبد الرزاق بنوّر أنه استعان بالعدد الكبير جدا من الهوامش لتوضيح كثير من أفكار ومصطلحات جاكندوف لقارئ هذا الكتاب المترجم، لاسيما فيما يخص فلسفة اللغة الأمريكية وعلم النفس العرفاني، وإلى جانب تركيز تصورات جاكندوف فهو كذلك يتميّز بأسلوب لولبي غير خطّي، بحيث لا توجد بين مؤلفاته وتصوّراته أي قطيعة وقد وضبّح بنور هذه الارتدادية بعدد من الأمثلة مثل: استعمال جاكندوف "مفهوم البنية الذهنية" و "مفهوم التمثيل الذهني".

- صدر كتاب علم الدلالة والعرفانية في ظل الصراع القائم بين الدلالة الماصدقية وشرطية الحقيقة التي لم يستطع راسل، وفريغه، وتارسكي التخلص منها من جهة، وذهنوية (mentalism) نوام تشومسكي المنبثقة عن فكر "فتغنشتاين" التي ترى أن الدلالة "عملية نفسانية" هذا التصوّر الدلالي الذي أفضى إلى ظهور المنعطف النحوي/ اللساني عند فتغنشتاين (wittgenstein's Grammatical Turn) وبالتالي فتح الباب لظهور النظرية العرفانية لاحقا من جهة أخرى، واهتمام جاكندوف كان منصبًا على الذهنوية بنظرتها إلى الدلالة وفي المقابل تخلّى عن أهم مبادئ تشومسكي القائلة بأولوية التركيب على كل المكوّنات الأخرى. وفي ضوء هذه الصراعات الفلسفية عن الدلالة ظهر كتاب جاكندوف بوادر نتائج المنعطف العرفانيّ الذي استهلّه فتغنشتاين في الفلسفة وعمّقه تشومسكي في اللسانيات؛ ومنها استحواذ علم النفس على اللسانيات حيث يقول جاكندوف: "أن ندرس دلالة اللغة الطبيعيّة يعني أن ندرس علم النفس على اللسانيات حيث يقول جاكندوف: "أن ندرس دلالة اللغة الطبيعيّة يعني أن ندرس علم النفس

راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ص1

^{*} ظهر مصطلح المنعطف النحوي/ اللساني في المرحلة الثانية من فلسفة لودفيك فيتغنشتاين اللغوية حيث احتل النحو فيها مركزا أساسيا جعل هذه الفلسفة تتصف بميلها للنحو، لكن ليس النحو بمفهومه العام أو مفهومه اللساني، إنما النحو الذي اهتم به فتغنشتاين في مؤلفه تحقيقات فلسفية يقترب من علم الدّلالة أكثر من اقترابه من أي مستوى لساني آخر ويقوم على ألفاظ من قبيل: "قواعد"، "لعبة لغوية"، "نظام" لاسيما هذا الأخير الذي يشير فتغنشتاين إلى أهميته في تصوّره للنحو فيقول: "ليس للرّمز حياة خارج النّظام" والرّمز يشمل الدّوال اللسانية التي تكوّن أجزاء الكل (اللغة)، مع ذلك فإنّ فلسفة لودفيك فتغنشتاين ترى أنه لا وجود للجزء خارج علاقته بالكلّ ولا سبيل إلى جزء يحدّد الكل، وهذا التّصوّر يسري على جميع مستويات الوصف الفلسفي، وتتحدد وظيفة النحو من وجهة نظر فلسفية في وصف التطابق بين القواعد والاستعمال والآليات التي يمتثل بها الاستعمال للقواعد؛ أي معرفة هل الجمل المولّدة متداولة في تلك البيئة اللغوية ولها معنى أم لا؟ وبالتالي لا يتعلّق النحو، حسب فلسفة فتغنشتاين، بوصف العلاقات بين اللغة والاستعمال الواقعي وهو ما يناسب علم الدّلالة.

ينظر: لودفيك فتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، تر: عبد الرّزاق بنّور، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص 70 وما بعدها.

العرفاني." أو وبذلك احتل علم النفس العرفاني الصدارة بعد أن كانت اللسانيات النموذج العلمي الذي أثر بشدة في كلّ العلوم الأخرى وتولّى ريادتها.

- نظرا لكون فكر جاكندوف تصورا جامعا لفلسفة اللغة، واللسانيات، وعلم النفس العرفاني، يقترح علينا عبد الرزاق بنور الانطلاق من الاطلاع على هذا الكتاب؛ لأنّ "المفاهيم لم تتبلور بما فيه الكفاية في الأعمال التي سبقت صدوره، ويعدّه الباحثون العارفون نقطة انطلاق النّظريّة بحق، فقد كان أوّل من ربط بين الإدراك الحسّي [...] من قبيل الإبصار الذي يكافئ بفضله بين الأبنية النّصوريّة التي تحكم الألوان والأشكال وآليّة اكتساب اللغة وبين استعمالها وبالتالي إنتاج المعنى" وهنا يتصوّر أن البنية التصورية ليست لغوية في جانب منها؛ إذ تضم الأبنية الذهنية غير اللغوية التي تبنى النظام اللغوي.
- من ملاحظات عبد الرزاق بنور كذلك عن فكر جاكندوف أنه لا يصنّف ضمن اللسانيين العرفانيين لكونه لم يعلن قطيعة تصوّراته حول الدلالة العرفانية عن النظرية التوليدية وعلم الدلالة الصوري خلافا لباقي اللسانيين العرفانيين مثل: جورج لايكوف وجيل فوكونيي وغيرهم، بل اشتغل على التوفيق بين النظرية العرفانية والنظرية التوليدية تحت مسمى هندسة التوازي.

اهتم جاكندوف في نظريته العرفانية على مبدأ الشكلنة المأخوذ من النظرية التوليدية، وتعتمد الشكلنة (الشكل المنطقي) على كتابة الجملة كتابة رمزية محضة لا تحمل لبس اللغة العادية وإبهامها، وهي مبدأ ظهر في المرحلة النموذجية للنظرية التوليدية ويتمثل في البنية العميقة وله اتصال بالمنطق الصوري، مع ذلك فقد اشتغل جاكندوف على تحسين الكتابة الرمزية لكن لتمثيل المستوى الدلالي وليس المستوى التركيبي. إضافة إلى مبدأ التأليفية أو ما يعرف أيضا بمبدأ "فريغه" ويطرح هذا المبدأ في إحدى صيغه أنّ "معنى الجملة رهين معاني أجزائه" أو أنّ معنى الكلّ متعلق بمجموع معنى الأجزاء. وبينما يدرس جاكندوف صيغتين من صيغ تطبيق مبدإ التأليفية، في قراءة متشددة تتمثل في أنّه ينبغي على جميع المكونات النظمية في الجملة أن تناسب جزءا مستقلا من البنية الدّلالية قابلا للتبيّن مسترسلا. أما القراءة المتسامحة فتتمثل في أنّ كل جزء من أجزاء الجملة ينبغي أن يساهم بطريقة ما في الكلّ، ولكن ليس بالضرورة باعتباره قطعة منفصلة. قديث يعمل مبدأ التأليفية على توظيف جميع العناصر اللسانية التركيبية في المشاركة في بناء الدّلالة.

- يسعى راي جاكندوف إلى إعادة الريادة للسانيات بعد أن كانت للنظرية التوليدية ردحا من الزّمن، عن طريق تدارك مواقع الخطأ في النحو التوليدي وتأكيد مواقع صوابه فينكر أولوية التركيب ومركزيته لكن دون إقصائه من اهتماماته، ويدمج النظرية التوليدية في النظريات العرفانية؛ إذ تلتقيان على أكثر من صعيد مع الاهتمام الشديد بالدّلالة التي تخلّى عنها تشومسكي في نظريته التوليدية.

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 47.

 $^{^{2}}$ المرجع نفسه، ص 2

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 20 – 21.

يوضت عبد الرزاق بنور بعد عرضه لمجمل تصورات جاكندوف التي ضمّها الكتاب والتي أسست لبناء فكر جاكندوف بصيغة أعم بعض الأسس التصورية والمصطلحية التي اعتمدها في ترجمته، من بينها التزامه بالمصطلح "العرفانية في مقابل (cognition) التي تترجم أحيانا بالمعرفة وأخرى بالإدراك، كما تعرّض لبعض الالتباسات اللسانية وخاصة النحوية عند الترجمة من الإنجليزية إلى العربية.

ب) 1-2-1 ترجمة محمد الملاخ لكتاب دراسات نقدية في اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب دراسات مترجمة:

إضافة إلى كتاب علم الدلالة والعرفانية الذي أحدث ضجة في البحث اللساني العرفاني العربي نجد ترجمة محمد الملاخ المتأخرة لكتاب في حقل اللسانيات العرفانية صدر عام 2020 يحمل عنوان دراسات نقدية في اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب دراسات مترجمة، وهو مجموعة من المقالات المترجمة صدر لها محمد الملاخ بمقدّمة يحدد من خلالها الحقل العلمي العام الذي يندرج ضمنه كتابه المترجم وهو العلوم العرفانية ذات والستجالات التي شهدها التيار التوليدي مع التيار العرفاني الذي أنتج في نهاية المطاف اللسانيات العرفانية ذات السمة البينية، وضمن هذه البيئة العرفانية "تأتي المقالات المترجمة لتقدِّم تصورات علمية دقيقة حول مسارات تطوّر اللسانيات العرفانية ومحاور البحث التي اجترحتها والعلائق البينية التي فتحتها، ومسارات التقاطع التي سلكتها مع تحليل الخطاب وعلومه ومع قضايا التربية" وعليه يشتغل الملاخ من هذا المؤلف هو طرح متابعة نقدية للممارسة العلمية في ميدان اللسانيات العرفانية وتقدّم استثمارها في عدد من الاختصاصات مثل تحليل الخطاب وحقل التعليمية، وقضايا السلوك.

والغاية حسب الملاخ من هذا الترجمات هي الإسهام في مجال تقديم المعارف المرتبطة بتخصصات دقيقة وفق صيغة العودة إلى النصوص العلمية الأصلية التي احتضنت النقاش والسجال حول مسائل العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية، وتحليل الخطاب، باعتبار إن تطوير البحث ينبغي أن يسير وفق مسارين متشابكين: مسار الدراسات المؤصّلة والمطوّرة، ومسار الدّراسات المترجمة وضمن المسار الثاني يقع هذا الكتاب.

ب) 1 - 3- ترجمة ثروت مرسي وعبد الرحمن طعمة لكتاب في الثقافة والعرفان والتداول دراسات بينية: وإلى جانب هذه الكتب المترجمة المتقدّمة التي تصبّ في نماذج اللسانيات العرفانية نقف كذلك على كتاب مترجم لثروت مرسي وعبد الرحمن طعمة يحمل عنوان "في الثقافة والعرفان والتداول دراسات بينية" صدر عام 2022، وهو عبارة عن أربع مقالات مترجمة تصب في العرفان والتداولية والأنثروبولوجيا الثقافية (cultural)

_

¹ محمد الملاخ، دراسات نقدية في اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب دراسات مترجمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2020، ص1.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2

^{*} بدأت الأنثروبولوجيا الثقافية تتبلور كعلم قائم بذاته منذ بدايات القرن العشرين واتجه البحث فيها نحو الاعتراف بتنوع الثقافات الإنسانية بمختلف طرائق تفكيرها وأبنية المفاهيم الاجتماعية والحضارية بها. ومن أبرز أعلام هذا التوجه العلمي بأطروحاته الجديدة "مارسل موس" 1872 – 1950 بفرنسا. وقد قام بتطوير اتجاه البحث المقارن في الأنثروبولوجيا عمومًا مع التركيز المكثف على

(anthropology) بمقدّمة تعرض استعمال مصطلح العرفان بدلا من مصطلح المعرفة أو الإدراك ثم تقديم لمجمل المقالات بمقدّمة تعرض استعمال مصطلح العرفان بدلا من مصطلح المعرفة أو الإدراك ثم تقديم لمجمل المقالات المترجمة من خلال قسمين: الأول في تداوليات الثقافية: قراءات في الفعل والمعنى والتواصل غايته فهم كيف تكتسب الممارسات الثقافية المتداولة داخل مجتمع بشري ما دلالاتها وكيف تشحن بهذه الدّلالات، والآخر: الثقافة الإنسانية في سياق الممارسة الأدائية والتطوّر الإيكولوجيّ غايته البحث في عمليات التحليل الذهني لتشكل الثقافات المتشابهة و"الوصول إلى إطار ثقافيّ عام، يجمع – أكاديمياً وشعبياً – الملامح الأساسية التي يمكننا من خلالها رصد الممارسات الفولكلورية بمختلف تتوعاتها وسياقاتها، حتى على مستوى المادة الخام التي تتشكّل منها الأداءات المختلفة، سواء أكانت مادية أو فكرية" وذلك من خلال التحليل العميق لفنون الأداء سواء على المستوى الفلكلوري الشعبي وما يحمله من رموز ودلالات أم على مستوى النظر اللساني الثقافي وهذا ما يجعلها دراسات في الأنثروبولوجيا العرفانية (cognitive anthropology) من جهة أخرى.

هذه التصوّرات نستشف منها المراد الفعلي لترجمة الكتاب وهو تأسيس دراسة بينية شاملة لآليات بناء الدّلالة الذّهنية أثناء عملية التّواصل تتضافر فيها الثقافة والأنثروبولوجيا والتداولية وحتى الفنون، ويبرّر عبد الرحمن طعمة ذلك بكون "النشاط اللغوي عند الإنسان لا يُمكنُ فصلُه عن بيئته الأنثروبولوجية، بسبب مسألة المعنى والقصديّة، ولذلك تداخلت اللسانيات مع مختلف العلوم، واتّخذت صبغة علمية، وانتهجت مناهج علمية

بعض القضايا الثقافية التي جعلت منه المنظر الفعلي للأنثروبولوجيا الثقافية خاصة في مسألة تمييزه الجوانب المعرفية للثقافات المختلفة؛ من حيث إنّ ثقافة الإنسان تُزوده بالوسائل التي تُمكّنه من تصنيف المجالات الطبيعية والاجتماعية وفهمها والتمييز بينها. كما يعد فرانز بواس Franz Boas (1858 – 1942) أحد رواد الانثروبولوجيا الثقافية المستفيدين من اللسانيات في تحليل النصوص المحلية، وبالتالي فاهتمامه منصب على الجانب الأمبريقي/ الميداني الواقعي للأنثروبولوجيا الثقافية باعتبار إنّ الثقافة ينبغي أنْ تُفهم من خلال إطارها المرجعي للمعنى، بدلا من أنْ يتم الحكم عليها من خلال القيم الثقافية للباحث الخارجي؛ ذلك أنها تهتم بالتتوع الثقافي لمختلف المجتمعات التي تترسّخ فيها الأنساق المعرفية المختلفة وفهم انتظام هذه الأنساق والمفاهيم حول ظواهر ما داخل مجتمع معيّن تتطلّب من الباحث أن يكون داخل ذلك المجتمع، وبالتالي تكشف لنا الأنثروبولوجيا الثقافية عن جانب من ميكانيزمات بناء المفاهيم وطرق التفكير وغير ذلك من القضايا الصميمية التي تعالجها العلوم العرفانية.

للتوسع ينظر: عبد الرحمن طعمة، في أنثروبولوجيا اللسانيات الذهن والخطاب والثقافة، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1 2022 ص 82 وما بعدها.

¹ أليساندرو فالسي، كازويا أوكادا، وآخرون، في الثقافة والعرفان والتداول دراسات بينية، تر: ثروت مرسي، عبد الرحمن طعمه، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 1، 2022، ص 12.

^{*} تشتغل الأنثروبولوجيا العرفانية بالدراسة المقارنة للترابط بين اللغة والفكر والثقافة. واهتماماتها الرئيسة منصبة على النماذج الثقافية، والتفكير اليومي في سياقه الثقافي، والمبادئ العالمية والمحددة ثقافيا لاستعمال اللغة في السياق، واللغة المكانية والإدراك والأصناف الدّلالية في مجالات معينة. ينظر: يان هوانغ، معجم أكسفورد للتداولية، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، ص 147.

مثلها مثل الفيزياء والرياضيات، فضلاً عن استعانتها بالفلسفة والمنطق. وقد أدّى هذا التمازج المُبهج إلى إثراء التحليل اللسانيّ وانفتاح الدلالة، وسبر أغوار اللغة."1

ب) 1 - 4- ترجمة جمال شحيد لقاموس العلوم المعرفية:

علاوة على اشتمال جهود الترجمة اللسانية العرفانية للكتب هناك من اشتغل على ترجمة القواميس مثلما نجد عند المترجم جمال شحيد في ترجمته "لقاموس العلوم المعرفية" العائد لمجموعة من المؤلفين وصل عددهم إلى سبعة وأربعين مؤلّفا في اختصاصات علمية مختلفة وفي مقدّمتهم غي تيبرغيان (Guy Tiberghien) ووقله عن اللغة العربية سنة 2013، مقدّما لي اللغة العربية سنة 2013، مقدّما لترجمته جملة من الإرشادات لقرائه من العرب أهمها ضرورة مسايرة التطوّرات العلمية العالمية بما فيها إبداء العناية الكافية بالعلوم العرفانية، وقد جاء هذا القاموس ميسرا على القارئ العربي الذي يريد الانفتاح على العلوم العرفانية الموسوعي يفتح الآفاق على الحداثة المعرفية التي لا يستطيع الباحث المعاصر إغفالها كلن هذا القاموس الموسوعي يفتح الآفاق على الحداثة المعرفية التي كثيرا ما كان محط قليلة جدًا إن لم نقل نادرة، رغم ما لها من أهمية في ضبط المصطلح وتحديد المفاهيم الذي كثيرا ما كان محط أخذ ورد في الدراسات والكتابات اللسانية العرفانية العربية.

ب) 2 - ترجمة الفصول المجتزأة والمقالات المترجمة:

من أشهر الفصول المجتزأة في الترجمات العربية ما ورد في كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين لتلة من المترجمين، الذين انشغلوا بترجمة فصول من مؤلفات أساسية في اللسانيات العرفانية منها مقدمة كتاب نساء ونار وأشياء خطرة لجورج لايكوف، والفصل الأول من كتاب الأفضية الذّهنية لجيل فوكونيي وفصول أخرى سيأتي بيانها فيما يأتي:

-1-2 ب) -1-1 ترجمة مقدّمة كتاب نساء ونار وأشياء خطرة ما تكشفه المقولات حول الذهن:

يشغل كتاب نساء ونار وأشياء خطرة حيزا واسعا في ساحة العلوم العرفانية عامة واللسانيات العرفانية على وجه الخصوص نظرا للفرضيات والطّروحات التي اشتغل على إثباتها والتنظير لها مثل: نظرية المقولة ومكانة التصورات الاستعارية والجسدنة في بناء الدلالة، وعليه فقد قدّم دعما محوريا للمقاربة العرفانية للدّلالة أو ما أطلق عليه "النظرية التجريبية" للمعنى.

بناء على ذلك، تذهب مترجمة مقدّمة الكتاب عفاف موقو إلى أنها اختارت ترجمة المقدّمة للأهمية التي الخسبتها من طابعها التنظيري الشّمولي، فقد سعى لايكوف من خلالها إلى تقديم موقع علم الدّلالة العرفاني الذي يندرج عمله في إطاره، انطلاقا من علم الدّلالة " التقليدي" المندرج ضمن ما يطلق عليه " النظرية الموضوعيّة." وقد عمل على إبراز اختلاف الأسس المعرفيّة والفلسفية بين الطّرفين. ونظرا إلى أهمية هذه المقدّمة فقد تمت

 2 ينظر: غي تيبرغيان وآخرون، قاموس العلوم المعرفية، تر: جمال شحيد، مقدمة المترجم، ص 2

ا أليساندرو فالسي، كازويا أوكادا، وآخرون، في الثقافة والعرفان والتداول دراسات بينية، ص 1

ترجمتها لتمثّل نموذجا على البعد التنظيري للكتاب 1 كما عضدت المترجمة هذه المقدّمة التنظيرية بجزء من القسم التطبيقي متعلّق بالتصوّر الاستعاري "للغضب".

هدفت عفاف موقو من ترجمة هذا الجزء من كتاب نساء ونار وأشياء خطرة الذي تميّز بكونه حلقات موصولة لا غنى لحلقة عن الأخرى، واعتماده على ثنائية التنظير والتطبيق، فكان من الأهمية بمكان على من أراد تسهيل دخول المفاهيم العرفانية الحديثة إلى الدراسات الدلالية العربية أن يبدأ بترجمة ملامح من هذه الثنائية (التنظير/ التطبيق)، فيقدّم نموذجا عن الخلفية النظرية كما أرسيت عند أعلامها الرّواد ويعضدها بنموذج تطبيقي مثلما ورد عندهم أيضا. والغرض من التزام هذه الثنائية تمكين القارئ العربي من الاطّلاع على مستجدّات البحث في العلوم الدّلالية الحديثة ومواكبتها من جانبيها النظري والتطبيقي.²

ب) 2 - 2 - ترجمة الفصل الأول من كتاب الأفضية الذهنية: مظاهر من بناء المعنى في اللغات الطبيعية:

يعد كتاب الأفضية الذهنية أشهر كتب اللساني جيل فوكونيي الذي عرض فيه أشهر نظرياته، نظرية الأفضية الذهنية (Mental spaces theory) على أنها مقترح نظريّ عرفاني تأليفي ذو مدى دلالي تداولي يسمح باستيعاب تصوّرات عرفانية سابقة مثل: مفهومي الإطار والسيناريو لدى فيلمور والاستعارة عند لايكوف وجونسون وتحليل الاقتضاءات بواسطة عوالم الخطاب المتصل بعضها ببعض عند دنسمور ومعالجة ظواهر الإحالة عند نونبرغ وجاكندوف...إلخ³ من هذا المنظور الذي يوضتح اتساع نظرية الأفضية الذهنية وإمكانية احتوائها لأغلب تصوّرات اللسانيات العرفانية صار جديرا أن يكون لهذه النظرية حيّزا ملائما في الدّراسات اللسانية العربية، وهو ما اشتغل منصور الميغري عليه من خلال ترجمته لجزء من الفصل الأول في نظرية الأفضية الذهنية.

هذا الجزء من الكتاب المترجم يوضّح بعض الخلفيات النظرية للنّحو العرفاني ويقدّم مفهوم الفضاء الدّهني بشكل متدرّج تكشف من خلاله طرائق الاستدلال فيه عن بعض مقوّمات التمشّي العرفاني، والنحو العرفاني المقصود هنا ليس نظرية لانغاكير فحسب، بل النحو العرفاني هو التّسمية الأولى التي أطلقت على "اللسانيات العرفانية" من قبّل الجيل الثاني من العرفانيين أمثال: لايكوف، لانغاكير، وفوكونيي الذين ناهضوا "النحو التوليدي" ومن بين أهم الخلفيات التي تأسس عليها النحو العرفاني ما يأتي:4

 $^{^{1}}$ ينظر: عفاف موقو، تقديم ترجمة مقدمة كتاب نساء ونار وأشياء خطرة ما تكشفه المقولات حول الذهن، ضمن كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج1، عمل جماعي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والغنون، بيت الحكمة، تونس، ط 1، 2012، ص 320.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 319.

نظر: منصور الميغري، تقديم ترجمة الفصل الأول من كتاب الأفضية الذهنية، ضمن كتاب إطلالات على النّظريات اللسانية والدّلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج1، ص 387 – 388.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 389.

- إنّ النشاط اللغوي مهما تكن خصوصيته، محكوم بالآليات العرفانية العامّة الموجّهة لسائر الأنشطة الإنسانية الأخرى الذّهنية والسّلوكية، مما يعني أن اللغة نظام ذهني متكامل لكنه مترابط مع الوظائف الذهنية العرفانية الأخرى كالذاكرة، والإدراك، والفهم...إلخ، وهذه الفرضية تدحض أطروحة النحو التوليدي القائلة باستقلال اللغة عن الوظائف الذهنية الأخرى.
- اللّغة حاصل تفاعل عوامل ذهنية ونفسية داخلية وخارجية ناتجة عن تجربته في العالم في أبعادها الفيزيائية والبيولوجية والسّلوكية والنفسية والاجتماعية الثقافيّة.
- أغلب هذه العوامل متشابهة بالنسبة إلى كلّ المتكلّمين. وهو ما يفسّر وجود (كلّيات لسانية) هي انعكاس لمبادئ تصوّرية كليّة يمثّل ضبطها ووصف آليات اشتغالها الموضوع الأساسي للمشروع العرفاني.
- إنّ المعنى بناء ديناميكي هو حاصل تعامل المستويات النحوية، والمعجميّة، والتركيبية، والمركز في نظام اللغة هو المكوّن الدّلالي، فغاية اللغة في الاستعمال توليد أبنية دلالية مركّبة هي عبارة عن "تمثيلات ذهنية" بمصطلح طالمي، و "أبنية مفهومية" بمصطلح لانغاكير، و "أفضية ذهنية" بمصطلح فوكونيي.

ب) 2 - 3 - ترجمة صفحات من الفصل الخامس من كتاب "نحو دلالة عرفانية" ليونارد طالمي:

كتاب طالمي نحو دلالة عرفانية (Toward acognitive semantics) أحد أهم المراجع في اللسانيات العرفانية، فقد جمع فيه أهم المقالات التي كتبها بين سنوات 1972 – 1999 في مجلّدين، الأول مخصص للأنساق والسيرورات التي تنتظم بواسطتها المضامين التصوّرية في اللغة، والآخر مخصص لأنساق التعجيم والعلاقات النظامية بين المعنى والشّكل اللغوي. 1

ومن أبرز المفاهيم العرفانية التي اشتغل عليها طالمي في مؤلفه هذا، مفهومي الشّكل (Figure) والخلفية ومن أبرز المفاهيم العرفانية التي النظام الخطاطي للانتباه، ومما يميّز مفهومي الشّكل والخلفية تلك "القيود الدّلالية الناتجة عن علاقة الشكل بالخلفية وهي قيود وثيقة الصّلة بتصوّرنا العرفانيّ للفضاء وللعلاقات بين المشاركين حيث نحكم بأنّ مشاركا ما يضطلع بدور الخلفية ومشاركا آخر يضطلع بدور الشّكل دون تقبّل تلك الأدوار الانعكاس." كما يتعلق مفهومي الشكل والخلفية في بناء اللغات للأفضية بالحركة والسّكون، وليس بالكيانات فقط، وهذا ما يوضّحه طالمي عندما يتحدّث عن هيكلة الزّمان والحوادث والأشكال المعجمية (أسماء الإشارة، ظروف الزمان والمكان...إلخ) التي تربط بين الشكل والخلفية.

واتصال مفهومي الشّكل والخلفية بمختلف المسائل المتقدمة (الحركة والسّكون، والكيانات والأحداث والروابط بين الشكل والخلفية) يؤكد أن نظام الانتباه هو الإطار النظرّي الذي أسس خلاله مقاربته للدّلالة

¹ عبد العزيز المسعودي، مقدّمة ترجمة الشّكل والخلفية في اللغة، ضمن كتاب إطلالات على النّظريات اللسانية والدّلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج1، ص 417.

 $^{^{2}}$ المرجع نفسه، ص 2

العرفانية، وهذا حسب المسعودي مبرّر كافٍ لاختيار الصّفحات المترجمة قصد التعريف بمفهومي الشّكل والخلفية باعتبارهما أساسيين في فهم أغلب فصول كتاب طالمي "من أجل دلالة عرفانية". 1

ب) 2 - 4 - محاولة حافظ إسماعيلي علوي في ترجمة مقال اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات:

ألّف المقال في لغته الأصلية الإنجليزية بريجيت نرليش وديفيد كلارك David Clarke) وتولّى حافظ إسماعيلي علوي ترجمته نظرا لأهميته في باب اللسانيات العرفانية والتي سمّيت فيه باللسانيات الإدراكية، وقد تناول هذا المقال جملة من التّصورات التي أكسبته أهميته بالنسبة للدّراسات اللسانية العرفانية وجعلته يصنّف ضمن الدّراسات التأريخية التأصيلية للسانيات العرفانية، حيث قدّم عددا من مظاهر ماضي اللسانيات العرفانية الطّويل، ومحاولة تبيين أن ماضيها ليس أمثليّا من جميع النّواحي سواء من ناحية روّادها الذين تعترف بريادتهم أم من ناحية المشتغلين عليها والمؤسسين لها في الاتجاه المعاكس² (الاتجاه التوليدي). ومن ميزات هذا المقال اهتمامه بتاريخ اللسانيات العرفانية في علاقته بالفلسفة على جهة الخصوص.

بالإضافة إلى ذلك يهتم المقال بإبراز أهم رواد اللسانيات العرفانية الذين يمكن تصنيفهم ضمن رواد الجيل الأول أمثال: شارل فيلمور الذي بدأ في وضع نظريته حول دلالة الأطر منذ 1975، وليونارد طالمي الذي بدأ في إقحام مبادئ علم النفس الجشطلتي في التحليل اللساني، وخصوصا في دراسته عن ديناميات القوة، وأطر الحدث سنة 1972، ورونالد لانغاكير الذي كان وضع أسس نحوه الإدراكي/ العرفاني (الذي سمي في البداية "النحو الحيزي (الفضائي)") كن يبقى تاريخ ظهور اللسانيات العرفانية الأساسي عام 1980 إثر نشر كتاب لايكوف وجونسون الاستعارات التي نحيا بها.

ومن جهة أخرى يعود الاهتمام بأحد أهم قضايا اللسانيات العرفانية متمثلة في الاستعارة، والمشترك الدّلالي، والكناية، والمجاز إلى الاهتمام بإيجاد العلائق بين معاني الكلمات، وبالاهتداء بأنماط تطوّر المعنى وبوضع نظام لترتيب المداخل المعجمية، فطوال تسعينات القرن [المنصرم] يمكن للمرء أن يلاحظ حدوث تحوّل عام من دراسة المعنى باعتباره جزءا من علم دلالة تاريخي ونفسي جديد. وقد كان ميشال بريال (Michel Bréal) (الذي احتلت أعماله حيزا زمنيا من 1864 إلى 1898) أول من أولى الدلالة بهذا التصور اهتماما تركّز حول "المشترك الدّلالي" كظاهرة في استعمال اللغة، وفي اكتساب اللغة، وفي التعير اللغوي، وفي اللسانيات العصبونية قبل ظهورها بمعناها الحرفي. وبالتالي فقد سعى بريا ل إلى اكتشاف القوانين الإدراكية لاستعمال اللغة وتغيرها. وإلى جانب بريا ل، يغفل كثير من اللسانيين العرفانيين أثر بعض الفلاسفة في وضع بدايات اللسانيات العرفانية وخوضهم في قضايا من صميم قضاياها الراهنة ومنهم الفينومينولوجي والهرمنوطيقي بول ريكور (Paul ricoeur) الذي نشر كتابه الاستعارة الحية سنة

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 419.

 $^{^2}$ ينظر: بريجيت نرليش، ديفيد كلارك، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، تر: حافظ إسماعيلي علوي، مجلة أنساق، كليّة الآداب والعلوم، جامعة قطر، مج 1، ع 1، 2017، ص 271.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 3

1975 ناقش فيه تصوّرات الاستعارة بدءا من أرسطو وصولا إلى فلسفة اللغة العادية. أوهناك الكثير غيره ممن كان لهم أثر في ظهور اللسانيات العرفانية.

من القضايا التي تتاولها هذا المقال كذلك التصورات الجشطلتية للغة وأثرها في تبلور اللسانيات العرفانية ومن أبرز هذه التصورات الجشطلتية " ثنائية الشكل الأرضية [الشكل/ الخلفية]، وبصورة أعم الطرح القائل بأنّ المعنى لا يوجد معزولا بل يجب أن يكون في سياق أوسع (ويعني هذا الطرح بتعبير آخر أن الأجزاء يحدد بعضها البعض). "2 وفضلا عن هذا التصور فقد أثر الاتجاه الجشطلتي كثيرا في نظرية كارل بوهلر (Karl Buhler) حول المجال الوظيفي للغة التي تتداخل مع نظرية الحقول والأحياز/ الأفضية الذهنية، وكذلك قضية الإدراكيات المجسدنة التي تظهر وفق صيغتين إحداهما ذات طابع عصبي، والثّانية ذات طابع نفسي تجريبي.

اعتنى بالإدراكيات المجسدنة ذات الطّابع العصبي سيدني لامب وطوّر من تاريخ 1966 اللسانيات الإدراكية العصبية بطريقة مستقلّة، ارتكزت أطروحته فيها على اكتشاف أنّ البنية ليست رموزا أو أشياء من أيّ صنف كانت، بل هي علاقات، وبناء على هذا الطّرح تصبح البنية اللّسانية مجموعة من العلاقات بين الرموز والأشياء المتناسبة التي يمكن أن تتنضّد بتلاؤم. واشتغل بالإدراكيات ذات الطّابع النفسي التّجريبي ميرلوپونتي الذي رأى أن الإدراك الذّهني، ومعرفة العالم، والوعي، واللّغة مجسدنة تماما كما هي بالنّسبة إلى اللسانيين الإدراكيين المحدثين. والنزعة التجريبية تظهر في تصريحه أن المعرفة الذهنية والوعي ما هي إلاّ نتيجة لتجاربنا الجسدية، ومع أنه اعتنى بالجسدنة من جهة فهو يهتم بأثر التجريب في بناء المعرفة من جهة أخرى.

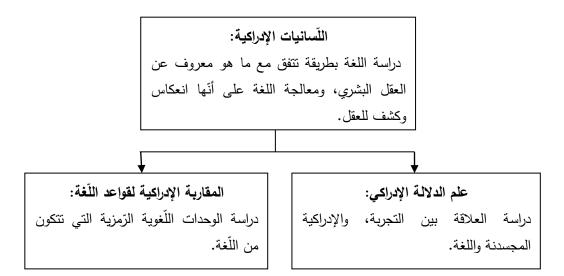
وهناك مقالات مترجمة أخرى نعدّها مهمّة ولها إسهام فاعل في الكتابات العربية المترجمة المتعلّقة باللسانيات العرفانية وردت في مجلّة فصول بعنوان الإدراكيات في العدد 100 الصّادر سنة 2017 أهمّها: ترجمة عبده العزيزي لمقال ففيان إيفانز وميلاني غرين الموسوم "طبيعة اللسانيات الإدراكية" والذي حاول فيه المؤلفان تقديم اللسانيات العرفانية كاتجاه لساني له أسسه العلمية ووسائله التحليلية التفسيرية من خلال عرض أهم التصورات العرفانية المنتهجة في دراسة وتحليل اللغة كعملية ذهنية متمثلة في التزام التعميم، والالتزام العرفاني، ونظرية الاستعارة، والجسدنة، وهذه التصورات بدورها تتغلغل داخل مقاربتين ركيزتين في اللسانيات العرفانية (الدّلالة العرفانية)، والنحو الإدراكي (النّحو العرفاني)، وقد أجمل المؤلفان موضوع كل من اللسانيات العرفانية، والدلالة العرفانية، والنحو العرفاني في المخطط الآتي:4

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 278.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 282.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 284 – 285.

 $^{^4}$ ينظر: فغيان إيفانز، ميلاني غرين، طبيعة اللسانيات الإدراكية، تر: عبده العزيزي، مجلة فصول، الإدراكيات، مج 4 4/2، ع 4 50، القاهرة، 4 50، ص 4 5 - 4 5.



المخطط رقم (15): المقاربات المركزية في اللسانيات العرفانية

كما اشتغل مقال مترجم آخر في المجلة نفسها على تعريف وتقريب علم الدّلالة الإدراكي وذلك ما جاء صريحا في عنوان المقال "ما هو علم الدّلالة الإدراكي؟"، والمقال أيضا من تأليف ففيان إيفانز وميلاني غرين وترجمه أحمد الشيمي، والمقال المترجم هو الفصل الخامس من كتاب "مدخل إلى اللسانيات العرفانية" (Cognitive linguistics an introduction) الصّادر سنة 2006، أراد أحمد الشيمي من خلال ترجمته نقل التعريف الدّقيق الذي وضعه ففيان إيفانز وميلاني غرين لعلم الدلالة الإدراكي (الدّلالة العرفانية)، ورصد أهم مصطلحات علم الدّلالة الإدراكي ومبادئه الأساسية، ومناهجه، وعضد كل ذلك بأمثلة توضيحية. أ وأكثر ما يركّز عليه الباحثان المبادئ الأربعة لعلم الدّلالة الإدراكي كما يوضّحها الجدول الآتي:

طبيعة التّنظيم التّصوري ينشأ من التّجربة الجسدية.	البناء التّصوري مجسّدا
البناء الدّلالي (المعاني المرتبطة عرفيا بالكلمات	البناء الدّلالي بنية تصوّرية
ووحدات لغوية أخرى) يتم معادلته بالتصورات.	
الكلمات (والوحدات اللّغوية الأخرى) يتم معاملتها	تمثيل المعنى الموسوعي
بوصفها "نقاط دخول" أو "منافذ" إلى مستودعات رحبة	
من المعرفة المتصلة بمفهوم العين.	
تشييد المعنى يعادل عملية التصوّر، عملية دينامية	تشييد المعنى عملية تصور
تخدم الوحدات اللّغوية بموجبها بوصفها تحفيزات	
لسلسة طويلة من العمليات التصورية واستدعاء	

ينظر: ففيان إيفانز، ميلاني جرين، ما هو عام الدلالة الإدراكي، تر: أحمد الشيمي، مجلة فصول، الإدراكيات، مج 25/4، ع 100، القاهرة، 2017، ص 37.

المعرفة الخلفية.

الجدول رقم (1): المبادئ الاسترشادية لعلم الدّلالة الإدراكي 1

علاوة على هذه المقالات التي جاءت مضامينها متعلّقة بالتنظير للسانيات العرفانية كعلم له أسسه وإجراءاته النظرية، ومقارباته المستقلة في تحليل اللغة، والتي يجب على كل مختص أن يدركها ويتمكّن من ناصيتها، هناك في المجلة نفسها مقالات أخرى تجاوزت التنظير اللّساني العرفاني إلى البحث عن مدى امتداده وامتزاجه بالدّراسات الأدبية وفروعها، واستثمار هذا التنظير العرفاني في ميدان الأدب وما تفرّع عنه من دراسات أسلوبية، وسميائية، وسردية...إلخ لتحليل النص الأدبي؛ إذ الدّراسات الأدبية مكمّلة للسانيات العرفانية، فاللّغات الطبيعية تنتج داخل النصوص الأدبية المشحونة بالخيال، والتجسيد، والرّموز التصويرية التي تشتغل اللسانيات العرفانية على تحليلها وتمثّلها على مستوى الذهن البشري كتمثّل الأحاسيس والانفعالات والصّور وغير ذلك.

مقال الأسلوبية العرفانية لـ "بيتر ستوكويل" الذي ترجمته رضوى قطيط والهدف من هذا المقال إثبات إمكانية تجاوب اللسانيات العرفانية مع الدّراسات الأدبية من خلال استثمار مجموعة من قضايا اللسانيات العرفانية (الشكل/ الخلفية، الاستعارة، الخطاطات، الأنساق الذهنية...) واعتبارها مدخلا علميا عرفانيا للوصف الأدبي، وقد عُرِف اجتماع هذه القضايا باسم "الأسلوبية العرفانية/ الشّعرية العرفانية" التي تهتم بتقديم تفسير للأدب بوصفه مقدرة بشرية طبيعية، وللقراءة بوصفها نشاطا قابلا للفهم والشّرح بأسلوب منضبط؛ إذ إنّ الأسلوب اختيار إبداعي للمؤلف يستند على القدرات التي تمنحها اللغة، وبالاعتماد على تلك القدرات اللغوية ذاتها، وبمشاركة ما يمكن أن يُطلق عليه في عموم الحالة الإنسانية، يصبح القارئ طرفا في إعادة البناء الإبداعي والبناء الخيالي عندما يقرأ الأدب. وللبرهنة على ذلك قدّم بيتر ستوكويل نموذجا توضيحيا لتطبيق الأسلوبية العرفانية على النصوص الأدبية وتحليلها (متمثلا في السونيتة 18 لشكسبير) وتستعرض الاحتمالات التأويلية المتعددة التي يمكن أن ينتجها التحليل الأسلوبي العرفاني للنص الأدبي الواحد.

وفي الإطار العرفاني نفسه نجد بحثا لـ "لارزيا بليخوفا" يحمل عنوان مقالتان في إدراكيات النص الشعري قدّم له وترجمه محي الدّين محسب وسعى من خلال ترجمته إلى بيان أهم منطلقات اللسانيات العرفانية في مقاربة الصور التخييلية البلاغية التي يردّ منطلقها إلى عملية ربط اللسانيات العرفانية هذه الصور بطبيعة عمليات التفكير والإدراك، حيث تعدّ الصّور البلاغية الكبرى: الاستعارة (metaphor)، والكناية التي يسميها محسب التركيب الاقتراني (metonymy)، والمجاز المرسل (synecdoche)، والسخرية (iron) تجسيدا لأربع

^{.85} ينظر: ففيان إيفانز، ميلاني جرين، ما هو عام الدلالة الإدراكي، ص 1

 $^{^2}$ ينظر: بيتر ستوكويل، الأسلوبية العرفانية، تر: رضوى قطيط، مجلة فصول، الإدراكيات، مج 2 4، ع 2 5، القاهرة، 2 201، القاهرة، 2 6، من 2 7، القاهرة، من 2 8، من 2 8، من 2 9، القاهرة، من 2

عمليات عرفانية أكثر شمولا هي: إدراك المنظور (perspective)، والاختزال (reduction)، والتمثيل (reduction)، والجدل (dialectic) على الترتيب.

لكن على الرّغم من وجود إرهاصات كثيرة مهدت لظهور الشعريات الإدراكية/ العرفانية، إلاّ أنها لم تتبلور إلا بالاعتماد على مخرجات اللسانيات العرفانية ونظرياتها لاسيما الاستعارة التصورية، والأفضية الذهنية والمزج التصوري، وهو السيّاق الذي تأتي ضمنه المقالتان المترجمتان اللتان تستهدفان إعطاء نموذج للطّريقة التي تقارِبُ بها اللسانياتُ العرفانيةُ الصورةَ الشّعرية، فاهتمت المقالة الأولى وعنوانها "النماذج الإدراكية للصور الشعرية المفطية" بتجسيد مبادئ مقارية عرفانية لتحليل الصور الشعرية مثل: الاستعارة التصورية، والكناية الشعرية المقالة الثانية التي تحمل عنوان "تموذج تكاملي لتفسير النص الشعري" وهي إطار والتركيب الاقتراني)، أمّا المقالة الثانية التي تحمل عنوان المورة على العين محسب من ترجمة المقالتين هو الإشارة إلى نلك الجزر المنعزلة في مؤسساتنا الأكاديمية التي آن لها أن تقيق من سباتها وتدرك أننا في عصر التداخل الاختصاصي وربما يكون مزيدا من الإمعان في هدف هذا الإلماح أنه أشار إلى الرابطة الأخرى الصديقة لرابطة الدّلاليات الأدبية؛ وقصد بها رابطة اللسانيات والشعريات. وعليه فإنّ غاية محسب من خلال الصديقة لرابطة الدّلاليات الأدبية؛ وقصد بها رابطة اللسانيات والشعريات. وعليه فإنّ غاية محسب من خلال عامة المتميز بالتّداخل الاختصاصي، وما يوفّره من وسائل وأدوات لدراسة الظاهرة اللّغوية من جانبيها النظري عامة المتميز بالتّداخل الاختصاصي، وما يوفّره من وسائل وأدوات لدراسة الظاهرة اللّغوية من جانبيها النظري والأدبي الجمالي باعتبارهما ظواهر بازغة عن عمليات ذهنية عرفانية.

ج. أهمية هذه النماذج وسبب اختيارها:

قدّمنا بين يدي البحث عن إثبات وجود اتجاه لساني عرفاني ترجمي مجموعة من النماذج المترجمة في مجال اللسانيات العرفانية ونظرياتها، مع الحرص على أن تكون النماذج ذات مرجعيات متتوّعة وشاملة لأكبر قدر من الجهود اللسانية العربية في ترجمة ومناقشة تصوّرات اللسانيات العرفانية حول الظّاهرة اللّغوية، وقد يتساءل قارئ البحث لماذا أُدرجت هذه القراءات المقتضبة عن مجموعة هذه الترجمات بعينها دون أخرى؟ لذلك نبرّر بأننا أدرجنا هذه النماذج المنتقاة من الجهود العربية المترجمة في مجال اللسانيات العرفانية، كونها من النماذج الرائدة وليس لغاية التمثيل واستقراء أهدافها فقط، إنّما عرضنا هذه النّماذج الرائدة لنرى مبلغ اهتمامها باللسانيات العرفانية، ومناقشة تصوّراتها، وطرح القضايا المختلفة التي تتاولتها، ثم نقف ونحدد واقع الترجمة العربية وما تكشفه لنا الترجمات العربية عن غايات اللساني العربي من ترجمة هذه المؤلفات، والمنهج المتبّع في الترجمة العربية، وحال الترجمة في ذاتها وهل هذه الترجمات وغيرها قابلة لتشكّل اتجاها لسانيا عرفانيا عربيا يتميّز بالصرامة العلمية، والمنهجية، والشمولية من حيث تكامله وافادته للقارئ العربي أم لا؟

ينظر: لارزيا بليخوفا، مقالتان في إدراك النص الشعري، تر: محي الدين محسب، مجلة فصول، الإدراكيات، مج 25/4، ع 100، القاهرة، 2017، ص 142.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 144.

وعند الاشتغال على استقراء الأبحاث والترجمات المختارة اتضحت مجموعة من التصورات والقضايا العائمة التي تتعلق بالمنهجية والمحتوى المترجم بين المترجمين العرب، ويمكن جمع هذه الملاحظات فيما يأتي:

ج) 1 - قضايا المحتوى في اتجاه الترجمة العربي:

- يغلب على البحوث والنماذج المترجمة الطّابع الدّلالي العرفاني ونظرياته المخصوصة بداية من مشروع عبد المجيد جحفة التّرجمي الذي تناول فيه ترجمة أهم مؤلفات جورج لايكوف ومارك جونسون المخصّصة للاستعارة التّصوّرية والجسدنة، وانشغل بعده عبد الرّزاق بنور بترجمة كتاب جاكندوف المتمركز على الدّلالة كذلك، وهو ما نلاحظه أيضا في مختلف المقالات المترجمة وحتى التي تناولت جوانب تطبيقية على النصوص الأدبية مثل ما تقدّم الحديث في مقالة الأسلوبية العرفانية، ومقالتان في إدراكيات النّص الشّعري، بينما يُلاحظ أن نظريات النحو العرفاني وترجمتها إلى اللغة العربية تكاد تكون شبه منعدمة. وبالنّالي فاهتمام مجموعة المترجمين العرب منصب على الجانب الدّلالي العرفاني دون الجانب الدّلاي العرفاني وهذا يفضي بنا إلى الحكم على الترجمة العربية بأنها ترجمة انتقائية لا ترجمة شاملة متكاملة.
- تتميّز أغلب هذه الترجمات بالتشتت في الموضوعات المترجمة؛ إذ نجد الموضوعات التعريفية التبسيطية للسانيات العرفانية من خلال تقريب مفاهيمها ومبادئها العامة مثلما تقدّم في فصول الكتب المترجمة (نساء ونار وأشياء خطرة، الأفضية الذهنية ...إلخ)، التي صرّح مترجموها أن الهدف من ترجمتها متمركز على تقريبها للقارئ العربي، وتوفير إطار لساني عرفاني أوسع يتيح له الإلمام بأهم نماذج ونظريات اللسانيات العرفانية، كما نجد من جهة أخرى ترجمة لموضوعات متجاوزة حدّ التعريف باللسانيات العرفانية إلى إظهار علاقتها بحقول معرفية أخرى (الثقافة، الأنثروبولوجيا، الآداب...إلخ) لها أثر في بناء المعنى والظاهرة اللغوية ككل. وهذا وارد في ترجمة كتاب الثقافة والتداول والعرفان وبعض المقالات المأخوذة من مجلة فصول التي جاءت مقالاتها المختارة متباينة من التنظير إلى التطبيق، ومن النظر إلى اللسانيات العرفانية كاتجاه لساني له مبادئه ووسائله في التحليل إلى البحث عن مدى امتداده وامتزاجه بالدّراسات الأدبية ومقدار إفادتها منه خاصة مجال الأسلوبية والسّرديات.
- تشترك الدراسات المترجمة في أهدافها التي تمثّلت جُلّها في تقريب اللسانيات العرفانية، وتقريب مفاهيمها ومبادئها، وعلاقتها بالعلوم العرفانية، والتعريف بنماذجها ونظرياتها التي تأسست عليها وهو ما اتضح من مقدمة ترجمة عبد الرّزاق بنور لكتاب علم الدّلالة والعرفانية التي حاول من خلالها تقديم إحاطة تامة بفكر جاكندوف عن البنية التصوّرية وبناء الدّلالة قبل الخوض في ترجمة الكتاب كافة، كما اتضح ذلك أيضا من كتاب محمد الملاخ الذي سعى من ترجمته إلى تقديم "تصوّرات علمية دقيقة حول مسارات تطوّر اللسانيات العرفانية ومحاور البحث التي اجترحتها والعلائق البينية التي فتحتها، ومسارات التقاطع

التي سلكتها مع تحليل الخطاب وعلومه ومع قضايا التربية "أ وعليه يشتغل الملاخ في هذا المؤلف على طرح جوانب نظرية وتطبيقية نقدية مما توصّلت إليه اللسانيات العرفانية في مجالات علمية أخرى بفضل سمتها البينية. هذه الأخيرة التي فتحت المجال أمام استثمار الثقافة، والأنثروبولوجيا، والمجتمع في فهم اشتغال الذهن في بناء الدّلالة، وهذا ما هدفت إليه ترجمة ثروت مرسي وعبد الرحمن طعمة في كتاب الثقافة والتدّاول والعرفان المتقدّم، وباختصار فإنّ الهدف المشترك بين هذه النماذج المترجمة هو العمل على تقريب وتبسيط اللسانيات العرفانية من حيث نشأتها، ومبادئها ونظرياتها لاسيما الدّلالية منها، دون تقديم مناقشة جادّة للتصوّرات المطروحة في النظريات والتصورات الغربية المترجمة.

- غياب الاتفاق على مصطلحات اللسانيات العرفانية المستعملة بين المترجمين وذلك واضح حتى في المؤلفات المترجمة المشتركة، حيث يكثر تداول مصطلح الإدراك/ الإدراكي، العرفان/ العرفاني، الحيّز/ الأحياز/ للتعبير عن الفضاء/ الأفضية، المفهوم/ التصور، المفهومي/ التصوري (خاصة في الاستعارة التصورية) وغير هذه الاختلافات المخالفة لاستعمال مصطلح مترجم موحّد ومتفق عليه.

ج) 2 - قضايا منهجية في اتجاه ترجمة اللسانيات العرفانية العربي:

- من عرض مجموعة النماذج المترجمة الرّائدة في اللسانيات العرفانية واستقرائها اتضح أن أغلب الترجمات تعتمد على وضع إطار مفاهيمي كتصدير لترجمتها يحدد للقارئ العربي الإطار المعرفي الذي تتدرج ضمنه الترجمة، وهذا يبدي اهتمام المترجم العربي بقارئه ومتلقيه بتوجيه ترجمته للمختص فيها والمبتدئ.
- تتوّع وتباين الموضوعات المترجمة بشكل غير متكامل وغير شامل، فنلاحظ انتقال الترجمات من التعريف باللسانيات العرفانية إلى الخوض في جانبها الدّلالي العرفاني، والاشتغال على تطبيقيه، وإثبات انفتاحه على النصوص الأدبية. في المقابل نلاحظ إغفالا تامّا لفرع الأنحاء العرفانية التي تعدّ القسم الثاني من اللّسانيات العرفانية، بغضّ النظر عن مشروع عبد المجيد جحفة في ترجمة مؤلفات جورج لايكوف ومارك جونسون، وهذا يخلق خللا لدى متلقي اللسانيات العرفانية؛ حيث يشكّل إحاطة عامة شاملة بالمستوى الدّلالي العرفاني بينما تتعدم لديه المعرفة الكافية ببقية المستويات والتّصورات التي طرحتها اللسانيات العرفانية.
- غياب شبه تام للمؤلفات والأشغال المهتمة بالتنظير للسانيات العرفانية كفرع لساني متكامل من حيث الأبعاد الفلسفية والمعرفية للسانيات العرفانية، والمنهج الذي تتبعه، ووظيفتها الدقيقة، بل يكتفي البحث فقط بالإشارة إلى الوظيفة العامة المتعلقة بدراسة وتحليل اللغة من وجهة ذهنية عرفانية.

من النماذج المترجمة المتقدّمة يمكن القول إنّ الترجمة العربية للسانيات العرفانية رغم تمكّنها من بعض الأعمال الرائدة فيها ومحاولة الاهتمام بالجانبين التنظيري والتطبيقي التحليلي، قد هيمن عليها غياب التنظيم

محمد الملاخ، دراسات نقدية في اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب دراسات مترجمة، ص1.

المنهجي المتكامل والشّامل، وغياب الصّرامة على مستوى المضمون المترجم، وهو ما تقدّمت الإشارة إليه فيلاحظ المطّلع على اللسانيات العرفانية في مظانها الغربية غياب ترجمة عربية لكثير من المؤلفات الرّائدة الأساسية في اللسانيات العرفانية ونظرياتها منها على سبيل المثال لا الحصر:

- كتاب نساء ونار وأشياء خطرة ما تكشفه المقولات حول الذّهن لجورج لايكوف Women, Fire, and الذّهن لجورج لايكوف أهم المبادئ لمشروع المشروع المنادئ الذي ضم أهم المبادئ لمشروع الميكوف عن اللسانيات العرفانية متمثلة في المنوال العرفاني المؤمثل الذي سعى به لاستدارك نقائص نظرية الطّراز، والدّلالة العرفانية، والمقولة، والاستعارة التصورية، والأنحاء العرفانية ونماذج أخرى تفسّر البناء الذّهني للدّلالة.
- كتاب رونالد لانغاكير عن النحو العرفاني الذي يعد أحد الكتب الأصول في النحو العرفاني، وقد جاء في مجلّدين عُنِي فيهما بأسس النحو العرفاني على مستوى التنظير والتّطبيق، صدر المجلد الأول عام 1987 وحمل عنوان "أسس النّحو العرفاني: المستلزمات النظرية الأولية" (Foundations of Cognitive وحمل عنوان "أسس عنوان "أسس عنوان "أسس النحو العرفاني عام 1991 وحمل عنوان "أسس النحو العرفاني تطبيق وصفي" (Foundations of Cognitive Grammar descriptive معرفاني تطبيق عام 3.application)
- مؤلفات جيل فوكونيي ومارك تيرنر الثلاث عن نظريتي الأفضية الذهنية والمزج التصوري على التوالي: (The mental spaces: Aspects of الأفضية الذهنية مظاهر بناء المعنى في اللغة الطبيعية Meaning Construction in Natural Language) الصادر سنة 1984، وكتاب ترابطات في الفكر واللغة (Mapping in thought and language) الصادر سنة 1997، وكتاب الطريقة التي نفكر بها: المزج التصوري وتعقيدات الذهن المخبوءة Mind's Hidden Complexities)
- وكتاب ليونارد طالمي نحو دلالة عرفانية الذي جاء بعنوان (Toward a Cognitive semantics) الصّادر عام 2000 واهتم فيه بالدلالة العرفانية والأنحاء العرفانية وكيفية انتظام المفاهيم على مستوى الذّهن.
- إضافة إلى مؤلفات رائدة أخرى لفيفيان إيفانز وميلاني غرين تراوحت بين كتب وموسوعات لم تحض بترجمة عربية رغم أنها تعد من المصادر الأساسية للسانيات العرفانية ومشهورة بين الدارسين العرب في مجال اللسانيات، نذكر منها: كتاب فيفيان إيفانز المشترك مع ميلاني غرين "مدخل إلى اللسانيات العرفانية

² Ronald Langacker, Foundations of Cognitive Grammar theoretical prerequisites, Cover of the book.

¹ George Lakoff, Women, Fire, and dangerous things, cover of the book.

³ Ronald Langacker, Foundations of Cognitive Grammar descriptive application, vol 2, Stanford university press, 1991, cover of the book.

"(Cognitive Linguistics An Introduction) الصادر سنة 2006، وكتاب "دليل شامل (Cognitive Linguistics A Complete Guide)" الصادر سنة 2019.

لذلك اتضح إن الترجمة العربية للسانيات العرفانية ومحاولة احتواء مفاهيمها في البحث العربي لم تكن إلا ترجمة انتقائية لم تحدد هدفها بدقة ولم تتحرّ غاية علمية صارمة من الترجمة سوى التعريف باللسانيات العرفانية كفرع لساني جديد، والأجدر في قيام اتجاه لساني عرفاني عربي ترجمي هو مراعاة ماذا نترجم؟ ولمن نترجم؟ فالعناية بالمادة العلمية (اللسانية العرفانية)، وتحسّس جوانب النقص فيها واستدراكها بترجمة ما يسد ذلك النقص، وهو ما نراه مغفلا في هذه النماذج المدرجة ضمن البحث والتي أظهرت تراكما ترجميا تركّز على المستوى الدّلالي العرفاني، إلاّ أن هذه المحاولات في الترجمة اللسانية العرفانية هي ما يشكّل اتجاها لسانيا عرفانيا ترجميا عربيا يعاني جملة من الصعوبات والأزمات التي لا بدّ من تداركها بمحاولة توجيه الترجمة اللسانية ووضع خطّة علمية مشتركة ومحكمة تعنى بالترجمة في اللسانيات العرفانية حتى يستقيم هذا الاتجاه ويتجذّر في التفكير اللساني العربي.

2. اتجاه التّأليف:

اعتنى اللسانيون العرب في الآونة الأخيرة باللسانيات العرفانية ونظرياتها بل وبالتيار العرفاني الغربي ككل، فظهرت بذلك جملة من المؤلفات المتنوعة بين الكتب والمقالات تعنى باللسانيات العرفانية ونماذجها ونظرياتها، وهذه الجهود بدورها اتخذت أشكالا مختلفة منها الموئلفات المتعمقة والمتوسعة في مجال العرفان والحقول المعرفية المتعلقة به بما فيها اللسانيات العرفانية، ومنها الموئلفات التبسيطية التقريبية التي تتاولت اللسانيات العرفانية كفرع لساني جديد يجب على المتلقّي العربي معرفته والاطلاع وبالتالي التمكن من أساسياته وكل هذه الجهود اللسانية العرفانية العربية باختلافها هي ما يمكن أن نطلق عليه اتجاه التأليف العربي وكان اللسانيات العرفانية وبدوره يمكن تقسيمه إلى: اتجاه التأليف الموسع الشمولي، واتجاه التأليف المجريئي وكان له الحظ الأكبر في اتجاه التأليف العربي العام، كما اشتمل مجموعة من الكتابات التحليلية المهتمة بتطبيق مخرجات اللسانيات العرفانية على اللغة العربية. وفي هذا البحث سنختار مجموعة من الجهود العربية وفقا لمعيار التتوع من حيث المحتوى وذلك لإعطاء أكبر قدر ممكن من الإحاطة بالجهود التأليفية العربية في المعيار التتوع من حيث المحتوى وذلك لإعطاء أكبر قدر ممكن من الإحاطة بالجهود التأليفية العربية في اللسانيات العرفانية وبالتّالي تقييم مقدار تقدّمها في الدرس اللسانيات العرفانية وبالتّالي تقييم مقدار تقدّمها في الدرس اللسانيات العرفانية وبالتّالي تقيم مقدار تقدّمها في الدرس السانيات العرفانية وبالتّالي تقيم مقدار تقدّمها في الدرس المعام التحديد التليف المعرب الشعراء التحديد ا

2) 1 - الجهود اللسانية العرفانية العربية الموستعة الشمولية:

يندرج ضمن هذه الجهود مجموعة محدودة من المؤلفات اللسانية العرفانية العربية التي حاولت الإحاطة بالحقل العام للسانيات العرفانية وأبعادها الابستيمولوجية ونظرياتها الدلالية والنحوية، ومن أبرز روّاد هذا الاتجاه عبد الرّحمن طعمة، وأحمد عبد المنعم، والأزهر الزّناد وسنحاول عرض محتوى أهم مؤلفاتهم في اللسانيات العرفانية.

² Vyvyan Evans, Cognitive Linguistics a Complete Guide, cover of the Book.

¹ Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive Linguistics an Introduction, cover of the Book.

2) 1 - 1 - جهود الأزهر الزّناد*:

يعد الأزهر الزناد من أوائل اللسانيين العرب المشتغلين على اللسانيات العرفانية ترجمة وتأليفا وقد انصب اهتمامه كثيرا على التأليف والتتويع فيه، بحيث أصبح من الممكن أن تشكّل إنتاجاته حول اللسانيات العرفانية مشروعا عرفانيا خاصًا به يتميّز بالشمولية والاتساع، وللبرهنة على ذلك نقدّم عرضا لأكثر مؤلفاته أهمية وتداولا في البحث اللساني العربي وهي: نظريات لسانية عرفنية (2010)، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية في البحث اللساني العربي وهي: نظريات لسانية عرفنية (2010)، اللغة والجسد (2017).

إنّ أول ما يلاحظ على عناوين هذه المؤلفات هو استعمال الأزهر الزناد لمصطلح خاص به استحدثه للتعبير عن العرفانية الإدراكية وهو مصطلح العرفنية الذّي برّر سبب وضعه واختياره بناء على أربعة حجج اختصرها على مدوّنته الإلكترونية كما يأتي: 1

أولا: كلمة (عرفان) مشتركة في الاستعمال القديم وفي الاستعمال الحديث، إذ تدلّ على معنى الشّكر ولها جريان واسع في مجال التّعبّد والتّصوّف وفي مجال البحوث الفلسفية الماورائية (الغنوصية)، وكلمة (معرفة) مقابلة لمفهوم (Erception)، وجميعها – كما هو معلوم – ذو مرجعيات نظرية معرفية كلاسيكية.

<u>ثانيا:</u> العرفنة هي نشاط الذّهن في عموم مظاهره المشتملة على التّذكر والتّعقّل (يقصد به الفهم)، وحلّ المسائل والتّخيّل، والحلم، والتّخطيط، والإحساس، والشّعور، والتّعلّم، والتّبرير، والتّكلم، والرّقص، وجميع ما تتصوّرون من الأنشطة الذهنية الحسية العصبية ممّا له صلة بالذّكاء الطّبيعي. فما هو النّشاط الجامع لجميع هذا بالتّسمية؟ أي كيف نسمّي هذه الملكة الجامعة لجميع هذه الأنشطة؟ ولهذا ترون ضرورة أن يصاغ مصطلح جامع يعمّها جميعا، رأينا له أن يكون (عَرْفَنَ) ومشقاته وفيه تنضوي الأنشطة المذكورة وما لم يذكر منها.

ثالثا: عندما نأخذ الجدول الاشتقاقي في الإنجليزية الدّائر حول (cognition) -مثلا- تجده منسجما: الفعل هو (cognitive (system, ability, faculty, etc) واسم الفاعل هو (cognitive (system, ability, faculty, etc) واسم الفاعل هو

^{*} الأزهر الزباد باحث لساني تونسي حاصل على شهادة الدراسات المعمّقة في اللسانيات من جامعة باريس 8 سنة 1993 ودكتوراه الدّولة من الجامعة التونسية سنة 1998، وحاليا أستاذ التعليم العالي في كليّة الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس. ومدرّسا باحثا في اللسانيات العرفانية والترجمة، ومدير لفريق بحث في اللسانيات العرفانية واللغة العربية منذ 2002 في جامعة منوبة، من أعماله إضافة إلى العينات المدروسة في هذا البحث: دروس في البلاغة العربية ط الأولى سنة 1992 والطبعة الثانية سنة 1994، نسيج النص بحث في ما به يكون الملفوظ نصًا سنة 1993. للتوسع في سيرته ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، مرجع سابق، ص 271.

¹ ينظر: الأزهر الزناد، في مصطلح "العرفنة" ومشتقاتها، مقال منشور على مدونة المؤلف blogspot، (201 /04 /23)، النظر: الأزهر الزناد، في مصطلح "العرفنة" ومشتقاتها، مقال منشور على مدونة المؤلف blogspot، (2012 /04 /04 /23)، على مستخرج من: http://lazharzanned.blogspot.com/2012/04/blog-post_22 ، تاريخ الزيارة: 2023 /04 /23. الساعة: 15:45.

أو (metacognitive) وما إلى ذلك مما يتعلّق بالجذع (cogn)، فلِمَ لا تكون مراعاة ذلك في الخطاب العلمي العربي؟ وليس في ذلك تبعيّة ولا تقليد، إنّما هي ضرورة أكاديمية علميّة.

وهناك حجج أخرى يضيق هذا المجال عن ذكرها جميعا، فيكون الحل – فيما نرى – أن نحافظ على الحروف الأصول من الثّلاثي (ع، ر، ف) وننشئ جدولا اشتقاقيّا مقبولا في العربيّة قياسا وسماعا منطلقه: عرفن (to الأصول من الثّلاثي (ع، ر، ف) وننشئ جدولا اشتقاقيّا مقبولا في العربيّة قياسا وسماعا منطلقه: عرفن (cognizer)، والمصدر (عرفنة) (cognizer)، فهو معرفن (cognizer) ويلحق بذلك الميتاعرفنة (metacognition) ...إلخ.

رابعا: يبدو أنّ العرفنيّات عندما وصلتنا فُهِمَت بتصوّرات أرسطية ونفسية قديمة، هي عندنا نحن كما هي عند الغرب، دون شكّ، ولم ننتبه (على الأقل ممن سبقونا في الكتابة في هذا المجال) إلى أنّ العرفنيّات خرجت عنها وفي ذلك كانت استعاضتهم بمصطلح (cognition) عن الثالوث المعروف ,perception.

بعد الملاحظة العامة والتقرد العلمي للأزهر الزناد بمصطلح العرفنة الذي تابعه عليه لاحقا تلاميذه وثلّة من الباحثين العرفانيين العرب حريّ بنا التّوجّه نحو عرض مفصّل وقراءة عميقة لأعماله الثلاثة المتقدّمة لمعرفة تصوّراته عن اللسانيات العرفانية وطبيعة تلقيه لها.

2) 1 - 1 - أ- كتاب نظريات لسانية عرفنيّة (2010):

صدر كتاب نظريات لسانية عرفنية سنة 2010 في حدود عقود ثلاثة بعد صدور كتاب "الاستعارات التي نحيا بها"، وقد ضمنه الأزهر الزّناد قسمين كبيرين الأوّل منهما يحمل عنوان العرفنة وعلومها مدخل تاريخي مفهومي، والآخر يحمل عنوان في بعض النظريات اللسانية العرفنية، مسبقا هذين القسمين بمقدّمة سلّط فيها الضوّء على سبب تأليف الكتاب الرّاجع إلى تأخر الحركة العربية في التأليف حول اللسانيات العرفانية، ماعدا في قطرين من المغرب العربيّ (المغرب، تونس). ثمّ هي دراسات مخصوصة بالدّلالة عامّة وبالاستعارة في الأغلب لا تشتغل بسائر المظاهر اللسانية العرفنيّة، ولذلك يكون من المفيد الضّروري استكمالها. وهذا يظهر أنها دراسات مجزوءة تعنى في كثير منها بنظرية أو تصوّر واحد لا أكثر، وهذا الاجتزاء كان دافعا آخر لتأليف الكتاب إذ قال لعلّ أبرز الدوافع الكامنة وراء هذا العمل ما لاحظناه من اجتزاء النظريات بأخذ ما يناسب ويصلح واجتثاث دون فهم في الأغلب عند المبتدئين باعتقادهم أنّ العرفنيات شعار يرفع ولعل ذلك راجع إلى غياب الأطر الفكرية العامّة التي تمثل منابت تلك الأفكار أ وهذان السببان ما جعل الزناد يضع مؤلفه الذي هدف من خلاله إلى تحقيق إنتاج معرفي عربي شامل في اللسانيات العرفنية وأهم نظرياتها انطلاقا من القسمين السابقين الدين أسس عليهما كتابه.

قدّم المؤلف في القسم الأول العرفنة وعلومها مدخل تاريخي مفهومي مسردا علميا تاريخيا تتبع فيه مراحل ظهور اللسانيات العرفانية ودوافعه بداية من ظهور العلوم العرفانية التي تجمع جملة من العلوم "تدرس اشتغال الدّهن والدّكاء دراسة أساسها تضافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النّفس والدّكاء الاصطناعي

_

 $^{^{1}}$ ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، مرجع سابق، ص 1

وعلوم الأعصاب (علوم الدّماغ) واللّسانيات والأنثروبولوجيا. وتدرس العلوم العرفنية الذّكاء عامة والذّكاء البشري وأرضيته البيولوجية التي تحمله وتعنى بمنولته وتبحث في تجلّياته النفسية واللّغوية والأنثروبولوجية وفي دراسة العلوم العرفانية للذكاء البشري وللذكاء غير البشري؛ أي ذكاء الآلة الذي جاء من السيبرنيتية (Cybernitics) التي سميت لاحقا بالذكاء الاصطناعي باعتبارها إحدى أولى الأقطاب العلمية المؤسسة للعلوم العرفانية مع علم النفس وعلم الأعصاب، وقد أسهب الزناد في حديثه وشرحه لكل علم مؤسس على حدة شرحا تاريخيا علميا بما في ذلك تقديمه للسانيات العرفانية من ثلاثة أوجه: من حيث مفهومها، ومن حيث اتجاهاتها الكبرى القائمة عليها، ومن حيث علاقتها بالعلوم العرفانية.

اللسانيات العرفانية وفق تصوّر الزّناد هي تيار يجمع بين عدد من النظريات المشتركة في الأسس والمنطلقات بينما تختلف وتتداخل في بنائها، ومشاغلها، وتوجّهاتها، ومجالات العناية فيها، وتضم اللسانيات العرفانية قسمين كبيرين هما الأنحاء العرفانية والنحو التوليدي في نموذجه الأدنوي، وأساس الأنحاء العرفانية منصب على تتاول اللغة من حيث طبيعتها، ووظيفتها الأساسيتان: فاللغة نشاط عرفاني في ذاتها وحامل لتمثيلات عرفانية؛ ولذلك وجب تتاولها من زاوية خصائصها الدّلالية العرفانية ومن زاوية تفاعلها وسائر الملكات العرفانية من قبيل الإدراك، والتّدكر، والتّصوير، والعمل، والتّجسدن، وتمثيل البيئة والسّياق وما إلى ذلك. ويمكن أن يختزل برنامج اللسانيات العرفانية في دراسة الأبعاد العرفانية في التّواصل اللّغوي² وضمن هذين القسمين يشير المؤلف إلى أهم النظريات الدلالية والنظريات النحوية وزعمائهما اللتين شكلتا اتجاه اللسانيات العرفانية.

أما من حيث علاقة اللسانيات بالعلوم العرفانية فيرى الزّناد أنّها قائمة على زاويتين: إفادة اللسانيات من العلوم العرفانية على مستوى الحقائق، والنتائج، ووجوه معالجتها ودراستها. وتظهر إفادة اللسانيات العرفانية من العلوم العرفانية بكل فروعها العلمية في استثمار الكثير من المفاهيم العرفانية التي طرحتها وتواترها في نظريات اللسانيات العرفانية المختلفة ومن هذه المفاهيم: الخطاطة، التصوير الذّهني، الطّراز، وغيرها عند كل من رونالد لانغاكير، وليونارد طالمي، وراي جاكندوف، ومن المفاهيم الحاسوبية اعتمدت مفهوم الحوسبة، واللّمة، ومن علوم الدّماغ اعتمدت مفهوم الشّبكية، والترابطات، والتوزّع في المعالجة وغيرها. ومن جهة المبادئ يظهر أن اللسانيات العرفانية وجّهها مبدأين متمثّلين في التزامين هما: التزام التعميم (صوتمي، صرفي، إعرابي، دلالي، معجمي، تداولي...إلخ) في تفاعلها وتكاملها واشتغالها معا. والالتزام العرفانية العرفانية مراعاة طبيعة العرفانية وخصائصها في إقامة النظرية اللسانية فيُلغّي منها كلّ ما ليس ذا أرضية عرفنية. (وضحائصها في إقامة النظرية اللسانية فيُلغّي منها كلّ ما ليس ذا أرضية عرفنية. (وخصائصها في إقامة النظرية اللسانية فيُلغّي منها كلّ ما ليس ذا أرضية عرفنية.

 $^{^{1}}$ المرجع السابق، ص 1

² ينظر: المرجع نفسه، ص 27 – 28.

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 32 – 33.

وتتجلّى إفادة العلوم العرفانية من اللسانيات العرفانية في جملة من الموضوعات أهمها ما طرحه نوام تشومسكي بتواتر حول الملكة اللغوية وعلاقتها بالذّهن والدّماغ وتَمَوْضُعِها فيه، ويذهب إلى أنها عضو ذهني. ولعلّ أبرز ما تفيد به اللّسانيات العرفانية التيار العرفاني عامة يتمثّل في توصلها إلى العَوْدِ بالنّشاط اللّغوي إلى أرضيته الذّهنية العصبية بأن جعلت منه مهارة من جملة مهارات عرفانية يمتلكها البشر، وهي مهارة محكومة بالمبادئ العرفانية العامة لا بمبادئ لسانية خاصة باللغة دون سائر الملكات العرفانية. ألم بعبارة أخرى أفادت اللسانيات العرفانية التيار العرفاني بإضافة عملية ذهنية أخرى هي اللغة إلى العمليات الذهنية الأخرى التي بني على دراستها في بداياته.

كما نجد الزّناد في قسمه الأول من مؤلفه يطرح مفهوم العرفانية كتصور مستقل ويحدد ماهيته، واشتغاله ووظيفته انطلاقا من بحث إجابة عن الأسئلة التالية: ما هي العرفانية؟ كيف تشتغل؟ وماذا تفعل العرفانية؟ وتبلور هذا التّالوث من القضايا على طورين أولهما الطّور الحوسبي وتمّ تصوّر العرفانية فيه على أساس معالجة المعلومات، وجرى تعريفها بكونها معالجة المعلومات في الدّماغ، وفعلها يتمثل في تمكين الفرد من السلوك الذكي من قبيل حل المشاكل، وفهم الأشياء...إلخ، واشتغالها مثل اشتغال الحاسوب منصب على تشفير المعلومات في شكل تمثيلي رمزي تعمل عليه قواعد تشبه الخوارزمات (اللوغاريتمات) في لغة البرمجيات الحاسوبية. والطّور الآخر هو الطور الترابطي الذي أصبح فيه الدّماغ أساس العرفانية التي أصبحت تقوم على أساس معالجة المعلومات مع اتساع دائرة هذه المعلومات؛ إذ أصبحت تشمل موقع الجسد في العالم وتحولت عنايتها من رصد الأنشطة الذهنية الصرف إلى ما به يكون ممارسة المهارات والملكات العرفانية في عالم الأشياء والواقع² وبهذا تصبح العرفانية تيارا شاملا يهتم بدراسة عمليات معالجة المعلومات سواء كانت عمليات الأللة أو الدّماغ البشري، وهذا الأخير هو ما يوفّر فهما أعمق لماهية العرفانية واشتغالها؛ إذ تعجز عمليات الحاسوب عن الإحاطة بجميع أنماط وظائف العرفانية على عكس الذهن البشري.

وبعد هذا التقديم الشامل للسانيات العرفانية الذي اختصرناه من مؤلف الأزهر الزناد ينتقل إلى القسم الثاني من كتابه المعنون في بعض النظريات اللسانية العرفنية والذي ضمّ بابين الأول خصص العناية فيه ببعض نماذج اللسانيات التوليدية التي عدّها الزّناد أحد نظريات اللسانيات العرفانية وهي: البرنامج الأدنوي البعض نماذج اللسانيات العرفانية وهي: البرنامج الأدنوي المخصوص (minimalist program) بما يندرج تحته من مفاهيم عامة من قبيل النحو الكلّي، والنحو المخصوص والمبادئ والبرامترات، والنحو الذهني، واللغة عضوا ذهنيا، ثم اشتغال النحو الأدنوي معجما وحوسبة ذهنية. والمهندسة الثلاثية المتوازية كما طرحها راي جاكندوف بمبادئها التوليفية (combinatoriality) التي مثلّت أحد إكراهات نظرية جاكندوف الدّلالية حيث "ينبغي أن توفّر النّظريّة الدّلالية سبيلا مقعّدا بالمبادئ لمعاني أجزاء الجملة، لتؤلف في معنى الجملة العامّ"⁸ ولا مركزية الإعراب وغيرها، إضافة إلى هذه القضايا النحوية تحدث

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 33 – 34.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 34 – 35.

 $^{^{3}}$ راي جاكندوف، علم الدّلالة والعرفانية، ص 3

المؤلف عن المعالجة اللغوية وبعض النظريات التي لا نكاد نرى لسانيا عرفانيا عربيا تحدث عنها أو تعمق في البحث عنها وهي: نظرية اللمّات و" ما تقوم عليه من تصوّر لبنية المعجم الذهني وانتظام العناصر فيه وجملة الآليات العاملة في المعالجة المعجميّة من استحضار و/أو بناء وجميع ذلك في إطار نحوي ذهني عام يجمع المكوّنات الدّلالي والإعرابي والصرفصوتميّ وفي الفصل الأول، والثاني، والثالث من باب نماذج اللسانيات التوليدية ركّز الزناد على المظاهر العرفانية من بعض نماذج التوليدية لاسيما البرنامج الأدنوي وما تبعه من نماذج، ولا نحبّذ إدراجها بالتفصيل هنا حيث تقدّم الكلام عنها جميعا وبسطها بالتفصيل، وإنما نعرض ما تميّزت به وأضافته كتابات الأزهر الزناد دون غيرها، وهي نظريتي اللّمّات، ونظرية اللّوغونات في انتظام واشتغال المعجم الذهني.

تتمثّل الفرضية المركزية لنظرية اللّمات في كون "العمليات الجارية في تكوّن الكلام موجَّهة معجميا أي أنّ عمليات التركيب النحوية والصوتمية تجري بتوسّط المداخل المعجمية. فالرّسالة ما قبل—الكلامية الصوتميّة (Preverbal تقدح الوحدات المعجمية الصرفية والإعرابية والصوتميّة بدورها عمليات التشفير الكامنة في توليد الأقوال وتسمّى هذه الفرضية بالفرضية المعجمية المعجمية (Lexical بدورها عمليات التشفير الكامنة في توليد الأقوال وتسمّى هذه الفرضية بالفرضية المعجمية ونظرية (hypothesis) المعجم فيها الوسيط الرئيسي بين بناء المفاهيم والتركيب النحوي الصوتمي." ونظرية اللّمات بهذا التصور تمنح المعجم أهمية بالغة وأولية في إنتاج الكلام الذي يبدأ من قدح واختيار الوحدات المعجمية المناسبة للرسالة الكلامية وتحفّز خصائص هذه الوحدات المعجمية اختيار وانتقاء وحدات معجمية أخرى تدخل في تركيب الرسالة الكلامية كلّها وبذلك تكون الوحدات المعجمية وخصائصها وتتابع انقداحها مسؤولة عن قدح بنية إعرابية محددة دون أخرى.

أمّا نظرية اللّوغونات (Logogen theory) فهي نظرية عامة في الاهتداء المعجمي في إنتاج الكلام وفي تحليله؛ إذ اللوغون هو آلية تجمع المعلومات أو المؤشرات التي يكون بها سَبْرُ صلاحيّة كلمة للتعبير عن مفهوم ما. فاللّوغون يسجّل كل معلومة يمكن أن تثبت بها صلاحية كلمة لذلك المفهوم، وتنشط اللّوغونات جميعها بصفة متوازية متزامنة في البحث عن المعلومات المخصوصة بكلّ واحد منها، فنظام اللوغونات آلية قوامها الاهتداء المتوازي³ كأحد متطلبات توليد الكلام، مثلا عند توليد جملة يتم استحضار الكلمات المكونة لها بشكل متزامن ومتوازٍ مع أن نطقها يكون بالتدرّج، وبالتالي فإنّ اللوغونات التي تسبر صلاحية كلماتها وتعالجها تتشط بصورة متوازية ومتزامنة.

وعُني الزناد في الباب الثاني المعنون في النظريات اللسانية التصورية أو المفهومية بتعبيره بعرض مختلف المناويل والنظريات الأساسية في اللسانيات العرفانية انطلاقا من النحو العرفاني للانغاكير وما يقوم عليه من أسس عرفانية تصورية تجعل من النحو ملكة تصويرية في تحليل المعنى، ورفض الفصل بين الإعراب والدّلالة

الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص 41.

² المرجع نفسه، ص 81.

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2

خلافًا لسائر النظريات التي تتصوّر الإعراب مكونًا قائمًا بذاته، ثم انتقل إلى نظرية الاستعارة التصورية (لايكوف) في الفصل الثاني وقيامها على الرؤية الواقعية التجريبية، وعلى اعتبار الاستعارة التصورية عملية عرفانية مركزية في اشتغال الذّهن يكون بها تمثّل مجال ما على أساس مجال آخر بواسطة الإسقاط الاستعاري المحكوم بعدد من المبادئ، لكنه أفرد الخطاطة والجسدنة بفصول خاصة رغم ما للجسدنة من علاقة بالاستعارة التصورية وذلك راجع إلى تعلق الجسدنة بأغلب نظريات اللسانيات العرفانية لا بالاستعارة فقط. وتناول في الفصل الخامس نظرية الأفضية الذهنية (فوكونيي) ومفاهيمها ووظيفتها وما تقوم عليه من مبادئ من قبيل الروابط العرفانية وغيرها، التي ذكرناها في مقام تقدّم، مدعّما لها بجملة من النصوص والأمثلة في بناء الأفضية ثم يكون آخر الفصول في نظرية المزج التصوري من حيث كونه ملكة عرفانية وما يتصل بذلك من مجالات المزج وقضايا تهم إنتاج المعنى عامة، والمعنى الجديد الذي ينشأ من شبكات المزج التصوّري. 1 لكن ما يلاحظ على هذا المؤلف تجاوزه لمنوال المَقْوَلَةِ (Categorisation) رغم أنه من أسس الدّلالة العرفانية التي أبرز الجسدنة كأحد مبادئها وأدرج جميع النظريات العرفانية التي تتدرج تحتها، فقد أشار إليه إشارة خفيفة في تقديمه لأساس تكوّن المناويل العرفانية حينها عرض تطوّر المقولة من التصور الكلاسيكي الأرسطي حتى فتغنشتاين التي كانت تعتمد على أساس الانتماء أو عدم الانتماء بواسطة الخصائص المشتركة بين عناصر المقولة الواحدة، إلى تصور إليانور روش وما أضافته من مفاهيم وتصوّرات عن المقولة برهنت خلالها عن وجود نموذج في كل مقولة يعتبر أفضل ممثّل لها هو الطّراز، وعن قيام المقولة على أسس فيزيولوجية ذهنية ثقافيّة. 2 2) 1 - 1 - ب- كتاب النّص والخطاب مباحث لسانية عرفنيّة (2011):

يمثل مُؤلّف "النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية" مرحلة انتقالية لدى الأزهر الزناد من التنظير، الذي رأيناه في كتاب نظريات لسانية عرفنية، إلى التطبيق الذي كان له نصيب كبير في النص والخطاب على نصوص متنوعة من الترّاث العربي وأخرى من الأدب الحديث، فقوام هذا الكتاب، "الجمع بين النظرية وتحليل المعطيات على أساس أنه عمل ثانوي أو من درجة ثانية في سلم المعرفة، وهو موقف لمن لا يعرف أن قوة النظرية تكمن في سعة انطباقها بمعنى شمولها لأقصى عدد ممكن من النماذج المتحققة تتنبأ بها إن لم تكن وتستوعبها إذا كانت" ولذلك كان النص والخطاب امتدادا لكتابه الأول نظريات لسانية عرفنية أتم فيه بحثه في النظريات اللسانية العرفانية التي عرضها بإشباعها بجوانب تطبيقية على نصوص مختارة؛ تكشف أثر النظريات اللسانية العرفانية في وصف وتفسير بنية ودلالة الخطاب من كافة جوانبه بما فيها الجانب الاجتماعي الثقافي والبيئي. وخلال هذا الاهتمام طرح الزناد مجموعة من القضايا الرابطة بين النص والتصورات العرفانية كما يأتي:

- النص من منظور عرفاني:

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 95 – 98.

 $^{^{2}}$ المرجع نفسه، ص 2

 $^{^{3}}$ الأزهر الزناد، النّص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، مركز النشر الجامعي، تونس، د ط، 2011 ، ص

يخضع النّص والخطاب في النّصور العرفاني لما تخضع له الجمل المفردة من كونه ظاهرة لغوية وأداة للتواصل تتركب بواسطة مداخل عديدة اجتماعية، وثقافية، ونفسية، ولسانية، وتتأسس على مبادئ توليفية وتركيبية، إذ التوليفية هي مهارة يتجاوز بها الدّماغ البشري قصوره عن حفظ العدد اللانهائي من الأقوال فينطلق من أدوات محدودة تمثل مادة التوليف هي المعجم بعناصره، والطاقة التوليفية هي قواعد التوليف؛ تركيبا واشتقاقا، وتوسيعا، وتضمينا، وتحويلا، ونقلا وغير ذلك. أما المبدأ التركيبي فهو المبدأ الذي بمقتضاه يمكن استصفاء المعنى الكلي في عبارة لغوية ما انطلاقا من معاني أبعاضها، ومن الوجوه الإعرابية التي تتوالف بها تلك الأبعاض. وعلى ضوء هذين المبدأين، يكون النص أو الخطاب خاضعا للتوليفية بصرف النظر عن إطاره المنشئ له وعن السمات الفردية المقامية التي ينطبع بها في الإجراء المخصوص بالمقام وبغايات تواصلية تفاعليه مخصوصة أمن جهة، وخاضع لما تطرحه التركيبية من قضايا من جهة أخرى.

وكما يقوم النص على مبدأي التوليفية والتركيبية في مرحلة إنتاجه فإنه من جهة فهمه وتأويل معانيه يقوم على إنشاء تمثيل ذهني يكون النص في ذاته أداة للتمثيل الذي يشترط فيه بحد ذاته أن يكون مشتركا بين طرفين أو أكثر في عملية التواصل، وبذلك يعتمد فهم النص على تمثيل المضامين العرفانية المتصلة بالتجربة وبالثقافة وبالمحيط في المطلق، فالنص المنتج ذهنيا لا يعدو أن يكون وسيلة من جملة الوسائل التي تتأسس عليها المعرفة في الذهن؛ وحينما كانت المعرفة في جوهرها شبكية الانتظام كان تمثيل النص شبكيا مثلها يتكون من أوضاع، وأطر، ومشاركون، وانسجام...إلخ. وهذا الأخير نجد الزناد يطوره ويبثه في صورة عملية نفسية عرفانية أسسية في بناء النص والخطاب وبها يكون القوم، فالفهم عامة، وفهم النص بوجه خاص، عملية عرفانية ونشاط ذهني عند السامع/ القارئ لذلك يكون التركيز فيها على ما به ينشأ في الذهن من تمثيل منسجم للنص بمضامينه، إذ النص منسجم ما كان تمثيله الذهني منسجما وينتقل مفهوم الانسجام والترابط هنا من كونه جاريا بين وحدات النص مدلولا عليه بقرائن ومؤشرات لغوية في النتاول اللساني (البنيوي، التوليدي) إلى كونه عملا دفينيا ينشئ به الشخص ذلك الترابط والانسجام إنشاء إيجابيا أثناء بناء التمثيل الذهني لمضمون النص. 2

- النص في إطار العرفنة الاجتماعية:

العرفانية الاجتماعية (social cognition) مقاربة للغة أثناء الاستعمال مبنية على افتراضين، الأول: يقول إن العملية التواصلية تتكيف بحسب التفاعل بين العوامل المجتمعية والفردية، ويمثل المتكلمون والمخاطبون مشاركين متساوين ومركزيّين في عملية التواصل هذه، حتى يتسنّى للعرفانية الاجتماعية التي تتعلق بالتداوليات تفسير إنتاج الكلام وفهمه في آن واحد، والافتراض الآخر: قوامه أن عملية التواصل ليست بسيطة بل هي معقدة جدا، ولقد اقترحت أربعة مميزات، وتسمّى خصائص (traits) في هذا الإطار لربط الجوانب الفردية بالمجتمعية وهي: الانتباه-القصد، والتجربة الخاصة- تجربة المواقف الحقيقية، ومركزية الذات-التعاون، والبروز – الصبّلة أو

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 38 – 39.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2 – 54.

المناسبة. أوالنص والخطاب – باعتبارهما عملية تواصلية – لا ينبغي أن تدرس كبنية لغوية مستقلة أو عملية نفسية ذهنية عرفانية محضة، وإنما يُدرسان من حيث كان للواحد منهما بعد اجتماعي يمثله ويحدده، وهو ما تطرحه العرفانية الاجتماعية من ربط الجوانب الفردية في إنتاج النصوص والخطابات بالجوانب المجتمعية، فهي (العرفانية الاجتماعية) "تمثل التصافح ما بين الخطاب والمجتمع وما بين الأفراد المشاركين في الحدث التواصلي والفئات الاجتماعية التي ينتمون إليها، كما تمثل جملة الاستراتيجيات الجماعية وجملة التمثيلات المشتركة التي توجّه إنتاج الخطاب وتحكم تأويله. "2 وبالتالي فالنص والخطاب لا يخرجان عن كونهما عملية تواصلية تجمع بين البنية اللسانية، والعرفانية/ العمليات الذهنية، والمجتمع بثقافاته المتمازجة حسب ما تطرحه العرفانية الاجتماعية.

- النص مبني على المعرفة الموسوعية:

قدّمنا في مقام سابق الكلام عن المعنى الموسوعي كأحد مبادئ البنية الدّلالية/ البنية التّصورية الذي يهتم بدراسة المعنى وتأويله وفقا لما تتيحه الأطر اللسانية والتداولية الاجتماعية الثقافية، وهنا نجد الزّناد يستثمر هذا المبدأ في تفسير واثبات عرفانية النص والخطاب، إذ يرى أن المعرفة تتنظم في شكل مستويات ومراتب بعضها نووي تفكيكي تكون فيه الوحدات المعرفية جزئية، وبعضها الآخر موسوعي عام تكون فيه المعرفة بالكون من زاوية ثقافية اجتماعية، ويمثّل كلا النوعين من المعرفة بما يتضمّن الواحد منهما من عناصر، أساسا لإنتاج الخطاب وفهمه، والشَّرط في نجاح هذين العملين توفَّر المعرفة أساسا ما قبليا يكون به ضمان الانسجام في الخطاب واستقامته في أبنيته المعلومة. والتصور الموسوعي للمعرفة وخاصة المعرفة اللغوية يقوم، في إطار اللسانيات العرفانية، على عدد من الأسس أهمها: لا وجود لانفصال بين الدّلالة والتداولية، ولا بين المعرفة والاستعمال، ولا انفصال بين المعجم الذهني والنحو، ولا انفصال بين المعرفة باللغة والمعرفة بالكون والتجربة فجميعها متداخل متعاضد مسترسل. فكلّ عبارة لغوية إنما هي جزء من إطار متكامل من المفاهيم المترابطة بعلاقات تنتظم وفقها وتتنضّد في منظومة، يجري استعمالها في المقام أساسا فتكون تحققا لخطاطات تجريدية في أوضاع مادية تفاعلية واقعية، مثلا: العبارة اللغوية (رأس) التي يملك متكلم اللغة العربية معرفة موسوعية عنها متعلَّقة بخصائصها المعجمية الصرفية النحوية والتداولية الثقافية والاجتماعية، ومن هذه الخصائص يمكنه تعيين معناها وتأويلها حسب المقام والسّياق الذي تَرِدُ فيه؛ سواء كانت تعنى العضو المعلوم، أو تعني خيار القوم وسيّدهم حينما نقول (رأس القوم)، أو على المتقدم على الأشياء والجامع لها في قولنا (رأس العلوم، رأس البلاء)، أو على طرف حاد نهاية الشيء مثل (رأس الحربة) وما إلى ذلك من التأويلات الكثيرة. 3

وبالتّأمل في هذه القضايا المطروحة التي مدارها النص والخطاب نجدها تقديما وأرضية تمهيدية لاختلاف نتائج تطبيق مخرجات نظريات اللسانيات العرفانية على النصوص العربية التي يختلف مقام إنتاجها والمجتمع

[.] ينظر: يان هوانغ، معجم أكسفورد للتداولية، تر: هشام إبراهيم عبد الله، 609.

^{.60} الأزهر الزناد، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، ص 2

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 77 – 79.

المتولدة فيه، وكيف تفعل هذه القضايا ونظريات اللسانيات العرفانية في تأويل النصوص والخطابات عرفانيا من استدعاء المعارف وبناء ترابطات لتتظيمها في شبكات خطاطية وغير ذلك مما توفره اللسانيات العرفانية.

2017) ج- حتاب اللغة والجسد (2017):

كتاب اللغة والجسد أحد أهم أعمال الزناد في اللسانيات العرفانية التي ظهر فيها تصوّر جديد موسع عن تصوراته في مؤلفاته السابقة، محطّ الدّراسة، هذا التّصور يبحث في أربعة قضايا متعالقة؛ أولها علاقة اللغة بالجسد أو بتعبير آخر يبحث في قضية اللغة باعتبارها ملكة ذهنية من جانبها الفيزيائي البيولوجي، وثانيها البحث في كون البحث في الجسد باعتباره أداة من أدوات اكتساب اللغة نحوا وصرفا وأصواتًا ومعجما، وثالثها البحث في كون الجسد وسيلة من وسائل اللغة في التعبير عن مختلف المنظومات الرمزية، وآخرها البحث في الجسد كونه مولّد لغة خاصة به تعتمد على أعضائه والإشارات الناتجة عنها. وهذه القضايا مبثوثة في أربعة أبواب على التوالي.

يتناول الباب الأول "اللغة في الجسد" السلوك اللغوي عند البشر من زاويتين أو مظهرين عصبيين أحدهما أن الكلام ذو مظهر عصبي عرفاني يهم الأنشطة العلياء ولأن اللغة ذات بعد عصبي فقد خصص الزناد فصول هذا الباب لتحليل وإثبات عصبية الملكة اللغوية وتمركزها على مستوى الدّماغ البشري، انطلاقا من كون اللغة أو الأصوات اللغوية تقترن بتنشيط التمثيلات الذهنية بأنواعها الحركية وغير الحركية لتلك الأصوات في دماغ من يسمعها، وبما يحدثه الصوت اللغوي المسموع من تنشيط للتمثيلات الصوتية الحركية بأنواعها في الدّماغ حيث تنشط الخلايا العصبية المختصة بها إنجازا وتأويلا على أساس وظيفي عصبي، وجميع ذلك يمثل الأرضية العصبية الحاضنة للغة. ولبسط أوسع للغذه القضية قدّم الزناد عرضا عن الدماغ ومكوناته وهندسة الخلايا والنورونات (العصبونات) المسؤولة عن اللغة، وانتقل إلى عرض الأرضية اللسانية للملكة اللغوية متمثلة في النحو الكلي لكونه برنامجا جامعا بين الملكة اللغوية والاجتماعية الثقافية للملكة اللسانية كون الأرضية البيولوجية والاجتماعية الثقافية للملكة اللسانية بأرضيتيها اللسانية والبيولوجية. 1

وهنا يتضح أن الغاية من الباب الأول الكشف عن سرّ الاشتغال في المستويات العصبية والبيولوجية والرّمزية العرفانية من خلال الجمع بين "ثالوث من المداخل في مبحث اللغة في الجسد أو في الدّماغ، أوّلها وجهة لسانية صرف مدارها النحو الكوني وكيف يتشكّل في الذّهن/ الدّماغ؛ وثانيها وجهة عصبية صرف مدارها كيف يشتغل الدّماغ وتتشكّل العرفنة عامة ومنها اللغة؛ وثالثها وجهة عصبية بيولوجية باحثة في نشوء الملكة بنشوء الأرضية بعواملها البيولوجية والثقافية والاجتماعية." وهذه أول قضايا الكتاب قيد الدراسة حيث اهتم بالجانب العصبي للغة فضلا عن اهتمامه في الجهود السابقة باللغة من جهة عرفانية نفسية واجتماعية ثقافية.

¹ ينظر: الأزهر الزناد، اللغة والجسد، ص 19.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 90 – 95.

³ المرجع نفسه، ص 97.

ويذهب الزّناد في الباب الثاني يحمل عنوان الجسد في اللغة إلى البحث عن فاعلية الجسد في الكنساب اللغة وفهمها وإدراك دلالاتها، والمتفحّص له يرى أن الباب الثاني دراسة عكسية نسبيا للباب الأول؛ إذ الأول هو بحث عن كيفية تموضع اللغة في الجسد، أما الثاني فهو كيف يتموضع الجسد في اللغة حيث المقصود بتموضع الجسد في اللغة استثماره في تكوين ملكة اللغة، وليس ذلك بالاعتماد على مبدأ الجسدنة الذي طرحه لايكوف وجونسون فحسب، بل بطرح فرضيات جديدة تقتضي البحث عن علاقة الجسد وفاعليته في بناء النحو، والخطاب، والمعجم.

وتظهر فاعلية الجسد في النحو أو ما أطلق عليه الباحث (إنحاء الجسد) في استثمار الجسد في عمليات العدّ والإحصاء مثلا استعمال الأطفال الأيدي للحساب في بداية تعلمهم واكتسابهم اللغة، كما يستعمل الجسد وأعضاؤه "أدوات عابرة للعصور مخزونة في النحو نعبّر بها عن الاتجاهات والوجهات وبها نوجّه أنفسنا ونوجّه بنى جلدتنا كائنات في الأفضية الحسية و/أو في الأفضية الذهنية. وجميع ذلك إنحاء للجسد ونحت له في صورة نحوية خطاطية ماثلة في مختلف الأنحاء الطبيعية قد تكون مما به يتأسّس النحو الكوني" الذي يمثل الملكة الأولية المشتركة بين أدمغة البشر. أما حضور الجسد في الخطاب فهو واسع جدّا انتقى منه الزّباد بعض المفاهيم التي يتداولها المتكلمون لكن بتغييب اللفظ الصريح المباشر وإيراد المفهوم المتعارف بواسطة التلطيف من كنايات واستعارات تدل عليه دون التصريح لسلطة التحريم والعرف الأخلاقي والثقافي، بينما يدرس الزناد الجسد كحقل معجمي؛ أي مفهوم الجسد كما تبلور على مرّ العصور وحفظته التعريفات المعجمية اللغوية في المعاجم العربية ومن النماذج التي تناولها المؤلف مفهوم الجسد وقرائنه مثل: الجثمان، والجلد، والنسمة وما إليها غشاء يجعل منها كتاة متحدة الأجزاء (الجلد) متغذية (الجسد) متنفسة أي (نسمة) ومتحركة أو ساكنة (جثّة، أو غشاء يجعل منها كتاة متحدة الأجزاء (الجلد) متغذية (الجسد)، وهذا التعدد والثّراء المعجمي الذي يوفره الجسد في اللغة هو ما نقوم عليه قضية الثانية التي طرحها الزياد متمثلة في قضية الجسد في اللغة.

يبني الزياد الباب الثالث من مؤلفه على قضية جسد اللغة وإمكانية اتخاذ الجسد أداة للتعبير عن المنظومة اللغوية الرمزية الذّهنية؛ وأحد براهينه على كون اللغة جسدا هو إمكانية "التمييز بين أبعاضه كأن نميّز بين قول فلان وقول آخر الوجوه من التمييز المعروفة، أو ننسبه إليه جملة وتفصيلا أي وجه من وجوه النسبة" وهذا التمييز يكون من خلال الأسلوب، أو صوت المتكلم، أو لكنته وغير ذلك من الخصائص اللغوية التي تتخذ الجسد أساسا للتمييز، ومن جهة أخرى تتمثل جسدية اللغة من خلال "تجسدها في شكل منطوق يوجده الجسد المتكلم، فاللغة جسد من حيث كان الكلام حدثا فيزيائيا ذا حدود بيّنة يتميّز بها من الأشياء والأحداث في الكون

 $^{^{1}}$ المرجع السابق، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2

 $^{^{3}}$ المرجع نفسه، ص 3

والتّجربة [...]، واللغة كذلك جسد وسيط بين الأجساد المتفاعلة، تتفاعل الأجساد به ويتفاعل بها" ومن هذه المظاهر التي تتجلى بها اللغة على مستوى الجسد وتمنحها جسدا خاصا بها أثناء التواصل والتفكير تتأسس قضية جسد اللغة.

أمّا في الباب الرابع يطرح الزناد قضية لغة الجسد التي تشتغل على إعادة الجسد الغائب من خلال العناية بالإشارات المصاحبة للنشاط الكلامي التواصلي، فالجسد لا يمثّل مجرّد آلة جدماغه- يُجري عمليات حوسبية على تمثيلات رمزية محفوظة في العلبة المغلقة (الدماغ)، وإنّما هو عنصر مكوّن للتواصل اللغوي جزءا من العرفنة في جميع أبعادها وبجميع نظمها؛ لذلك كانت له لغة قابلة للتحليل والفهم والتفسير وتأويل دلالاتها رغم أنها غير قابلة للتقطيع الصوتي، ومما يدل على وجود لغة للجسد حضور تلك الدلالات في الطقوس العقائدية، وحضورها في كثير من الرموز الثقافية والاجتماعية كالوشم، والرقص، وما تحمله هذه الرموز من دلالات، وهو ما عني به الزناد في هذه القضية حيث أصبح الجسد بوتقة ينصهر فيها الحامل (الجسد) والمضمون (الرموز والإشارات) فلا فكاك بينهما، وهذه الأخيرة (الإشارات الجسدية) المصاحبة للقول نوعان: إشارات تعاضعية/ اصطلاحية هي حركات ذات معنى معهود يرتبط بها ارتباط المعنى بالكلمة المنطوقة، مثل إشارات التعجب والاستفهام والحيرة التي تبدو على وجه المتكلّم، وإشارات مقامية (أيقونية، إشارية) هي حركات ذات معنى سياقي أو مقامي فيها قدر كبير من الإبداع الفردي² فيكون الجسد بناء على هذه الإشارات حاملا وفاعلا في تبادل الرموز الاجتماعية والثقافية مبني على لغة خاصة متداولة في الحياة وتسهم في النشاط التواصلي بين سائر الأفراد في المجموعة.

ولا تقف جهود الزناد عند هذه القضايا التي عالجها في مؤلفاته الثلاثة السالفة بل له قضايا أخرى دقيقة وعميقة يتناول من خلالها ظواهر اللغة العربية باعتبارها لغة طبيعية بالتفسير والتحليل نتجاوز ذكرها جميعا؛ إذ الأجدر تمحيص القضايا الأولية التي أسهمت في تشكيل أرضية اللسانيات العرفانية عربيا، ومجمل القضايا التي ظهرت من خلال ما عرض من جهود الزّناد تمثّلت فيما يأتي:

- يقدّم الزناد جهوده في اللسانيات العرفانية عبر مشروع ممنهج منظم ينطلق فيه من تأسيس شامل لأصل اللسانيات العرفانية، ومفهومها، ووظيفتها، ثم يطرح وينظّر لمختلف نظرياتها، وآليات كل منها في تحليل اللغة، مضيفا تارة وموسعا أخرى في نظريات ومناويل لم تدرج في جهود عربية أخرى مثل: إدراجه لنظرية اللّوغونات ونظرية اللّمات.
- يشتغل الزناد على توسيع مدارك العرفانية بإمكانية امتدادها إلى الأنساق الثقافية والاجتماعية والعمل على طرح تأويلات وتفسيرات جديدة للنصوص التي تنتج ضمن تلك الثقافة والمجتمع، مبرهنا على هذا

الأزهر الزّناد، اللغة والجسد، ص 211.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2 ينظر: المرجع نفسه،

الافتراض بتطبيق مخرجات بعض نظريات اللسانيات العرفانية على نصوص عربية مختلفة تراثية ومعاصرة.

- يطرح الزناد قضية جديدة هي النص كناتج عرفاني اجتماعي وثقافي، وبالتالي يسعى إلى الإلمام بكافة ما يتعلّق بنظريات اللسانيات العرفانية من أنساق ثقافية، واجتماعية، وتداولية في تفسير النص والخطاب بكل ما يطرحه من تأويلات ممكنة، باعتبار تلك الأنساق عرفانية ذهنية مشتركة وسط مجتمع ما كامنة في ذهن أفراد ذلك المجتمع ولها أثر بالغ في تأويل وفهم النصوص وإنتاجها.
- يتعرض الزناد في مشروعه العرفاني إلى الجانب العصبي (الدّماغ ومراكزه اللغوية والجسد) من اللسانيات العرفانية وآليات تفاعله مع اللغة؛ إذ تمكّن دراسة الجانب العصبي العرفاني من إعادة الاعتبار للجسد والتجربة باعتبار الجسد كائنا ثقافيا، واجتماعيا وحضاريا، واللغة كيان ذهني رمزي ينتج بصورة ما عن هذا الجسد.

ومجمل ما يمكن ملاحظته على مشروع الأزهر الزناد اللساني العرفاني هو تميّزه بالشمولية والانتظام في طرح اللسانيات العرفانية باعتبارها فرع لساني بيني له أسسه ووظائفه الذهنية والعصبية، كما يطرح مدى اتساع اللسانيات العرفانية وامكانية استثمارها في تأويل النصوص لما تنفتح عليه من أنساق ثقافية واجتماعية.

2) 1 - 2 - جهود عبد الرحمن طعمة*:

تحتل جهود عبد الرحمن طعمة في العرفان واللسانيات العرفانية قسما معتبرا من البحث العربي المختص باللسانيات العرفانية، وجهوده يمكن أن نطلق عليها مشروعا لسانيا عرفانيا عربيا أهم ميزاته الجمع بين اللسانيات العرفانية كفرع لساني معاصر ومختلف الأنساق البانية له مثل: النسق الثقافي، والخطاب والأنثروبولوجيا، وعلمي الأعصاب والتشريح، والعرفان، وقد ظهر هذا الجمع في قول طعمة أثناء دراسة له عن انثروبولوجيا اللسانيات والذهن والخطاب والثقافة إنّ فكرة الدراسة وقضاياها انبثقت "من خلال مجموعة من الدراسات التي انتهيتُ منها على مدى خمس سنوات تقريبًا، ووجدتُ ضمنها خَيطًا جامعًا للعَلاقة بين الذهن والخطاب والثقافة، يُمهدُ لاستكمال مشروعنا حول العرفان والثقافة – بصورة مُجملة – خاصة بعد صدور بعض الأطروحات السابقة

ينظر: عبد الرحمن طعمة، البناء الذهني للمفاهيم: بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان، غلاف الكتاب. وصابر الحباشة

^{*} عبد الرحمن محمد طعمة أستاذ اللسانيات المساعد بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة. وهو عضو هيئات تحرير الكثير من الدوريات العلمية والمراكز البحثية العربية والأجنبية منها: اتحاد الكتاب والمثقفين العرب في باريس (فرنسا)، وعضو المنتدى الأوروبي للوسطية في مدينة بروكسل (بلجيكا)، وعضو هيئة ومحكم دولي في مخبر الممارسات اللغوية في جامعة مولود

معمري في الجزائر إضافة إلى مراكز بحثية عديدة أخرى، تميّز عبد الرحمن طعمة بغزارة إنتاجه العلمي في اللسانيات والدراسات القرآنية ونظرية المعرفة فمن أبرز مؤلّفاته فضلا عمّا ذكرناه في البحث: كتاب اللغة والمعنى والتواصل: النموذج العرفاني وأبعاده التداولية الصادر سنة 2010، وكتاب البناء الذهني للمفاهيم: بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان الصادر سنة 2018. وكتاب توظيف علم الدلالة التفسيري الصادر سنة 2018.

دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، ص 11.___

(انثروبولوجيا الثقافة، وتحليل الخطاب الثقافيّ، وانطولوجيا العرفان واللسان). وهو المشروع الذي يستمرّ بحول الله وعونه، وتصدر سلاسله تباعًا." والملاحظ أن طعمة خاصة قد بيّن موضوع مشروعه العرفاني الذّي يدرس العرفان في علاقته بالثقافة والعكس، بما في ذلك اللسانيات العرفانية وعلاقتها بالثقافة.

تبدي كتابات طعمة اهتماما كبيرا بتفسير قضايا الذهن، والعرفان، واللغة انطلاقا بربطها بالثقافة والكون غالبا، وهو المرتكز الأساس في مشروعه العرفاني الذي حمل في طيّاته قضايا عديدة، انطلقت من الجانب التشريحي للدّماغ والجانب العرفاني للذهن وأثر اللسانيات العرفانية على تعليم اللغات، وهذه الجهود ظهرت في كتابات عبد الرحمن طعمة خاصة التالية منها: البناء العصبي للغة دراسة بيولوجية تطوّرية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية، والبناء الذهني للمفاهيم بحث في تكامل علوم اللّسان وآليات العرفان، والمقاربة العرفانية في تعليم اللغة العربية للتّاطقين بغيرها، ووصولا إلى علاقة الذهن بالثقافة والكون والوجود في بناء المعرفة كافة التي ظهرت في كتاباته المختلفة الأخرى، النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية وانطولوجيا اللسان والعرفان من المنظومية إلى النسقية، التي تشارك فيهما مع أحمد عبد المنعم، وفي كتابه الآخر انثروبولوجيا اللسانيات: الذهن، والخطاب، والثقافة، وسنجمل القضايا والأطروحات التي حملها المشروع بالترتيب في ما سبأتي من هذه الدّراسة.

2) 1 - 2 - أ- البناء العصبي للغة:

انطلق طعمة في أول عمل له في مشروعه العرفاني من التأكيد على دراسة منطلقين أولهما: دراسة الجانب العصبي للغة، والآخر دراسة الجانب الذهني العرفاني للغة، آخذا بعين الاعتبار ضرورة الإحاطة والفهم بإنتاج اللغة نفسها قبل البحث عن أسسها العصبية والعرفانية، لذلك نجد طعمة يركز "البحث على علاقة اللغة بالدّماغ البشري، باعتبارها من أول عمليات الإنتاج والتكوين الدّاخلية، حتى التلفظ والتّواصل على الألسنة" بغية وضع نموذج/ براديم (paradigm) ذهني/ دماغي خاص باللغة يفسّر تكوّنها على مستوى الدّماغ؛ أي يفسر اشتغال العمليات العصبية في إنتاج اللغة وكيف تعمل الجينات الوراثية (DNA) في ذلك.

والهدف من دراسة اشتغال المخ البشري في إنتاج اللغة "هو محاولة اكتشاف الجينوم اللغوي (Ianguage والاستفادة من ذلك في وضع آليات جديدة للمستويات اللغوية الخاصة بالمعنى: النحوية والدلالية التي تتغيّا وعيا أكبر بالتّواصل اللساني الإنساني في مرحلتي الإنشاء اللغوي داخل المخ، والتّلفظ (enunciation) المؤدّي إلى انتقال اللغة عبر شفرات (codes) من المتكلّم إلى المتلقّي، وإدراكه وفهمه للمعنى، من ثمّ ينشأ التّواصل." وهذا التحليل العصبي يعتمد فيه طعمة على أدوات وتقنيات علمية تطبيقية تتعلّق بالطب والأشعة مثل: الرّنين المغناطيسي الوظيفي والعادي، التصوير المقطعي، والحث المغناطيسي

 $^{^{-1}}$ عبد الرحمن طعمة، في انثروبولوجيا اللسانيات: الذهن والخطاب والثقافة، ص $^{-1}$

عبد الرحمن طعمة، البناء العصبي للغة دراسة بيولوجية تطوّرية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية، دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط 1، 2017، ص 9.

 $^{^{3}}$ المرجع نفسه، ص 3

للدّماغ عبر القحف، وعلم الأشعة وغيرها، التي تسمح بتحليل المشغّلات العصبية (النيورونية) للغة وفحص التكامل العصبي داخل وظائف الدّماغ التي تنتج اللغة.

وفي قضية عصبية الملكة اللغوية يطرح طعمة تصورا مفاده أن الذّهن بازغ عن وظيفة الدّماغ/ المخ البشري؛ إذ تصبح اللغة ملكة ذهنية/ عرفانية بازغة عن جهاز عصبي ممّا يجعل الجملة العصبية تسبق أنطولوجيًّا الجملة اللغوية المتحققة لسانيا، وهذا يفضي إلى دراسة التآلف الموجود النشاط العصبي والمكونين: [الدلالي والصوتي] من جهة أخرى، ومنه تكون العلاقة بين المكون الصرفي – التركيبي] من جهة أخرى، ومنه تكون العلاقة بين المكون الصرفي – التركيبي والنشاط العصبي علاقة يحكمها الوجاه الدّلالي، هذا الأخير الذي يسمح بعرض بعض نماذج اللسانيات العرفانية: الاستعارة التصورية، نظرية المزج التصوري... وجوانبها العصبية العرفانية لتحقيق تصميم شامل للظاهرة اللغوية الطبيعية يجمع بين هندسة لغوية مقابلة لهندسة عصبية يتأسس عليها البراديم العرفاني الذي طرحه طعمة وسعى من خلاله إلى كشف البنية العرفانية العليا للغة الطبيعية على مستوى الدّماغ البشري، ومحاولة وضع منهج تحليلي عرفاني جديد بهدف الجمع بين روافد شتّى من علوم المعرفة المعاصرة التكامل المعرفي بينها في فحص الظاهرة اللغوية عصبيا وذهنيا باعتبارها منظومة رمزية.

بناء على ما تقدّم يظهر من القضية الأولى التي طرحها طعمة أنه هدف إلى بيان مجموعة من التصورات الذهنية العرفانية التي منطقها الدراسة العصبية للغة، وكيفية حدوث التآلف والتوافق بين مستوياتها الدلالية، والصوتية والصرفية –التركيبية وعرض آليات تحكم الوجاه الدلالي في هذه المستويات، والذي يعد حجر أساس في نظريات ونماذج اللسانيات العرفانية، مما يكسبها بعدا عصبيا هي الأخرى وبالتالي لا تتعلق قضية عصبية اللغة بتفسير إنتاجها فقط بل تتسع لتشمل نظريات دراسة وتفسير اللغة كمنظومة رمزية ذهنية بازغة عن نشاط الجهاز العصبي.

2) 1 - 2 - ب- التّكامل المعرفي في تفسير البناء العصبي والذهني/ العرفاني للغة:

اعتنى عبد الرحمن طعمة بقضية التكامل المعرفي في تفسير البناء العصبي والبناء الذهني/ العرفاني للغة في مؤلفه المشترك مع أحمد عبد المنعم الحامل عنوان النظرية اللسانية العرفانية: دراسات ابستيمولوجية محاولا خلاله التأكيد على ضرورة تبني آليات المنهج الوصفي والاتخاذ بأسباب التفسير العلمي التي تمكن الباحث اللساني من الكفاية التفسيرية للظاهرة اللغوية، ومنوها أن بلوغ ذلك يتطلب التجريب الذي يُدْخِلُ الظاهرة اللغوية حيّز العلوم التجريبية وبالتالي محاولة تحقيق نتائج صارمة، وعميقة، وصحيحة قدر الإمكان.

ولكي تتحقق الدراسة التفسيرية العلمية للظاهرة اللغوية يتوجّه عبد الرحمن طعمة إلى استثمار العلوم العرفانية وما توفّره من علوم متكاملة ومتداخلة مهتمة بالقدرات الذهنية والمعرفة اللغوية، ولكن "المعرفة اللغوية - بصفة عامة - نسبية؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ارتباط معرفتنا بطبيعة أجسادنا وأدمغتنا وتفاعلاتنا مع محيطنا، وهو ما يلزم عنه تضافر العديد من المناهج في سبيل إنشاء

162

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 1

نموذج لغويِّ ما، من بينها المناهج العصبية والنفسية التطورية والذكاء الاصطناعي." ويمكن إضافة الأنساق الثقافية، والسيميائية إلى هذه المناهج التي يؤدي اجتماعها إلى دراسة الظاهرة اللغوية وسيروراتها العرفانية وفقا لعدة مستويات كما يأتى:

المستوى الحيوي البيولوجي: يتمثّل في الدماغ بوصفه شبكة نظامية مكونة من ملايين النيورونات المترابطة التي تشكّل خلفية البناء الفكري للذهن الإنساني.

المستوى التمثيلي (أو الإدراكي) (perceptual): ويتأسس حول بحث كيفية تمثيل المعرفة الموجودة وبلورتها بصورة مفاهيم داخل الذّهن، وهو الأمر المعروف بمصطلح التمثيلات الذهنية.

مستوى المعالجة المعلوماتية (information processing): وهو الذي ينظر إلى الفكر بوصفه نسقا مجرّدا لمعالجة المعلومات، ويكون التركيز على دراسة كيفية انتقال المعلومات داخل الشبكة النورونية بوصفها نسقا وظيفيا دون الإحالة إلى ما تمثله المعلومة خارج الدّماغ (استعارة الذهن – الحاسوب). علما بأن المعالجة المعلوماتية بنمطيها: الإدراكي (إدراك شيء ما)، والرمزي (فهم الجملة، وتمثيلها العصبي، وتخطيطها الذهني) كل هذا يحدث من خلال منظومة من المقولات والمفاهيم التي تتحكم في تمثيل العالم وتتميطه ونمذجته داخل الذهن البشري.²

يضاف إلى هذه المستويات الثلاث مستويات أخرى أشار طعمة إليها في مشروعه ويمكن أن نختصرها فيما يأتى:

المستوى الثقافي: هو تكوين يسمح بحدوث تمايز للقدرة العصبية المشتركة عند الأفراد الأصحاء من البشر "فهو المسؤول عن ذلك الاختلاف الواسع بين اللغات في «التعبير» «دلاليا وتداوليا» عن المواقف التواصلية المختلفة؛ إذ إنه المسؤول عن تحديد الوحدات الصرفية للخطاب، والتركيبات اللغوية، وقواعد الترتيب. والمستوى الثقافي يندرج ضمن نموذج أوسع اقترحه الباحثان وأطلقا عليه النموذج الوظيفي – السيميائي الذي يعد بديلا للنماذج العرفانية الأولى ومؤسسا على النتائج التجريبية، والتفسيرات الإيكولوجية للظاهرة اللغوية، ومن مباحثه المضافة إلى المستوى الثقافي، البنية العصبية للغة، المكوّن التعبيري الذي تتحقق به اللغة تواصليا وخطابيا والموضوع المحال عليه من لدن المخاطب، والبحث في العلاقة بين هذه المكوّنات."

مستوى المظاهر الفلسفية في تفسير بناء اللغة:

يعرض الباحثان مجموعة من آراء الفلاسفة التجريبيين والذهنيين/ العقلانيين مثل: لودفيغ فيتغنشتاين وجون لوك، وجون سيرل حول أثر الفلسفة وعلاقتها في تفسير الظاهرة اللغوية، لأنّ الوظيفة المثلى للفلسفة

¹ عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط .1 2019، ص 18.

[.] 2 ينظر: المرجع نفسه، ص 156 – 157.

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 47 – 71.

مرتبطة بالتحليل اللغوي للعبارات اللغوية التي يتم التعبير بها عن قضايا اللغة بشكل واضح ودقيق، ورأى أن الأسس الفلسفية في تفسير بناء اللغة تتحدّد فيما يأتي:

- للغة دور فعال في الفلسفة، فترجمة المسائل الفلسفية إلى حدود وقضايا لغوية هو أفضل طريقة للمناقشة.
 - تجزيء الإشكالات والقضايا إلى العناصر المُكوّنية الأساسية.
- التركيز على الطابع المعرفي، من خلال الكشف عن المحيط الخارجي وفهمه، باعتماد المنطق والحجة والبرهان والتجريب، من أجل التحقق من صدق القضايا المصاغة لغويا. 1

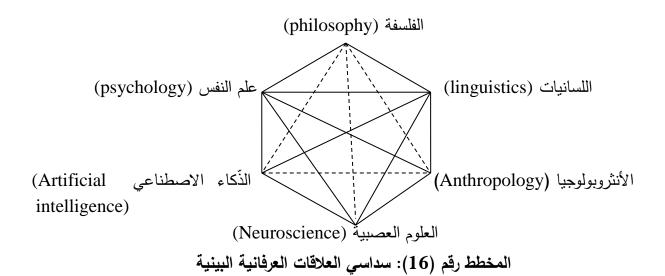
ومن الملاحظ أن هذه الأسس الفلسفية تحدّد وظيفة الفلسفة في علاقتها باللغة كون المناقشة والتحليل الفلسفي ينطلق من صياغة القضايا الفلسفية لغويا وتفكيكها حسب ما يهدف إليه التحليل الفلسفي الذي تبرز فيه الآليات الفلسفية التحليلية التجريبية في تفسير الظاهرة اللغوية.

أما «جون لوك» الذي يعد رائد النظرية الإدراكية (الحسية) التي تطورت لا حقا لتصبح (عرفانية النموذج العصبي)، فقد رأى أن المظاهر الفلسفية التي يمكنها تفسير بناء اللغة هي البحث في الفهم باعتباره مكلة ذهنية لها الأولوية القصوى في البحث باعتباره وسيلة الإنسان في الإدراك، والمعرفة، وقضايا الوجود، وطبيعة الإنسان. ولا يتحقق الفهم أو يتم إلا باللغة البشرية التي تسمح باشتغال العلميات الذهنية وتوالد وانتظام الأفكار البسيطة والمركبة ودون اللغة البشرية لا تنشأ هذه الأفكار ولا تنتظم، بل سيتحول الأمر إلى غريزة وفطرة، كالحيوانات بمعنى نشوء مجموعة من الأفعال المنعكسة التي تثار بالتفاعل مع الطبيعة، من دون أي فهم أو استيعاب للمضامين الوجودية المعقدة. والواقع أن البحث في تفسير بناء اللغة حسب ما يرى الباحثان لا يتعلق باستثمار لهذه المستويات المتقدّمة فقط (المستوى الثقافي، والفلسفي)، بل يتعلّق بعلوم أخرى بني عليها حقل العلوم العرفانية تترابط وتتعالق وفق المخطط التالي: 3

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 103.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2 105.

³ ينظر: عبد الرحمن طعمة، البعد الذهني في اللسانيات العرفانية: مدخل مفاهيمي، ضمن كتاب دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، ص 19.



2) 1 - 2 - ج- النسق الثقافي وتوالد البنية العرفانية للغة:

يبدي عبد الرحمن طعمة اهتماما كبيرا بالثقافة والأنثروبولوجيا وعلاقتهما بالعرفان والذهن بصورة عامة. وقد احتلت الدراسة الثقافية حيزا معتبرا في مشروعه العرفاني، وهذا جليّ من خلال إفراده للكتاب المعنون في انثروبولوجيا اللسانيات والذهن والخطابة والثقافة؛ للبحث في علاقة الثقافة والعرفان باللسانيات وبناء اللغة ذهنيا، وهي إحدى القضايا الجوهرية التي تبنّاها مشروع عبد الرحمن طعمة مع التركيز في الكتاب على "الطبيعة الجدلية المتداخلة بين الذهن والثقافة من ناحية، وبين الذهن والمجتمع – من خلال الخطاب – من ناحية أخرى وارتباط كلّ ذلك بالوجود الإنساني، وبالبعد الكوني لفهمنا ورؤيتنا للعالم." فالثقافة لا تنفك عن الذهن البشري وبالنالي لا تنفك عن الخطاب واللغة التي تبنى بها التصورات والمعرفة.

ولذلك افتتح طعمة البحث في قضية الثقافة وبناء اللغة بمجموعة من التصورات الابستيمولوجية الفلسفية التي تبحث في تكون المعرفة واللغة وارتباط الفكر بالثقافة التي تعتمد على أسس فلسفية، وقد انتبه طعمة إلى ذلك فجاءت دراسته التي بين أيدينا مستثمرة "لاتجاهات علمية وفلسفية مختلفة، لأجل تحصيل الأفكار ذات البُعد البينيّ فيما يتعلّق بهذه المسألة؛ أي العلاقة المتداخلة والشائكة بين المعرفة والفكر والوعي، ودورها في تشييد البنية العامة للتفكير في عصر إنسان الثقافة، وقرن الوعي الكونيّ بامتياز." فاتخذ طعمة الدراسة البينية أساسا لتحليل العلاقات بين الثقافة واللسانيات واللغة؛ لأنّ الثقافة هي نتيجة تفكير الإنسان ومعرفته بالعالم الواقعي وتجاربه، واختلاف الثقافات هو اختلاف للتفكير البشري من مجتمع إلى آخر، وهي بذلك تسهم في بناء الدّلالة اللغوية.

من جانب آخر في علاقة الثقافة باللغة يظهر أن للغة دورا أساسيا في بناء الثقافة وتكوينها، فاللغة ليست ذات وظيفة محصورة في التواصل فقط، "بل هي أداة للتفكّر كذلك، ومن هذا المنظور فإنها وسيلة أساسية لتقديم

¹⁰ عبد الرحمن طعمة، في انثروبولوجيا اللسانيات والذهن والخطابة والثقافة، ص 10

 $^{^{2}}$ المرجع نفسه، ص 2

مفاهيم وتفاسير للعالم الذي يحيط بأهل اللغة. وهكذا تصبح اللغة عملية ذهنية تصوغ أو تعكس رؤية العالم عند أمة من الأمم أو ثقافة من الثقافات¹ وبتعبير آخر، تتأسس علاقة الثقافة باللغة على التكامل والتفاعل فالثقافة تتولّد عن الوعي البشري بالعالم ومعرفته به عبر التجربة وأحيانا عبر اللغة، واللغة بدورها تصوغ هذه الثقافة والمعرفة عن العالم لتنتظم في الذهن البشري، مما يجعلها وعاء لنقل المعرفة الثقافية إلى الذهن البشري.

2) 1 - 2 - د- اللسانيات العرفانية وتعليم اللغات:

يهدف الباحث من خلال طرح قضية فاعلية اللسانيات العرفانية والعرفان بصورة عامة في تعليم اللغات الغير الناطقين بها وخاصة اللغة العربية إلى "تقديم تفسير علمي لتعلم اللغة وتعليمها، مما ينعكس بدوره على القدرات التنبؤية للعمليات التدريسية للغة" ومنه تقديم تفسير علمي للعمليات الذهنية التي تمكننا من تعلم وتعليم لغة جديدة، ومن أهم الآليات والأدوات العلمية التي استند إليها الباحث في دراسته المشتركة أيضا مع أحمد عبد المنعم الموسومة المقاربة العرفانية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها هي ما وفره علم الأعصاب، وعلم النفس التطوري، والذّكاء الاصطناعي، وكان من النتائج التي توصلت إليها الدراسة عن فاعلية اللسانيات العرفانية في تعليم اللغة العربية كلغة ثانية أنها تعتمد بشكل أساسي على:

"الاستعدادات العصبية: التي يشتمل عليها ذهن المتعلم، والتي مكنته من اكتساب لغته الأم.

كيفية تجنب العملية التدريسية للغة الهدف (الانحيازات العصبية) للغة الأم من لدن المتعلم، الأمر الذي يفسر القيمة الكبرى للاستراتيجيات التدريسية القائمة على تحفيز المتعلم لإنتاج نصوص موازية في سياقات تواصلية بعينها؛ مما يزيد من وزن الارتباطات العصبية الخاصة باللغة الهدف" أي الاهتمام بالعمليات الذهنية النفسية والعمليات العصبية التي تتفاعل فيما بينها لتعلّم المتعلم اللغة الثانية انطلاقا من معرفته بلغته الأم.

2) 1-2-8 هـ بناء المفاهيم البشرية بين التكوين الذهني والتكوين العصبي:

استنبطنا قضية تكوين المفاهيم البشرية على المستوى الذهني والعصبي من عمل عبد الرحمن طعمة البناء الذهني للمفاهيم بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان، إذ اشتملت أفكار هذا العمل على ثلاثة محاور أساسية وشاملة لبناء المعرفة عامة والمعرفة اللغوية خاصة وهي:

البحث في تكوين البنية الذهنية للمفاهيم في التراث البلاغي: وخصّ طعمة مؤلف حازم القرطاجني (554 هـ – 632 هـ) منهاج البلغاء وسراج الأدباء كعيّنة لدراسة تكوّن المفاهيم في التراث العربي البلاغي؛ لأنّ القرطاجني، كما يرى طعمة، أبرز الذين جمعوا بين روافد الفلسفة والمنطق – حتى زمنه – ومتطلّبات البحث البلاغي واللّساني الرّصين؛ ولذلك خصّه بالدّرس لكشف تصوّره للمعنى البلاغي عند امتزاجه بالتفكير الفلسفي المنطقي، فكان من أهم تصورات القرطاجني العرفانية كيفية تشكيل الصورة وطريقة انتظامها؛ حيث تحمل

 $^{^{1}}$ المرجع السابق، ص 80

 $^{^{2}}$ عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، المقاربة العرفانية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ص 2

 $^{^{3}}$ المرجع نفسه، ص 3

الصورة عنده معنى الاستعادة الذهنية لمدرك حسي غير موجود في الإدراك المباشر، ومن ثم تصبح الصورة عنده ذلك الاسترجاع الذهني والتّذكر للخبرات الحسية البعيدة عن الإدراك المباشر، الذي يثار في مخيّلة المتلقي عن طريق المنبهات اللفظية الحاصلة في الفعل اللغوي الأدبي واعتبر طعمة محاولته هذه تأصيلية تتبيهية إلى أن البلاغة العربية مهمة بقدر أهمية الطرح المعاصر لنظرية العرفان العصبي في تحليل وفحص البناء الذهني للمفاهيم.

البحث في الأساس العصبي العرفاني لبنية المفاهيم الذهنية: عالج طعمة في هذا المحور أوّلا البنية الذهنية للمفاهيم، ثم انتقل إلى شرح جزء من الميكانيكية العصبية، مقتصرا فيه على القشرة وبعض ارتباطاتها المركزية مع أجزاء مختلفة من المخ، ثم قدّم بعض الأطروحات الابستيمولوجية التحليلية للمفاهيم عموما، وفق قواعد الاستدلال المنطقي ومعالجة الذهن لها بالتداخل مع مسائل الوحدات المعجمية والدلالية وصياغة قوالب الشكل التعبيري، واختلاف التمثيل اللساني وفقا لتباين الألسن والثقافات...إلخ. وهذا الجزء من البحث يعدّ جانبا تنظيريا لقضية بناء المفاهيم التي طرحها طعمة، إضافة إلى أنه خصّ هذا الجزء بدراسة بناء المفاهيم ذهنيا وعصبيا وفق النظرية العرفانية المعاصرة، بعد أن أصّل للقضية في الفصل الأول من مؤلفه.

محاولة تحليل البلاغ التصويري في القرآن الكريم: تعتبر هذه المحاولة جانبا تطبيقيا لأطروحة طعمة في استكشاف البناء الذهني للمفاهيم، حيث اشتغل فيها على استثمار الطرح العرفاني في مقاربة الجملة القرآنية من ثلاثة أوجه: التخييل، والتجسيم، والمفارقة وهي الثلاثية التطبيقية العرفانية على نمط المفاهيم والتصورات في الذهن البشري³ والتي اهتم بها في الفصل الأول التأصيلي، وأعاد تحليلها هنا انطلاقا من الطبيعة المفاهيمية للجملة القرآنية. وما يلاحظ على قضية البناء الذهني للمفاهيم التي طرحها طعمة هنا يرى أن موضوعها ميزته شمولية جدّا حيث يهتم ببناء المفاهيم الذهنية التي تصب في المعرفة البشرية كافة بما فيها المعرفة اللغوية كجزء منها.

ممّا تقدّم عرضه عن الاتجاه الشمولي والموسّع نقف منه على تصوّر عامّ وأساسي مفاده أن هذا الاتجاه تميّز بمجموعة من القضايا من باحث عربي لآخر، فالزّناد نجده تخصص في التنظير للسانيات العرفانية ونماذجها الذهنية النفسية والعصبية المختلفة مع محاولة الإحاطة بأكبر عدد ممكن منها، كما يُرَى تخصيصه جزء من جهوده للعمل على تطبيق هذه النماذج التي نظر لها على أنواع من النصوص والخطابات الأدبية العربية، في حين يُلاحظ على مشروع عبد الرحمن طعمة أنه يبحث في العرفان بصورة عامة تمثل اللسانيات العرفانية أحد فروعه؛ أي فروع العرفان الذي ينبني على أنساق معرفية عدة مثل: الثقافة، والأنثروبولوجيا، وعلم الأعصاب، وهي أنساق اهتم بها الباحث كثيرا وبعلاقاتها باللغة وسائر التكوين العرفاني الذهني.

 $^{^{1}}$ ينظر: عبد الرحمن طعمة، البناء الذهني للمفاهيم بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان، درا كنوز المعرفة، عمان، ط 1 2018، ص 2 - 18.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 105 $^{-}$ 106.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 109.

2) 2 - الجهود التيسيرية التجزيئية:

قدّمنا في مقام سابق الحديث عن الجهود العربية في تلقي اللسانيات العرفانية التي تميّزت بطابع شمولي معمّق من خلال إيراد مؤلفات ودراسات أهم الرواد العرب وأهم القضايا والتصوّرات التي اشتغلوا على طرحها ومناقشتها، وإلى جانب هذه الجهود الشمولية يوجد نوع آخر من الجهود اللسانية العرفانية العربية يقتصر على جانب واحد، أو نموذج واحد من نماذج اللسانيات العرفانية تفرده بالتعريف، وضبط المفاهيم والمبادئ، وأحيانا تفرده بالتحليل ومحاولة تطبيقه على النصوص، وقد أطلقنا تسمية الاتجاه التجزيئي التيسيري على هذه الجهود نظرا للقضايا والمناقشات العلمية التي اشتملت عليها، في إطار ما اطلعنا عليه، ورأينا أنه من المناسب أن نعرض في هذا البحث القضايا، والنظريات، والنماذج اللسانية العرفانية المختلفة التي تأسس عليها هذا الاتجاه بدلا من إدراج قراءة كاملة للمؤلفات والبحوث التي ضمّت قضية بعينها.

2) 2 -1- قضية الدلالة العرفانية (التّصورية):

تمثّل الدّلالة العرفانية أحد قطبي اللسانيات العرفانية التي انطوت على مجموعة من النظريات والنماذج العرفانية المرتكز بحثها على الدّلالة وبناء المعنى الذهني من جهة، وعلى بناء التصورات والمفاهيم عموما من جهة أخرى، وسبق التفصيل في الدّلالة العرفانية (في الفصل الأول)، لكن تلقيها في الكتابات اللسانية العرفانية العربية اختلف عمّا قدّمته الدّراسات الغربية في الدّلالة العرفانية، فقد ركّز اللسانيون العرب المهتمون بالدّلالة العرفانية مثل: محمد غاليم*، وعبد الكبير الحسني، ومنية عبيدي على مسألة واحدة محورية هي: البنية التصورية وهندسة التوازي (الهندسة الثلاثية).

2) 2-1-1 مفهوم البنية التصورية وهندسة التوازي في التصوّر العربي:

تمثّل البنية التصورية أحد مباحث الدّلالة العرفانية (التصوّرية) التي تنطلق من مسلّمة مفادها أن المعنى في اللغة الطبيعية بنية ذهنية مرمّزة "وترتبط هذه المسلّمة بأنّ الإنسان مزود بمستوى ذهني موصول سببيا بحالات الجهاز العصبي دون أن يطابقها، ويعتبر حساب المعلومات من وظائف هذا المستوى الذهني المميّزة

^{*} محمد غاليم هو أستاذ التعليم العالي وأستاذ اللسانيات في جامعة محمد الخامس، وأستاذ الدلالة وفلسفة اللغة في جامعة ابن طفيل، وأستاذ زائر في عدد من الجامعات العربية والأوروبية والآسيوية، ورئيس فريق اللسانيات المقارنة والتطبيقية في معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، وله الدراسات والأبحاث للتعريب في الرباط، ورئيس تحرير مجلة أبحاث لسانية الصادرة عن معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، وله عدد كبير من المنشورات العلمية في اللسانيات العربية المقارنة، وفلسفة اللغة، واللسانيات التطبيقية والاجتماعية تتراوح بين كتب ومقالات ووقائع مؤتمرات علمية وترجمات عن الفرنسية والإنجليزية. منها على سبيل المثال: المعنى والتوافق مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي سنة 1999، واللغة بين ملكات الذهن بحث في الهندسة المعرفية سنة 2021، ومن أشهر ترجماته ترجمة فصل من كتاب راي جاكندوف بعنوان الدلالة مشروعا ذهنيا ضمن كتاب دلالة اللغة وتصميمها سنة 2007.

للاستزادة ينظر: محمد غاليم، الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم، بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات، الدار التونسية للكتاب، ط 1، 2021، غلاف الكتاب.

وما دامت المعاني اللغوية معلومات ذهنية، بناء على المسلّمة المذكورة، وجب أن يجري عليها ما يجري على المعلومات الذهنية الأخرى غير اللغوية. ومن ثمّة الارتباط الجوهري في الدلالة التصورية بين طبيعة المعنى اللغوي وطبيعة الإدراك والمعرفة البشريين. "أ وهذا يوضّح اتساع مجال دراسة الدّلالة التصورية الذي يربط بين حوسبة المعلومات اللغوية وغير اللغوية، وطبيعة الإدراك البشري الذي لا يستقلّ عن الجهاز العصبي، وبذلك فالدّلالة التصورية تربط بين العمليات العصبية والذهنية في حوسبة المعلومات وتمثيل المعرفة ذهنيا.

ولأنّ البنية التصورية أحد مباحث الدلالة التصورية فهي تعدّ المستوى الذي يتم فيه التمثيل الذّهني، أين تتلاءم المعلومات اللغوية والحسية والحركية، وتعدّ نسقا مركزيا من أنساق الذّهن، وهي ليست جزءا من اللغة في حدّ ذاتها، بل هي البنية الذهنية التي ترمّزها اللغة في صورة قابلة للتواصل، فاللغة في حدّ ذاتها (أو الملكة اللغوية الضيقة) تتضمّن:

البنية التركيبية والصواتية، والوجاه الذي يعالق بين التركيب والصواتة، والوجاهات التي تربط التركيب والصواتة البنية التصورية (أو «الوجاه التصورية (أو «الوجاه التصورية التصورية الله المنتق الأشياء التي تمنح البنية التصورية اتسامها بالغني، والذي يتأتّى لها من كونها مرتكز الاستنتاج والارتباط بالإدراك والفعل غير اللغوبين، لذلك يمكننا أن نجد دلائل على بعض أنماط البنيات التصورية لدى ذوات غير لغوية كالرّضع والرئيسات العليا، وهي أنماط من التمثيل الذهني تستعمل التفكير لا للتواصل وبالتالي فالبنية التصورية بناء ذهني يخزن المعلومات اللغوية وغير اللغوية من المدخلات الذهنية الإدراكية والحسية الحركية من جهة، كما أنها البناء الذهني الذي تتم على مستواه الهندسة الثلاثية التي افترضها جاكندوف من جهة أخرى.

تقوم الهندسة الثلاثية (أو هندسة التوازي) على ثلاثة مكونات، هي التركيب والدلالة والصواتة، كلها توليدية على نفس المستوى ما دام كل مكون منها يستقل بنمطه الخاص من الأوليات ومبادئ التأليف. فهي مكونات مستقلة متوازية لكنها مترابطة ومتفاعلة في ما بينها عبر أنساق وجاهية من هنا يصبح المكون

2 محمد غاليم، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة مبادئ وتحاليل، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 1، 2007، ص 33.

 $^{^{1}}$ محمد غاليم، المعنى والتوافق، ص 52 – 53.

^{*} يشغل الوجاه مكانة مركزية في النظرية اللسانية على الخصوص وفي الحقل العلمي عموما، وهو مفهوم نظري وإجرائي مركزي لارتباطه الوثيق بنظرية هندسة الأنساق المركبة، خاصة هندسة النحو، التي تعنى من ضمن ما تُعنى به، بتحديد مكونات النسق اللغوي ومستويات التمثيل فيه وعددها وعلاقاتها الوجاهية ببعضها؛ وعلاقات النسق اللغوي كلّه بغيره من الأنساق التي تشكّل بنية الذّهن/ الدّماغ الشاملة، وبعبارة أخرى الوجاهات هي الروابط والعلاقات بين كيانات النسق الواحد، وبين هذا النسق والأنساق العرفانية الأخرى التي تبني الذهن، وتنقسم الوجاهات إلى نمطين:

⁻ وجاهات «داخلية»، تهم الصلات التفاعلية الدّاخلية بين مختلف الأنساق الفرعية المكونة للنسق الإدراكي أو المعرفي المقصود.

⁻ وجاهات «خارجية»، تهم الصلات التفاعلية الخارجية بين نسق إدراكي أو معرفي معين ونسق أو أكثر من الأنساق الإدراكية المعرفية الأخرى.

التركيبي مكونا يتساوى مركزه مع باقي المكوّنات له وظيفة الرّبط بين الصوت والمعنى، أو الصوت والإشارة في حالة اللغة الإشارية، وتصبح الهندسة المتوازية إطارا شاملا تضمن فيه الأنساق الوجاهية تفاعل الأنساق اللغوية فيما بينها من جهة، وتفاعل هذه الأنساق اللغوية والأنساق الإدراكية والتصورية، من جهة أخرى، وهذا التفاعل الأخير هو أساس الارتباط الجوهري بين طبيعة المعنى اللغوي وطبيعة الإدراك والمعرفة البشريين في هذا الإطار النحوي المعرفي. أ وبذلك نرى أن هندسة التوازي وأطروحة البنية التصورية لا تشتغل على إثبات التوازي بين التركيب، والدلالة، والصوت فقط بل تشتغل أيضا على دراسة ارتباط المعنى والدلالة بالأنساق الإدراكية والعصبية الأخرى.

ومنه "البنية التصورية ليست جزءا من اللغة في حدّ ذاتها، وإنما هي جزء من الفكر والذّهن، إنها المحل الذي يتم فيه فهم الأقوال اللغوية في سياقاتها، بما في ذلك الاعتبارات الذريعية والمعرفة الموسوعية، إنها البنية المعرفية التي ينبني عليها التفكير والتّخطيط."²

- عناصر البنية التصورية ومكوناتها:

أشرنا سابقا أن البنية التصورية أحد مباحث الدّلالة التصوّرية وهي بذلك تخضع لما تخضع له النظرية الدّلالية من قواعد وقيود، وهي كما يأتي:³

★ التعبيرية (Expressiveness):

يجب على نظرية البنية الدلالية أن تكون ملائمة وقادرة على التعبير عن كل التمييزات والاختلافات التي تقوم بها اللغة الطبيعية.

ند الكونية أو الكلية (universality):

هذا القيد يفرض أن تتسم البنى الدّلالية المستعملة من قبل لغة ما بالكونية فتكون الترجمة الحرفية لجملة ما من لغة إلى أخرى ممكنة، وتتقاسم الجملتان نفس البنى الدلالية.

:(Compositionality) التأليفية

يفرض هذا العنصر على النظرية الدّلالية/ البنية التصورية أن توفّر منهجا معينا للتأليف بين معاني الكلمات للوصول إلى معنى الجملة بأكملها.

للتوسّع أكثر ينظر: محمد غاليم، اللغة بين ملكات الذهن بحث في الهندسة المعرفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان ط 1، 2021، ص.161 وما بعدها.

 $^{^{1}}$ ينظر: محمد غاليم، اللغة بين ملكات الذهن بحث في الهندسة المعرفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1 2021، ص 170 – 170 .

² المرجع نفسه، ص 171.

 $^{^{3}}$ ينظر: منية عبيدي، التمثيل الدّلالي للجملة، منوال جاكندوف 1983، ص 75 – 76.

:(Semantic properties):

يجب على النظرية الدلالية أن تكشف الخاصيات الدلالية الموجودة في الجملة، مثل: الترادف، والتناقض والتحليل، والافتراض، وخاصة تفسير مفهوم الاستنتاج الصحيح.

❖ الحاسوبية (computationality):

يتعلق هذا العنصر بقبول المعنى للبرمجة الحاسوبية، وهو عنصر له علاقة بمجال الذّكاء الاصطناعي الذي يطرح قيدين آخرين في بناء النظرية الدلالية/ البنية التصورية وهما القيد النحوي، والقيد العرفاني.

وما يجعل وجهات نظر محمد غاليم، ومنية عبيدي، وعبد الكبير الحسني كلسانيين عرب رؤى جزئية هو انكباب دراستهم على الدلالة التصورية وخاصة فرضية راي جاكندوف عن البنية التصورية وهندسة التوازي. وعلى سبيل المثال نجد مشروع بحث محمد غاليم منذ بدايته يركّز على الدلالة التصورية والبنية التصورية ومكوناتها، وبعبارة أخرى يركز على دراسة مشروع جاكندوف ومحاولة إثرائه في الدلالة التصورية والهندسة المتوازية.

2) 2 -2 - نظرية الاستعارة التصورية من المنظور اللساني العربي:

يرى كلّ باحث وقارئ عربي للبحوث المتعلّقة بنظرية الاستعارة التصورية في البحث اللساني العربي أنّها لقيت اهتماما واسعا، ومثلّت بأنواعها محور دراسات لسانية عربية عديدة سواء منها المنصبة على دراسة الاستعارة التصورية/ المفهومية كنظرية غربية يجب التنظير لها ونقلها إلى الدرس اللساني العربي، أو باستثمارها واستثمار أدواتها الإجرائية في تحليل استعارات اللغة العربية، وهو ما يتضح في مجموعة من المؤلفات العربية منها: كتاب دراسات في الاستعارة المفهومية لعبد الله الحراصي الصادر سنة 2002، ونظريات الاستعارة في البلاغة الغربية لعبد العربية لعبد العربية ولاسيما المقالات التي منحت أولوية كبيرة لنظرية لاستعارة التصورية من بين سائر نظريات اللسانيات العرفانية "حيث أصبح التصنيف فيها يشغل حيزا كبيرا من رفوف المكتبات العالمية، ومن ثمة لم يعد بمقدور الفرد الواحد الإلمام بكل ما قيل عنها، وتتبع الدراسات التي موضوع اهتمام علماء النفس، وعلماء الاجتماع، والأنثروبولوجيين..." الأمر الذي سمح بتعدّد الرؤى اللسانية العربية حول الاستعارة التصورية في البحث اللساني العربي وتمركزها في مسائل محدودة.

عبد العزيز لحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط 1، 2015، ص 5.

2) 2 - 2 - أ- مسألة التنظير العربي لنظرية الاستعارة التصورية:

نستكشف في هذه المسألة إطار التنظير اللساني العربي لنظرية الاستعارة التصورية من خلال المؤلفات المذكورة آنفا وغيرها، التي أفردت نظرية الاستعارة التصورية بالبحث والتنقيب ومحاولة إدخالها إلى الدرس اللساني العربي وإثرائها، فكان هدفها الأساسي تقديم النظرية التصورية للاستعارة باستعراض بعض الكتابات الرئيسة، والأفكار الأساسية التي رسمت معالم تطورها في الفكر الغربي، وتطبيق الأطروحات الرئيسية التي تقدمها هذه النظرية على الحياة والفكر العربيين اللذين يتجليان من خلال اللغة العربية أثناء الاستعمال الشفوي أو من الإنتاج الحديث والمعاصر.

وعليه فالتنظير اللساني العربي حسب ما جاء في دراسات عديدة اشتمل على تعريف الاستعارة التصورية وما استجدّت به عن الاستعارة في التصور التقليدي، بحكم ارتباطها بالعلوم العرفانية، كما اشتملت على تحديد الخلفيات المعرفية من الفلسفة، والنزعة التجريبية التي تأسست عليها مبادئها وإجراءاتها في مقاربة الاستعارات عامة، فغاية المجهود العربي في الاستعارة التصورية انصب على "التفصيل في منطلقات تلك الأفكار الجديدة والثورية حول ظاهرة الاستعارة، وتحديد الإطار العام والخاص لانبثاقها" وتمثل الإطار العام في العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية، أما الإطار الخاص فتمثل في الدلالة العرفانية تحديدا.

ومجمل ما يمكن ملاحظته في جانب التنظير العربي لنظرية الاستعارة التصورية هو انحصاره في التعريف بالنظرية، وتحديد أنماطها وأنواعها، انطلاقا من ترجمة وتعريب التصورات التي وردت في مظانها الأولى لاسيما عند جورج لايكوف، ومارك جونسون، وزولتان كوفيتش، وبالتالي فهذا التنظير لم يخرج عن فرضيات روادها من الغرب.

2) 2 - 2 - ب- مسألة التطبيق العربي لنظرية الاستعارة التصورية:

تعد قضية التطبيق العربي لنظرية الاستعارة التصورية مسألة لصيقة بالتنظير اللساني العربي في المؤلفات والكتابات العربية التي تم اقتراحها، فقد ورد فيها جميعا جانبا تطبيقيا يُشْتَعَلُ فيه على تطبيق مخرجات نظرية الاستعارة التصورية على عبارات مستقلة من اللغة العربية، أو نصوص من الأدب العربي والغربي، وهذا ما ظهر عند عبد الله الحراصي الذي استثمر الاستعارة التصورية في دراسة استعارة "العقل" وكيف يتجسد في استعمال الفيلسوف العربي موسى بن ميمون في كتابه "دلالة الحائرين" انطلاقا من مجموعة من الاستعارات أهمها: التفكير تحرك في حقل قوى، والتفكير رؤية، والعقل فائض، مبيّنا من خلالها أنه حتى "الفلسفة باعتبارها أهم أشكال التجربة العقلية المجردة، ليست في جوهرها مختلفة في استثمار التجربة الجسدية في الفكر عن أشكال التفكير الأخرى" وبالتالي ندرك أنه حتى تفكير الفلاسفة الذي يعد أعلى وأكثر أشكال التفكير البشري تجريدا يبقى مرتبطا بالجسد بواسطة الاستعارة التصورية.

 $^{^{1}}$ ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، دار كتاب نزوى، سلطنة عمان، ط 2 002، ص 3

 $^{^{2}}$ عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1 ، 2015، ص 2

 $^{^{3}}$ المرجع السابق، ص 2

كما يظهر أيضا عند عمر بن دحمان في مؤلفه نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي تخصيصه جزءا من الكتاب لمحاولة تطبيق نظرية الاستعارة التصورية على الخطاب الأدبي عموما - وهو ما يبدو من العنوان للوهلة الأولى- وتحديد بن دحمان الخطاب الأدبي كعينة للتطبيق يطرح وجهة نظر جديدة وخطيرة مفادها إعادة النظر في قضية الاستعارة بين الإبداعية المخصوصة بفئة معيّنة من الناس وفي مقدّمتهم الأدباء و بين التواصل اليومي العادي، وقد رأى أن الاستعارات التصورية في الخطاب الأدبي التي ينتجها الأديب والشاعر مزيج بين الاشتغال الذهني للتواصل العادي والإبداع المقصود لإضفاء الجمال على النص، " فالأدب كمنتج ذهنى ومتحقق لغويا لا يخرج عن هذا النطاق الاستعاري 1 مثبتا هذا الطرح من خلال مجموعة الاستعارات التصورية التي أبرزها في القصائد المدروسة مثل: قصيدة الشاعرة كريستينا جورجينا روستي وقصيدة "مظهر الغضب" لأدريان ريتش، ومقطع من قصيدة لسيلفيا بلاث، ومقطع لويليام شكسبير، لكن ما يبدو على العمل التطبيقي التحليلي لعمر بن دحمان اقتصاره على تعريب نماذج أدبية شعرية غربية، وخلوه من النماذج العربية التي مازال كثير منها لم يَلْقَ تطبيقا وتحليلا جادًا بما طرحته اللسانيات العرفانية ونظرياتها. بينما نجد محى الدين محسب في مؤلفه الإدراكيات وأثناء دراسته للاستعارة التصورية يسعى إلى لفت "النظر إلى أوجه الاختلاف الابستيمولوجي الذي قدّمته المقاربة الإدراكية في درس الاستعارة. واستعراض بعض الإسهامات التي قدمها رواد المقاربة الإدراكية للاستعارة، وتحليل جملة من أنماط التخطيط الإدراكي، والأمثلة والنصوص التي توضحها."² ومن بين الأمثلة التي اعتمدها محسب مجموعة من الأبيات الشعرية العربية القديمة والحديثة، خلافا لما اعتمده بن دحمان.

ولا ينحصر التناول العربي لنظرية الاستعارة التصورية من جانبها التحليلي التطبيقي في النماذج المذكورة فقط، بل هناك نماذج أخرى تتوعت النصوص المدروسة فيها بين الشعر والنثر العربي والغربي كما تتوعت بين العبارات المستقلة، كما لاحظنا في الاستعارات التصورية التطبيقية عند الحراصي مثلا، والنصوص التامة. ونرى أن السبب في التناول العربي الواسع لنظرية الاستعارة التصورية مقارنة بغيرها من نماذج ونظريات اللسانيات العرفانية هو توسطها بين اعتبارين: أحدهما كونها من النظريات اللسانية التي تهتم باستكشاف اشتغال الذهن وتحقيق التواصل، والآخر اعتبارها ذات جانب أدبي يمكن استثماره وتحويره لتوليد جمال أكبر في النصوص الأدبية، والاعتبار الأخير بدوره مازال يحتاج مناقشة أعمق منطلقها الإبداع ومفهومه في الاستعارة التصورية وهل حقًا هي ذات مظهر إبداعي جمالي أم إبداعي لساني لاعتبار إنتاجها وتوليدها الذهني فحسب.

2) 2 - 3 - 3 نظرية الأفضية الذهنية من منظور لساني عربي:

تعدّ نظرية الأفضية الذهنية إحدى نظريات اللسانيات العرفانية التي لقيت اهتماما خاصا هي الأخرى في الدراسات اللسانية العربية؛ لأنّها "مقترح نظري عرفاني تأليفي ذو مدى دلالي تداولي يسمح باستيعاب إسهامات

 2 محى الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص 2

 $^{^{1}}$ المرجع السابق، ص 238

عرفانية سابقة من قبيل مفهومي الإطار والسيناريو لدى فيلمور، والاستعارة عند لايكوف وجونسون، وتحليل الاقتضاءات بواسطة عوالم الخطاب المتصل بعضها ببعض عند دنسمور، ومعالجة ظواهر الإحالة عند نونبرغ وجاكندوف إلخ." ممّا يجعلها نظرية متّسعة حقيقة بالدراسة لما تشمله من قضايا لسانية عرفانية عديدة، وعلى هذا الأساس اتسع البحث فيها عربيا، ولاسيما في البحوث المتأخرة التي خصّتها بالدراسة وأبرزها مؤلف نظرية الأفضية الذهنية مبادئها وتطبيقاتها لعبد الودود أبغش، وطائفة من المقالات العلمية التي تمحورت حول عدة قضابا.

2) 2 - 3 - 1 تحديد ماهية نظرية الأفضية الذهنية ومرجعيتها:

وهذه مسألة اشتغلت جلّ الجهود اللسانية العربية التجزيئية المهتمة بنظرية الأفضية الذهنية بالتعريف بها وبمبادئها؛ لأنّ ذلك هو الخطوة الأساسية لإدخالها إلى الدرس اللساني العرفاني العربي، وهو ما اعتمده عمارة الجداري في مقاله الموسوم: الأقضية الذهنية في الخطاب القرآني من خلال نماذج، ولطفي الذويبي في مقاله قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية وعبد الودود أبغش في مؤلفه المذكور آنفا، وغيرهم. وكلّها اهتمت كثيرا بالتعريف بالنظرية كونها مركز مجموعة من العلوم كالفلسفة وعلم النفس خاصة، الأمر الذي سمح بتصنيفها كنظرية لسانية نفسية عرفانية تهتم بنشاط العمليات الذهنية، وتتعامل مع اللغة باعتبارها بناء ذهنيا له عملياته العرفانية الخاصة التي يقوم عليها والتي تتضح أكثر بالتفصيل في امتداداتها الفلسفية والتداولية البازغة عنها فرضية مفادها "أن عملية النظم من تصميم ذلك المتكلم وهندسته، وبالتالي فكل تحويل في مواضع الكلم وكل تصرف في العلاقة بين الوحدات اللسانية راجع إلى المتكلم، وعمليات التصرف واللعب في مواضع الكلم وكل تصرف في العلاقة بين الوحدات اللسانية راجع إلى المتكلم، وعمليات البنية لتحقيق والتحويل تجعلنا نقر أن كل بنية لغوية، أيّ بنية، يوجّهها مقصد بعينه يوجد في ذهن منتج تلك البنية لتحقيق الموائدة من الكلام" وبذلك ظهرت الدالة أل الوظيفة تحت مسمى الوظيفة الإحالية، ففي الأصل نظرية الأفضية الذهنية متولدة عن مفهوم الوظيفة الإحالية ومستندة إليه لاعتبار الوظيفة الإحالية (الدالة المتكار البنوطيفة الإحالية الذهنية.

2) 2 - 3 - ب- السعي نحو إثراء الدرس اللساني العربي:

من خلال تطبيق نظرية الأفضية الذهنية على نصوص من اللغة العربية وهو أحد أهم أهداف عبد الودود أبغش الذي افترض على إثر استكشاف نتائج تطبيق مبادئ نظرية الأفضية الذهنية في اللغة والثقافة العربية

¹ منصور الميغري، الفضاءات الذهنية، ضمن كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية المعاصرة في النصف الثاني من القرن العشرين، ص 387 – 388.

 $^{^{2}}$ ينظر: عمارة الجداري، الأفضية الذهنية في الخطاب القرآني من خلال نماذج، مجلة الباحث، مج 13، ع 1، 2021، ص 2

³ لطفى الذويبي، قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، مجلة العلامة، ع 3، 2018، ص 12.

 $^{^4}$ ينظر: وهيبة بوشليق، نظرية الأفضية الذهنية المفهوم والإجراءات، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج 3 0 خاص، 2019، ص 3 8 – 20.

نوعين من الإضافة: إحداهما توفير مزيد اختبار للنظرية ولو في بعض أفكارها، باختبار أصولها من خلال تحليل معطيات عربيّة وقياس مدى كفايتها وشموليّتها العلمية، والأخرى الإسهام في تجديد اللسانيات العربية بتطعيمها ببعض النظريات العرفانية مسايرة لما يستجدّ في اللسانيات العرفانية من أطر نظرية أنجلو سكسونية اللسان في أغلب الأحيان. ويبدو على غاية محمد عبد الودود أن جهده لا يخلو من محاولة استثمار مبادئ النظرية تطبيقيا على نماذج من اللغة العربية، ولا يقتصر تناوله للأفضية الذهنية عليها فحسب، بل يحاول الإحاطة بامتدادها وآخر تطوّر لها المتمثل في نظرية المزج التصوري الجامعة بين إطار الاستعارات التصورية والأفضية الذهنية، ومن جانب آخر يسعى لطفي الذويبي إلى إيجاد أصول للفضاء الذهني في التراث اللغوي العربي ويمكن أن تكون محاولته بادرة تأصيل للنظرية عامة.

ومجمل ما طرحه التلقي العربي التجزيئي عن نظرية الأفضية الذهنية محصور في جانب نظري: انشغل بالتعريف بالنظرية، وتحديد مبدئها وأسسها تعريفا شاملا، وجانب تحليلي تطبيقي: يسعى إلى استثمار مبادئها في استقراء عبارات من اللغة والثقافة العربيتين، بغية توسيع مدارك اللسانيات العربية وشمولها لجميع النظريات والنماذج اللسانية المعاصرة وعلى رأسها نماذج ومناويل اللسانيات العرفانية.

2) 2 - 4- قضايا النحو العرفاني في التصور اللساني العربي:

تحتل نظرية النحو العرفاني أهمية واضحة في اللسانيات العرفانية بموجب الفرضيات التي طرحتها في دراسة النحو خاصة، وإعادة النظر في دراسة اللغة عامة، وقد مثّلت هذه الفرضيات المادة الأولية في تلقي اللسانيين العرب لنظرية النحو العرفاني، التي يمكن أن نقسم الجهود اللسانية العربية حولها في:

تحديد مفهوم النحو العرفاني كمصطلح ونظرية عرفانية، وضبط الحقل اللساني العرفاني الذي تتتمي إليه وإرساء الأسس النظرية والمنهجية التي طرحها النحو العرفاني في دراسة اللغة، مع محاولة استثمارها في استقراء نماذج من اللغة العربية، وهي الجهود والقضايا المعالجة التي اتضحت في أعمال عبد الجبار بن غربية، وتوفيق قريرة، ويحى صلاح الدين.

يتحدد مفهوم النحو العرفاني في البحث اللساني العربي بكونه نظرية لسانية عرفانية ترفض فرضية تشومسكي في مركزية التركيب عن بقية الأبنية اللغوية الأخرى (الصوت، والدّلالة، والمعجم)، وتطرح بديلا آخر يجعل من النحو عملية نفسية عرفانية تقوم على مجموعة من العمليات الذهنية التصوّرية في معالجة المعلومات اللغوية وأيضا النحو العرفاني نظرية منحدرة من الأنحاء الرّمزية التي تنظر إلى اللغة من جوانب عدة حدّدها توفيق قريرة وعبد الجبار بن غربية فيما يأتى: 3

¹ ينظر: محمد عبد الودود أبغش، نظرية الأفضية الذهنية مبادئها وتطبيقاتها، يافا للبحوث والدراسات والنشر والتوزيع، تونس، ط 1 2018، ص 12.

² ينظر: صلاح الدين يحي، نظرية النحو العرفاني مستوى الثالوث من الأبنية ذات التكوّن الجيّد (الدلالة، التركيب، المعجم)، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مج 04، ع 02، 2020، ص 79.

 $^{^{2}}$ ينظر: توفيق قريرة، الاسم والاسمية والإسماء في اللغة العربية مقاربة نحوية عرفانية، ص 2

2) 2 - 4- أ- اللغة جزء من العرفان البشري:

العرفان هو القدرة الذهنية على معالجة المعلومات تخزينا، وتذكّرا، واكتسابا، وتفكيرا، وتنظيم المدركات وغير ذلك، وبهذا المعنى تكون اللغة مرتبطة بالذهن في مستوى معالجته لمختلف الأنشطة البشرية، ولذلك فإنها تكون مندمجة مع القدرات الذهنية الأخرى للبشر.

2) 2 - 4- ب- اللغة ذات طبيعة رمزية:

يطرح لانغاكير الرمز (symbol) بمفهوم جديد مضافا لما طرحته اللسانيات البنيوية (فردينان دو سوسير) عن العلاقة الاعتباطية الرمزية بين الدال والمدلول ويفترض أن الرّمزية ليست شأنا خاصاً بالعلامة اللغوية المفردة أي بالوحدات المعجمية، بل هي شأن يعمّ جميع مستويات اللغة فالتركيب والمورفولوجيا أيضا رمزية وإذا كانت مستويات اللغة رمزية فستكون اللغة رمزية بطبيعتها ومتكونة من "مسترسل من الأبنية الرمزية وكل الوحدات اللغوية، ما كان منها معجميا أو صرفيا أو تركيبيا، وحدات رمزية تربط بين قطب دلالي وقطب فونولوجي ولا يمكن الفصل بين مختلف مستوياتها." وهذه الرمزية بين المستويات اللغوية اعتبرها لانغاكير نظاما يربط بين ثلاث بنى: بنية فونولوجية صوتية، بنية دلالية، وبنية رمزية مزدوجة القطب هي البنية الرّابطة بينهما، وهذا الربط والنظام تتتج من خلاله وحدة نحوية في لغة من اللغات.

2) 2 - 4 - ج - النحو والمعجم مسترسل واحد:

يشتغل هذا الأساس على دحض استقلالية التركيب التي جاءت في النماذج التوليدية، وطرح البديل الرّمزي (Symbolic alternative) الذي يشتغل على إثبات فرضية لانغاكير القائلة إنّ المعجم والمورفولوجيا (الصرف) والتركيب مسترسلا (components) لا يمكن تقسيمه إلى مكوّنات (components) إلا اعتباطيا فالبنى الرمزية تتكون من التحام البنية الدّلالية بالفونولوجية. وليست المستويات اللغوية: الصرف والتركيب والمعجم والدلالة إلاّ مظاهر أو جوانب متصل بعضها ببعض تخدم كلها نفس الغاية وتسهم في صياغة المعنى وبنائه وهي متلاحمة متآزرة لأنها تمثل مستويات يصعب ضبط الحدود الفاصلة بينها وتحديد مدى إسهام كل منها في تكوين المعنى، ولذلك تبيّن أنّ هذه المستويات تكوّن مسترسلا² متتابعا ومتفاعلا في توليد المعنى.

وفضلا عن هذا الضبط المنهجي والمفهومي للنحو العرفاني وأسسه يلاحظ أن الجهود اللسانية العربية اهتمت كثيرا بمقولات النحو العرفاني المتمثلة في الميدان والجانب والأساس، الصورة والصورية، المسار والمعلم... وغيرها مما ذكرناه وفصّلناه في الفصل الأول من هذا البحث، وأضافت محاولة استثمار هذه المقولات في إعادة تحليل اللغة العربية انطلاقا من مجموعة من الأمثلة المتنوعة التي سنذكر بعضها على سبيل التمثيل في مقولة الاستقلال والتبعية المتعلّقة جدّا بالمركبات الاسمية، مثل: جعل أخته سعيدة، يحتاج العنصر العلائقي المُتمَّم وهو الفعل (جعل) تابع محتاج إلى الصفة (سعيدة)؛ لأنه يدل على التسبب في نقل فرد من حال إلى

ا عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 31 – 32.

حالة أخرى، ولذلك فالحالة التي يؤول إليها ذلك الفرد تمثل جزءا بارزا من بنية الفعل الدلالية التصورية، وهذا يثير مسألة إعادة النظر في العمدة والفضلة كما طرحها التراث اللغوي العربي أصافة إلى أمثلة أخرى عن الاسم والمركب الاسمي ونشوء دلالاتها في عملية التسوير، وعملية الترسيم، وعملية الإرساء والتي كثيرا ما أشار المنظرون العرفانيون العرب إلى وجودها في التراث اللغوي العربي لاسيما بنية الفعل الدّلالية التي رأى لانغاكير أنها تقوم على ثلاث عناصر: الحدث، والزمن، والجهة، أما في التراث العربي فهي أيضا ثلاث دلالات كما حدّدها ابن جني والسيوطي لفظية، وصناعية، ومعنوية، فالفعل (عبر) يحمل ثلاث دلالات: دلالة اللفظ (دلالة على مصدره، وهي دلالته على الحدث)، ودلالة صناعية (دلالة بنائه على زمانه؛ أي دلالته التصريفية البنائية)، ودلالة معنوية (أي دلالة معناه على فاعله، وهي دلالته النحوية). وكثيرا ما نجد هذا الرجوع إلى التراث اللغوي العربي لمقارنة مقولات لانغاكير في النحو العرفاني عند توفيق قريرة، وصلاح الدين يحي، بينما يتجنّب بن غربية عبد الجبار الخوض في مسائل التأصيل هذه، ويكتفي بالتعميق في ضبط مقولات للنحو العرفاني وآليات اشتغالها.

وحوصلة ما تقدّم انتقاؤه وطرحه للدّراسة في اتجاه التأليف اللساني العرفاني العربي باعتباره أحد أنماط التلقي العربي للسانيات العرفانية يمكن أن نجمل ما جاء فيه من جهود وأعمال بحصرها في ثلاثة تصوّرات كبرى لكل منها غاياته وأهدافه، يمثّل التصور الأول أشغال الأزهر الزّناد التي أراد من خلالها عرض اللسانيات العرفانية بنظرياتها الفرعية ونماذجها الدقيقة كما جاءت في مظانها الغربية؛ بغية تقريبها للمتلقّي العربي محاولا النزام التمثيل باللغة العربية، وكذلك الانفتاح على الجوانب العصبية التي ترتبط بها كثيرا الفرضيات والطّروحات التجريبية التي تبنّتها اللسانيات العرفانية في نظرياتها كالجسدنة، والاستعارة التصوّرية، والغاية التي سطّرها الزناد من جهوده هي التعريف الشامل والتام باللسانيات العرفانية وأسسها كما وردت في مصادرها الغربية.

والتصور الثاني منصب على مشروع عبد الرحمن طعمة الذي ذهب فيه إلى أبعاد ومستويات لسانية عرفانية أعمق وأوسع مما طرحه الزناد، متجاوزا بتصوراته التعريف بالنظريات اللسانية العرفانية وأسسها ومبادئها إلى البحث عن وجود هذه النظريات في العالم الواقعي وفي كل مجالات الحياة البشرية والكونية كافة، ويلاحظ ذلك في بحثه المستمر عن علاقات التشابه القائمة بين انتظام اشتغال الذهن وانتظام العالم الخارجي؛ إذ رؤيتنا لانتظام العالم الخارجي المحيط بنا هي نتيجة لانتظام اشتغال الذهن البشري بواسطة بناء المعرفة والوعي والأنساق الرمزية والثقافية وغيرها، لذلك فإن ما طرحه الباحث في مشروعه اللساني العرفاني يمكن تصنيفه بدقة في اللسانيات العرفانية الإثنية (cognitive ethnolinguistics) المعنية ببحث العلاقة بين اللغة والثقافة

¹ ينظر: صلاح الدين يحي، نظرية النحو العرفاني مستوى الثالوث من الأبنية ذات التكوّن الجيّد (الدلالة، التركيب، المعجم)، ص 110 – 111.

 $^{^{2}}$ ينظر: عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني، ص 98 وما بعدها.

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 3

والذهن 1 وهو ما لا ينفك الباحث التنبيه إليه والحديث عنه، وبعبارة أخرى ينصب مشروع طعمة على دراسة العرفان واشتغال الذهن بصورة عامة.

أمّا التصور الثالث فيتعلق بما جاء في التأليف التيسيري التجزيئي الذي انحصر في عدد محدد من النظريات والتصورات تنظيرا وتطبيقا، هدف من خلالها إلى تبسيط بعض التصورات اللسانية العرفانية الدّلالية خاصة للمتلقي العربي. فكانت صبغة هذا الضرب من التأليف هي الانتقائية في دراسة النظريات والنماذج دون تبيان دوافع هذا الانتقاء، إضافة إلى قصوره في الإحاطة بكل مبادئ النظريات التي طُرحت للدّراسة، إذ أُخذت بشكل سطحي مقتضب مختصر بالكاد نجد فيها إشارات عن مرجعياتها الأولى خاصة الفلسفية.

ثانيا/ الواقع العربي للسانيات العرفانية: رهانات التأسيس وآفاق التطوير:

طرحنا في ما تقدّم مجموعة مختارة من النماذج اللسانية العربية المشتغلة بدراسة اللسانيات العرفانية ونظرياتها المختلفة سواء بصورة شاملة أو بانتقاء نظرية منها ومعالجتها، وخلال عرضنا لأنماط التلقي العربي للسانيات العرفانية التي عكست في كثير منها طبيعته اتضح شيء ما من الصورة الأوسع التي تتموضع فيها الجهود اللسانية العرفانية العربية المدروسة ألا وهي الاطلاع على واقع اللسانيات العرفانية العربي، الذي يعاني اضطرابا في استمداده واستقباله للنموذج اللساني العرفاني الغربي، ومع أنه من المبكّر جدّا إصدار أحكام تامة وإجراء تقييم شامل لوضعية اللسانيات العرفانية في البلاد العربية وفي التفكير اللساني العربي خاصة، إلا أن هذا الوقع المؤقت لا يمنع من وصف الوضعية الأولية ومردودية الجهود اللسانية العربية في مجال اللسانيات العرفانية تنظيرا وتطبيقا، استثمارا وتوظيفا، لذلك سنقصر هذا التقييم على رهانات التأسيس العربي للسانيات العرفانية، وآفاق التطوير العربي لها خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

رهانات التأسيس العربي للسانيات العرفانية:

لقد أبدت النماذج المتقدّمة والتصورات الكبرى التي انتظمت وفقها الكتابات اللسانية العرفانية العربية سعيها الحثيث لتأسيس فرع اللسانيات العرفانية ضمن الكتابات اللسانية العربية، لكن ما وسم هذه الجهود هو الارتباك الذي يعتري التلقي العربي لها بأنماطه المختلفة: الترجمة والتأليف الهادفة إلى "تعريف القارئ العربي المهنم ببعض المعارف والمفاهيم وأدوات التحليل التي تستعملها المقاربة العرفانية، إلى تسويغ النظر فيما تطرحه تلك المقاربة على اللغة العربية من إشكاليات التنظير والتطبيق، في المقامات العلمية والتعليمية. مثلما تهدف إلى إزالة التخوّف والتوجّس من هذه المقاربة وتجاوز الإشكاليّات الشكلية (من قبيل الاختلافات الاصطلاحية بين الباحثين العرب: اللسانيات العرفانية، الإدراكية، العرفنة، التعرّف، المعرفية...) لكي تصل إلى ترسيخ القول في هذه المقاربة تمهيدًا لبلوغ وضع لبنات إنتاج المعرفة في هذا المجال،" ككن بلوغ هذا الهدف اتخذ سبلا عدة مقفرة أينا جلّ قضاياها سلفًا.

[.] 1 ينظر: محى الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص 1

 $^{^{2}}$ صابر الحباشة وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، ص 2

إضافة إلى ذلك اعتبار أن هذا التلقي المنحصر في تعريف القارئ العربي باللسانيات العرفانية وأدواتها وفتح المجال أمام توظيف المقاربة اللسانية العرفانية على اللغة العربية يكتنفه تساؤلات عديدة، من بينها كيف يمكن توظيف اللسانيات العرفانية في إعادة دراسة ظواهر اللغة العربية لاسيما النحوية والدلالية انطلاقا من التعريف بها وببعض مبادئها فقط دون معرفة شاملة وجذرية لأصول سائر نظريات اللسانيات العرفانية؟ وهذا بدوره يفضي بنا إلى دراسة عرفانية ناقصة وقاصرة نسبيا للغة العربية، مع العلم أن كثيرا من الدراسات العربية في اللسانيات العرفانية تقرّ بأنها لم تبلغ بعد مرحلة النضج في البحث العربي الذي يمهد للإبداع والابتكار والتطوير.

من جهة أخرى يبدو أن استقراء تلك المجموعة من النماذج اللسانية العرفانية العربية كشفت جملة من الاختلافات والتنوعات في فكر المترجمين والمؤلفين العرب في اللسانيات العرفانية كل حسب توجهه، وهذا ما أسهم في اللسانيات العرفانية كما أسهم في اللسانيات العامة قبلا في "مقاربة هواجس الباحثين في اللسانيات والبحث في جدواها ووظائفها المعرفية ومداراتها التطبيقية. وهذا لا يتأتى بطبيعة الحال لفرد واحد؛ إنه بحاجة إلى مجموعة من الباحثين الذين يحاولون، كلّ من جهة اهتمامه، البحث عن آصرة تشدّه بهذا البنيان الكبير." ولم يتغيّر وضع الباحثين مع اللسانيات العرفانية فتتوّع اهتماماتهم جعلهم يدرسون اللسانيات العرفانية ويسعون إلى تأسيس عربي لها كلّ من جانب اختصاصه وتوجّهه المعرفي.

وعلى سبيل المثال نلاحظ أن توجّه الأزهر الزناد في تلقيه للسانيات العرفانية يختلف عن تلقي محمد غاليم وعن تلقي عبد الرحمن طعمة، وبالرجوع إلى التكوين المعرفي لكل منهم نجد أن تكوين الأزهر الزناد مختص في اللغة واللسانيات، ومحمد غاليم مختص في اللسانيات والدّلالة وفلسفة اللغة، أما عبد الرحمن طعمة فهو مختص في اللسانيات والطّب ودرس بكلية الطب في الفترة الممتدة من 1997 إلى 2001 قبل الانتقال لدراسة اللغة واللسانيات، ومن الملاحظ أن هذه التكوينات المعرفية المختلفة بقدر ما لها من إيجابيات في الإحاطة باللسانيات العرفانية كونها فرعا لسانيا بينيا، بقدر ما تخلق تفاوتا في قيمة الكتابات اللسانية العرفانية العربية التي تدخل القارئ العربي متاهة معرفية لسانية.

ومن مظاهر صعوبة استقبال واستمداد اللسانيات العرفانية في البحث اللساني العربي تشتت الموضوعات والمحتويات المدروسة والتركيز على البعض منها دون بعضها الآخر، وهو الظاهر ليس من النماذج المعروضة في هذا البحث فقط، بل في جهود وكتابات لسانية عرفانية أخرى اكتفت بمعالجة مقولة واحدة أو نظرية واحدة من اللسانيات العرفانية وخاصة النظريات والمقولات المتعلقة بالدّلالة العرفانية، إذ خُصبِّص قسم كبير من الكتابات اللسانية العربية للاستعارة التصورية، والجسدنة، والبنية التصورية، في حين أنّ نظريات من قبيل الأنحاء الرمزية، والنحو العرفاني، وبعض المقولات اللسانية العرفانية الدّلالية مثل: الاسترسال النحوي

أ إبراهيم أبو هشهش وآخرون، آفاق اللسانيات دراسات – مراجعات – شهادات تكريما للأستاذ نهاد الموسى، إشراف وتحرير: هيثم سرحان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2011، ص 10.

والنظرية الدّلالية التي طرحها ليونارد طالمي يكاد النتاج العلمي العربي حولها ينعدم، إذ كان أقصى ما توفّر من كتابات عنها بحوثا مقتضبة ضمن مؤلفات جماعية أو بحوث ندوات وملتقيات، ولا يوجد بحوث فيها شاملة ورصينة تنطلق من المرجعيات الابستيمولوجية للنظريات اللسانية العرفانية لتبلغ آخر تطوراتها وفرضياتها في دراسة اللغة في علاقتها بالدّهن إلاّ لماما ومثل وضعية هذه النظريات والمقولات اللسانية العرفانية كثير.

وعلى سبيل المثال نعدم في الكتابات العربية دراسات علمية شاملة عن نظرية الطراز (Prototype) الني طرحتها إليانور روش (E. Rosch) في علم النفس العرفاني، باعتبار اللسانيات العرفانية ذات طبيعة بينية من جهة، وباعتبار نظرية الطّراز أساس انبثاق أطروحة المَقْوَلَةِ (Categorisation) اللسانية العرفانية التي نكاد نعدم البحوث العربية حولها هي الأخرى، ولا نكاد نقع على دراسة لها إلا في إطار مضمون لساني عرفاني أوسع، رغم أن أطروحة المقولة متعلّقة بنظرية الاستعارة التصوّرية والجسدنة التي طرحهما لايكوف، والحال أن بعض المشتغلين باللسانيات العرفانية يعمدون إلى اجتزاء المفاهيم العرفانية لينجم عنه غلط في توظيفها ذلك الاجتزاء من منابتها في الكتاب الواحد، ويحدث سوء فهم للمفاهيم العرفانية الاستعارة التصورية التعبير عنها أولا وقلة فائدة في توظيفها ثانيا وهذا واقع صارخ في التلقي العربي لنظرية الاستعارة التصورية التي دُرِسَتْ بنوع من الاستقلال عن المقولة، الشيء الذي ترك فجوات معرفية في الكتابات اللسانية العرفانية الغربية، ناهيك عن اجتزاء النماذج اللسانية العرفانية الأخرى.

ومن أهم الرّهانات التي تقابل التأسيس اللساني العرفاني في الدرس اللساني العربي وجود تيّار من الباحثين والأكاديميين المعارضين لجديد اللسانيات العرفانية، والمنادين بالبحث عن أصل لها ولمبادئها وتصوراتها في الترّاث العربي وخاصة البلاغي منه؛ إذ خصصت طائفة من الدّراسات العربية الاستعارة كنموذج للقول بوجود تصورات عرفانية في التراث العربي إلماحا أو تصريحا، رغم ما في التصورات التراثية والعرفانية من فروق بين مرجعية التصورات الاستعارية العرفانية ومرجعية التصورات التراثية العربية للاستعارة، ومن ذلك ما نلاحظه على توجّه الباحث أحمد سليمان عطية في مؤلفاته ومحاولاته تحليل الخطاب التراثي بمخرجات نظريتي الاستعارة التصورية والبنية التصورية؛ إذ اهتم في كتابه الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي – البنية التصورية – النظرية العرفانية) بجمع فكر القدماء والمحدثين حول الاستعارة من خلال اعتماد كتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي قاعدة الانطلاق في التحليل التطبيقي لأمثلة الاستعارة من القرآن الكريم؛ للجمع بين الفكر الحديث، وفكر ورأي القدماء حول الصورة الاستعارية ومنه ربط التصور الحديث لبلوغ وضوح أكبر للصورة الاستعارية. ألله المنصور الحديث لبلوغ وضوح أكبر للصورة الاستعارية. ألفته المنتعارية ومنه ربط التصور الحديث لبلوغ وضوح أكبر للصورة الاستعارية الاستعارية ومنه ربط التصور الحديث لبلوغ وضوح أكبر للصورة الاستعارية الاستعارية الاستعارية المنتعارية ومنه ربط التصور الحديث لبلوغ وضوح أكبر للصورة الاستعارية الاستعارية التصور الحديث لبلوغ وضوح أكبر للصورة الاستعارية الاستعارية ومنه ربط التصورة الاستعارية المتعارية ومنه ربط التصورة الاستعارية المناس القرق المناس القرق المناس القرق المناس القرق الاستعارة الاستعارة الاستعارة الاستعارة الاستعارة الاستعارة الاستعارة المناس القرق المناس القرق المناس القرق الاستعارة الاستعارة الاستعارة الاستعارة الاستعارة الاستعارة الاستعارة المناس القرق المناس القرق المناس القرق المناس الم

ومن الأمثلة الكثيرة التي درسها عطية ننظر في تحليله لاستعارة كملة يجمحون في قوله تعالى: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ [سورة التوبة: الآية 57]؛ إذ اعتمدت الاستعارة في

² ينظر: أحمد سليمان عطية، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي – البنية التصورية – النظرية العرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، د ط، 2014، ص 6.

[.] 1 ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص 1

(يجمحون) على الصورة الذهنية لدى العربي عن الفرس الجامح، وهو الفرس الفارّ من صاحبه، وما فيها من جمع بين صفتين هما السرّعة مع الخوف، ففي عصرنا من يسبق الفرس وهو أسرع منه كالطائرة تتوفر فيها صفة السرعة دون صفة الخوف¹ لكن ما يُردّ به على عمل عطية أن تحليله للاستعارة القرآنية كان منحصرا فيها فقط، والواضح أن كثيرا من الاستعارات القرآنية غير مستعملة في الخطاب التواصلي البسيط بين أفراد المجتمع العربي، ومنها استعارة يجمحون التي توحي، بعد كونها عبارة تواصلية، باستعمال بلاغي جمالي عالي الدّقة يعبر عن هيئة مخصوصة لجماعة مخصوصة من الموصوفين (أصحاب النار)، في حين أن كلمة يجمحون لا تستعمل في الخطاب البسيط اليومي كثيرا، فلا يمكن أن نقول عن المجتهد طالب جامح، ولا عن الشخص الشجاع شاب جامح وإلا اجتمعت فيه صفتي السرعة والخوف، وبالتالي يمكن القول إن الاستعارات البلاغية البست دائما استعارات تصورية؛ إذ الاستعارة التصورية موجودة في الكلام اليومي البسيط جدًا الذي نفكّر به ونتحدّثه بوعي أو دون وعي بوجودها في الكلام.

من جهة أخرى نقف عند تصوّر عربي آخر يؤصّل لبعض قضايا اللسانيات العرفانية، بل ويحثّ على الاشتغال على إثراء البحوث التأصيلية للسانيات العرفانية من خلال الحقول العلمية التراثية العربية كالنّقد والبلاغة، ومن من دعا إلى ذلك وعمل به صليحة شتيح في بحث لها حمل عنوان: ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى، وحبيب بوسغادي في مقاله الموسوم التناول التراثي للسانيات العرفانية ومنجزه المعاصر، حيث سلّطا الضوء على مظاهر التفكير اللساني العرفاني في حقلي النقد والبلاغة القديمين لاعتبار التداخل المعرفي بين مباحثهما، وذلك من خلال رصد أربعة قضايا كما يأتي:

- التّعابر المعرفي (البينية/ المعرفة الموسوعية):

تتمظهر قضية التّعابر المعرفي (المعرفة الموسوعية) بين العلوم عند علمائنا التراثيين في أخذهم من كلّ علم بسهم، وترك الاقتصار في كتاباتهم على علم واحد فقط، بل يتحدّثون عن معارف وفنون مختلفة في كتاب واحد تحت مسميات متعددة وفق منظور عام هو المعرفة الأدبية، وهي السّمة التي اتصف بها التأليف العربي من منذ القرن الثاني الهجري، ومن الأدلة على معرفة التراثيين بالتّعابر المعرفي تعاملهم مع الإبداع الأدبي من وجهات عديدة بوصفه ظاهرة لغوية واجتماعية ونفسية وعقلية، واستعانوا في ذلك بمعارفهم الموسوعية ضمن بوتقة التضايف المعرفي لتفسير العملية الإبداعية والواقع أن الرّجوع إلى التراث اللغوي العربي ونشأة التأليف والتصنيف في العلوم العربية التي خلّفها علماؤنا القدامي وعرفناها بعدهم اقتضت معرفة موسوعية أساسها ديني

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 7.

 $^{^{2}}$ ينظر: صليحة شتيح، ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامي، مجلة فصول، مجلد 25 4، ع 201 0، 201 0، ص 201 0.

مرتكز على فهم القرآن الكريم وإعجازه، بينما المعرفة الموسوعية التي تقوم عليها اللسانيات العرفانية تختلف في أصلها المعرفي عنها في التوجه التراثي.*

أما القضايا الثلاثة الأخرى فهي مجملة في المخطط الآتي: 1

أما الاستعارة وهي المبحث الذي نال أكبر قدر من التأصيل فإنه من الواضح جدّا للمطلع على مستجدّات اللسانيات العرفانية إمكانية تحديد نقاط اختلاف عدة بين الاستعارة التصورية والاستعارة البلاغية التراثية، وكفى أن ندرك تماما أن منطلق دراسة الاستعارة التصورية هو استثمار التجرية في بناء المعرفة الذهنية ومن ثمة بناء اللغة ثم إنها تتأسس على التصورات الآتية:

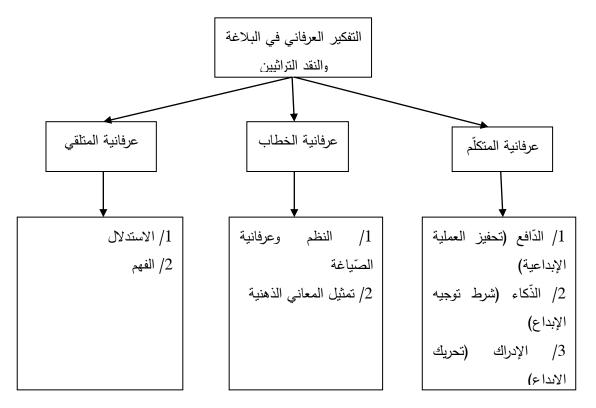
- الاستعارات تصورية في طبيعتها، واللغة الاستعارية (العبارات الأدبية) ثانوية في هذا الباب.
 - تتشأ الاستعارات التصورية من تجربتنا اليومية.
 - الفكر المجرّد استعاري بشكل واسع.
 - الفكر الاستعاري حتمي ولا يمكن تجنّبه، ومهيمن ومنتشر، ولا واع في أغلبه.
 - التصورات المجردة لها نواة حرفية ولكنها تتوسع بواسطة الاستعارات.
 - لا تكتمل التصورات المجردة دون استعارات.
- أنساقنا التصورية ليست متسقة عموما، مادامت الاستعارات المستخدمة للتفكير في التصورات قد تكون غير متلائمة.

بينما الاستعارة البلاغية التراثية غايتها تواصلية وجمالية، ونظرتها في التحليل اللغوي تختلف نسبيا عن التحليل الذي طرحته الاستعارة التصورية، وحتى إن عدنا إلى فكر عبد القاهر الجرجاني حول الاستعارة وعدّها معنوية (أي تحدث بحسن المعنى) وتمثيل ذهني بكل ضروبها المفيد وغير المفيد منها، وما يجسّم المعقول المجرّد، وما يجرّد المحسوس المجسّد فإنه يأتي بما ترجوه هذه الاستعارة من تكامل بيان، وأنس نفس بما تسمع، وحسن وقع نظم لفظ على السامع، فالغاية مختلفة بين استعارة الجرجاني واستعارة لايكوف على أقل التقديرات من المقارنة. وهذا مبحث واسع لا يمكن الإحاطة به جميعا هنا.

للاستزادة والتوسع أكثر في منطلق الاستعارة التصورية ومميزاتها ينظر: جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل ص 8. وجورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد، ص 16، وفي التفصيل بين التصور الاستعاري التراثي والعرفاني كتاب عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2001 ص 13 وما بعدها. وعبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار المدني، جدّة ط 1، 1991، ص 20 وما بعدها.

^{*} إنّ الحديث عن التأصيل العربي للسانيات العرفانية يقودنا دائما إلى التنبيه إلى اختلاف الأسس الابستيمولوجية المعرفية التي انبثقت منها اللسانيات العرفانية في التصور الغربي عمّا يتصوّر أثناء ربط قضاياها بالتراث العربي، مع أنه يمكن التغاضي عن قضية بناء المفاهيم، وتوظيف الإبداع والذاكرة لأنها جميعا عمليات بشرية، ولا يمكن التغاضي في قضيتي الموسوعية/ البينية والاستعارة، فالمعرفة الموسوعية التراثية ناتجة عن محاولات فهم القرآن الكريم وإعجازه اللغوي، والبياني، والدّلالي، والتّحوي والصّرفي وهذا ما يوجب الإحاطة بعلوم العربية وفنون القول فيها التي نزل القرآن بها، ومن جهة أخرى إن الإبداع الذي تسعى شتيح إلى إثبات موسوعيته مقتصر على الإبداع الأدبي، وهو مناهض للإبداع الذي تصوّرته النظرية اللسانية المعاصرة الذي يبحث في إنتاج وإبداع اللغة عمومها بشقيها التواصلي التداولي والإبداع السّامي الأدبي.

 $^{^{1}}$ حبيب بوسغادي، النتاول التراثي للسانيات العرفانية ومنجزه المعاصر، مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية، مج 1 ، ع 2 0 د 2 0، ص 2 0.



المخطط رقم (17): القضايا العرفانية في التراث العربي النقدي والبلاغي

وقد أسهبت صليحة شتيح ويوسغادي حبيب في تفصيل هذه القضايا، وآليات ربطها بالتصورات التراثية التي ننأى عن التفصيل فيها هنا؛ لأنّ الغاية من عرضنا لقضية التأصيل للسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة هي الوقوف عند أحد مظاهر الرهانات والصعوبات التي واجهها التلقي العربي للسانيات العرفانية، وليس الخوض المعمق في التأصيل العربي المعاصر لها فالتأصيل لها مبحث متشعب لا يفيه هذا المقام حقّه من البحث.

مع ذلك، فقد نبّه كثير من الباحثين إلى الخلط القائم عند محاولة تأصيل مقولة من مقولات اللسانيات العرفانية بين المفاهيم والتصورات والمبادئ، فبالرغم من انفتاح الباحثين على الأدبيات المعاصرة، فإنهم ظلوا يكررون تصوّرات الأولين وتحليلاتهم، فرغم أنهم حاولوا اعتماد لغة واصفة معاصرة إلا أن عمق التصور والتحليل ظلّ واحدا، إذ هيمن على بعض الأبحاث التأصيلية المتعلقة بالاستعارة التصوّرُ الجماليُّ الذي ساد منذ تصنيفات البلاغيين الأولين؛ لأنّ إيمان هؤلاء بجمالية الاستعارة والتشبيه جعلهم يقفزون على المشابهة في اللغة العادية الخالية من القصد البلاغي أ والمشابهة في اللغة العادية هي ما يولّد استعارات تصورية خالية من الجماليات، ولذلك نجد أنه من الغرابة العلمية أن نقارب الاستعارة الجمالية البلاغية بمقولات نظرية الاستعارة التصورية المهتمة بالبناء اللغوي التواصلي انطلاقا من ما توفره التجربة الحسية.

-

 $^{^{1}}$ ينظر: عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص 2 48 - 49.

ختاما لما رُصِد عن رهانات تأسيس اتجاه لساني عرفاني عربي يتضمّ أن اللسانيات العرفانية عربيا تواجه جملة من الصعوبات والإشكالات المعرفية، والمنهجية، وحتى الذّاتية التي تحول دون حدوث استمداد علمي منهجي صارم وشامل لسائر ما تطرحه اللسانيات العرفانية في منابتها الغربية، ومن أهم وأظهر هذه الرهانات: الارتباك المنهجي والتشتت المعرفي في دراسة نظريات اللسانيات العرفانية، واعتماد الانتقاء الذي يكاد يكون عشوائيا منها، ممّ ينتج عنه صعوبة بلوغ لسانيات عرفانية عربية شاملة، إضافة إلى ما يطرحه التيار العربي التأصيلي للسانيات العرفانية من عزوف عربي عن دراستها لاسيما في الأوساط العلمية الأكاديمية، مع ذلك فإن ما قدّمته الجهود العلمية اللسانية العربية في مجال اللسانيات العرفانية، في إطار ما قدّمنا الحديث عنه والاطلاع عليه من جهة أخرى، التي تعتبر حديثة جدّا بالنسبة للبحوث الغربية اتسمت بالاتساع والقبول النسبي نظرا لما قدّمته من تعريفات للسانيات العرفانية، وبعض نظرياتها التي أصبحت معروفة وواضحة المعالم لدى المتلقي العربي.

اا. آفاق التطوير العربي للسانيات العرفانية:

إن الحديث عن تطور عربي للسانيات العرفانية يقتضي تقييم المستجدّات التي طرحتها البحوث اللسانية العربية عند استثمار نظريات اللسانيات العرفانية في دراسة وتحليل ظواهر اللغة العربية، والملاحظ أن الدرس اللساني العربي المتبني لدراسة اللسانيات العرفانية انحصر في التعريف بها ومحاولة تطبيقها على اللغة العربية لكنّ تقصي الكتابات اللسانية العرفانية، وخاصة أشهرها، أسفر عن أن محاولات وضع إضافات لسانية عرفانية ظلت منعدمة في مختلف فروعها، "وتكاد المساهمة العربية في تطوير المعارف المرتبطة باللسانيات العرفانية تكون معدومة لعدم توفّر الشروط التاريخية التي تسمح بالنظر والتطوير، ولتسارع وتيرة تطوّر هذه العلوم وعجز باحثينا منفردين عن الاطلاع عليها ناهيك عن دعمها وإثرائها والمساهمة في الجدل الدّائر حولها." ويرجع بالصبب في ذلك إلى قلّة الإحاطة العربية بالمرجعيات التاريخية، والمعرفية، وخاصة الفلسفية والعلمية المتعلقة منها بعلم الأعصاب، وعلم النفس العرفاني، والذكاء الاصطناعي...إلخ، التي يتجاهلها ويتجاوزها جلّ المشتغلين العرب باللسانيات العرفانية، وبالتالي تنتج سمة الاجتزاء لتصورات اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العرفانية. وبالتالي تنتج سمة الاجتزاء لتصورات اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العرفانية المعرفية الشاملة باللسانيات العرفانية ومنه تمنع الإبداع والتطوير لمناويلها العرفانية.

بينما يذهب محي الدين محسب إلى أن الإبداع والتطوير في أي مجال علمي يتطلّب "إنتاج تجربة ثقافية تكوّن لبنة في مقتضيات إنتاج مشروع حضاري مأمول قائم على الإبداع – بمعناه الواسع – وليس الاستهلاك. ولعل إبداعية هذه التجربة الثقافية تتمثل – أساسا – في القدرة على إبداع إنتاج دلالات النصوص وشتى ممارسات الخطاب، والقدرة على مساءلة النظريات القائمة، وإقامة الحوار معها، والإضافة إليها" 2 إلا أنّ المتتبع

 $^{^{1}}$ ينظر: محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدّلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط 1، 2009 0 ص 9.

 $^{^{2}}$ محي الدين محسب، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، منشورات الاختلاف الجزائر، ط 1، 2009، ص 231.

لما تطرحه البحوث العربية في اللسانيات العرفانية يدرك أنها لم تنتج بعد تجربة ثقافية تامّة تسمح بإنتاج مشروع لساني عرفاني عربي متكامل بحيث يتيح للمهتم باللسانيات العرفانية الاشتغال على تطوير مناويلها والإبداع في نظرياتها انطلاقا من الحوار معها وتحليلها، بل يمكن القول إن إنتاج مهاد لساني عرفاني عربي مازال في مرحلة جنينية يمكن أن ينضج كلما لقى دراسات أشمل وأعمق.

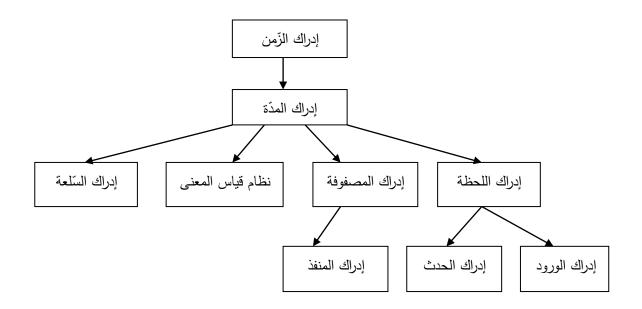
مع ذلك، فإن الحكم القطعي بانعدام الجهود والمحاولات اللسانية العربية التطويرية يعد إجحافا في حق البحث العربي، فهناك محاولات عدة يظهر من خلالها الجهد التطويري لمناويل اللسانيات العرفانية انطلاقا من تحليل بعض الظواهر التي تختص بها اللغة العربية، ومنها على سبيل المثال إعادة دراسة الزمن عامة سواء الزمن اللغوي أو الزمن الدّلالي حسب تصورات اللسانيات العرفانية، وقد أبدى عبد الكبير الحسني اهتماما واسعا بدراسة تصور وفهم دلالة الزمن من خلال دراسته الموسومة "البنيات الدّلالية للزّمن في اللغة العربية من اللغة إلى الذّهن" الصادر سنة 2015، ومقاله المعنون "الدلالة المعرفية .. آليات إدراك الزمن" الصادر سنة 2019، الذي انطلق فيهما لمعالجة قضية إدراك الزمن من اعتباره (الزمن) "نسقا تصوريا بيني على مستوى الذهن قبل أن يتحقق على المستوى الفكري واللغوي، إنه منظومة متكاملة تربط بين سياق التجربة من جهة وبين أشكال التعبير عنها زمنيا من جهة أخرى، كما نفترض أنه عبارة عن نسق تصوري بناقش على مستوى الفكر قبل أن يتبلور في شكل قوالب معرفية، دلالية ومعجمية خاصة." ومنه، ينقل الحسني في دراسته العرفانية الجديدة مفهوم الزمن من القوالب المعلومة التي تتنظم فيها الأحداث والأفعال اللغوية المستعملة في التواصل إلى كونه نسقا ذهنيا يسهم في تحديد الدّلالة والمعنى التواصلي، فتنصب دراسته للزمن على الآليات والعلاقات الذهنية التي تؤول وتفسر دلالة مجموعة من المقولات اللغوية مثل: اللحظة، المدة، الحدث ...إلخ.

ومن أهم التصورات التي طرحها الحسني عند دراسته للزمن كمعطى عرفاني انقسام الزمن إلى قسمين: قسم يرتبط بتصوّرات زمنية أساسية؛ وهي تصورات نتعلّق بالجوانب الإنسانية المشتركة معرفيا؛ أي أنها نتعلق بخبراتنا التي نكوّنها بناء على معاييرنا الدّاخلية، مثل المدة واللحظة والحدث، وهي تجارب تعزى كلّها إلى الإدراك الحسّي المتدخّل في بناء الإدراك الزّمني. والقسم الآخر يرتبط بتصورات زمنية ثانوية؛ وهي التصورات المتفرّعة عن التصورات الزمنية الأساسية. وهنا تجدر الإشارة إلى أن دراسة الحسني لآليات إدراك الزمن اعتمدت على فرضيات فيفيان إيفانز (V. Evans) التي تقوم على تصورات ثمانية كما يبيّن المخطط الآتي: 3

¹ عبد الكبير الحسني، البنيات الدّلالية للزّمن في اللغة العربية من اللغة إلى الذّهن، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 1 2015، ص 9.

² ينظر: عبد الكبير الحسني، الدلالة المعرفية. آليات إدراك الزّمن، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، ع 179، 2019، ص 173.

 $^{^{3}}$ المرجع نفسه، ص 3



المخطط رقم (18): خارطة إدراك الزّمن

وقد تعمّق الحسني فيها كثيرا في مقاله مبيّنا أيضا كيف تعمل المعايير المفترضة لضبط النظرية الدّلالية العرفانية (معيار المعنى، معيار بلورة التّصوّر، معيار النحوية) في تحديد معنى الزمن وإدراكنا وتصوّرنا له.

إضافة إلى طرح دراسة عرفانية للزمن قائمة على التصورات الثمانية المتقدّمة، يطرح الحسني أيضا تصوّرا متعلّقا بفهمنا للزمن وهو استعارية الزمن وقد دعمها بمجموعة من الأمثلة من بينها: تمظهر معنى اللحظة تصوّريا، باعتباره نقطة منفصلة عن الحدود بين السابق واللاحق من الزمن المتسلسل، وهذا المعطى يوضحه الحسنى من خلال البنى التالية على سبيل المثال:

- أ) حان وقت اتخاذ القرار.
- ب) حذر الأطباء زيدا بكونه مريضا بالتهاب حاد، ويمكن أن يموت في أي وقت.
- $^{-1}$ أقرّت الأمم المتحدة أن عقد مؤتمر دولي للسلام في فلسطين سيكون مفيدا في الوقت الرّاهن.

فإنه على الرّغم من تغيّر العبارات الدّالة على عبارة اللحظة إلا أنّ معنى اللحظة المتعلق بمركز زمني إشاري واعتبار اللحظة نقطة منفصلة عن المدة المتسلسلة، يطرح قراءة معنى اللحظة في الأمثلة كالتالي: لحظة اتخاذ القرار، لحظة الموت، لحظة الإقرار بعقد المؤتمر.

بالإضافة إلى محاولات الحسني التطويرية نجد إلى جانبه محاولة لصابر الحباشة تهدف إلى إعادة إثارة قضية المجاز المرسل لكن من وجهة لسانية عرفانية منطلقها عرض الأسس العرفانية للمجاز المرسل وإظهار الانتقال المفهومي للمجاز المرسل من التصور التقليدي التراثي إلى التصور اللساني العرفاني؛ إذ يتغيّر مفهوم المجاز المرسل من التصور التراثي الذي يعدّه عبد القاهر الجرجاني مثلا: "«المجاز» في مقابلة «الحقيقة» فما

¹ ينظر: عبد الكبير الحسني، البنيات الدلالية في اللغة العربية من اللغة إلى الذهن، ص 164.

كان طريقا في أحدهما من لغة أو عقل، فهو طريق من الآخر. وبذلك يتضح أنّ هذا التصنيف واع بأنّ الخروج من حقيقة ليس وقوعًا في «كذب» أو «باطل»، بل هو طريق ثان مُوازٍ لطريق الحقيقة، لكنّه بسبب منها، إنّه سبيل من سبل الاتسّاع في الكلام ونوع من أنواع «شجاعة العربيّة» على النّحو الذي أقرّه ابن جنّي "أ إضافة إلى تقصيه لآراء تراثية أخرى في تعريف المجاز يرى الحباشة أن المجاز قائم على عملية النقل والملابسة؛ أي نقل استعمال كلمة أو عبارة من وضعها الأصلي واستعمالها في غير ما وُضِعت له.

أمّا التصوّر اللساني العرفاني فيختلف عن التصور التراثي في رؤيته للمجاز المرسل بداية من كونه لا يدلّ ببساطة على أنّ كيانا يرمز إلى كيان، بل إنّ كلا الكيانين المعنبيّن مرتبط (ويظل مرتبطا) أحدهما بالآخر. فيصبح قوام المجاز المرسل في اللسانيات العرفانية طبيعة العلاقات بين هذه الكيانات أو المجالات المفهومية ومن أهم هذه العلاقات علاقة المجاورة التي أصبحت معيارا لتمييزه عن الاستعارة المبنية على علاقة المشابهة وما تتشغل اللسانيات العرفانية بتفسيره هو هذه العلاقات التي يتأسس عليها المجاز المرسل؛ ولدراسة هذه العلاقات تطرح النظرة العرفانية ثلاث فرضيات للمجاز المرسل هي:

المجاز المرسل ظاهرة مفهوميّة: يعدّ المجاز المرسل بحسب هذه الفرضية جزءًا من تفكيرنا اليومي، منغرسًا في خبرتنا وهو موضوع مبادئنا النسقية ويُبنئينُ أفكارنا وأعمالنا، ويتضح ذلك من خلال مثال لايكوف وجونسون: إنْ هي إلاّ وجه حسن، يبين المثال أننا نشتق المعلومات الأساسية عن شخص ما من وجهه، والمجاز المرسل القائم على إطلاق الوجه على الشخص هو جزء من تفكيرنا اليومي عن النّاس، ومنه قولنا في ثقافتنا: وجه تلفزيوني معروف/ وجه نحس...إلخ. قعندما نستعمل عبارة وجه تلفزيوني مثلا نفهم مباشرة أن الكلام يتمحور عن شخص بعينه، وكذلك إذا قلنا وجه نحس؛ إذ تفكيرنا مبنين على العلاقة التي تحلينا إلى الشخص بواسطة جزء منه فقط.

المجاز المرسل مسار عرفاتي: يتمثّل المسار المجازيّ في النّفاذ ذهنيًّا إلى كيان مفهوميّ عبر كيان آخر، فقد فهمنا من المثال السابق إن هي إلاّ وجه حسن، أن الوجه الحسن باعتباره كيانا مفهوميا سمح لنا بالنّفاذ إلى الشّخص التي أحال عليه الوجه الحسن والكيان المفهومي الأول المحيل على الكيان الآخر يسمّى "تاقلا" لأنه يحيلنا إلى الشخص ذو الوجه الحسن، والشخص المحال عليه يسمى "هدفا"، وفي الوصف المعكوس، يعمل "الشّخص" في "هي شخصٌ حسنٌ" ناقلا لإدراك "الوجه الحسن" للشّخص بوصفه هدفًا. وبعبارة أخرى، فإنّ الناقل والهدف كليهما موجود مفهوميًّا، ومع ذلك، فإنّه يُنظر إلى أحدهما بوصفه أبرز من الآخر، ومن ثمّ يُنتقى بوصفه ناقلا.

ينظر: المرجع نفسه، ص 41. 2

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 45.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 47.

عمل المجاز المرسل يتم ضمن منوال عرفاني مؤمثل: يقوم المجاز المرسل في التصور العرفاني على مفهوم المجاورة الذي تعدّد من قبل اللسانيين العرفانيين؛ فقد اعتبرها لايكوف وجونسون طبقة كاملة من التّوافقات المفهوميّة التي تشترك في الارتباط بعبارة ما، واعتبرت علاقاتها المجازية تمثيلا للمعرفة الموسوعية ضمن مجال أو مجال مولّد، وهذه الاعتبارات التي قام عليها مفهوم المجاورة تمثل المنوال العرفاني المؤمثل للمجاز المرسل هذا الأخير الذي رأى صابر الحباشة "أنّه يشتمل لا على معرفة الشّخص الموسوعيّة لمجال معيّن، بل كذلك على المناويل الثقافيّة التي يشكّل جزءًا لا يتجزّأ منها. ولا ينحصر المنوال العرفاني المؤمثل في عالم الواقع أو عالم اللغة، ولكنّه يخترق هذه العوالم الأنطولوجيّة. ويُبرز المنوال العرفاني المؤمثل وشبكة على المفهوميّة الترابطات التي ربّما تمّ استثمارها في التّجوّز "أ أي تجوّز استعمال كيان مفهومي مكان كيان العرفاني يعتمد على المعرفة الموسوعية للشّخص كما يعتمد على مناويله ومعرفته الثقافية، ويجمع المنوال العرفاني المؤمثل الشبكة المعرفية للشخص بالعوالم الممكنة التي تبنى عليها المجاورة ومنه تحقيق المجاز المرسل.

يضرب الحباشة مثالا عربيا أصيلا عن اختراق المنوال العرفاني المؤمثل العوالم الأنطولوجية في استعمال كلمة جريدة والتغيّرات الثقافية التي طرأت على استعمالها ونقلته مما وضع له إلى استعمال مجازي معاصر محدّدا مجموعة من المعانى التي ترد عليها كلمة جريدة في أصل وضعها وهي:

"صفة: خيلٌ جريدة: لا رَجَّالَةَ فيها؟

صفة: يقال: تَنَقُّ إبلاً جريدة أي خياراً شداداً.

اسم: الجَريدة الجماعة من الخيل (حيوان)

اسم: الجَريدة سَعفة طويلة رطبة؛ (نبات)

اسم: هي السعفة التي تقشر من خوصها كما يقشر القضيب من ورقه. (نبات)

اسم: الجريدة السعَفة ما كانت. (نبات)

اسم: وفي الحديث: كتب القرآن في جَرائدَ، جمع جريدة. (ورق للكتابة)"2

من بين هذه الدّلالات يتوقّف الحباشة عند المعنى الأخير الذي يدل أن الجريدة وسيلة يكتب عليها (ورق للكتابة)، والسّبب في العناية بهذه الدّلالة، أنّها في أغلب الظّن الدّلالة التي تطوّرت وأُطلقت على الصّحيفة، في العصر الحديث، فقد جرى نقل أوّلُ من السياق الطبيعيّ (حيث تدلّ الجريدة على السّعفة) إلى السّياق الثّقافيّ (حيث تُتّخذ الجريدة قرطاسًا للكتابة) وجرى نقلُ ثانٍ واكب تطوّر السّياق الثّقافي في العصر الحديث؛ لتصبح الجريدة، في عصر المطابع، دالّة على مطبوع دوريّ ذي طابع إخباريّ، رغم أن الدّلالة الأصلية للوضع (الجريدة = السعفة) من النخيل، ومازالت مستعملة إلا أنها انحصرت في بيئات محددة متصلة بالنخيل والإبل

 $^{^{1}}$ المرجع السابق، ص 2

 $^{^{2}}$ المرجع نفسه، ص 2

والخيل. لكنّ الانتقال من دلالة الجريدة على قرطاس الكتابة إلى كونها مطبوعا دوريًا، قد اتخذ طابع المجاز الذي توسعت فيه الدلالة من الأداة إلى جنس من المطبوعات، وهذا النقل الدلالي يعد نقلا مجازيا يقترب من دلالة الصنف على الجنس، وهو ما ينطبق على علاقات المجاز المرسل. 1

ومن يقرأ هذه المقالة التي حرّرها صابر الحباشة يجد فيها الكثير من الرّؤى العرفانية المستجدة عن أحد أهم الظواهر البلاغية التراثية العربية وهي المجاز المرسل، التي تفتح المجال لإعادة دراسته بمعطيات لسانية جديدة على مستوى محاور عدة أهمها: "تبنّي دراسة المجاز المرسل عرفانيا باعتباره ظاهرة طبيعية، بعد أن كان التقليد البلاغيّ يَدرُسُ المجاز المرسل في الغالب بوصفه عُدُولا ثمّ إنّ التيّار العرفانيّ يركّز تحاليله، من ناحية أخرى على العلاقات بين المجاز المرسل والفكر "2 كما تناول الحباشة قضايا أخرى عرفانية متعلقة بالمجاز المرسل كإعادة صياغة تعريف أشمل وأدقّ له، وتطبيق المجاز المرسل كتصوّر عرفاني على الخطاب والتمثيل لذلك ببعض عبارات شكسبير. ويتسنّى القول عن محاولته هذه إنها محاولة رصينة لإثارة ظاهرة من ظواهر اللغة العربية التي تتصل بالبلاغة وبالدّلالة كما تصوّرها علماؤنا التراثيون.

أمّا عن جملة ما أسفرت عنه آفاق تطوير اللسانيات العرفانية في الدّرس اللساني العربي، فإنها على الرغم من كونها في مرحلة جنينية، وبالكاد توجد نماذج عربية تسعى لإضافة شيء ما إلى اللسانيات العرفانية بصورة واضحة ودقيقة، إلاّ أنها من جهة أخرى تسعى جاهدة لتوسيع آفاق اللسانيات العرفانية في البحث العربي، وما المثالان اللذان اخترناهما إلا دليلا على ذلك، فإثارة مسائل جديدة وتقديم فرضيات جديدة، واستنطاق ظواهر اللغة العربية مرة أخرى لدراستها بمخرجات اللسانيات العرفانية ليس إلا تمهيدا لظهور تيار لساني عربي يعمل على تطوير اللسانيات العرفانية.

خلاصة:

بناء على العرض الذي تقدّم عن مظاهر تجلّيات اللسانيات العرفانية في الدّرس اللساني العربي المعاصر والمراحل التي مرّت بها المحاولات اللسانية العرفانية العربية في طرح وإدخال النموذج اللساني العرفاني في الدرس اللساني العربي المعاصر، اتضح أن التلقي العربي للسانيات العرفانية شأنه شأن التلقي العربي للسانيات عامة، وبقدر ما لقي قبولا في الوسط اللساني العربي المعاصر، لقي أيضا قلة اهتمام من قبل اللسانيين التراثيين إضافة إلى مميزات أخرى صبغت التلقي العربي للسانيات العرفانية نجملها في ما يأتي:

- عرفت اللسانيات العرفانية اهتماما واسعا في الدرس اللساني العربي المعاصر، صحيح أن بداياتها كان التأليف فيها شحيحا جدّا، لكنه بدأ يتوسع حتى لم يعد بالإمكان الإحاطة بجميع ما أُلّف وترجم في ميدان اللسانيات العرفانية والعلوم العرفانية بصورة عامّة.

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 50 – 51.

 $^{^{2}}$ المرجع نفسه، ص 66 – 67 .

- خضوع اللسانيات العرفانية في التفكير اللساني العربي لأحكام جزافية قبل بلوغ معرفة شاملة بنظرياتها ومستجداتها المعرفية، ومثال ذلك وجود الكثير من الأراء التي نصادفها بين الباحثين واللسانيين العرب قائلة إن اللسانيات العرفانية لم تأت بجديد.
- يعاني التلقي العربي للسانيات العرفانية من إشكالات عدّة أهمها الرؤية المخصوصة لها، وهو ما يجعل الكتابات العربية تركّز على نموذج أو نظرية بعينها دون غيرها، مثلما تقدّم عن الدّلالة العرفانية والاستعارة التصورية في البحوث العربية المتعلّقة بهما.
- تتميّز طبيعة التّلقي العربي للسانيات العرفانية بغياب التصنيف المنهجي والمعرفي، فبينما نجد بحوثا ودراسات عربية تجاوزت مرحلة التعريف باللسانيات العرفانية، وتعمّقت في أيجاد روابطها بالثقافة والتداولية توجد دراسات أخرى مازالت تثير قضية المصطلح وتبسّط أيما تبسيط في مفاهيم اللسانيات العرفانية، وكما نجد دراسات تحاول الإحاطة بكل نماذج ونظريات اللسانيات العرفانية، توجد أخرى أيضا تركّز على نظرية واحدة فقط، أو مظهر من مظاهر اللسانيات العرفانية ممّا ولّد الانتقائية في التلقي العربي للسانيات العرفانية، ودليل ذلك كثرة التصنيفات حول الاستعارة التصورية مثلا.
- اتضح أن استمداد اللسانيات العرفانية ومحاولات التأسيس العربي لها خاضع لجملة من الإشكالات والرّهانات، أهمها وأشهرها ما تمّت الإشارة إليه مع وجود إشكالات أخرى سنأتي لتفصيلها في الجزء التالي من هذا البحث، لكن على الرّغم من هذه الإشكالات فإننا لا نعدم المحاولات والدّراسات الصّارمة العربية في اللسانيات العرفانية.

الفصل الثالث فضايا وإشكالات اللسانيات العرفانية في التفكير اللساني العربي المعاصر

تمهيد:

منذ ظهور اللسانيات عُني الباحثون والمنظّرون العرب بكلّ فروعها، والمستجدّات العلمية الطّارئة عليها حتّى الآن وعلى الرّغم من تتوّع تصوّرات الاتجاهات اللسانية العربية، التي طالما تأرجحت بين المعاصرة والترّاث، إلا أن التطور المستمر للنماذج اللسانية غطّى هذه المشادّات وأدّى إلى تزايد الاهتمام باللسانيات وجلّ قضاياها المعاصرة، مولّدة بذلك توجّهات علمية لسانية مخصوصة في التفكير اللساني العربي المعاصر، ومن بينها التوجّه اللساني العرفاني العربي المعاصر، وإن كان من المبكّر جدّا وسم الجهود اللسانية العرفانية العربية بالاتجاه.

وبالاصطلاح على الجهود اللسانية العرفانية العربية بالاتجاه اللساني، مع التحفظ، فقد خضع لما خضع له تلقي اللسانيات العامة منذ ظهور لسانيات فردنان دو سوسير (F. De Saussure) من شدّ ومد حول فائدة اللسانيات العرفانية وجديدها في التحليل اللغوي، وآلياته، ووسائله، وذلك ما انبثق عنه جملة من الإشكالات في الكتابات اللسانية العربية حول نَبَنِّي الأنموذج اللساني العرفاني عامة سواء الكتابات المهتمة بالتأليف والتصنيف أو الأشغال الأجنبية المترجمة إلى العربية، وقد أشرنا في مواطن تصنيف الاتجاهات الكبرى المتصدية للبحث في اللسانيات العرفانية، وبشكل من العموم، إلى بعض هذه الإشكالات المحتوياتي والمنهجي الذي بدا في اتجاهي الترجمة والتأليف، والتفاوت المعرفي في التأسيس للسانيات العرفانية في الدرس اللساني العربي المعاصر، وتجاوز كثير من الكتابات اللسانية العربية الأبعاد المعرفية الإستيمولوجية التي تأسست عليها اللسانيات العرفانية، فجاءت هذه الأخيرة في التأقي العربي على صورة مجتثة من بُعدها الابستيمولوجي الذي يفتح بحثه والتأسيس به للسانيات العرفانية من جهة أصولها العلمية أقل تقدير الاطلاع عليه – الباب واسعا أمام الفهم العميق للسانيات العرفانية من جهة أصولها العلمية وامكانية إحداث تطوير عربي لمناويلها من جهة أخرى.

وسنأتي في هذا الفصل من البحث بتفصيلٍ أعمق لهذه الإشكالات وأخرى نراها مبثوثة في المؤلفات التي سبق اعتماد بعضها في القول عن اتجاهات اللسانيات العرفانية عربيا، وأهمها المؤلفات التي شكّلت مشروع الأزهر الزّناد، ومشروع عبد الرحمن طعمة، وكتابات أخرى كان لها صيت واسع في الكتابات العربية، من قبيل كتابات عمر بن دحمان، ومحي الدّين محسب، ومحمد غاليم وغيرهم، ويرجع اختيار هذه العيّنات على وجه الخصوص إلى اعتبارات ثلاثة هي:

اتسام هذه المشاريع اللسانية العرفانية العربية بالشمولية مقارنة بغيرها من الجهود العربية الأخرى: فقد ظهر من خلال الحديث المقتضب عنها أنها تناولت اللسانيات العرفانية من حيث التعريف بها، وضبط مصطلحها، ومحاولة الإحاطة بمصدر انبعاثها كفرع لساني بيني، ورواد هذه المشاريع يمكن أن نقول بأنهم أصحاب النظريات الكاملة والتصوّرات الشاملة، وهو ما توضحه أشغال كل من طعمة، والزناد وعمر بن دحمان، ومحي الدين محسب، على الرغم مما في تصوّراتهم من تفاوت واختلاف ولّد قضايا وإشكالات عدّة سنبيّنها فيما سيأتي من البحث.

تنوعها من حيث المحتوى بين التقليص والتوسيع، والتأليف والترجمة: يوجد في المؤلفات المختارة كعيّنة الاختصار والتقليص في تناول اللسانيات العرفانية من حيث نظرياتها ونماذجها فقط، ويبدو التوسيع في دراسة اللسانيات العرفانية باعتبارها فرعا من حقل علمي أوسع هو العلوم العرفانية والعرفان كونه مجموعة عمليات ذهنية تدخل في سائر البناء المعرفي، كبناء التصوّرات والأفكار وحتى بناء الثقافات التي تميّز كل جماعة بشرية عن الأخرى، وهذا التنوع في المحتوى اشتملت عليه الأشغال العربية المؤلفة والمترجمة.

تمّ اختيار هذه المشاريع وتصورات روادها كعيّنة للدراسة بسبب معيار شهرتها في البحث اللساني العربي فلا يكاد يخلو بحث عربي من الإشادة بها والحديث عن فعاليتها وعمقها، لاسيما في البحوث الأكاديمية والجامعية التي تتضمن تحليلا تارة، ووصفا وتصنيفا تارة أخرى، مثلما يظهر ذلك في أطروحة عبد القادر صام التي هدف فيها من ضمن ما هدف إلى "دراسة خصوصيات التلقي العربي للتوجّه اللساني العرفاني وقراءة جهود وأعمال بعض الباحثين العرب" في اللسانيات العرفانية، لكن الملاحظ على هذه الأهداف أنها تعريفية فحسب وينقصها أن تجيب عن السؤال: لماذا نبحث في خصوصيات التلقي العربي ونقرأ الجهود العربية المنصّبة على دراسة اللسانيات العرفانية؟

من هنا نحاول دراسة العينات المختارة وتحقيق جملة من الغايات المسطّرة منها: إعادة دراسة وتحليل مشروع عبد الرحمن طعمة، ومحمد غاليم، وعبد المجيد جحفة...إلخ، بعيدا عن الوصف والتقييم الذي حظيت به في كتابات ودراسات سابقة جمّة مثل دراسة حيدر فاضل عباس وحسن عبد الغني الأسدي الموسومة "التطور اللساني وإشكالية تحديد المصطلح المعرفة أنموذجا" وكذلك دراسة الربيع بوجلال الموسومة "اللسانيات العرفانية" وغيرها كثير، التي لم تخرج عن التعريف بالمبادئ العامة

عبد القادر صام، الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في اللسانيات العربية – دراسة في خصوصيات التلقي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل، م، د، تخصص اللسانيات العامة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة غليزان، الجزائر، 2021/ 2022، مقدمة الأطروحة، ص - ث.

 $^{^{2}}$ حيدر فاضل عباس، حسن عبد الغني الأسدي، التطور اللساني وإشكالية تحديد المصطلح المعرفة أنموذجا، مجلة تسليم العراق، مج 4، ع 7 – 8، 2018، ص 529.

الربيع بوجلال، اللسانيات العرفانية، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، مجلد 2، ع2، ص235.

للسانيات العرفانية، وطرح تصوّرات الباحثين العرب التي تضمّنتها بحوثهم. وتبرير كثرة اعتماد العينات المدروسة في البحوث، وإثبات استحقاقها هذه الرّيادة انطلاقا من تشريحها واستكناه نقاط قوّتها وضعفها ومنه تجاوز الوصف والتعريف الذي طغى على عديد الدّراسات اللسانية العرفانية العربية.

أوّلا: إشكالات المحتوى في تلقى اللسانيات العرفانية في بعض النماذج اللسانية العربية:

تمت الإشارة سابقا إلى بعض قضايا المحتوى والمضمون التي اشتملت عليها الكتابات اللسانية العرفانية العربية من قبيل الاهتمام الشديد بالدّلالة العرفانية ومقولاتها، والتشتت في القبض على كل قضايا اللسانيات العرفانية، وإغفال تحديد منهج اللسانيات العرفانية ووظيفتها الدقيقة في أغلب الكتابات اللسانيات العربية...إلخ، وهنا ستُعرض أهم القضايا المحتوياتية التي نرى أنها تمثّل إشكالات للسانيات العرفانية في نماذج مختارة من بعض الكتابات اللسانية العرفانية العربية التي تضمّنها الدرس اللساني العربي.

1. قضية الاختلاف والتفاوت المحتوياتي في تلقى اللسانيات العرفانية العربي:

يبدو الحديث للوهلة الأولى عن إشكالية المحتوى في الكتابات اللسانية العرفانية العربية حديثا ساذجا؛ لأن البحث في مجال علمي معين وعدم البحث فيه خاضع لرغبة الباحث فقد يفضل باحث ما الدراسة التراثية عن الدراسات اللسانية المعاصرة، وقد يفضل البحث في الدراسات اللسانية المعاصرة موضوعا بعينه دون آخر، وهذه جوانب ذاتية في اختيار مجال البحث، لكن ما تقع عليه إشكالية المحتوى اللساني العرفاني في الدرس اللساني العربي المستنبطة من مجموعة من الكتابات العربية هو تفاوتها في معالجة اللسانيات العرفانية بمختلف نظرياتها من حيث الموضوع، وطبيعة البحث فيه، ورغم أن غاية أغلبها وضع أساس متين في الدرس اللساني العربي لفهم اللسانيات العرفانية والإحاطة بكل ما يتعلق بها، إلا أنها لم تخل من تفاوت في موضوعات البحث، وهو ما يخلق لدى المتلقي العربي هنات وفجوات في فهم اللسانيات العرفانية وتكوين تصوّرات علمية شاملة حولها.

1. قضية المزج في البحث بين اللسانيات العرفانية (cognitive linguistics) واللسانيات العصبي: العصبية (neurolinguistics)/

احتلت هذه الإشكالية في البحث اللساني العرفاني العربي مساحة كبيرة، وتجلّت خاصّة في كتابات عبد الرحمن طعمة، وصابر الحباشة، وعطية سليمان أحمد، هذا الأخير الذي تركّزت جلّ كتابته في المزج بين اللسانيات العرفانية واللسانيات العصبية وعكس ذلك بعض مؤلفاته مثل: كتابه "في اللسانيات العصبية: المعالجة العصبية للغة" وكتابه الآخر أيضا "اللسانيات العصبية: اللغة في الدماغ (رمزية

 $^{^{1}}$ عطية سليمان أحمد، في اللسانيات العصبية: المعالجة العصبية للغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر ط 1 1، 2022، غلاف الكتاب.

عصبية، عرفانية)¹¹ لكنّ كتاباته لم تبرز كثيرا بقدر بروز كتابات عبد الرحمن طعمة وما لقيته من الإشادة بأهميتها؛ لذلك انتقينا بعضها لاستنباط هذا الإشكال ودراسته وتحليله، لاسيما مؤلفه: "البناء العصبي للغة: دراسة بيولوجية تطوّرية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية."²

يعد الباحثون دراسات المزج بين اللسانيات العرفانية واللسانيات العصبية ضرورة استدعتها النزعة البينية التي طغت على البحث العلمي المعاصر، ومن الأهمية بما كان أن يمسك المتلقي العربي بزمامهما؛ حتى يتاح له فهم العمليات العرفانية التي تولد اللغة وارتباطها بالعمليات العصبية في إطار ما يوفره حقل العلوم العرفانية، فقد رأى عبد الرحمن طعمة أن "الدّماغ يتكوّن من طبقات عصبية متراكبة تطورت عبر الأزمنة حتى وصلنا إلى القشرة الذكية التي ميّزت الإنسان، التي نرى أنها السبب في بروز اللغة وتحققها تحققا فعليا لسانيا، وبالتالي فإن التصور القالبي للذهن البشري يرى أن الذهن وظيفة للنشاط الدّماغي، ومن ثم تسبق الجملة العصبية أنطولوجيا (وجوديا) الجملة المتحققة لسانيا" وحيث إن اللغة قدرة من القدرات الذهنية يجعلها بازغة، أيضا، عن النظام العصبي للدماغ البشري.

وهذا أحد أسباب عنايته بتفسير الظواهر اللغوية من منظور عصبي تجريبي ينتمي إلى العرفان البشري، إضافة إلى تصوّره القائل بقصور القدرة التنبؤية للنّماذج اللغوية الحالية، وتدارك هذا القصور يتم عبر فتوحات (النمذجة العصبية) للدّماغ البشري التي يمكن أن تتيح فهما أعمق لبيئة الدماغ البشري. ويتطلّب أمرين: أ) الوقوف على فيزياء جديدة للدماغ البشري، بإمكانها تفسير كيفية بزوغ الصور الذهنية عن العصبية، ب) ملاحقة التطورات المشبكية للدّماغ البشري البازغة عن المستحدثات الثقافية. 4

ويحيل المطلبان على تفسير عمليتين متبادلتين بين الدماغ والذهن الأولى: كيف يفعل ويؤثر الدّماغ (وعملياته العصبية) على النتاج الذهني، والثانية: كيف يؤثر المحيط الثقافي على الدّماغ (والعمليات العصبية)، ويلاحظ، أيضا، على المزج والتكامل من منظور عبد الرحمن طعمة اتساعه فتارة يربط دراسة اللسانيات العرفانية بالدراسة العصبية، وتارة يربط الدراسة العصبية بالثقافة، والسيمياء باعتبارهما نطاقين رمزيين إلى حدّ بعيد وكذلك بالأنثروبولوجيا العرفانية، وبالتالي فدراسته تربط وتمزج الدراسة العصبية بالعرفان البشري عامة.

وباعتبار الدّماغ وعملياته وحدة متكاملة عصبية وذهنية في آن واحد، وحسب ما تطرحه الدراسات البينية، صار من الممكن دراسته ذهنيا وعصبيا في صورة متكاملة متمازجة دون فصل التحليل العرفاني

4 ينظر: عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية، ص 12.

 $^{^{1}}$ عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية، عصبية، عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط 1، 2019، غلاف الكتاب.

 $^{^2}$ عبد الرحمن طعمة، البناء العصبي للغة: دراسة بيولوجية تطوّرية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية، غلاف الكتاب.

 $^{^{3}}$ المرجع نفسه، ص

عن التحليل العصبي، ويذهب إلى هذا التصور أيضا مجدي بن صوف وصابر الحباشة ففي أحد بحوثهما عَمِدَا إلى الجمع بين تصورات روّاد اللسانيات العرفانية وعلى رأسهم جورج لايكوف، وتصوّرات روّاد الحوسبة العصبية وعلى رأسهم جيرار فلدمان جمعا مفيدا، لإنّ "حديث اللساني عن علوم الأعصاب أو حديث عالم الأعصاب عن اللسانيات يبقى مشوبا بشيء من الشك والرّيبة، نظرا لتباين الاختصاصين من منظور تقليدي، أما من المنظور البيني، فثمة بينهما من التعالقات ما لا يخفى على ذي نُهيّةٍ." أ

ويمكن اختصار هذه الأسباب التي دعت إلى مزج الدراسات اللسانية العرفانية بالدراسات العصبية فيما يأتي:

- العمليات الذهنية ظاهرة بازغة عن الدماغ البشري: أسهب طعمة عبد الرحمن في بحثه الموسوم أنطولوجيا العرفان واللسان: من المنظومية إلى النسقية والمشترك مع أحمد عبد المنعم إلى جانب بحث طعمة البناء العصبي للغة، في تفسير العلاقات التي تربط العمليات الذهنية بالعمليات العصبية في الدماغ البشري، وكيف تكون هذه الأخيرة مصدرا لإنتاج العمليات الذهنية، ومنطلق هذا الربط بين ما هو عرفاني وما هو عصبي منطلق فلسفي اعتمده ماريو بونجي (Mario Bunge) في بحثه (المادة والعقل: بحث فلسفي) تصوّر فيه أن "مجموعة العمليات العقلية، تكون متضمنة في مجموعة عمليات المخ" ومن بين هذه العمليات الذهنية العمليات العرفانية، وفي واجهتها اللغة؛ إذ يشترط انبثاق وتوليد كل عملية عرفانية عملية عصبية.
- التعالق المتبادل بين الدّماغ البشري والأنظمة البيئية: الذي يسمح بتفسير علمي للمعرفة اللغوية بوصفها سلوكا عرفانيا، وسمة بازغة عن التفاعل بين البنيتين العصبية والثقافية ومؤثرة فيهما كذلك³ من جهة، كما يكشف قدرة الأنظمة والضغوط البيئية على تهيئة زمرة من الاستجابات النفسية المؤثرة في بقاء الإنسان وتطوّره في المقام الأوّل والمؤثرة كذلك في تشكّل المنظومتين الذهنية والعصبية⁴ من جهة أخرى. ولا يقف هذا التعالق عند المنظومات العصبية، والثقافية، والذهنية، بل يتعدّى إلى المنظومة الاجتماعية كذلك وكل تفاعلاتنا مع المحيط.

مجدي بن صوف، صابر الحباشة، مدخل إلى النظرية العصبية للغة، مجلة اللسانيات التطبيقية، الجزائر، مج 04، ع 07، 0202، ص 05.

² ماريو بونجي، العقل والمادة بحث فلسفي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2019، ص

 $^{^{2}}$ ينظر: عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية، ص 3

⁴ عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، أنطولوجيا العرفان واللسان: من المنظومية إلى النسقية، دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط 1، 2022، ص 113.

- استثمار مخرجات البينية وتلاقح العلوم لتحقيق تفسير علمي شامل للظاهرة اللغوية باعتبارها عملية ذهنية وعصبية في آن واحد، وهو ما وفرته البينية من خلال تضافر مجالات علم الأعصاب، وعلم النفس العرفاني، واللسانيات العرفانية خاصة.

تمثّل هذه الأسباب أهم أسباب الدمج بين دراسة اللسانيات العرفانية واللسانيات العصبية، وعلم الأعصاب – وهو دمج ضروري – حسب ما يطرحه عبد الرحمن طعمة، لتفسير النموذج اللغوي وتطويره بتطعيمه بمخرجات علم الأعصاب، واللسانيات العصبية، لكن باعتبار بحوثه رائدة في البحث اللساني العربي، فإننا نرى أن طبيعة بحثه هذه بما جاء فيها من تصورات تُخرج المتلقي العربي عن فهم وتقمّص اللسانيات العرفانية بمبادئها ونظرياتها الكبرى والفرعية كما جاءت في أصولها الغربية، مع العلم إن المتلقي العربي – وقد سبقت الإشارة إلى واقع التلقي العربي للسانيات العرفانية – مازال في أغلب جهوده غير محيط باللسانيات العرفانية تمام الإحاطة، ومازال يتخبط بين التأصيل لها والتعمق في دراستها كفرع لساني معاصر مستقل. ونستدل على هذا الحكم الذي أطلقناه بثلاث رؤى مستخلصة من مؤلف طعمة "البناء العصبي للغة: دراسة بيولوجية تطورية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية المضافة إلى مؤلفاته الأخرى التي ستعضد تصوراته المطروحة في البناء العصبي للغة وتوسّعها، لأن كتابات طعمة مشروع عرفاني يكمّل بعضه بعضا.

1) أ- غلبة الدراسة العصبية على الدراسة اللسانية العرفانية:

هدف عبد الرحمن طعمة في بحثه إلى جعله عملا تطبيقيا يثبت فيه أن اللغة ظاهرة عرفانية منبثقة عن مناطق وعمليات عصبية في الدماغ البشري، وهذا الهدف يتطلّب موازنة بين ما هو عرفاني وما هو عصبي، غير أن بحثه طغت عليه الدراسة العصبية للغة والتعمق في علم الأعصاب على حساب ربط الظاهرة العرفانية (اللغة) بهذه العمليات العصبية، وقد وضّح ذلك طليعة مؤلفه التي قال فيها: "هذا بحث في الدّرس اللساني المعاصر، يروم تدقيق الأصول العصبية للغة في مراحل الإنتاج الذهني لها مرورا بمراحل البناء النمذجي المتمثلة في المعجم العقلي الداخلي، وانتهاء بالمخرجات التركيبية التي تتنقل خلالها لغة الإنسان لأجل التواصل ... مما دفع الباحث إلى استكناه نقاط بينية متعدّدة لتحقيق الهدف من وضع تنظير منهجي ملائم يؤصل للسانيات العصبية في بحث اللغة." وهذا الإفصاح يؤكد الأولوية التي يمنحها طعمة للدراسة العصبية وعلم الأعصاب على الجانب العرفاني الذهني المجرد للغة.

وفي الفصول الثلاثة الأولى من بحثه يتعمّق ويغرق في التشريح العصبي للدّماغ ليبيّن المناطق العصبية للغة، ومن الأمثلة على ذلك: دراسة التشابك الخلوي العصبي المعروف بالنيورون المرآة ودوره في اكتساب اللغة؛ إذ تقرّر أن النيورونات المرآة تعمل وسيطا على تحويل الأصوات المسموعة إلى

 $^{^{1}}$ عبد الرحمن طعمة، البناء العصبي للغة، ص 1

المقابلات الحركية القادرة على توليدها [الإنجاز النطقي أو التقطيع] ابتفعيل عضلات النطق واللسان لأداء الأصوات واللغة. ودراسة النيورولوجيا العرفانية لمعالجة المعلومات اللغوية في الدماغ البشري أي تحليل العمليات العصبية المؤدية إلى انبثاق العمليات العرفانية التي تعالج اللغة، مثل: تتبع العمليات العصبية التي تسلكها الممدخلات الكائنة في صورة طاقات المثير السمعي والبصري التي تُحَوِّلُ إلى نبضات كهروكيمائية تصل إلى المخ لتبدأ المعالجة الأولية، وكذلك المخرجات اللغوية التي يُعاد فيها تحويل الطاقة الكهروكيميائية إلى صورتها الأساسية؛ الصوتية وغيرها. 2

وهي بعض الأمثلة عن العمليات اللغوية التي رصدها طعمة بكثير من التفصيل والتحليل العصبي إضافة إلى عمليات أخرى كثيرة يكتشفها المطلع على مؤلف طعمة قيد الدراسة، وعموم ما يظهر على تحليله اللغوي العرفاني إغراقه في التحليل العصبي الذّي يوجب على قارئ طعمة وفهم تصوّراته ومشروعه أن يكون ذا مرجعية معرفية، وأحيانا ضليعا بعلم الأعصاب وبطبّ الأعصاب وتشريح الدّماغ وما يتعلق بذلك من تطوّرات علمية معاصرة، فكثيرا ما يعتمد طعمة على التصوير الإشعاعي البوزيتروني بذلك من تطورات علمية الدقة والتعقيد (Positron Emission Tomography PET)، ويستعمل مصطلحات عصبية بالغة الدقة والتعقيد تقضي أحيانا إلى الغموض، ولا تتأتّى معرفتها والإحاطة بها إلا من قارئ لساني عربي متعدد الاختصاص، وهذا ما يقلّ إن لم يندر، في أوساط المتاقين اللسانيين العرب. ممّا يثير بدوره مسألة لمن يكتب عبد الرحمن طعمة بحوثه، وإلى من يوجّهها؟

وغلبة الجانب العصبي على بحث طعمة لا يعني إهماله للجانب العرفاني، وقد سبق القول بأنه مزج بين الاثنين وتجلى ذلك كثيرا في حديثة عن عصبية المعجم الذهني؛ إذ تناول مجموعة من مسائل المعجم الذهني والذاكرة المعجمية أهمها: النمو الذهني للغة الخاضع طبعا للمنظومة العصبية والتصنيف الاقتراني الذهني بين المفهوم واللفظ الذي يسمح للذّهن البشري بتصنيف التعبيرات وقبولها أو ردّها أو تجاهلها، وكذلك عالج تكوّن المعجم الذهني عرفانيا، مع ربط كل هذه العمليات العرفانية للمعجم الذهني بالاشتغال العصبي الذي انبثقت منه، وجعل المعجم مجموعة من الوحدات الذهنية، وحدد أقسام الكلام الخاصة بهذه الوحدات الذهنية حسب تموضعها في أطراف الشجرة التركيبية المفترضة.3

كما بحث مجموعة من مسائل النحو الذهني وأنماط الدلالة الذهنية التي برز الجانب العرفاني فيها خلال حديثه عن المنحى العرفاني في الفكر النحوي المعاصر، وكانت هذه المسألة خلاصة فهم عبد الرحمن طعمة لكثير من الأطروحات العرفانية مثل: تأثير قضية الجسدنة على التصوّر النحوي العربي للعلامة الإعرابية التي تنتظم في أربع مقولات مفهومية (الرفع، والنصب، والجر، والجزم)، مستمدّة من

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 64.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2 126 ينظر:

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 303 – 311.

حركة اللسان والمنتظمة من خلال خطاطة القوة أو العامل، ولفهم التركيب النحوي العربي لا بد من فهم روابط الخطاطات الذهنية، وهذا التصور وأمثاله يمثّل اتجاها عرفانيا جليا في النظرية اللسانية العرفانية الحديثة. وطرح تصوراته عن البنية التصورية، والنسق الذهني في إطار ما تطرحه اللسانيات العرفانية من مقاربات غلبت عليها "فيما يخص المعنى المكون الدلالي التصوري دون الالتفات إلى الأصوات أو الصرف أو المعجم بمعالجاتها التقليدية وقد اختار منها الاستعارة التصورية، والفضاء الذهني، والمزج التصوري مع الكثير من التمثيل والتحليل، وهذه المسائل التي طرحها هي من صميم اللسانيات العرفانية رغم أنها أخذت حيّزا أقل بكثير في بحث طعمة الذي بين أيدينا.

1) ب- الطبيعة الموسوعية للمزج اللساني العصبي العرفاني المتبنّى:

قدّمنا في موضع سابق من هذا البحث الكلام عن الطبيعة الموسوعية لمشروع عبد الرحمن طعمة في إطار العلوم العرفانية؛ إذ اتخذ البحث اللساني العرفاني منها موقعا جزئيا لكونه أحد الفروع التي بحث فيها اللساني ضمن إطار أوسع وأرحب، وتجلّت هذه الموسوعية إلى حدّ ما في كلّ مؤلفات طعمة سواء المشتركة أم الفردية، مثل: دراسة طعمة الموسومة بيولوجيا اللسانيات: مدخل للأسس البيو- جينية للتواصل اللساني من منظور اللسانيات العصبية، وفي أنثروبولوجيا اللسانيات الذهن والخطاب والثقافة والمؤلف المشترك له مع أحمد عبد المنعم الموسوم أنطولوجيا العرفان واللسان: من المنظومية إلى النسقية، ومؤلف البناء العصبي للغة الذي تجلّت فيه هذه الطبيعة الموسوعية في مواضع عديدة.

وزيادة عن المزج بين اللسانيات العصبية واللسانيات العرفانية، يهتم طعمة بالجوانب الأنثروبولوجية والثقافية، والاجتماعية ودورها في صقل الملكة اللغوية وتكوينها، ويرى أنّ الإطار النظري الذي يطرحه في غاية مؤلفه هذا، من فرضيات وتحليل للنتائج يرشّح أن تَشَكُّلَ الجهاز القاعدي للغة قد تبلور وفق أسس آلية قوية تحكم التفاعل البيولوجي والبيئي بما في كليهما من عمليات عضوية واجتماعية رمزية. والخضوع لهذا التفاعل هو أساس التطور القاعدي للملكة اللغوية التي تقوم على ركيزتين هما: الخلفية العصبية المناسبة، والبيئة التفاعلية الصالحة للاشتغال الذهني "التي تشمل تفاعل الأفراد والبيئات الاجتماعية، والتلاقح الثقافي كل هذا ينتج اللغة باعتبارها نظاما عرفانيا رمزيا في غاية التعقيد. وهذا التصور يتعمّق فيه طعمة في المؤلفات المشار إليها آنفا بالكثير من التوسع معتبرا "الثقافة هي الوجود بالفعل لاشتغال الذهن من خلال الإدراك الحسي." وامتزاجها بالتحليل الانثروبولوجي يشترط قوة ذهنية بالفعل لاشتغال الذهن من خلال الإدراك الحسي." وامتزاجها بالتحليل الانثروبولوجي يشترط قوة ذهنية

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 392 – 393.

 $^{^{2}}$ المرجع نفسه، ص 2

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 49.

⁴ عبد الرحمن طعمة، في أنثروبولوجيا اللسانيات الذهن والخطاب والثقافة، ص 165.

لحدوث الفهم وفك الشفرات المرمّزة؛ لذلك فالبيئة الاجتماعية بكل أنساقها بناء ضروري من العرفان البشري العام في إنتاج اللغة.

كما يذهب عبد الرحمن طعمة في موضع آخر من مؤلفه، وفي إطار تحقيق التكامل المعرفي للنموذج اللساني مع غيره من العلوم البينية، إلى أنه لا يمكن الفصل بين النسق اللغوي وبقية عناصر الدائرة الابستيمولوجية للعلوم المترابطة؛ لأجل بلوغ النموذج الأمثل للتحليل اللساني، وهذا الترابط يمثله طعمة بالمثلث المعرفي الذهبي الذي يربط بين: المعلوماتية، والجينوم والبيولوجيا = " البيولوجيا الجزيئية "، وعلم اللغة والضلع اللغوي في المثلث هو ما يربط بين البيولوجي والنفسي، وبين الشخصي والاجتماعي، وبين اللاوعي الفردي واللاوعي الجمعي، وبين الذاتي والموضوعي. أ والمراد من هذا المثلث توضيح فاعلية الروافد العلمية، والأنساق الاجتماعية في البناء اللغوي، والدور المتبادل بينهما حيث تبني هذه الأنساق اللغة، وتبنى اللغة بدورها هذه الأنساق الاجتماعية، والثقافية، والرمزية.

وكون اللغة نظاما ذا وظيفة رمزية فهو يندرج ضمن إطار علمي وظيفته الرمزية أوسع، وهو السيميولوجيا التي تدخل في علاقة معها دراسة اللغة وتحليلها من جهة، وتتداخل مع العلوم البيولوجية من جهة أخرى لتفسير طبيعة اللغة ومناطق توليدها في هذه المرحلة، وفي المرحلة التي تليها يتداخل النظام اللغوي الرمزي مع البحث في الشروط المجتمعية بالاختلافات التي تحدث في النسق الرمزي من خلال الانتقال من بيئة مجتمعية إلى أخرى لينشأ علم اللغة الاجتماعي. 2 وكذلك تتم التداخلات بين اللغة وعلم النفس، والأنثروبولوجيا... إلخ التي تبين التكامل بين العلوم الإنسانية، والعلوم الطبيعية، والعلوم العرفانية.

من جهة أخرى يربط بين الذهن والكون، واللغة والكون، أما ربطه بين الذهن والكون يردّ سببه إلى التقارب بين انتظام خلايا الدماغ العصبية ومطاطيته العصبية (Neural plasticity) وهندسة بناء الدماغ عموما وهندسة بناء الكون؛ فعلماء الكونيات يقدمون لنا نماذج لبناء الكون ومطاطيته وترابطه وقوّته رغم التباعد المتسارع بين المجرات والكواكب المتصلة ببعضها بالمادة الداكنة، والطاقة الداكنة...إلخ. وكأن الدماغ وهو العضو المسؤول عن إدراك الأحداث والأشياء المحيطة، يتماهى في بنية الكون الحاوي لهذه الأشياء وتلك الأحداث، في مزيج متناغم بين البنية والوظيفة. وقد حدد طعمة في هذه الرؤية أن فهم الدّماغ مرتبط بفهمنا للكون الذي يفهم من خلال الرياضيات، والفيزياء المتلازمة مع الأعصاب، وبالتالي فإن ابستيمولوجيا عالم الذهن غير منفكة عن أنطولوجيا العالم، وغير منفكة عن حدود إدراك الكون، وهذا ما يدعم التحليل البيني ويبرز ضرورته في دراسة علاقة اللسانيات بالدماغ

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 10 ، 108، 101.

² ينظر: عبد الرحمن طعمة، البناء العصبي للغة: دراسة بيولوجية تطوّرية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية، ص 106.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 125.

وبالكون. أو دون تضافر العلوم البينية وعلى رأسها الرياضيات، وعلم الأعصاب، والبيولوجيا، والفيزياء لن يكون هناك سبيل لتحليل علاقة اللغة والدماغ والكون.

أمّا ربطه بين اللغة والكون فراجع إلى كون اللغة تعبّر عن الكون والنظريات التي تسمح بدراسة حقائق الكون، ووصف أنظمته وتفسيرها مثل ما تفعله نظرية النسبية لأنشتاين، ونظرية ميكانيكا الكم (Quantum) والأوتار الفائقة، وكما أن اللغة غير محددة المعاني والدلالات والمفاهيم؛ لذلك تتطور وتختلف وظائفها وتتعارض، وميزة أن اللغة غير محددة مثل الحقائق الكونية يجعلها قابلة جدا للاستخدام في التعبير عن العالم الواقعي 2 وبعبارة أخرى، التشابه القائم بين الدلالات اللغوية وحقائق الكون هو الرابط الأساس والصريح بين اللغة والكون.

1) ج- انفراد طعمة بدراسة اللسانيات العصبية العرفانية:

رأينا من خلال بحث عبد الرحمن طعمة «البناء العصبي للغة» مزجه بين اللسانيات العصبية واللسانيات العرفانية إضافة إلى روافد علمية أخرى قدّمنا ذكرها، لكن اللافت للانتباه استحداثه تركيب اللسانيات العصبية العرفانية المبني على المزج بينهما، لكنّ واقع البحث وما نتج عن تقصي مدلول هذا التركيب يُظْهِرُ اختصاصه باللسانيات العصبية فحسب، أضف إلى ذلك ما يخلقه عند القارئ العربي من تساؤلات عمّا إذا كان هذا التركيب دلالة على ظهور فرع لساني جديد، يمكن أن يولّد عنده خلط بين اللسانيات العصبية واللسانيات العرفانية، وعليه جاءت ضرورة مناقشة استعمال المركب اللسانيات العرفانية العرفانية العرفانية عند طعمة نظرا لما يحمله من دلالة على السّحب الجزئي لدراسة اللسانيات العرفانية المحضة كما جاءت في أصولها الغربية التي عرضنا أهم اتجاهاتها ونظرياتها في الفصل الأول من هذا البحث، إلى الدراسة اللسانية العصبية، حسب ما أشار إليه في مواضع عدّة من بحثه البناء العصبي للغة.

هَدَفَ طعمة من خلال تركيزه على اللسانيات العصبية العرفانية، كما عبر عنها، والتي نقع ضمن المجال بحث أوسع في مسائل النطور، والثقافة الإنسانية، وأنثروبولوجيا اللسانيات...إلخ. "3 وسائر مجالات العرفان إلى تأكيد أن ابستيمولوجيا النموذج العصبي اللساني عرفانية إلى درجة بعيدة؛ أي إن العمليات العصبية تبرز كعمليات ذهنية عرفانية أثناء بناء كل صنوف المعرفة، وقد بيّن ذلك في الفصلين الأخيرين من بحثه ممثّلا خلالهما النموذج الهندسي النيورولساني؛ لتحقيق التوازن بين الهندسة العصبية واللسانية

¹ ينظر: عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، أنطولوجيا العرفان واللسان: من المنظومية إلى النسقية، ص 63.

² ينظر: عبد الرحمن طعمة، البناء العصبي للغة، ص 293.

 $^{^{3}}$ المرجع السّابق، ص 3

في معالجة اللغة البشرية. ¹ إذ اللغة قدرة ذهنية عرفانية بازغة عن الاشتغال العصبي للدماغ المادي الفيزيائي، وبالتالي فتحليل عملياتها النحوية، والمعجمية، والصوتية...إلخ، يتطلب بالضرورة تَتَبُّعَهَا على مستوى الدماغ ليتحقق النموذج الهندسي العصبي اللساني الذي طرحه عبد الرحمن طعمة.

والمنظور العلمي الذي يعتمده في استخدامه لمركب "اللسانيات العصبية العرفانية" هو التكامل المعرفي بين اللسانيات العصبية واللسانيات العرفانية، حيث يسفر الفهم العميق والتحليل الفاحص للسانيات العصبية عن أهمية الوقوف على هذا التكامل بينها وبين اللسانيات العرفانية، بل وبقية علوم العرفان البينية، التي يتأسس عليها بناء "الباراديم اللسائي المعاصر الذي تتمي إليه بالطبع اللسانيات العصبية بأطروحاتها المنهجية وظواهرها التحليلية [...] التي تكشف كمّاً كبيرا من التكامل المعرفي متقاطعا مع نظريات الإدراك والنظريات العلمية بمختلف أصنافها المرتبطة بالدّماغ البشري" من هنا رأى طعمة أهمية وضع النموذج النيورولساني (العصبي اللساني) لتفسير وتأويل أوسع للظاهرة اللغوية.

1) د- أبعاد نقدية في دراسة عبد الرحمن طعمة اللسانية العرفانية:

يمكن إجمال التصوّرات اللسانية العصبية العرفانية التي طرحها عبد الرحمن طعمة في مؤلفه البناء العصبي للغة، وفقا لاعتباره من أحد أهم البحوث العربية في اللسانيات العرفانية، في كونه يطرح كوكبة من التصورات أولها أن بحث طعمة يصنّف ضمن إطار العلوم العرفانية؛ إذ يعالج اللسانيات العرفانية أو بالأحرى يعالج اللغة باستثمار مخرجات العلوم العرفانية التي تمثل اللسانيات العرفانية أحد أهم روافدها الرئيسية واللسانيات العصبية وعلم الأعصاب، ومستجدّات البحوث الطبيّة، وهذا التصوّر صرّح به في تحديده أهداف بحثه التي نجمعها في ما يأتي: 3

- البناء العصبي للغة دراسة لسانية بينية، تستمد منهجها وأدواتها من العلوم التالية: اللغة، وفيسيولوجيا الأعصاب الطبيّة والتشريح، وسيكولوجيا الإدراك، والبيولوجيا التطورية، والعلوم العرفانية عموما وتقع أساسا في حقل علم اللغة العصبي (أو اللسانيات العصبية العرفانية Of Linguage) مركّزة على معالجة قضايا علاقة اللغة بالدّماغ البشري انطلاقا من العمليات العصبية الأولية التي تولّد اللغة وتحقق عملية التواصل.
- تهدف دراسة البناء العصبي للغة في معالجتها لقضية العلاقة بين اللغة والدماغ البشري إلى اكتشاف الجينوم اللغوي (Language Genome)، بالتطبيق العملي للأدوات والاستراتيجيات العلمية الطّبية خاصة، مثل: علم الأشعة وتقنياته التي لا تتطلب فتحا جراحيا، والرنين المغناطيسي والتصوير

¹ ينظر: عبد الرحمن طعمة، البناء العصبي للغة دراسة بيولوجية تطوّرية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية، ص 11 -- 18.

¹¹³ المرجع نفسه، ص

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2 – 2 – 3

المقطعي...الخ، واستثمارها في وضع آليات تحليلية جديدة لكافة المستويات اللغوية وعلى رأسها المستوى الدّلالي وتحليل المعنى بحيث يكون الاهتمام والتجديد باستثمار المدخل الطبي في الفرع العصبي من البحث اللساني.

- ينصب التحليل العرفاني للغة في تصورات هذا المُؤلَّفِ على استكمال مقولات بعض المشتغلين باللسانيات التطورية في دمج اللغة بالدماغ بوصف علم اللغة من العلوم الطبيعية التجريبية، ومن ضمن هذه المقولات مقولة السبق الأنطولوجي للصورة الذهنية للغة على صورتها المادية المحسوسة الذي حاولت الدلالة العرفانية تبيينه.

وهذه الأهداف كما يتضح تصبّ في مجال اللسانيات العصبية والطبّ والتشريح، وجانبها اللساني العرفاني الذي تتاولته بالتحليل تعلّق جلّه بالجانب العصبي الذي تبزغ وتنبثق عنه العمليات العرفانية للغة. مثلما اتضح في الفصلين الأخيرين من بحث البناء العصبي للغة الذي أقر فيه عبد الرحمن طعمة أن بحثه لقضية المعجم الذهني والبُنئي النحوية والدلالية النمطية في الدّماغ من منظور اللسانيات العصبية مستلزم للمنطق الرياضي، والفلسفة التحليلية الذلك نرى أن البناء العصبي للغة بحث متقدّم ينمّ عن إحاطة الباحث وموسوعيته في حقل العلوم العرفانية؛ إذ لا يمكن جحد الجانب الإيجابي الذي بلغه طعمة في مؤلفه من تمكنة الصارخ من تحقيق دراسة قائمة على التكامل المعرفي الذي نادت به الدراسات العلمية المعاصرة، واقتراح نموذج عصبي لساني معاصر لتحليل الظاهرة اللغوية على أوسع مستوياتها الذهنية، والعصبية، والفلسفية، والثواصلية.

ولكن هذا الاتساع والمزج بين اللسانيات العصبية، واللسانيات العرفانية، والطب، والتشريح...إلخ دليل على أن بحث عبد الرحمن طعمة الذي بين أيدينا ليس بحثا لسانيات عربيا خالصا في اللسانيات العرفانية، بل هو بحث في اللسانيات العصبية في صورتها الموسّعة البينية، هذا الاتساع الذي يشكّل بدوره عقبة أمام التلقي العربي للسانيات العرفانية وفهمها التام الذي مازال في مرحلته الأولية، بله الإحاطة بها وفهم تعالقاتها ووشائجها مع بقية العلوم البانية للعلوم العرفانية وهو أمر نراه مازال لم يُبلغ بعد في التلقي العربي للسانيات العرفانية، وإذا كانت مثل هذه الكتابات اللسانية الموسوعية غير مفهومة ومن غير السهل تلقيها عربيا لغياب الأسس العلمية والمعرفية التي تنبني عليها، فالسؤال المطروح هنا هو لمن يوجّه عبد الرحمن طعمة كتاباته الموسوعية وعلى رأسها بحثه البناء العصبي للغة؟

بالإضافة إلى كون هذا الاتساع في الطرح عائقا أمام الفهم العربي للسانيات العرفانية، فإن السؤال المطروح هنا، أيضا، هو ما أهمية هذا المزج ونتائجه الذي يتخذه طعمة أساسا في كتاباته على القارئ العربي؟ وهل يعي المتلقي العربي أن هذا المزج يندرج ضمن حقل أوسع وأساسه فلسفي وعصبي؟ وما الذي تقدّمه هذه المحتويات للمتلقى العربي في إطار تلقيه اللسانيات العرفانية وفهمها؟ كل هذه الأسئلة

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 1

حري بالمشتغلين بإدخال اللسانيات العرفانية حيّز البحث اللساني العربي اتخاذها بالحسبان، وفي الواقع هذه الأسئلة هي التي يجب أن تتحقق شروطها في القارئ والمتلقي العربي من الإحاطة بالأصول والمرجعيات المعرفية والفلسفية للسانيات بكافة فروعها، والإحاطة بأغلب التطورات، إن لم نقل كلها، التي شهدتها النماذج اللسانية منذ ظهورها.

وعليه فإن قضية الاتساع والمزج في طرح عبد الرحمن طعمة لا تشكّل وحدها عائقا أمام تلقي اللسانيات العرفانية، بل أصل العائق متمثّل في المستوى المعرفي لكثير من اللسانيين العرب الذين يواكبون ما يطرأ على الدرس اللساني من تطورات نظرية هامة. اتضح ذلك مثلا في الندوة التي عقدتها منظمة اليونسكو بالرباط سنة 1987 حول (تطور اللسانيات في البلدان العربية) حيث إن كثيرا من اللسانيين العرب المشاركين في هذه الندوة لم يتمكنوا من متابعة بعض البحوث اللسانية لاسيما بحوث المغاربة، وللإشارة فإن المشاركين في هذه الندوة يُعدُّون من صفوة اللغويين العرب المحدثين وأكثرهم تأليفا، ولكن صدرت منهم أسئلة تتم عن قلة مواكبة تحولات وتطورات الدرس اللساني عامة، ولهذا السبب يرى أحمد المتوكل رائد النحو الوظيفي في الدرس اللساني العربي أن الجسر اللساني بين الروّاد العرب المتضلّعين في اللسانيات بكل فروعها وبين بقية اللسانيين من العرب لم ينشأ بعد. أ

وما يجعلنا نرى أن قضية المزج المعرفي التي اتبعها طعمة في بحثه تمثل عائقا أنها جاءت سابقة لأوانها، إذ اللسانيات العرفانية كما هو متفق عليه لم تبلغ بعد مرحلة النضج في الدرس اللساني العربي. مع ما يلاحظ على تجاوز بعض الكتابات اللسانية العربية لكثير من المراحل والأبعاد التكوينية الفلسفية والابستيمولوجية للسانيات العرفانية، بالإضافة إلى أننا مازلنا نجهل حتى المنهج الدقيق الذي تنتهجه اللسانيات العرفانية وتنفرد به في التحليل اللساني، ووظيفتها الدقيقة التي تؤديها ضمن حقل اللسانيات عموما. والأجدر أن نتعرف بداية على الأرضية المعرفية للعلم ومنهجه ووظيفته التي وضع لأجلها؛ كي نتمكن من الاشتغال عليه وتطوير نماذجه.

2. الدمج بين الأدب والعلوم العرفانية واللسانيات العرفانية:

كسبت العلوم العرفانية موضع قدم ثابت على الساحة العلمية المعاصرة، ونظرا لتكامل العلوم الذي تتأسس عليه وتتصل به علومها فيما بينها؛ لتحقيق تحليل عرفاني دقيق ومنهجي للعمليات الذهنية، فقد صار استثمار العلوم العرفانية ضرورة ملحّة في إعادة النظر إلى كثير من مجالات العلم. والأدب أحد هذه المجالات المحتاجة إلى إعادة النظر في أسسها التي تبني بها الصّور والأخيلة والإبداعات الأدبية على هذا الأساس تبنّت طائفة من البحوث اللسانية العربية المزج بين العلوم العرفانية، واللسانيات العرفانية، والأدب.

 $^{^{1}}$ ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4 ، د 4 ، د 6 ، د 6 د 6 .

وأهم هذه الكتابات، حسب ما نرى، مقالة محي الدين محسب الموسومة " الإدراكيات والتأسيس المعاصر لعملية النقد الأدبي " ضمن مؤلفه السابق الإدراكيات: أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية. ومؤلف عمر بن دحمان نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي الذي أفرد فيه فصلا عن علاقة الاستعارة التصورية بالأدب، ومؤلف محمد غاليم "الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم: بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات" الذي أفرد فيه بابا أيضا عن كون الأدب مبحثا عرفانيا، واخترنا هذه البحوث للدراسة نظرا لمحتوياتها والقضايا التي أُثيرت فيها.

فقد تناول بحث محسب محاولة تأسيس نقد أدبي عرفاني قائم على إعادة النظر في بعض القضايا الشهيرة في النظرية الأدبية، وإثبات أهمية مخرجات العلوم العرفانية في تقديم إضاءات تفسيرية جديدة لقضايا النقد الأدبي، وطرح محمد غاليم تصوّر عرفانية الأدب، مثبتا ذلك انطلاقا من الشعرية العرفانية وعرفانية السرد، وناقش عمر بن دحمان مسألة جزئية تعلّقت بارتباط الاستعارة التصوّرية بالخطاب الأدبي من ناحية إبداعيتها ومدى فاعلية هذه الإبداعية الاستعارية في إنتاج المعنى وتأويله، وإجمالا حاولت هذه العينات إبراز إفادة الأدب من العلوم العرفانية في النظرية الأدبية، وفي نظرية النقد الأدبي، وفي إمكانية تحليل القضايا الأدبية اعتمادا على المقاربة العرفانية والنظرية اللسانية العرفانية.

2) أ- الأدب واللسانيات العرفانية في تفكير محمد غاليم:

يحدد محمد غاليم عددا من القضايا الأساسية المبني عليها تصوّر الأدب مبحثا عرفانيا بداية بالعلاقة التي تربط اللسانيات العرفانية والأدب، حيث اعتبرت بداية امتزاج الأدب بالتصورات والمفاهيم العرفانية منذ نشر كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" لجورج لايكوف ومارك جونسون الذي عزّز الأدب بفكرة "الشعرية العرفانية" (Cognitive poetics)؛ أي نظرية نسقية للذهن تنظر إلى الأدب كرافد عرفاني مركزي في فهم النفسية البشرية والتفكير البشري وتفسيره، وهذه الشعرية العرفانية تتخذ من الاستعارة التصورية، والصورة (Figure) والخلفية (Ground)، والجشطلت والترابطات، والأفضية الذهنية مجالات أساسية في الدراسة الأدبية وهي التصورات والنظريات الصميمية للسانيات العرفانية، وهنا تظهر إفادة الأدب من منظور عرفاني من اللسانيات العرفانية واعتباره مكونا رسميا من مكونات العلوم العرفانية.

واعتبر الأدب ونقده فرعا من فروع العلوم العرفانية لاتصاله الوثيق بالمعنى والعمليات الذهنية في بنائه؛ إذ أحد أهم موضوعات العلوم العرفانية تفسير وتحليل العمليات الذهنية بما فيها العمليات التي يقوم عليها المعنى في الفعلين اللغوي والأدبي، في حين تتصبّ اهتمامات نظرية النقد الأدبي على الكيفيات التي تستخدم بها المعاني لتوليد نصوص أدبية في اللغات الطبيعية، ومن بينها استحضار/ استدعاء المعاني وتذكّرها، وبناء صور المعنى...إلخ. التي تحدث عند قراءة نص أدبي أو إنتاجه وتصنف ضمن

 $^{^{1}}$ ينظر: محمد غاليم، الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم، ص 206 .

التفكير البشري وبناء المعرفة موضوعي العلوم العرفانية، وهذا ما يفسّر الأرضية المشتركة بين نظرية النقد الأدبي والعلم العرفاني 1 وأيضا هو السبب في كون الأدب رافدا عرفانيا من روافد العلوم العرفانية.

والاشتغال بالمعنى وارتباط الأدب باللسانيات العرفانية الذي برز في النظرية الأدبية تمظهر في قضيتين؛ الأولى قضية الشعرية العرفانية القائمة على أساسين هامين هما: اللسانيات العرفانية وعلم النفس العرفاني من جهة، والنقد الأدبي من جهة أخرى، أما اعتمادها على اللسانيات العرفانية وعلم النفس العرفاني فهو ظاهر في تبنيها مبدأ الجسدنة (embodiment)، واستثمار ارتباط أشكال التعبير والإدراك الواعي بالجانب الأحيائي البشري الذي يسمح بفهم عملية تمثل المعنى واستحضاره، سواء في ذلك، المعنى العادي أو المعنى الأدبي المشحون بالعواطف والانفعالات المؤثرة عند منتج النص أو عند قارئه، وأمّا اعتمادها على النقد الأدبي وعلاقتها به فهي منصبة على مثلث «المؤلف – النص – القارئ» وعلى دراسته متكاملا دون الفصل بين أضلاعه نفسيا ولغويا؛ ومن منطلق عنايتها بالقراءة الأدبية وبالبعدين النفسي واللغوي معا تُقدِّمُ أداة لدراسة التأويل، سواء أكان صيغة المؤلف للعالم أم وصفاً قرائبًا الشعرية العرفانية هي إعادة تقييم جذرية لعملية النشاط الأدبي برمتها وتقييما نفسيا ولغويا لدى كلً من المؤلف والنص والقارئ.

والأخرى قضية النظرية السردية العلاقات القائمة بين الظواهر الذهنية التي تدرسها العلوم العوفانية أدوار البنيات السردية داخل شبكة العلاقات القائمة بين الظواهر الذهنية التي تدرسها العلوم العرفانية مثل: الإدراك، واللغة، والذاكرة، وبناء المعرفة، والفهم...إلخ، وتعد النظرية السردية العرفانية السرد نمطا من أنماط الفهم؛ إذ يسمح السرد، باعتبار أسسه العرفانية، بفهم ترابط البنيات النصية وكيفية حدوث عمليات وأنشطة الذهن البشري المتعلقة بمعالجة المعلومات في فهم ذلك الترابط في بنية النص السردي. ومما يدلّ، أيضا، على عرفانية السرد النشاط الذهني وعمليات التفكير التي تقوم على آليات سردية أدبية مثل قيامها على الاستعارة، والقصة، والمثل. ومن المعلوم جدّا ما تحتاجه القصة من سبك وحبك ومراحل أخرى تتضح فيها جيّدا العمليات الذهنية والتخيّل في إنتاجها وقراءتها، وقراءة القصة أو النص السردي عموما تعني قدرة القارئ على قراءة أذهان المؤلفين وتأويل مقاصدهم، وكل هذه العمليات القرائية والإنتاجية تدرسها النظرية السردية العرفانية بتحليل عمليات القراءة، والاستحضار الواعي للمعاني، وربط الأحداث، وفهم حبكة النص السردي...إلخ على مستوى ذهني وعصبي.

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 201.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 209 – 210.

 $^{^{2}}$ ينظر : المرجع نفسه، ص 2 214 – 216 – 217.

ويفصل محمد غاليم مجموعة من نماذج التقاطعات بين العلوم العرفانية ومن ضمنها اللسانيات العرفانية، والنظرية السردية التي أفادت كثيرا من العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية، كما عمّقت فهم بعض هذه القضايا العرفانية ومن هذه النماذج: نظرية الذهن أو قراءة الذهن (Mind-reading) التي استثمرها من بعض مؤلفات ليزا زانشاين (Lisa Zunchine). والتي ترى أنّ قراءة الأفكار وفق نظرية قراءة الذهن لا علاقة لها بمفهوم التّخاطر القديم، إنما هو مصطلح يستعمله علماء علم النفس العرفاني بديلا عن مصطلح **نظرية الذهن** لوصف سلوك الأشخاص من حيث أفكارهم، ومشاعرهم، ومعتقداتهم ورغباتهم. وهكذا ينخرط البشر في قراءة الأفكار عندما يعزون إلى شخص معيّن حالة ذهنية معيّنة بناء على فعله الملاحظ مثلا: نرى شخصا يمد يده إلى كوب من الماء فتفترض أنه عطشان، وعندما يؤوّل البشر كذلك المشاعر على أساس الوعي بالاستقبال الحسي العميق، والقراءة الذهنية هنا تبدو أنها قدرتنا $^{-1}$ على تفسير سلوك الناس من حيث حالاتهم الذهنية الكامنة التي تعدّ جزء متأصّلا من تكويننا البشري. والتي تشير أيضا في علم النفس العرفاني إلى قدرتنا على تفسير سلوك الناس من خلال أفكارهم وأحاسيسهم ومعتقداتهم ورغباتهم؛ ما يعنى قدرتنا على قراءة حالاتهم الذهنية بما فيها التفاعل مع النصوص الأدبية؛ لذلك فالأدب والنصوص السردية تستفيد من عمليات نظرية الذهن في تفسير السلوك البشري، وفي تفسير سلوك الشخصيات الروائية وتمثّل وتأويل، وضعياتها، وأدوارها، وحالاتها. ونموذج حل المشاكل (problem solving) الذي له علاقة وثيقة بقضية الحبكة في السّرد، حيث يعمل ذهن القارئ أو المشارك في حلّ مشكل الحبكة لانتقاء الأعمال المناسبة ومنع الصدام بين عوالم النص الواقعية. 2 ومن الواضح أن حلّ الحبكة والأحداث المعقّدة في النص الأدبي السردي يتطلّب فهما، وتتظيما وترابطات جوهرية للقصص وعوالمها وشخصياتها.

وفي عموم ما طرحه محمد غاليم عن قضية المزج بين الأدب والعلوم العرفانية واللسانيات العرفانية ويظهر أن الأدب أفاد كثيرا من العلوم العرفانية لا من اللسانيات العرفانية فحسب، بل اشتغلت النظرية الأدبية، والنظرية النقدية الأدبية على تطعيم نفسها وتطويرها باستثمار طروحات العلوم العرفانية. كما تقدّم في قضية الشعرية العرفانية والسرد العرفاني؛ و "بناء على ما افترضه محللو السرد من تصورات ومناهج من العلم العرفاني، يمكن الافتراض أن النظرية السردية والنظرية اللغوية يجب أن تُعْتَبراً معًا موردين ومكوّنين لمشروع علمي أكبر يمثله العلم العرفاني، والنتيجة: مقاربة لسانية سردية مشتركة للقصص التي تؤوّل على أنها استراتيجيات لبناء نماذج ذهنية للعالم." قده الرؤية توضح تصوّر غاليم للنظرية السردية

ينظر: ليزا زانشاين، لماذا نقرأ الأدب الخيالي؟ نظرية العقل والرواية، تر: خالد بن مهدي، دار ابن النديم للنشر والتوزيع دار الروافد الثقافية – ناشرون، الإمارات العربية المتحدّة، ط 1، 2023، ص 24 – 25.

² ينظر: محمد غاليم، الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم، ص 221 - 244.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 223.

واللغوية وعلاقتهما بالعلوم العرفانية وهي علاقة تفاعلية؛ تستفيد فيها اللسانيات والسرد من العلوم العرفانية وتفيدها هي الأخرى بإضافة آليات جديدة من التأويل اللساني السردي للقصص، الذي يقوم على بناء ذهنى للعوالم القصصية.

من جهة أخرى، يرى محمد غاليم أن النظرية السردية أفادت كثيرا من أدوات تحليل الخطاب والنماذج التداولية، وعلم النفس العرفاني، وكذلك اللسانيات العرفانية، ضمن التيار الأدبي الدّاعي إلى إعادة النظر في موقع النظرية الأدبية العرفانية ككل باعتبارها أحد فروع العلوم العرفانية، وبالتالي فدور النماذج اللسانية العرفانية في النظرية السردية، وفي النظرية الأدبية هي إعادة تنظيم دراسة اللغة والسرد بكيفية تمكن من ترابط جديد للمنهجيات، وتركيب مبتكر لمناهج البحث وغاياته، بحيث يكون أساسه إعادة صياغة موضوع اللغة باعتبارها وِجَاهًا (interface) رئيسا بين السرد والعرفان. أ وليست مهمة النماذج العلاقية بين اللسانيات العرفانية والنظرية السردية إبراز دور اللسانيات العرفانية ومهمتها في النظرية الأدبية، ممّا يعني أن تكون المخرجات اللسانية العرفانية وسيلة وأداة لتحليل الخطاب السردي.

2) ب- العلوم العرفانية والتأسيس للنقد الأدبى من منظور عرفانى لدى محى الدين محسب:

حاول محمد غاليم في بحثه المتقدّم وفي بعض بحوثه الأخرى الكشف عن أهمية مخرجات العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية، وعلم النفس العرفاني في دراسة الإدراك الحسي، والانتباه، والذاكرة، واللغة والترابطات الذهنية في تحقيق تفسير وتأويل للأنظمة والعمليات الإدراكية القابعة وراء إنتاج النص الأدبي بكل أجناسه الذي يخضع بدوره لشعرية عرفانية، لاسيما النص السردي الذي تتجلّى فيه العمليات العرفانية بوضوح أكثر، ومكبّا تركيزه على النص الأدبى وصلاته مع العلوم العرفانية.

بينما انصب تركيز محي الدين محسب* على نظرية النقد الأدبي من منظور العلوم العرفانية، وقد اختار استعمال مصطلح النقد الأدبي الإدراكي/ العرفاني دون غيره من المصطلحات لاهتمامه بثلاثية المؤلف/ النص/ القارئ على عكس الشعرية العرفانية التي تهتم أكثر شيء بالقارئ والعمليات الذهنية النفسية التفسيرية التي يقوم بها عند قراءة النص، وجريا على الدراسات الغربية التي أرّخت لهذا التوجه

-

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 224

^{*} محي الدين محسب (1954 – 2020) شغل منصب عميد كلّية دار العلوم في جامعة المنيا، وأستاذ كرسي عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها في جامعة الملك سعود سابقا، ثمّ تفرّغ لمنصب أستاذ متفرغ للعلوم اللغوية والأسلوب في كلية دار العلوم في جامعة المنيا، ثم المدير التنفيذي لبرنامج رفع الكفاءة في اللغة العربية لطلاب جامعة المنيا في مرحلتي الليسانس والبكالوريوس، من أهم أعماله العلمية: اللغة والفكر والعالم عام 1998، ونقل المصطلح اللساني في مطلع القرن العشرين: قاموس النجاري نموذجا صدر منه طبعتين (ط 1 سنة 1997 وط 2 سنة 1001)، وانفتاح النسق اللساني: دراسة في التداخل الاختصاصي سنة 2008. ينظر: محي الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص 217.

العلمي المسمى بالمزاوجة الابستيمولوجية بين العلوم العرفانية والدراسات الأدبية التي أطلقت عليه النقد الأدبي العرفاني (Cognitive Literary criticism).

واتخذ محسب من بحثه "محاولة لتقديم صورة لدخول هذه القضية في طور جديد نهض به ترستخ العلوم الإدراكية في ابستيمولوجيا العلم المعاصر." لمتن هذا الطور في إعادة قراءة قضايا النقد الأدبي باستثمار مخرجات العلوم العرفانية، واللسانيات العرفانية، وعلم النفس العرفاني التي ترى أن المعاني والذّلالات من عمل الذهن البشري الذي يقوم بعمليات متعدّدة على التجرية الحسية من إسقاط، وربط ووصل، ودمج، وتكامل ليقيم الترابطات المنتجة للمعرفة. وهذه العمليات شكّلت مفاهيم اشتغل عليها النقد الأدبي العرفاني وفق نظريات عدّة منها: نظرية الأطر (Frame theory)، ونظرية الاستعارة التصورية (Conceptual metaphor theory)، ونظرية الأفضية الذهنية (Conceptual metaphor theory)، المنج التصوري (Conceptual blending theory)... إلخ، وهي نظريات لسانية عرفانية في الأصل مما يعني أن استثمار هذه النظريات يبيّن شيئا من تأثير العلوم العرفانية فيها وهو الأساس الذي بني الأخرى، بما فيها مجال الأدب والنقد، فضلا عن تأثير العلوم العرفانية فيها وهو الأساس الذي بني محسب سؤال بحثه عليه المتمثّل في: "هل هناك إمكان لقيام نقد أدبي جديد نسميه: النقد الأدبي، والعمليات العرفانية المنتجة للنص الأدبي والستامحة بفهمه لدى القارئ إضافة إلى قضايا النقد الأدبي، والعمليات العرفانية المنتجة للنص الأدبي والستامحة بفهمه لدى القارئ إضافة إلى قضايا أخرى.

انطاق محسب في معالجة قضايا النقد الأدبي الإدراكي من تحديد روافده المتمثلة في: المقاربات الأسلوبية، والسيميائية، والتداولية التي قدّمت استبصارات عميقة في الاستخدام الأدبي للغة، بنى وجماليات، ووظائف في المعنى والمغزى. والرافد الثاني هو معطيات المقاربات العرفانية التي تحاول الكشف عن العمليات العرفانية الكامنة وراء التقصيلات التي تقدّمها مقاربات الرافد الأول، والتي تحاول في غايتها الكشف عن أنظمة المبادئ الإنسانية التي تشكل العمليات العرفانية واللغوية ووظائفها في سياقات الذات والثقافة. وعليه يشكّل تمازج الرافدين أساس النقد الأدبي الإدراكي الذي يجعله من العلوم البينية المستفيدة من اللسانيات العرفانية على وجه الخصوص، ويحوّل غايته إلى العمل على إعادة النظر في أشهر قضايا النظرية الأدبية.

محى الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: وحيدة صاحب حسن، النقد الأدبي المعرفي المعاصر الأصول، المرجعيات، المفهوم مقدمة نظرية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج 18، ع 3، 2018، ص 94.

³ المرجع السّابق، ص 192.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 196.

ومن هذه القضايا عالج محسب قضية تصنيف الخطابات والأجناس الأدبية في إطار العلوم العرفانية والسانيات العرفانية التي تقوم على النتيجة المتحصلة من علم الخلايا العصبية؛ ومؤداها أن المخ البشري مصمم على قدرة بيولوجية راسخة هي آلية إعادة التصنيف المفهومي (mechanism of بيولوجية راسخة هي آلية إعادة التصنيف المفهومي conceptual recategorisation) التي تجعلنا نعيد تقييم الواقع، ومن ثم نعيد تصنيفه مفهوميا. وفي هذا الإطار عُني محسب بدراسة نظرية الأنماط الطرازية (prototopical) التي تذهب إلى أن السمات المميزة لمقولة ما تتطبق على أعضاء هذه المقولة بدرجات مختلفة؛ حيث يعد بعضها أكثر تمثيلا لهذه المقولة، أو يعتقد أنه أجود تمثيلا لها، وهذا التصور استثمر في تصنيف الأجناس الأدبية؛ إذ حَدَّتُ سِمَاتُ المَقُولَةِ الطَّرازَ للحكم على انتماء جنس أدبي إليها بالمحاور التالية: المحتوى، والشكل، والنمط والوظيفة، والوسيط، والمجال، واللغة، بمعنى كلما ارتفع امتلاك الخطاب/ النص لسمات هذه المحاور صعد هذا النص في التراتبية الأجناسية الأدبية لدى أصحاب ثقافة معينة، وعلى سبيل المثال الإدراك الثقافي العربي الذي ظل يعد القصيدة العمودية هي النموذج الطراز للشعر ورفض الشعر الحر وقصيدة النشر أ في فترة محددة من الزمن لخروجهما عن السمات المقولية الطرازية للشعر العربي.

ويعالج محسب، أيضا في بحثه، قضية "العقل الأدبي" التي طرحها مارك تيرنر، ومفادها أن "العقل ليس هو العقل لدى فئة الأدباء، وإنما هو العقل لدينا بوصفنا بشرا، فكل عقل هو عقل أدبي بالضرورة" ومن أهم مبادئه القص أو الخيال السردي الذي تتجلى فيه مجموعة من العمليات الذهنية من قبيل التخطيط، والتقييم، والربط، والتخيّل، والشرح، والتنكّر، والإبداع في التوليد اللغوي عموما...إلخ، وهذه العمليات هي نفسها التي يعتمدها تيرنر في تصوّره عن توليد المعاني، فالمعاني عنده "ليست أشياء ذهنية مقيدة في مواضع تصوّرية [في المخ]، وإنما هي عمليات مركّبة من الإسقاط والربط والوصل والدّمج والتكامل بين أفضية (spaces) متعدّدة. والذي يقدح شرارة هذه العمليات في الخلايا العصبية، ويقيم بينها الترابطات، هو الحكي، وبخاصة الحكايات المدمجة في حكايات أخرى." قوهي قضايا يعضدها محسب بمحاولة تحليل نص أدبي يبرز فيه أهمية الجوانب العرفانية في تحليل النصوص الأدبية ونقدها.

2) ج- الأساس العرفاني في تحليل الخطاب الأدبي لدى عمر بن دحمان:

لقي مبحث الاستعارة التصورية (المفهومية) (Conceptual metaphor) في البحث اللساني العربي نصيبا وافرا بالمقارنة مع بقية المباحث اللسانية العرفانية، ويثبت ذلك العدد غير اليسير من عناوين الدراسات التي عنيت بالاستعارة التصورية، ومن أشهرها وأكثرها تداولا في الدراسات اللسانية العرفانية العربية كتاب عبد الله الحراصي دراسات في الاستعارة المفهومية، وكتاب عطية سليمان أحمد

¹ ينظر: محى الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص 198 - 199.

 $^{^{2}}$ المرجع نفسه، ص 2

³ المرجع نفسه، ص 201 – 205.

الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي – البنية التصوّرية – النظرية العرفانية) وبحثي إبراهيم بن منصور التركي دراسات في البلاغة الإدراكية، والبعد الفكري والثقافي للاستعارة في البلاغة العرفانية؛ اللذين اشتغل فيهما على كشف العلاقة بين الاستعارة التصورية والثقافة والعرفان ومقالة محي الدين محسب ضمن مؤلفه الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية الموسومة بمنهجية دراسة الاستعارة من الأساس اللغوي إلى التأسيس الإدراكي، إضافة إلى بحوث عربية أخرى كثيرة يضيق المقام عن ذكرها جميعا.

وقد اجتبينا من مجموع تلك الدراسات بحوث عمر بن دحمان خاصة مؤلفه نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي مثل: التصورية والخطاب الأدبي مع ما أنتجه من بحوث عديدة في الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي مثل: تقنيات استخدام الاستعارة الأدبية الجديدة من منظور معرفي معاصر، والبلاغة المعرفية عند مارك تورنر: الذهن الأدبي والمزج التصوري، وغير هذه البحوث التي تشتغل على قضايا كشف العلاقة بين الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي والعلوم العرفانية، وهو أحد أسباب اختيارها، بالإضافة إلى كون جهود عمر بن دحمان من أشهر الكتابات اللسانية العرفانية العربية التي لا يكاد يخلو بحث عربي من التبيه على أهميتها، وأهمية الاستناد والرجوع إليها.

ينحصر الإطار العام لمؤلف نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي في دراسة تمظهر الاستعارة التصورية المستعارة التصورية المستعارة التصورية والمحرات ومفاهيم جديدة تتأسس على كون الاستعارة ظاهرة ذهنية وآلية مركزية من آليات التفكير البشري ككل، مع ما يتميز به الخطاب الأدبي من الخصوصية التي ما فتثت تُعْزَى إلى اللغة المجازية التي يُعْثَرُ عليها فيه بشكل لافت، بوصفه خطابا ارتبط تقليديا برؤية تميزه عن غيره من الخطابات اللغوية تسيمه بالصور والمجازات والانزياحات بشكل واضح مقارنة بخطابات أخرى غير أدبية؛ مما يجعل فكرة البحث هنا عند بن دحمان مركزة على عرض التصورات الجديدة التي طرحتها العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية، ودحض التصورات الكلاسيكية حول الاستعارة القائلة إنّ الاستعارة هي ظاهرة لغوية في المقام العرفانية، ودحض التصورات الكلاسيكية حول الاستعارة القائلة إنّ الاستعارة هي ظاهرة لغوية في المقام المستوى بصفة أولية وهو تصور دافع إلى إعادة النظر في الاستعارة من جهة كونها عملية ذهنية مركزية متعلّقة بالإنتاج اللغوي مركزية في الخطاب اللغوي عامة أولا، ومن جهة كونها عملية ذهنية مركزية متعلّقة بالإنتاج اللغوي المتجاوز للأسس الجمالية التي تميّزه ثانيا.

تأسيسا على التصوّر القائل إنّ الاستعارة عملية ذهنية مركزية في توليد الخطاب اللغوي بكل أنواعه بما فيه الخطاب الأدبي، وخصائصه الجمالية يثير مُؤلَّفُ بن دحمان قضية العلاقة بين البلاغة والعلوم العرفانية، وقضية علاقة الاستعارة التصورية بالأدب وإبداعه وتطبيقاتها على الخطاب الأدبي.

 $^{^{1}}$ ينظر: عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، ص 2 – 11 .

2) ج- 1- العلاقة بين البلاغة والعلوم العرفانية:

تدخل البلاغة ضمن العملية التواصلية اللغوية، وتتشأ عن حاجات اجتماعية للفرد أو المجتمع أو ثقافة ما، وهدفها "الكشف عن الحقيقة من وجهة نظر ما في الأمور النسبية والمحتملة أمام طرف آخر لم يكتشفها بعد أو إنه في طريق اكتشافها ويحتاج إلى دفعة إضافية من التأثير العاطفي والعقلي، فتأتي البلاغة للتعجيل بسلوك طريق دون طريق، وتبني رأي دون رأي ومن ثم القيام بأفعال دون أفعال، أو الاكتفاء بمجرد موافقة المتكلم ومشاركته في أطروحاته بخصوص مسألة ما مختلَف حولها." والتأثير الذي يحدثه المتكلم/ المرسل على السامع بواسطة الاستعارات، والكنايات، والمجازات، والصور البلاغية التي صارت تدرس كسلوكات وعمليات ذهنية مركزية في اشتغال الذهن والتفكير، كما تدرس تأثيرها الذي تحدثه على تفكير السامع وفهمه.

وهذه الرؤية العرفانية للصور البلاغية في إطار العلوم العرفانية أسفرت عن الفرع الجديد المسمى البلاغة العرفانية (Cognitive Rhetorics) التي تتوسط البلاغة بالمفهوم التقليدي الجمالي الأدبي والعلوم العرفانية باستثمار صورها البلاغية بعض نظريات اللسانيات العرفانية وقضاياها، باعتبارها إحدى روافد العلوم العرفانية الأساسية، خاصة نظرية الاستعارة التصورية ونظرية المزج التصوري في تحليل النصوص الأدبية التي أصبحت صورا من صور البلاغة العرفانية المتضمنة في الخطاب الأدبي "ويعد اللساني المعرفي مارك تورنر من الدارسين المؤسسين للبلاغة العرفانية، وتمثلت إسهاماته في تطبيق نتائج البحوث اللسانية العرفانية (وبخاصة النظريات العرفانية حول الاستعارة والكناية والمزج التصوري) على بلاغة الإنتاجات الأدبية المختلفة" مع الملاحظة أن تطبيق نظرية الاستعارة التصورية في تحليل الخطاب الأدبي اتخذ حيّزا كبيرا مقارنة بنظرية المزج التصوري، والكناية التصورية (Conceptual).

ويتمثّل أساس مقاربة تيرنر البلاغية العرفانية للنصوص الأدبية في إرجاع تَمَوْضُعِ الأدب واللغة إلى مركز البحث في الذهن، فإذا ما رغبنا في معرفة كيف يدرك الناس العالم ويُنَمْذِجُونَهُ، فلننظر في قوالبهم اللغوية والإبداعية، فالأدب والمعرفة منفتحان على بعض؛ إذ الأدب يقودنا إلى طرح أسئلة حول الفهم البشري، ودراسة الذهن البشري تعود به إلى القرائن الفنية الأقدم والأكثر ترسخا ألى بمعنى أن التحليل العرفاني للنص الأدبي يتطلب تفسير الكيفية التي صمّم بها الأديب عالم نصه الأدبي ذهنيا، ولفهم ذلك لابد من النظر في إنتاجه الأدبى الإبداعي الذي تتدخل البلاغة العرفانية بصورها في تفسيره وتحليل

مر بن دحمان، البلاغة المعرفية عند مارك تورنر: الذهن الأدبي والمزج التصوّري، مجلة الخطاب، الجزائر، مج 16 ع 2021، 2021، 2021

 $^{^{2}}$ عمر بن دحمان، بعض من مشاريع البلاغة المعرفية "مارك تورنر" نموذجا، مجلة الخطاب، الجزائر، ع 2 1، ص 2 1. 3 ينظر: المرجع نفسه، ص 2 1 – 2 1.

تصميمه، وكثيرا ما نجد هذه النّمذجات الإبداعية خاصة في الروايات، والقصص التي تبنى على عوالم خيالية وإن كانت بعض أحداثها واقعية تصبّ في قوالب إبداعية.

ومجمل القول إن العلاقة بين البلاغة والعلوم العرفانية علاقة تكاملية؛ بناء على أن البلاغة سلوك بشري يقع ضمن المجال التواصلي اللساني، مما جعلها محطّ إعادة التحليل العرفاني المشتغل بتحليل السلوك البشري بما فيه السلوك اللساني، وفي ضوء إعادة النظر في البلاغة استثمرت نظريات لسانية عرفانية في تحليل الخطاب الأدبي؛ للارتباط البلاغ بالجانب الإبداعي الخلّق من الإنتاج اللساني، بعبارة أخرى استفادت البلاغة من حقل العلوم العرفانية وأفادت مجال النقد الأدبي.

2) ج- 2- علاقة الاستعارة التصورية بالأدب وإبداعيتها في الخطاب الأدبي:

يؤكّد جورج لايكوف ومارك جونسون وأتباعهما من المشتغلين بنظرية الاستعارة التصوّرية أنها عملية ذهنية مركزية في التوليد اللغوي، و"وسيلة عادية جدا نستخدمها بطريقة لا واعية وبتلقائية وبقليل من الجهد لا نكاد نشعر به، إنها كلية الوجود: فالاستعارة تنتشر في الفكر، وليست شأنا يخص ما نفكر حوله، وهي في متناول كل واحد منا: إذ أننا منذ الطفولة نكتسب الاستعارة اليومية ببراعة وتلقائية." وبهذا الوصف فهي جزء من الفكر البشري عامة ولا يمكن أن ينفرد بها صنف الأدباء من البشر دون غيرهم عن سائر الناس، وهي عملية ذهنية في فهم العالم، وفهم اللغة، والتصورات ولا تخص الشيء الذي نفكّر فيه بعينه، مثلما يُتَصَوّرُ في التفكير الكلاسيكي حول الاستعارة أنها تزيد جمالا الموضوع الذي نتحدث عنه كوصف الشعراء لمشهد ما، على سبيل المثال.

وتتأسس علاقة الاستعارة التصورية بالأدب على الدّور الذي تؤديه في النصوص الأدبية وخاصة الشعرية منها، متمثّلا (الدّور) في التأثير على إبداع المعنى وتأويله، فهي تجعل الأدب مثيرا للاهتمام وجاذبا للقراء، كما أن الاستعارة التصورية تكشف عن أفكار الكاتب وتبني خلفية مشتركة لجميع الناس في مواقفهم المختلفة باختلاف الزمان والمكان، إضافة إلى قدرتها على توضيح الأفكار والصور على عكس مجرّد التّلفظ بها صريحة وتماما كما تستخدم الاستعارات في التواصل اليومي العادي، تستخدم أيضا من قبل الأدباء والكتّاب، وعلى الرغم من دورها الذي تؤديه فإن رواد الاستعارة التصورية في يرون أنها لا تختلف في استعمالها الأدبي عن استعمالها اليومي؛ لأن "التفكير الأدبي يستعمل آليات التفكير اليومي نفسها لكنه يوسعها، ويدققها، ويألفها بطرائق تفوق المألوف" عديث لا تُوجِبُ الاستعارة الأدبية قوة فكرية وإبداعية استثائية وإنما هي ناتجة عن التصرف في الاستعارة التصورية اليومية بالتوسيع وإضافة عناصر

^{. 244} مر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، ص 1

² George Lakoff, Mark Turner, more than cool reason a field guide to Poetic Metaphor, the university of Chicago press, Chicago, 1989, p 67.

جديدة أو بالتوليف بينها، أو بتدقيقها ومعالجتها، وتصرّف الأدباء في الاستعارة التصورية هو ما لا يجعلها في متناول الجميع وليس التوليد الذهني لها.

وإذا خضع توليد الاستعارة الأدبية لتصورات وآليات الاستعارة التصورية المفترضة: التوسيع والتأليف، والمعالجة، والتشخيص... إلخ، فهذا يعني ضبط الإبداع الأدبي وحصره في هذه الآليات المولدة للاستعارة فقط؛ "فهل من الممكن حصر الإبداع الأدبي في جملة آليات وتقنيات معدودة ومحدودة تقيّد المبدع وتحصره بالتالي في حدود ضيقة، أم إن الأمر يتجاوز هذه القيود؟" ومدار هذا السؤال إثارة قضية أثر الاستعارة التصورية على إبداعية الاستعارة الأدبية التي ناقشها عمر بن دحمان ونقدها في بحثه من خلال منظورين مختلفين: الأول يقول بتمايز الاستعارة في الأدب عن الاستعارة خارجه (الاستعارة التصورية)، والآخر يقول بوجود ارتباط بين الاستعارة الأدبية والاستعارة التصورية.

يَدْعَمُ المنظور الأول تصوّر تمايز الاستعارة في الأدب عن الاستعارة التصورية بأمثلة كثيفة الإبداعية، وجديدة، ومعقّدة تقع ضمن اختيارات الكتّاب اللغوية المفردة وفي سياقات مفردة تقود إلى تأثيرات خاصة؛ لذلك يؤكد على تقرّد كل استخدام خاص للاستعارة في الأدب، وبناء على خصوصية كل استعارة أدبية جديدة وتمّيرُها عن الاستعارة التصورية فإن هذه الرؤية تصنّف الاستعارة الأدبية في مقام أولي تتوسّع وتشتق منها الاستعارات غير الأدبية وبالتالي لا تستحق هذه الأخيرة دراسات كثيرة، وعلى عكس ذلك، يدعم المنظور الثاني تصوّر وجود ارتباط بين الاستعارة الأدبية والاستعارات التصورية الذي تزعّمه جورج لايكوف وأتباعه من المشتغلين على النظرية العرفانية، كون الاستعارات في الأدب متولّدة ومشتقة من الاستعارات التصورية غير الأدبية، وبالتّالي تكون الاستعارات التصورية في المقام الأول وتكون الاستعارات التصورية أول المنقم الأرجح، إعطاء تعليل تأويلي للنص الأدبي يمكن أن يساعد على تفسير سبب قبول معظم القراء، على الأرجح، إعطاء تعليل تأويلي للنص الأدبي برغم غرابة وجدة العبارات الاستعارية المخصوصة² بمعنى أن الإبداع الاستعاري الأدبي مؤسس على الاستعارات التصورية مع إضافة تصرّفات عليها يحدثها الكاتب والأديب تصبغ الاستعارات التصورية مع إضافة تصرّفات عليها يحدثها الكاتب والأديب تصبغ الاستعارات التصورية منا يسمح للقارئ أو منقي الاستعارة الأدبية بتأويلها رغم غرابتها؛ لأنه يملك أساسها (الاستعارة التصورية التي نتجت عنها)

من جهة أخرى فإن رؤية ارتباط الاستعارة الأدبية بالاستعارة التصورية يكتنفه شكّ في تحقيق مقاربة عرفانية شاملة للاستعارة الأدبية، كما تصبو إليها نظرية الاستعارة التصورية؛ لأنّ إرجاع الأساس الأولي للاستعارة الأدبية إلى الاستعارة التصورية تأسيس محدود بمحدودية الاستعارات التصورية التي "لا يهتم

¹ المرجع السابق، ص 272.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 273 – 274.

روادها (لايكوف وتيرنر) في المقام الأول بالأمثلة والنصوص الفردية. أو بالكتاب أنفسهم، ولكن اهتمامهم ينصب على التساؤل عن الشواهد الفردية للاستعارة في الأدب التي تتقاسمها مع الكثير من العبارات الاستعارية الأخرى (سواء الأدبية أو اليومية) تلك التي يمكن إرجاعها إلى الاستعارات التصورية نفسها "أ مما يدحض فرضية اشتقاق الاستعارة الأدبية من الاستعارة التصورية الوضعية، فهذا الاشتقاق لا ينطبق على جميع الاستعارات الأدبية.

والاستقراء الذي أطلق عليه لايكوف وتيرنر هذا الحكم استقراء ناقص، يصدق على بعض الاستعارات الأدبية الفردية المجتثة من مقاطع من النصوص الأدبية ذات الاستعارات التصورية الوضعية المشتركة غالبا في الاستعمال اليومي، وليس الاهتمام بالاستعارات الجديدة المُبْدَعَة التي لا تشارك فيها ولا يمكن تمثيلها دائما وبسهولة من خلال قوالب استعارية تصورية وضعية، نظرا لتجاوزها حدود الإبداعية التي حددها لايكوف وتيرنر في التوسيع، والتوليف، والتدقيق، والتشخيص، ولا يمكنها تفسير وتأويل تنوع وتعقد جميع الاستعارات الأدبية الجديدة المبتدعة لاسيما في الخطاب الأدبي.

ومن الانتقادات الموجهة لارتباط الاستعارة الأدبية بالاستعارة التصورية أيضا مسألة الاستعارة الجديدة غير الوضعية، نظرا لعلاقتها بالاستعارة الأدبية الإبداعية؛ حيث لا ينفي بن دحمان وجود علاقة بين الاستعارتين كليًا فهناك "بعض البراهين على أنه بإمكان الناس أن يبنوا ترابطات تصورية بصفة عفوية لفهم العبارات الاستعارية الجديدة" لكنّ هذا ليس آلية تقوم بها جميع تأويلات الاستعارات الأدبية فبعض منها يكون جديدا وغير معروف وغير تواضعي "وعندما يكون تعبير ما جديدا تماما، فإنه يتطلب أنواعا مختلفة من العمل الاستتناجي عمّا إذا كان مألوفا، وعليه، وجهة نظر الاستعارة التصورية تخفق بوصفها تعليلا لاستيعاب اللغة المجازية في جزء منها لأنها لم تدرك أهمية معالجة الاختلافات بين العبارات الوضعية والجديدة." لذلك لا يمكن للاستعارة التصورية وحدها دون العمليات الاستتناجية الذهنية الأخرى أن تفسّر الاستعارة الأدبية الإبداعية، والمجازية التي يقرّ لايكوف بوجودها ولو بصورة نادرة.

2) د- رؤى نقدية في قضية المزج الأدبي بين اللسانيات العرفانية والعلوم العرفانية والدراسات النقدية والأدبية:

يعزو اللسانيون العرب من المشتغلين على مبحث النظرية الأدبية في السياق العرفاني الحاجة إلى تحليل واستثمار العلاقات بين الأدب، واللسانيات العرفانية، والعلوم العرفانية إلى الاتساع المتواصل لحقل العلوم العرفانية، وما دامت الأنثروبولوجيا العرفانية من العلوم المنضوية تحت مظلة العلوم العرفانية التي

¹ المرجع السابق، ص 274.

² المرجع نفسه، ص 277.

³ المرجع نفسه، ص 280.

تهتم في جزء كبير منها بالسياقات الاجتماعية والثقافية للإنسان. 1 وتتعكس بشكل ملحوظ وواضح في الإنتاج الأدبي، فإنه من الضروري إعادة النّظر في النظرية الأدبية باعتبارها مبحثا عرفانيا معتمدا في جزء كبير منه على اللسانيات العرفانية وقضاياها، لذلك نتساءل هل قضية العلاقة بين الأدب واللسانيات العرفانية والعلوم العرفانية دراسة تضيف إلى اللسانيات العرفانية أم تستثمر مخرجاتها لدراسة الأدب؟ وهل الأدب باعتباره قضية عرفانية يمكن إدراجه ضمن قضايا اللسانيات العرفانية أم نعتبره مبحثا ومرحلة قائمة برأسها وصلت إليها الدراسات الأدبية نتيجة احتكاكها بتطورات العلوم العرفانية وما أتاحته النزعة البينية؟

إن الأسس التي عُدّ، استنادا إليها، الأدب مبحثا عرفانيا تقوم على ترسانة من المفاهيم والتصورات لأن ما ينجزه المبدع أو الناقد يعود إلى خلفيات فكرية وتجارب وخبرات فردية وجماعية، ومؤثرات نفسية وثقافة متنوعة موسوعية تُكوّن جسوراً للتّلاقي بين المفاهيم وبين التخصصات المختلفة. وكل ذلك منبعه الذهن البشري عندما يحكي ويسرد أو يصف أو يبرهن ويحاجج أو يتذكر أو يخفي ويستبطن، وهنا يبدو الطابع البيني الذي يجعل الأدب مبحثا عرفانيا. أو إذ ما يقوم به المبدع أو الناقد ينتج عن جانب نفسي ذهني، وعن عمليات عصبية ومعرفة لسانية، وجانب ثقافي اجتماعي (يصنف ضمن الأنثروبولوجيا العرفانية)، حيث هذه الجوانب والمستويات تعدّ من صميم العلوم العرفانية.

وقد بيّنت نماذج الدراسة انتماء الأدب إلى دائرة العلوم العرفانية واستثمار النظرية الأدبية للمقاربات العرفانية لاسيما نظريات اللسانيات العرفانية، خاصة نظريات المزج التصوري، والاستعارة التصورية، والأفضية الذهنية، والجسدنة التي قامت عليها الشعرية العرفانية، والسرّد العرفاني، حيث ركّز محمد غاليم، ومحي الدين محسب وعمر بن دحمان على بيان علاقة الأدب باللسانيات العرفانية بصورة خاصة انطلاقا من اللغة مركز التقاطع والتواشج بينهما، لكنّ الظاهر أن علاقة الأدب باللسانيات العرفانية تتجاوز اللغة إلى عمليات إنتاجها التي يتطلب تحليلها استثمار مخرجات العلوم العرفانية ككل، وعليه فإن النظرية الأدبية تصنف ضمن دراسة العلوم العرفانية وليست اللسانيات العرفانية فحسب.

أمّا المحاولات التنظيرية التقريبية التي وردت في النماذج المدروسة أعلاه والمهتمة بعلاقة اللسانيات العرفانية العرفانية بالنظرية الأدبية والنقدية في الإطار العرفاني، فغايتها إبراز أثر اللسانيات العرفانية وإمكانية تفاعلها مع فروع معرفية أخرى مهتمة بالمعرفة البشرية، إلى جانب كونها من أهم روافد العلوم العرفانية وبالتالي فمعرفة العلاقة بين اللسانيات العرفانية والأدب ضرورة ما دام الأدب مبحثا عرفانيا، وما يجعل دراسة هذه العلاقات والوشائج ضرورة بين العلوم هو النزعة البينية الخاصية الأساسية للعلوم العرفانية

 2 ينظر: بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية: اللسانيات والأدب مبحثان معرفيان، مجلة اللسانيات، مج 2 ع 2 2018، ص 2 .

محمد غاليم، الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم، ص 1

إضافة إلى السير الحثيث للعلوم الإنسانية نحو توحيد منهج البحث فيها مع العلوم الطبيعية، وسيأتي الكلام عن هذا التصوّر الأخير في محلّه.

من جانب آخر يطرح التناول اللساني العربي للنظرية الأدبية العرفانية، ومزج البحث فيها مع اللسانيات العرفانية مسألة تنظيمية مفادها: هل النظرية الأدبية العرفانية قضية أم قضية لسانية عرفانية؟ وقبل مناقشة هذا السؤال ننوّه إلى أن غايته ليست دعوة للفصل بين العلوم، بل غايته التنبيه إلى ضرورة فرز وتصنيف المعارف اللسانية الوافدة إلى الدرس اللساني العربي، مادام لم يبلغ بعد ما بلغه نظيره الغربي خاصة اللسانيات العرفانية ونظرياتها من إحاطة بمرجعيات فلسفية وأبعاد ابستيمولوجية وفهم لآليات ومواضع ترابط العلوم فضلا عن تطبيقاتها المخبرية الصارمة لنتائجها.

ولذلك رأينا من النماذج العربية المعروضة للتحليل وغيرها مما لا يتسع المقام لذكرها كافة أن منها ما استثمر مقولات اللسانيات العرفانية في وضع مقاربة جديدة عرفانية للأدب، مثلما رأينا في مقاربة بن دحمان الاستعارة الأدبية بتصورات نظرية الاستعارة التصورية في الخطاب الأدبي المتميز بالإبداع ويمكن أن نطلق على مقاربته بنتائجها مقاربة عرفانية تطبيقية؛ إذ أثبتت إفادة الأدب من اللسانيات العرفانية باستقراء مجموعة من الأمثلة الشعرية المشتملة الاستعارة الأدبية. ومنها ما عُنيَ ببيان أثر اللسانيات العرفانية والعلوم العرفانية على الأدب عبر قضيتي الشعرية العرفانية، والسرد العرفاني (في تصورات العرفانية محمد غاليم ومحي الدين محسب) مما ينم عن محاولة لسانية عربية لكشف تطورات العلوم العرفانية التي مست الأدب، وكشف الجهود اللسانية الغربية في التأسيس لنظرية أدبية عرفانية تُضَمَّم إلى دائرة العلوم العرفانية، ويمكن القول هنا إنها دراسات لسانية تنظيرية لكنها تصب أكثر في حقل الأدب والنقد وتطوراتهما في ضوء العلوم العرفانية.

ولذلك بات من الأنسب مراعاة قضية المزج المعرفي بين اللسانيات العرفانية والنظرية الأدبية بإعادة تصنيف وترتيب هذه المعارف العلمية تصنيفا منهجيا، يسمح للمتلقي العربي للسانيات العرفانية خاصة وكل العلوم العرفانية عامة بضبط خلفيتها المعرفية وموقعها من العلوم العرفانية والعلوم الأساسية الصارمة التي تتقاطع معها مثل علم الأعصاب، والبيولوجيا، والحاسوبيات، ثم يأتي دور فهم موقع اللسانيات العرفانية، وطبيعة ارتباطها بالعلوم الإنسانية وخاصة الأدب؛ لأن أهم ميزة للخطاب الأدبي هي الزئبقية والإبداع، فمن الصعوبة بمكان إخضاع الإبداع لمنهج علمي صارم مثل إخضاع العلوم الطبيعية.

ولا ندعو في هذا المقام إلى تجاهل التعالق بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية التي تحاول العلوم العرفانية توحيد منهج البحث فيها لبلوغ تفسير دقيق للمعرفة البشرية، بل ما نشير إليه هو حاجة المتلقي العربي للسانيات العرفانية إلى فهم أولياتها ونماذجها مفردة قبل ربطها ببقية العلوم، وتجاوز هذه المرحلة يخلق فجوة معرفية، يبدو لي أنها بدأت بالتشكّل نتيجة تجاهل كثير من نماذج اللسانيات العرفانية كالمقولة ونظرية الطرّاز على الرغم من علاقتهما بنظرية الاستعارة التصورية؛ إذ لا يمكن أن ينتج الدرس اللساني

العربي بحوثا لسانية عرفانية عميقة وجادة، وبالتالي تبقى الكتابة اللسانية العربية في دائرة إشكال عدم تكامل بحوثها واستمرار الجهود التجزيئية نتيجة عزوف اللسانيين العرب عن كتابات بعضهم وهذا إشكال نشأ ومازال مستمرا منذ دخول اللسانيات إلى القطر العربي.

قضية التّجزيء في بحث اللسانيات العرفانية عربيا ترجمة وتأليفا:

قبل نقصي أسباب التجزيء الذي اعترى اللسانيات في الدرس اللساني العربي عامة، من الضروري تحديد وضعية اتجاه الترجمة اللسانية العربي في صورته العامة، سواء ما تعلق باللسانيات أو باللسانيات العرفانية على وجه الخصوص، والذي اتضح أنه بالرغم من طول العهد باللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة وتجاوزه نصف القرن إلا أنّ الترجمة اللسانية العربية المتخصصة ما زالت لم تحلُلُ مشكلاتها بعد ولم تتجاوز عوائقها التي ظهرت منذ المحاولات الأولى في نقل اللسانيات إلى البحث العربي، حيث تتوعت اعتبارات هذه العوائق والإشكالات في الترجمة اللسانية بين اعتبارات ترتبط بالسياق السوسيولوجي العام للمعرفة اللسانية في الثقافة العربية، ومن بينها انعدام شرط التفاعل الحضاري الذي يشجع الإقبال على ترجمة الكتب اللسانية لاعتبار البحث اللساني ترفا فكريا² وهو اعتبار مازال سائدا حتى الساعة على اللسانيات بكل فروعها بما فيها اللسانيات العرفانية؛ إذ ما زالت أغلب المؤلفات حتى الساعة على اللسانيات بكل فروعها بما فيها اللسانيات العرفانية؛ إذ ما زالت أغلب المؤلفات والدراسات الأساسية فيها لم تترجم إلى اللغة العربية بعد.

واعتبارات أخرى ترتبط باللسانيات كونها علما، وهي الاعتبارات التي تعدّ من صميم عوائق ترجمة اللسانيات العرفانية وتصنّف في ما يلي:3

غياب التكامل الذي يفرض التداخل بين الاختصاصات لاسيما أن اللسانيات علم منفتح يتعلق بعلم النفس والثقافة، والفلسفة، والرياضيات...إلخ، ولا يقتصر على دراسة اللغة بمعزل عن هذه العلوم، وقد أصبح هذا التداخل جليًا في اللسانيات العرفانية المصطبغة بالنزعة البينية، لكنه لا يُرى كثيرا في ترجماتها العربية عدا عن بعض الترجمات المعدودة والنادرة.

انعدام التنسيق بين الباحثين: الأمر الذي يؤدي إلى بعثرة الجهود وتكرار البحوث أو اقتصارها على ترجمة موضوع واحد دون غيره مثل انحصار الترجمة العربية للسانيات العرفانية في تصوراتها الدّلالية كنظرية البنية التصورية، والاستعارة التصورية، والدلالة العرفانية عامة؛ وهذا راجع لغياب التسيق والاجتهاد لوضع مشروع ترجمي لساني عرفاني عربي.

 $^{^{1}}$ حافيظ اسماعيلي علوي، نحن واللسانيات: مقاربة لبعض إشكالات التلقي في الثقافات العربية، ص 38

 $^{^{2}}$ ينظر: حافيظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 195.

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 196 – 199.

نقص المعاجم اللسانية العربية المتولّد عنه إشكالية المصطلح اللساني واختلاف المترجمين العرب في وضعه والإجماع عليه ومنه تعدّد الترجمات العربية للمصطلح الواحد الذي يخلق بدوره إشكالا لدى القارئ العربي المختص/ أو غير المختص في فهم اللسانيات العرفانية، بل وفهم النظرية اللسانية الواحدة.

غياب مؤسسة علمية عربية تتحكم في زمام الترجمة العربية وتمتلك سلطة القرار، وصلاحية التنفيذ ويعهد إليها الاهتمام بمراجعة ما يكتب وتقويمه قبل نشره، وهذا ما يزيد من تعميق إشكالات الترجمة اللسانية العربية ويزيد من تشتتها.

وإشكالات الترجمة العربية للسانيات تتسرّب إلى ترجمة اللسانيات العرفانية أيضا، كما تعدّ سببا رئيسا من أسباب التناول الجزئي المفتّت لقضايا اللسانيات العرفانية بالترجمة والتأليف؛ وإن لاحظنا بعض الترجمات العربية فيها نجد أنها تقتصر على مؤلفات دون أخرى ونذكر منها على سبيل المثال (وقد ذكرنا بعضها في الفصل الثاني من هذا البحث):

ترجمة عبد القادر قنيني لكتاب جورج لايكوف اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي عام 2008.

ترجمة عبد الرزاق بنور لكتاب راي جاكندوف علم الدلالة والعرفانية عام 2010.

ترجمة الأزهر الزناد لكتاب مارك تيرنر مدخل في نظرية المزج عام 2011.

ترجمة عفاف موقو لمقدمة كتاب جورج لايكوف نساء ونار وأشياء خطيرة ما تكشفه المقولات حول الذهن عام 2012.

ترجمة طارق النعمان لكتاب جورج لايكوف النظرية المعاصرة للاستعارة عام 2014.

ترجمة الأزهر الزناد لكتاب رونالد لانغاكير مدخل في النحو العرفاني عام 2018.

ترجمة حمزة بن قبلان المزيني لكتاب جاكندوف أيضا دليل ميسر إلى الفكر والمعنى عام 2019.

إضافة إلى ترجمات عربية أخرى معدودة ومستقلة عن بعضها، رأينا أن أهمها ترجمات عبد المجيد جحفة التي شملت ثلاث مؤلفات لجورج لايكوف ومارك جونسون، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل بالمشاركة مع عبد الإله سليم (2005)، والاستعارات التي نحيا بها (2009)، الفلسفة في الجسد (2016) وهي الترجمة العربية الوحيدة، فيما نرى، التي اشتغلت على ترجمة التصورات اللسانية العرفانية وفق ما يراه لايكوف وجونسون ممّا جعلها بداية لمحاولة ترجمة مشروع لايكوف وجونسون اللساني العرفاني ككل؛ لكنها تبقى ترجمة تجزيئية لاهتمامها بما طرحه العالمان دون غيرهما من اللسانيين فقط.

والملاحظ أن هذه الترجمات وغيرها تعرض أجزاء وقضايا منتقاة ومحدّدة من اللسانيات العرفانية في أصولها الغربية تتمحور على الدلالة العرفانية خاصة، وتلقّي القارئ العربي لهذه الترجمات الجزئية لا يمكّنه بالطّبع من الإحاطة بكل التصورات التي تطرحها، مع العلم أن أغلب القراء العرب من المختصين أو غير المختصين ليسوا متضلعين في اللغات الأجنبية، وبالتالي فإن إدخال جزء محدد من اللسانيات

العرفانية إلى الثقافة اللسانية العربية يجعل محاولات التأليف فيها لا تنتج إلا ما عرفته حول هذه الجزئية أو تلك المأخوذة من الترجمات والتي سيتمحور عليها التحليل والتطوير، إلا بعض الإنتاج اللساني العرفاني لثلة من الباحثين العرب التي تعد على أصابع اليد، وهو ما يطرح إشكال التجزيء وعدم التكامل في التلقي العربي للسانيات العرفانية ترجمة وتأليفا، والأدهى من ذلك أن هذا الإشكال تعاني منه أغلب الفروع اللسانية لا اللسانيات العرفانية وحدها.

وسنعرض هنا لترجمات عبد المجيد جحفة التي خصت بعض أعمال جورج لايكوف ومارك جونسون، رغم أن بحوثا أخرى لجورج لايكوف قد لقيت ترجمة عند غيره مثل: ترجمة عبد القادر قنيني وترجمة طارق النعمان، وعفاف موقو وهذه الترجمات، وإن لم تكن كثيرة وشاملة، إلا أنها تعد إشارة على الوعي اللساني العربي بجدة طروحات جورج لايكوف في التحليل اللساني. وتخصيص قسم كبير من الترجمات العربية لجهود لايكوف مقارنة بغيره من اللسانيين العرفانيين مردّه إلى طرح تصورات لسانية تجريبية وفلسفية لمقاربة المعنى ورفع مكانته في التحليل اللساني وفق ما سمي الدلالة العرفانية، إضافة إلى تصوّراته حول كون بنية النحو والمنطق واحدة ألهي تصوّرات جديدة إلى حدّ ما.

لكن اللاقت للانتباه ما وقعت فيه هذه الترجمات خاصة ترجمات جحفة من إشكال التجزيء، وقد تقدمت منهجية عبد المجيد جحفة في ترجمته التي خصّصها بالتحديد لنظرية الاستعارة التصورية عند جورج لايكوف ومارك جونسون من خلال المؤلفات الثلاث المتقدمة الذكر، ونرى أنه وقع في إشكال التجزيء والانتقاء الترجميين وهذا يظهر من خلال:

تركيزه في ترجماته لمؤلفات لايكوف وجونسون وتصوراتهما على الاستعارة، والكناية، والمجاز دون إشارة منه لمحاولات غربية متقدّمة في فهم الاستعارة ذهنيا رغم أن هذه الصور البلاغية لم تحظ باهتمام الفلاسفة فقط، الذين يسعون إلى استكشاف العلاقة بين اللغة والفكر، وإنما كانت أيضا مناط اهتمام صانعي القواميس واللسانيين الذين باتوا لا يبحثون عن المعنى الحقيقي والأصلي، بل أصبحوا يهتمون بمعالجة كيف تكتسب الكلمة معنى عند مستعمليها ومن بين هؤلاء نذكر بول ريكور Paul بمعالجة كيف تكتسب الكلمة معنى عند مستعمليها ومن بين هؤلاء نذكر بول ريكور العالم الجانب اللماني النفسي، ورأى فيه أن الاستعارة تتم عبر عملية واحدة للذهن في الثالوث مجاز مرسل وكناية استعارة، هذه العملية تتجلى في درجة بسيطة في الكناية (والمجاز المرسل)، وفي الدرجة الثانية في الاستعارة، لهذا تتبغي دراستها بدءا في الكناية، وهذه العملية هي المركب الإدراكي الذي يسمح للذهن بالتكثيف، وبالتالى ليست المحسنات إلاً طرقا مختلفة حيث تكون مؤسسة على المستوى اللسانى آثارً

¹ ينظر: جورج لايكوف، اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، تر: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، المغرب، د ط 2008، ص 8.

 $^{^{2}}$ ينظر: بريجيت نرليش، وديفيد كلارك، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، تر: حافظ إسماعيلي علوي، ص 274

معنى هذه العملية الفريدة 1 وبتعبير اللسانيات العرفانية، الاستعارة في شكلها اللساني منبثقة عن عمليات ذهنية عرفانية.

وجانب علاقة الاستعارة بالفلسفة المشتغل بتوضيح وجود علاقة تضمّن بين الخطاب الشعري ممثّلا في الاستعارة والخطاب التأملي ممثلا في الفلسفة، ومن الممكن أن تتضمن نظرية الاستعارة الخطاب التأملي الفلسفي. وهذان المستويان اللذان درس ريكور الاستعارة عبرهما عام 1975 يصبّان في اللسانيات العرفانية، ونظرية الاستعارة التصورية التي طرحها لايكوف وجونسون عام 1980، وما تصورات بول ريكور في هذا المؤلف إلا عينة من البحوث التي ظهرت من خلالها إرهاصات اللسانيات العرفانية ونظرياتها.

ولذلك فقلة تنبيه المترجمين العرب للدراسات السابقة في ترجماتهم اللسانية العرفانية يُحدث اجتثاثا معرفيا لدى القارئ والمتلقي العربي عامة، ونحن إذ نجعل من التجزيء إشكالا في ترجمات جحفة، لا نقول بضرورة ترجمته لكل ما يؤسس ويتعلق بنظرية الاستعارة التصورية ورؤى لايكوف؛ لأنه من العسير جدّا أن يُتمَّ ترجمة مشروع بكلّ أبعاده بمفرده، بل نريد بذلك التنبيه على أثر اجتثاث المعارف على المتلقي العربي لاسيما المبتدئ في اللسانيات العرفانية.

وفي سياق اجتثاث المعارف نفسه يلاحظ أن من إشكالات البحوث الثلاث المترجمة لدى عبد المجيد جحفة تباعد الفترات الزمنية بين إنتاج هذه البحوث في لغتها الأصل، وصدور بحوث أخرى بينها فالاستعارات التي نحيا بها صدر عام 1980، وحرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل في أعوام مختلفة لكونها مقالات مجموعة أولها صدر عام 1991، أما كتاب الفلسفة في الجسد صدر عام 1999، وبين هذه الفترات صدرت بحوث أخرى لكل من لايكوف وجونسون يمكن أن نشير هنا إلى أبرزها بالنسبة للمتلقين العرب:

- George Lakoff, Women, Fire, and Dangerous Things What Categories Reveal about the Mind, The University of Chicago Press, 1st ed, 1987.
- George Lakoff, Mark Turner, More than cool reason, The University of Chicago Press, 1989.

والمطلع على بعضها، ولو اطلاعا يسيرا، يرى تكامل التصوّرات في المؤلفات وإضافة أفكار جديدة للتصورات النظرية الأولية، مثل التأسيس والشمول اللساني العرفاني الذي تحدّث عنه لايكوف في نساء ونار، وأشياء خطيرة، بدءا بالنماذج اللسانية العرفانية ممثلة في نظرية الطراز لإليانور روش، والمقولة والأفضية الذهنية، والاستعارة والكناية والمجاز، وصولا إلى الأبعاد الفلسفية في الدلالة العرفانية، وذلك في

 $^{^{1}}$ ينظر: بول ريكور، الاستعارة الحية، تر: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2016، ص 325.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2

صورة منهجية تنظيرية وتطبيقية، واجتثاث المعرفة بانتقاء الترجمات يؤدي بالضرورة إلى معرفة وإحاطة جزئية عربية باللسانيات العرفانية في مرحلة تكوين تصوّر عربي عام عن هذا الفرع اللساني، أو في حالة الإنتاج المعرفي فيه.

قضية غياب التنسيق بين ترجمات عبد المجيد جحفة وبقية الترجمات اللسانية العرفانية العربية:

يؤكّد هذه القضية التي أصبحت إشكالا في الترجمة العربية أن جلّها، إن لم نقل كلّها، جهود فردية مستقلّة عن بعضها مفتقرة للتنظيم المنهجي والتكامل المعرفي، وفي الواقع ليس هذا بالإشكال الجديد في الترجمة العربية فقد انتبه إليه مازن الوعر؛ حين رأى أن الترجمات اللسانية الحالية لِتَقَصِّي القضايا المتعلقة بهذا العلم هي ترجمات نابعة من اهتمامات شخصية وليست نابعة من اهتمامات علمية منهجية أكاديمية. أضف إلى ذلك أن هذه الترجمات ليست متكاملة ومنسقة، أي أنها لا تتطلّع حتى إلى القضايا القاعدية الثلاث: التعريف باللسانيات، والموضوع الذي تتناوله، والغاية المرجوة منها أي تطبيقاتها أومازال هذا الإشكال قائما الآن مع ترجمة اللسانيات العرفانية، فمن الصعوبة أن تجد تبريرا علميا لترجمة بحث لساني عرفاني غربي دون آخر.

والعينة المتمثلة في ترجمة عبد المجيد جحفة ما هي إلا دليل على ذلك، وتعكس في مقدمات ترجماته غاية كل كتاب ترجمه، فغايته من ترجمة الاستعارات التي نحيا بها محاولة تأسيس تعامل جديد مع عدد كبير من المشاكل والقضايا الدلالية في اللغة العربية، وعلى رأسها البناءات المجازية التي ظلت دراستها رهينة مقاربات بلاغية مدرسية. وغايته من ترجمة حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل إبراز انشغال المثقف في البلاد الغربية ببحثه العلمي وما يقتضيه من تخصص واعتكاف، وما يتطلبه من وقت غير أنه في الآن نفسه ينشغل بقضايا بلده وبقضايا الإنسانية العامة واليومية، وهذا النوع من تحليل الخطاب الذي ينجزه الأعلام الباحثون أشد ما يحتاجه العالم العربي. ومن جهة أخرى ترجم هذه المقالات لأنها تدرس الاستعارات التي تعكس الأنساق التصورية التي يحملها الفكران الغربي والعربي إزاء بعضهما. أمّا غايته من ترجمة كتاب الفلسفة في الجسد "إعادة النظر في طبيعة الاستعارة من خلال البحث في المعطيات وإبراز نسقيتها، وتأكيد الأبعاد التجريبية البشرية في قيام الاستعارة ومع أنه يبرز الغاية من ترجمة كل كتاب، لكنه لا يحدد في ترجماته الثلاث أي دافع له كمترجم في اختياره لهذه البحوث دون غيرها، وليس تغييب التبريرات العلمية والمنهجية في اختيارات المترجمين مقصورا على جهود عبد المجيد جحفة وحده، بل يتعدّى إلى ترجمات عربية كثيرة مثل ترجمة عبد الرزاق بنور لكتاب جهود عبد المجيد جحفة وحده، بل يتعدّى إلى ترجمات عربية كثيرة مثل ترجمة عبد الرزاق بنور لكتاب

 $^{^{1}}$ ينظر: مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث: مدخل، ص 396

[.] 2 ينظر: جورج 2 لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، مقدمة المترجم، ص 2

 $^{^{3}}$ ينظر: جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، مقدمة المترجم، ص 3

 $^{^{4}}$ جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد، مقدمة المترجم، ص 11 .

راي جاكندوف علم الدلالة والعرفانية، وترجمة حمزة بن قبلان المزيني لكتاب جاكندوف أيضا دليل ميسر إلى الفكر والمعنى وغيرها كثير.

ومن الأدلة على غياب التنسيق بين الترجمات العربية أيضا تجاوزها التعريف العلمي المنهجي باللسانيات العرفانية، والدلالة العرفانية، وموضوعهما إلى مرحلة تطبيقات اللسانيات العرفانية، وقد تحدّثنا في مقام سابق في منهجية جحفة الترجمية أنه يقدّم لترجماته بحوصلات عامة عن العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية والدلالة العرفانية، لكنه لا يتناول معالجة واسعة لها، ولا يحظى هذا التقديم العام من الترجمة سوى بجزء صغير ولا يعرض إلا حسب رؤية عربية مستعجلة، وبالتالي فهو لا يعمق معرفة المنلقي العربي بالتعريف الدقيق المنهجي للسانيات العرفانية، واتجاهاتها، ونظرياتها، وموضوعها فترجمات عبد المجيد جحفة خاصة كتابي الاستعارات التي نحيا بها، وحرب الخليج أو الاستعارات التي تطبيقية إلى حدّ بعيد ومنحصرة على تطبيقات الاستعارة التصورية.

من جهة أخرى، فإنّ جميع الترجمات العربية للسانيات العرفانية لم تخصص أي أشغال ترجمية للبحوث الغربية التي اعتنت بتقديم اللسانيات العرفانية من حيث تعريفها، وموضوعها، ومنهجها وابستيمولوجيتها، وتطبيقاتها كمؤلف فيفيان إيفانز وميلاني غرين مدخل إلى اللسانيات العرفانية والستيمولوجيتها، وتطبيقاتها كمؤلف فيفيان إيفانز وميلاني غرين مدخل إلى اللسانيات العرفانية وآلان (Cognitive Linguistics) وغيرهما، وهما كتابان أصيلان كروز (Alan Cruse) اللسانيات العرفانية وتحديد حقلها المعرفي العام ودراسة جزء ضخم من نظرياتها ونماذجها الدلالية العرفانية والنحوية العرفانية، وترجمة مثل هذه الأعمال مغيّبة تماما في الجهود العربية الترجمية؛ وهو السبب الرئيس في التجزيء الذي طغى على الترجمات والمؤلفات اللسانية العرفانية العرفانية من فكيف لمن يجهل أساسيات العلم أن ينتج فيه؟

بناء على ذلك، فإن السبب الأساسي في التجزيء والانتقاء الترجمي العربي الذي اصطبغت به جهود نقل اللسانيات العرفانية إلى الثقافة اللسانية العربية راجع إلى أن الترجمة اللسانية العربية نابعة من حسّ ذاتي وفردي، غير خاضع لأيّ تتسيق منهجي بين المترجمين العرب نتيجة لغياب مؤسسات رسمية أكاديمية وجامعية...إلخ في توجيه الترجمة العربية في اللسانيات العرفانية، وفي مجال اللسانيات بصورة عامة، ومن الضروري أن لا يترك "أمرها للاجتهادات الفردية، فالترجمة الناجحة تحتاج إلى عمل مؤسسي، وإلى أن تكون هناك خطط مدروسة، وسياسة مطردة ومتسقة بين الأقطار العربية حتى لا يتكرر بذل الجهد في ترجمة العمل الواحد (إلا إذا كان ما هو قائم يعتوره النقص أو التشويه)، وحتى لا تسقط بذل الجهد في ترجمة العمل الواحد (إلا إذا كان ما هو قائم يعتوره النقص أو التشويه)، وحتى لا تسقط

² WILLIAM CROFT, ALAN CRUSE, Cognitive Linguistics, Cambridge University Press cover of the book

¹ Vyvyan Evans, Melanie Green, Cognitive Linguistics an introduction, cover of the book.

من قائمة الثقافات التي نترجم عنها ثقافات مهمة لها عطاؤها وتميزها." 1 وهذا ما تفتقده الترجمة العربية منذ المحاولات الأولى لإدخال اللسانيات حيز البحث العربي.

ومن غير الخفي الأثر الذي تحدثه ترجمة اللسانيات العرفانية في اتجاه التأليف فيها، فمن المعلوم أن الإنتاج والبحث في أي علم أجنبي كان يتطلّب معرفة به، وهذه المعرفة في اللسانيات العرفانية تنبع من رافد الترجمة ضمن روافد أخرى؛ حيث يكون المتلقى العربي أمام خيارين: ا**لأول**: أن ينهل من الأعمال اللسانية المترجمة إلى اللغة العربية، والثاني: أن ينهل من الأعمال اللسانية عن طريق اللغة الأجنبية التي تعلِّمها كالإنجليزية، الفرنسية، الروسية...إلخ.2 مما تسبب في تسرّب إشكال التجزيء والانتقاء المعرفي إلى التأليف، وبمقارنة مقتضبة لبعض المؤلفات العربية في اللسانيات العرفانية والمؤلفات المترجمة يبدو أن نسبة كبيرة جدًّا منها تصبّ في تيار الدلالة العرفانية ونظرية الاستعارة التصورية، والجدول التالى يوضّع هذا:

نماذج الترجمة العربية في اللسانيات العرفانية

- الاستعارات التي نحيا بها، جورج لايكوف، ومارك جونسون، تر: عبد المجيد جحفة (1996).
- حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، جورج لايكوف، تر: عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم (2005).
- علم الدلالة والعرفانية، راى جاكندوف، تر: عبد الرزاق بنور (2010).
- دلالة اللغة وتصميمها، ر. جاكندوف، ن. تشومسكي، ز .فندلر ، تر: محمد غاليم ، محمد الرحالي ، عبد المجيد جحفة (2007).
- مدخل في نظرية المزج، مارك تورنر، تر: الأزهر الزناد .(2011)
- النظرية المعاصرة للاستعارة، جورج لايكوف، تر: طارق النعمان، (2014).
- الفلسفة في الجسد الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، جورج لايكوف، ومارك جونسون، تر: عبد المجيد جحفة .(2016)
- طبيعة اللسانيات العرفانية، ف. إيفانز، م. جرين، تر:

- نماذج التأليف العربي في اللسانيات العرفانية
- نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، عمر بن دحمان (2015).
 - نظريات لسانية عرفنية، الأزهر الزناد (2010).
- نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، عبد العزيز لحويدق .(2015)
- مدخل إلى النحو العرفاني نظرية رونالد لانقاكر، عبد الجبار بن غربية (2010).
- دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالح البوعمراني (2009).
- دراسات في الاستعارة المفهومية، عبد الله الحراصي .(2002)
- دراسات في البلاغة الإدراكية، إبراهيم منصور التركي .(2019)
- بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية، عبد الإله سليم (2001).
- المعنى والتوافق مبادئ لتأصيل البحث الدّلالي، محمد

حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة 1 العربية، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2009، ص 243.

² ينظر: مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص 400.

غاليم (1999).

- التمثيل الدلالي للجملة منوال جاكندوف 1983، منية عبيدي (2013).
- النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية، عبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم (2019).
- الدلالة المعرفية وهندسة المعنى، عبد العالي العامري (2020).

- عبده العزيزي، مجلة فصول (2017).
- هل توجد لسانيات إدراكية؟ كاترين فوكس، تر: لطفي السيد منصور، مجلة فصول (2017).
- ما هو علم الدلالة الإدراكي، ف. إيفانز، م. جرين، تر: أحمد الشيمي، مجلة فصول (2017).
- مكانة علم الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة، ميهايو أنطوفيتش، تر: حليمة بوالريش، مجلة فصول (2017).
- الاستعارة الاصطلاحية من وجهة نظر عرفانية، إيزابيل أوليفيرا، تر: حسن دواس، مجلة فصول (2017).

إضافة إلى ترجمات أخرى اهتمت بالأدب وعلاقته باللسانيات العرفانية والشعرية العرفانية، وكلها كان للستعارة التصوّرية فيها جانب كبير من الدراسة والترجمة.

وهذه النماذج التي اخترنا عرضها بناء على أساس اعتمادها المتكرر في البحوث اللسانية العرفانية العربية الأكاديمية، والعلمية توضّح مجال الإنتاج اللساني العرفاني العربي المنصب في عمومه على الدلالة العرفانية ونظرية الاستعارة التصوّرية، وما يلاحظ أن ترجمة تصورات راي جاكندوف، وجورج لايكوف، ومارك جونسون، طغت على ساحة الترجمة العربية وكذلك على ساحة التأليف والإنتاج. ونستثني بعض البحوث القليلة جدّا التي تجاوزت هذه التصورات إلى مارك تيرنر، وفيفيان إيفانز وميلاني جرين، بينما هناك تغييب شبه تام للترجمة والإنتاج حول تصورات جيل فوكونيي في اللسانيات العرفانية ونظريته الأفضية الذهنية والمزج التصوري، فهي لا ترد إلاّ في البحوث الشاملة للسانيات العرفانية مثل كتاب نظريات لسانية عرفنية للأزهر الزباد، ولم يفرد لنظرية فوكونيي إلا بحثا عربيا واحدا لعبد الودود أبغش نظرية الأفضية الذهنية مبادئها وتطبيقاتها، وليس ذلك غريبا فجميع مؤلفات جيل فوكونيي لم تحظ بأي ترجمة عربية بعد، وهنا يمكننا أن نقول أن قضية التجزيء والانتقاء لم تمس اتجاه ترجمة اللسانيات العرفانية فقط، بل جاوزته إلى مستوى التأليف والإنتاج.

وجملة ما يمكن قوله عن ترجمة اللسانيات العرفانية سواء عند عبد المجيد جحفة وترجمة أعمال لايكوف وجونسون السابقة الذكر، أو في بقية الجهود العربية الترجمية التي هدفت إلى تقريب اللسانيات العرفانية للمتلقي العربي أنها مازالت تعاني من الإشكالات الخارجية والدّاخلية التي وقعت فيها اللسانيات النظرية عند إدخالها الثقافة العربية في حدود أربعينيات القرن المنصرم، وعلى رأس هذه الإشكالات غياب التكامل والتنسيق العلمي المنهجي بين المترجمين العرب، ونقص المعاجم والقواميس العربية المتخصصة في اللسانيات العرفانية، مع غياب شرط التفاعل الحضاري، وتحفظ البحث اللغوي العربي في معالجة القضايا اللسانية المعاصرة لاعتبارها علما كماليا يمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بالتراث اللغوي العربي.

ثانيا: إشكالات المنهجية في تلقى اللسانيات العرفانية في بعض النماذج اللسانية العربية:

شكّلت المنهجية العلمية منذ بدايات الدرس اللساني العربي عائقا وإشكالا في تلقّي لسانيات دو سوسير وما تلاها من اتجاهات لسانية مختلفة توليدية، وظيفية، نصيّة وغيرها، وقد أدركت مجموعة من اللسانيين العرب هذه الإشكالات المنهجية في التلقي العربي اللساني واشتغلت على حصرها ومناقشتها للتوصيّل إلى حلول علمية موضوعية لها، وأبرز هؤلاء مازن الوعر، وعبد القادر الفاسي الفهري، مصطفى غلفان، حافيظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ ...إلخ. ونوجز المظاهر العامة لهذه الإشكالات اللسانية المنهجية فيما يأتي:

- انعدام الرؤية النظرية المنهجية المحدّدة تُجَاهَ قضايا اللغة العربية التي يتعيّن معالجتها من منظور لساني؛ إذ يتميّز النشاط اللغوي لدى طائفة كبيرة من اللغويين العرب بالتباس فكري نتيجة عدم إدراك الأسس النظرية والمنهجية التي تقوم عليها اللسانيات في تعاملها مع الظواهر والقضايا اللغوية، الأمر الذي يفقد الكتابات اللسانية العربية جدّتها وأصالتها، ويحدث أن يتكرّر تحليل الظاهرة اللغوية العربية الواحدة وتُهمل قضايا أخرى.
- الافتقار إلى تنظيم وتنسيق علمي منهجي، والافتقار أيضا إلى وضع برنامج لساني عربي لمعالجة واقع تحليل الظواهر اللغوية العربية في إطار مقولات اللسانيات، رغم أن المحاولات قائمة لوضع هذا البرنامج وتحقيق التنسيق العلمي إلا أنه "قد يتعذّر كليّا نظرا لما تحتاجه عملية الإنجاز من استعداد فكري وانسجام بين اللسانيين العرب، ولانعدام وسائل التعاون العلمي الجماعي في إطار مؤسسات مختصّة." المختصة." المحتصة."
- التخلّف عن مسايرة ركب تطوّر اللسانيات بمختلف فروعها ومختلف مشاربها النظرية والمنهجية ويتضح ذلك من خلال الاطلاع على كثير من الكتابات اللسانية العربية المعاصرة التي مازالت تدور حول المصطلح اللساني والنماذج اللسانية الأولى وثوابتها وتغفل التطوّرات المتلاحقة لهذه النماذج اللسانية وما يطرأ عليها من تعديل وتطوير مستمرين² وكمثال على ذلك نلاحظ النموذج الأدنوي (1993 1995) عند نوام تشومسكي الذي يعد من أواخر تطورات النظرية التوليدية التشومسكية والذي لا نجد صدى البحث فيه إلا في جهود عربية نادرة يمكن عدّها. إضافة إلى اتساع الفجوة بين جماعة اللسانيين العرب الواعين بمجال اللسانيات ومناهجها، وطرق الاستدلال فيها، وتطوراتها، وبين الخطاب اللساني الهزيل السائد في المنشورات العربية، الذي تتعكس آثاره على تصوّر اللغة في

مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 1

 $^{^2}$ ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

خطاب المثقف العربي بصفة عامة، كتصوّر العلاقة بين اللغة والفكر، والعلاقة بين النظرية والتجربة... إلخ. ¹

- عجز الدرس اللساني العربي عن الإحاطة بكلّ دقائق البحوث اللسانية الغربية في كل فروع اللسانيات؛ مما جعل "تعدّد البحوث اللسانية وتتوعها النظري وسيادة الجوانب الصّورية وارتباط اللسانيات بمجالات فكرية أخرى من ابستيمولوجيا وفلسفة وعلم نفس ومنطق ورياضيات وإعلاميات وانعدام البحث المتخصص في الجامعات العربية كلها عوامل حقيقية وراء تأخر الدرس اللساني في مواكبة ما يجري عالميا."²

هذه أهم الإشكالات المنهجية التي تعيق تطوّر اللسانيات في الثقافة العربية، والتي نرى أنها لا تقتصر على فرع لساني دون آخر أو تقتصر على قطر عربي دون آخر، بل تشمل كافة فروع اللسانيات المعاصرة واتجاهاتها ومن بينها فرع اللسانيات العرفانية، الذي نكاد لا نقف فيه على لساني عربي يناقش الإشكالات النظرية والمنهجية لتلقي اللسانيات العرفانية، بل أقصى ذلك أن يشار إليها إلماحا مثلما فعل محي الدين محسب وحمزة بن قبلان المزيني، ويعود السبب إلى قصور اللسانيات العرفانية عن بلوغ مرحلة النقد أنها مازالت في مرحلتها الأولى التكوينية، والتي بدا من تتبعنا لبعض الكتابات والبحوث العربية البارزة والرائدة فيها أنها تعانى من الإشكالات المنهجية ذاتها التي تقدّمت آنفا.

نظرا لكون اللسانيات العرفانية مازالت في مرحلتها الأولية التكوينية عربيا، رأينا أنه من الأنسب مناقشة إشكال تلقي مصطلحها الأساسي حول ترجمة تسميتها والذي بات يشغل حيّزا معتبرا في الدرس اللساني العربي، ومناقشة أبعادها الابستيمولوجية والفلسفية التي انبثقت منها؛ لأنه فيما نرى إن المقاربة الابستيمولوجية للسانيات العرفانية تكشف عن أسس المعرفة اللسانية العرفانية، في الدرس اللساني العربي خاصة، لأجل تقييمها وتقويمها معرفيا، ونظريا، ومنهجيا لذلك فإن مناقشة إشكال الأبعاد الابستيمولوجية والفلسفية هي أساس ضروري في التلقي العربي للسانيات العرفانية. ومما يبرّر اختيارنا، أيضا، مناقشة إشكال الأبعاد الابستيمولوجية والفلسفية في تلقي اللسانيات العرفانية الي جانب إشكال المصطلح— علاقتها باللسانيات والتي رأينا أن بعض المنشورات والبحوث العربية لم تتطرّق إليها، على الرّغم من كونها من العلوم القاعدية في اللسانيات العرفانية التي نادت بها النزعة البينية التي سادت العلوم العرفانية.

¹ ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ج1، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 1993، ص 35.

 $^{^{2}}$ المرجع السابق، ص 2

ا. إشكال المصطلح:

إنّ المصطلحات في العلوم من الأهمية بمكان، وتنزل منزلة هامة منها فهي مفاتيحها وسرّ فهمها ولذلك تشغل قضية المصطلح باحثين لسانيين كثر، وحتى في البحث اللساني العربي المعاصر الذي يتطلّب نقل المصطلحات من بيئة علمية غربية إلى أخرى عربية، وهنا يبدأ الاختلاف في نقل المصطلح من الأرضية والحقل العلمي الذي نشأ منه في الأساس، ويبدأ الاجتهاد اللساني العربي في ابتكار وضبط جهاز مصطلحي ومفاهيمي في اللغة العربية لكل الفروع العلمية اللسانية التي تتطور كل يوم، ومنه تنبثق الاختلافات والإشكالات في ضبط المصطلح الغربي، وتبنّي مصطلح واحد متفق عليه في البحث اللساني العربي، ومثل هذا الإشكال لاحظناه في تسمية اللسانيات التي تعددت عند دخولها حيز البحث العربي في بداياتها، فقد أُطْلِقَ عليها اللسانيات، والألسنية، وعلم اللغة...إلخ، وما هذا إلا دليل على غياب التوافق المعرفي بين الباحثين واللسانيين العرب.

والملاحظ – أيضا – أن هذا الإشكال لم يختف في البحث اللساني العربي المعاصر، بل يتكرر باستمرار ويتضح من خلال التلقي العربي لمصطلح اللسانيات العرفانية (cognition) الذي أحدث ضجة في اللسانيات العرفانية، واختص برؤى عربية متعددة ومختلفة أهمها رؤية عمر بن دحمان، ومحي الدين اللسانيات العرفانية، واختص برؤى عربية متعددة ومختلفة أهمها رؤية عمر بن دحمان، ومحي الدين محسب، وصلاح الدين شريف، والأزهر الزباد الذين أولوا مصطلح العرفان أهمية واهتموا بضبط ترجمته إلى اللغة العربية؛ بناء على عدّة اعتبارات أسفرت عن مقابلات عربية عديدة لمصطلح غربي واحد (cognition)، وسنتتبع في عينات من كتاباتهم هذه الرؤى المفاهيمية المصطلحية نحو: كتاب الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية لمحي الدين محسب، وبحثي عمر بن دحمان المعرفة/ الإدراكيات أبعاد المستمولوجية وجهات تطبيقية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي...إلخ.

^{*} اخترنا تتبع التلقي العربي لمصطلح العرفان (cognition) في اللسانيات العرفانية كونه المصطلح الذي تمحورت عليه أغلب الكتابات اللسانية العربية عند معالجتها لقضية المصطلح اللساني العرفاني، لكن هذا لا يعني أن بقية مصطلحات اللسانيات العرفانية لم تواجه إشكالا في ترجمتها إلى اللغة العربية ومن أمثلتها مصطلح الاستعارة التصورية/ الاستعارة المفهومية، ومصطلح (map) الذي ترجم بتخريط اشتقاقا من خريطة (map)، وتناسب وتوافق، وربط، ونسخ. ومصطلح الفكر الكتائي (Methonymic thought) المترجم أيضا بالفكر الاقتراني...إلخ هذه المصطلحات التي تعددت ترجماتها العربية بموسوّغات أم بغير مسوّغات علمية منهجية لاستبدال ترجمة بأخرى. ينظر للاستزادة والتوسع: محمد الملاخ، ترجمة مصطلحات اللسانيات المعرفية: قضايا واشكالات، الإشعاع، ع 10، جوان 2018، ص 21 – 24.

1. مصطلح العرفنة في مقابل مصطلح (Cognition):

يرجع وضع واستعمال مصطلح العَرْفَنَةِ إلى الباحث الأزهر الزّناد الذي يستعمل هذا المصطلح في كل بحوثه ودراساته، وكذلك يستعمله تلميذه عبد الودود أبغش، وقد أرجع الزناد وضع مصطلح العرفنة إلى اعتبارات سبق الحديث عنها وهي كالتالي:

- اعتبار مصطلح عرفان مصطلحا مشتركا بين الاستعمال القديم والاستعمال الحديث الدال على الشكر، كما يعتبر أن له استعمالا واسعا في فلسفة التصوّف وفي مجال البحوث الفلسفية الماورائية (الغنوصية)، وكلمة (معرفة) مقابلة لمفهوم (Knowledge, connaissance) كما أن (إدراك) تقابل مفهوم (perception)، وجميعها كما هو معلوم ذو مرجعيات نظرية كلاسيكية.
- ضرورة صياغة مصطلح جامع يعمّ كل هذه المفاهيم المعرفة، والإدراك مع إفادته مفهوم العرفان اللساني المعاصر (Cognition).
- وضع جدول اشتقاقي عربي للجذر (عرف) يوازي الجدول الاشتقاقي في الإنجليزية الدائر حول (cognition). 1

وقد أوردنا حججه هذه في الفصل الثاني من البحث بتوسيع أكثر، ذلك أنها كما وصفها محي الدين محسب "أقوى ما قُدّم في هذا السياق" 2 إلا أنها لا تخلو من الحاجة إلى تمحيص أعمق لاسيما حجته وتبريره الأول، الذي تداوله عدد من الباحثين اللسانيين العرب وحاولوا دحضه، بل وعد حمزة بن قبلان المزيني "استخدام «العرفان» الذي يدل على تعطيل «العقل» يمثل مفارقة عجيبة حين يُستخدم لمفهوم يدل على «تعقُّل» العالم" و وذهب إليه كذلك محمد صلاح الدين شريف في تصديره لكتاب مدخل إلى النحو العرفاني الذي حمل عنوان "نحو معرفة العرفان"، وعلى الرغم من المبررات التي قدمها الزناد حول مصطلح العرفان واستبداله بالعرفنة، إلا أن محمد صلاح الدين الشريف استعمل مصطلح العرفان دون المقابلات الأخرى كالعرفنة، والمعرفة، والإدراك، ويشير كذلك إلى أن المصطلح استعمله أهل التصوف لما يكون لهم من معرفة غير آنية عن طريق العقل ولا مثبتة باستدلال وبرهان، فكان من آثار هذا الاصطلاح؛ أي العرفان، إثراء العربية بالتفريق بين صنفين من المعلومات المختزنة في الذهن. 4 ويقصد

¹ ينظر: الأزهر الزناد، في مصطلح "العرفنة" ومشتقاتها، مقال منشور على مدونة المؤلف blogspot، (23/ 04/ 14) وينظر: الأزهر الزيارة: 24/ 06/ (241 http://lazharzanned.blogspot.com/2012/04/blog-post 22/ مستخرج من: 11:40. 11:40.

محى الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص 2

راي جاكندوف، دليل ميسر إلى الفكر والمعنى، تر: حمزة بن قبلان المزينى، ص 3

⁴ ينظر: محمد صلاح الدين الشريف، نحو معرفة العرفان، ضمن كتاب مدخل إلى النحو العرفاني، ص 7.

هنا المعلومات العقلية والمعلومات ذات الطبيعة البيولوجية التي أصبحت تصبّ في العلوم واللسانيات العرفانية، ولا يرى في هذا الاشتراك اللفظي في كلمة "العرفان" بين العلم الحديث واللاّعلم التصوّفي ضيرا. فهو أقل خطورة على تطور العلم من الاشتراك اللفظي في كلمة "المعرفة"؛ لأهميّة التمييز بين ما هو العلم وما هو موضوع العلم؛ أي ما هو من الثقافي (المعرفة) وما هو من الطبيعي (العرفان). 1

ونرى في كون استعمال مصطلح العرفان سابق في التصوّف لا يمثّل مانعا صارما من استعماله في اللسانيات العرفانية؛ لأنّ المقابل الغربي الأصلي للعرفان في حقل التصوّف ليس (Cognition) بل مصطلح (Gnosis) الدّال على التصوف والغنوصية، والكلمة يونانية الأصل ومعناها المعرفة، وقد استعملت أيضا بمعنى العلم والحكمة. أما العرفان في المعنى الأول (المعرفة) استعمل للمعرفة على العلوم وحقائق الدين، وأما العرفان في المعنى الثاني (العلم والحكمة) استعمل لمعرفة أسمى من تلك التي كانت تقررها الكنيسة وتعتمد هذه المعرفة على العقل. ألذلك فاستعمال العرفان (بالمفهوم الصوفي) كمصطلح مقابل لـ(Cognition) في التصور الاصطلاحي العربي يبعده عن مقابله الغربي الأصلي (Gnosis). من هنا يقع الخلط الاصطلاحي المفهومي بين العرفان كمصطلح مشترك بين التصوف كمعرفة دينية واللسانيات العرفانية كعلم عقلي.

إضافة إلى أن مصطلح العرفان في اللسانيات أصبح مستعملا أكثر من مصطلح العرفاة الذي طرحه الزّناد وتابعه على استعماله تلميذه عبد الودود أبغش بناء على تحقق مقياسين استنبطهما من دلالة المصطلح الأجنبي (cognition) هما: "الدلالة على المعرفة أولا، والدّلالة على 'الحدث' (حدث معالجة المعرفة)" ققد استعمل مصطلح العرفان كل من عبد الرحمن طعمة، وثروت مرسي، وأحمد عبد المنعم في مؤلفاتهم، من ذلك تمييز مرسي وطعمة بين المصطلحات الثلاث: المعرفة (Knowledge) والعرفان (Perception) والإجراءات الذّهنية التي يقوم بها الدّماغ لاكتساب المعرفة ومعالجتها عن طريق الأفكار والتجارب والحواس. وهو مترسّخ طبيعياً في خصائص الدّماغ، مجاوز للوعي والإدراك، صالحٌ موضوعًا للدّراسة العلمية. وهذه السّيرورات الذهنية من شأنها أن تستعمل المعرفة الموجودة فعلا، وأن تكتشف معارف

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: محمد مخلص هدى، مفهوم العرفان عند محمد عابد الجابري، دراساتنا: مجلة الدراسات الإسلامية، مج 1 ، ع 1 ص 50 .

³ محمد عبد الودود أبغش، نظرية الأفضية الذهنية مبادئها وتطبيقاتها، ص 19.

جديدة." كما استعمل مصطلح العرفان عبد الرزاق بنور مترجم كتاب راي جاكندوف علم الدّلالة والعرفانية، ومحمد الصالح البوعمراني في كلّ بحوثه ودراساته، وهذا الاستعمال دليل على تقبّل مصطلح العرفان في الدراسات اللسانية العرفانية المعاصرة أكثر من غيره من المقابلات.

2. مصطلح المعرفة في مقابل مصطلح (Cognition):

لم يكن مصطلح المعرفة باعتباره مقابلا للمصطلح الأجنبي (cognition) أقل استعمالا وجريانا في الدراسات اللسانية العرفانية العربية من مصطلحي "العرفنة" و "العرفان"، فقد استعمله ثلة من الباحثين المرموقين العرب في حقل اللسانيات العرفانية من بينهم: عبد الكبير الحسني، عبد العالي العامري، محمد غاليم، وأبرزهم عمر بن دحمان الذي برّر في مواضع شتّى استعماله مصطلح المعرفة ومشتقاته، لكن أغلب هؤلاء لم يبرر استعماله مصطلح المعرفة بدلا من المصطلحات الأخرى المتداولة عدا عمر بن دحمان الذي كانت له محاولة ممنهجة في تبرير استعماله مصطلح المعرفة مقابلا لـ (cognition)، ثم اقتراح المعرفة استهلّها بدحض فرضيات الزناد وغيره في وضع مقابلاتهم لمصطلح (cognition)، ثم اقتراح المعرفة كمقابل وتبرير ذلك الاقتراح.

2) أ- دحض ونقد افتراض الاشتراك المفاهيمي والاصطلاحي:

اعتمد بن دحمان في توضيح رؤيته عن فرضية وضع مصطلح معرفة مقابلا له (cognition) على جملة من التعريفات للمصطلحات محط الاشتراك المفاهيمي: المعرفة (Knowledge)، الإدراك (cognition)، الإدراك الحسي (Perception)، في عدد من المعاجم الحديثة في الفلسفة وعلم النفس خاصة، وقد انتهى على إثر استقرائه لهذه التعريفات إلى النتائج الآتية:

- يقابل مصطلح (perception) في اللغة العربية، وفي المعاجم الفلسفية، والمختصة في علم النفس مصطلح "الإدراك «الحسي»" بإجماع شبه تام، وعليه استبعده من دائرة النقاش حول المقابل العربي الأنجع لمصطلح (cognition)، مع موافقته لحجة الأزهر الزناد في استبعاد مصطلح "عرفان" ممّا يبقي الإشكال قائما حول مصطلح «معرفة» "هل نقابل به مصطلح (cognition) أم المصطلح الآخر (Knowledge)؟ أم كليهما معا كما هو حاصل عند الكثير مع ما يطرحه هذا الاشتراك من إشكالات؟ أم نقترح مصطلحا بديلا لأحدهما، وليكن "عرفنة" كمقابل لمصطلح (cognition) ونبقى على مصطلح "معرفة" كمقابل للمصطلح الآخر؟ "2

¹⁰ أليساندرو فالسي وآخرون، في الثقافة والعرفان والتداول: مقاربات بينية، تر: ثروت مرسي، عبد الرحمن طعمة، ص-11.

 $^{^{2}}$ عمر بن دحمان، المعرفة/ الإدراك/ العرفنة بحث في المصطلح، ص 2

- تهتم المعاجم الفلسفية بمصطلح المعرفة (knowledge) وتحديد مفهومه، وتغيّب بصورة شبه تامة تحديد مصطلح (cognition) ومفهومه، على العكس من معاجم علم النفس وفروعه التي اهتمت به، وأبرزت مفهومه ومقابله العربي المتمثّل في المعرفة؛ وبذلك أصبح لمصطلح المعرفة مفهومان أحدهما حدّدته الفلسفة، والآخر حدده علم النفس كتجسيد لاستقلال منظوره عن المنظور الفلسفي. وهو ما جعل بن دحمان يبحث عن الأصول القديمة للمصطلحين الغربيين كون كليهما يدل من مفهومه على المقابل العربي "المعرفة". وقد توصل إلى نتيجة مفادها أن أصل المصطلحين الأجنبيين مختلف فمصطلح (cognition) عائد إلى اللغة اللاتينية، بينما يرجع مصطلح (knowledge) إلى اللغة الجرمانية، لكنهما يحملان دلالة واحدة هي الدّلالة على المعرفة، ارتبطت في التصور الفلسفي بالبحث في طبيعة وتأسيس المعرفة والإجابة عن السؤال: ماذا يمكننا أن نعرف؟ وماذا نفعل لنعرف؟ التي تعدّ أسئلة فلسفية مركزية، وارتبطت في علم النفس والبحوث النفسية بوصفها عملية ذهنية أو نشاطا ذهنيا جامعا (اختير له لفظ cognition) وهذا يجعل مصطلح المعرفة يدل على **مفهومين فلسفى ونفسى يتطلّب تعدد المصطلح،** لكنهما مفهومين يتكاملان في تحقيق دلالة المعرفة من حيث هي نشاط ذهني جامع يتسم بالشمولية والاتساع، والعموم...إلخ، ومن حيث هي فعل المعرفة، ومجموع المعارف، ونتيجة المعرفة (النشاط الذهني). أ بناء على هذه الحجج التي قدّمها بن دحمان في دحضه ونقده لفرضية الاشتراك المفاهيمي والمصطلحي يرى أن هذه الفرضية باطلة إذا استخدمنا مصطلح المعرفة كمقابل للمصطلح الأجنبي (cognition) فلا يقع أي اشتراك لفظي.

2) ب- محاولة إبطال جدوى تبنّى مصطلح العرفنة مقابلا لـ (cognition):

أبرز عمر بن دحمان في ما تقدم من تصوراته توافقات المفهوم التي انطوى عليها مصطلحي (knowledge) وإمكانية مقابلة كل منهما في العربية بمصطلح "المعرفة" أثناء ضبط مفهومه بين المنظور الفلسفي والمنظور النفسي، الذي استدعى وسائل وأدوات أكثر جدّة وتطورا؛ لتحقيق أهداف أعمق وأكثر تتوعا، من هنا أنكر على الزّناد مبادرته "إلى اجتراح مصطلح جديد لمفهوم قديم، وما الجديد إلا أدوات البحث، والاكتشافات التي قُدِّمت في مجالها نتيجة تطوّر العلوم."²

لكن سرعان ما استدرك بن دحمان في بحوثه بعض الاختلافات والفروق التي انطوى عليها مصطلح المعرفة، لاسيما في مرحلة تداخل العلوم والاتجاه نحو تشجيع الدراسات البينية في دراسة الظواهر البشرية، من هذه الاعتبارات غدا هناك تمييز بين المعرفة المقابلة للمصطلح (knowledge)

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 14 – 15 – 16.

 $^{^{2}}$ حيدر فاضل عباس، حسن عبد الغني الأسدي، التطور اللساني وإشكالية تحديد المصطلح المعرفة أنموذجا، مجلة تسليم العراق، مج 4، ع $^{+}$ 8، ديسمبر 2018 8، ص 550 9.

وبطبيعتها وطبيعة العمليات الذهنية في الانتباه، والإدراك، والتخييل، والتمثيل وغيرها التي تجعل المعرفة (knowledge) جزءا من النشاط المعرفي (cognitive) لدى الإنسان، وتتمثل الأجزاء الأخرى للنشاط المعرفي (cognitive) في مختلف المظاهر الوظيفية للذهن التي "تهتم بدراسة بنية العمليات العقلية الذكية وأنشطة التفكير والمعالجة المطلوبة في الإدراك والتذكر وحل المشكلات، وآليات إجراء هذه العلميات وتنفيذها، ويشكّل مصطلح المعرفة المظلّة لجميع العمليات المعرفية العليا." والمتأمل في هذين المفهومين عن مصطلح المعرفة يجد أن بن دحمان يشير، كشيء من الاستتباط إلى أن المعرفة (knowledge) ظاهرة متضمّنة وجزئية من مجال أوسع هو النشاط المعرفي/ المعرفة مقابلا له يرزان اختلافا جوهريا أشار إليه كذلك محمد صلاح الدين الشريف آنفا إذ المعرفة جزء من مجال أعقد وأوسع (المجال المعرفي).

من جهة أخرى مثّل هذا الفرق دافعا إلى تبني تشريح وتحليل مصطلح العرفنة الذي اقترحه الأزهر الزياد، انطلاقا من الإشكالية المتعلقة بمدى قدرة مصطلح العرفنة – وفق صيغته هذه – على التعبير الدقيق عن مفهوم (cognition) كما حدد قديما، وكما تحدده البحوث المعاصرة في العلم المعرفي، وقد ناقش بن دحمان ما يتصل بالجانب اللغوي الاشتقاقي للمصطلح البديل وحقّق في مدى ملائمة الصيغة الصرفية المقترحة (فَعْلَنَ) من الناحية اللغوية (التصريفية والاشتقاقية)، مبرزا طائفة من الحجج التي تضعف استعمال مصطلح العرفنة، من بينها أن مصطلح عرفنة جاء قياسا على الاستعمال الوظيفي لعلمنة، وعقلنة...إلخ، أما النتيجة الفاصلة التي بلغها بن دحمان فهي ضعف مصطلح عرفنة في التعبير عن المصطلح الأجنبي (cognition)، والأجدر أن يبقى مصطلح معرفة مقابلا لـ (cognition)؛ لأن الضرر لا يتعلق بأن تحفل اللغة الاصطلاحية بالمترادفات، ولكن الضار الاختلاف في التحديد الدقيق والصحيح للمفاهيم في سياقاتها.

2) ج- التلاؤم المفاهيمي والمصطلحي لمصطلح معرفة كمقابل لـ (cognition):

اعتنى بن دحمان بالبرهان على صحة وضعه مصطلح المعرفة مقابلا لـ (Cognition) في هامش طويل من بحثه الموسوم نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، مستندا في تفضيله مصطلح معرفة عن بقية المصطلحات إلى معيار مهم من معايير علم المصطلح: هو معيار شيوع الاستعمال؛ فقد أصبح مصطلح المعرفة شائع الاستعمال في "الأبحاث المهتمة بدراسة هذه الظاهرة البشرية، بدلا من مصطلح «إدراك» الذي قد يتخصص بحسيته (إدراك حسى)، ولذلك جعله مقابلا للفظ (perception) وهو يقابل

¹ المرجع السابق، ص 17.

 $^{^{2}}$ ينظر: عمر بن دحمان، المعرفة/ الإدراك/ العرفنة بحث في المصطلح، ص 2 – 12.

الإدراك الذهني (conception) أو التصور (بمعنى الحدث) وهناك التصور (بمعنى المعنى الإدراك الذهني المعنى) الشيء) الشيء) الشيء) الشيء) الشيء) المعتمد خاصة في كتابات الباحثين التونسيين والمصريين، والكثير منهم يؤثر استعمال مصطلح العرفان عن مصطلح المعرفة.

ومن الطروحات الهامة التي طرحها بن دحمان تصوّرا نراه يحاول به تلافي التجاذب المفهومي لاستعمال مصطلح معرفة بمفهوميها: المعرفة (knowledge) باعتبارها كومة من العمليات الذهنية في بناء المعلومات وتخزينها واسترجاعها، والمعرفة (Cognition) باعتبارها نشاطا يدرس مجمل الوظائف الذهنية العليا، والتي تمثل وظيفة بناء المعلومات إحداها، ومنه نقول إن المعرفة (knowledge) تمثل جزءا من المعرفة (Cognition)، ولتلافي هذا التجاذب المفهومي الذي يمكن أن يسبب خلطا في التحصيل المعرفي، لاسيما عند المبتدئين في دراسة اللسانيات العرفانية، اقترح التقريق بين مصطلحي معرفة (knowledge)؛ فهذا الأخير دالً على نتيجة "المعرفة أي ما يمكن أن يحصل عليه العارف من معلومات وخبرات متنوعة انطلاقا من الوظيفة المعرفية التي يؤديها الدماغ أساسا/ النشاط المعرفي (Cognition)، ثم إعادة استخدام هذه المعارف المخزنة بشكل من الأشكال." وعليه يعيد بن دحمان تنظيم استخدام مصطلح معرفة مستندا على الجمع "معارف" ليحقق اتوازنا مفهوميا ومصطلحيا أثناء استخدامه مصطلح معرفة.

3. مصطلح الإدراك مقابلا لـ (Cognition):

قبل الشروع في عرض بعض الرؤى اللسانية العرفانية العربية وحججها في اتخاذ مصطلح الإدراك مقابلا له (Cognition)، رأينا من الأنسب ضبط مفهوم الإدراك (perception) الذي مثّل أحد مشكلات الفلسفة (الفلسفة المادية والتجريبية على وجه الخصوص)، التي ظهرت "في السؤال عن كيفية اتصال خبراتنا الداخلية بالعالم الخارجي." وبالنظر في التصورات الفلسفية الكلاسيكية الإدراك يتحدد دائما بارتباطه بالحواس والتجارب الحسية التي يحتك بها الذهن في البيئة المحيطة به. وبقدر ما مثّل الإدراك مشكلة فلسفية مثّل أيضا قضية في علم النفس العرفاني تتمحور وظيفتها في تحليل وفهم البيانات

²⁰ عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبى، ص 1

² ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

 $^{^{3}}$ جون سيرل، القصدية بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، 2009 ص 6 .

والمثيرات، و"المعلومات الحسية القادمة من البيئة المحيطة والتي تمّ الانتباه لها إراديا أو لا إراديا."¹ والملاحظ أن علم النفس العرفاني ينظر إلى الإدراك نظرة تتجاوز كونه حسيّا فقط، بل الإدراك حسب علم النفس العرفاني هو معالجة المعلومات الحسية بواسطة مختلف العمليات الذهنية.

ويشغل الإدراك في الدراسات اللسانية العرفانية المعاصرة حظا أوفر مما سبق، فقد تجاوز التحليل الفلسفي التقليدي وتأثر بالبينية التي طالت أغلب مجالات البحث، ومنه نجدد بعض التجديد في ضبط مفهوم الإدراك مثلما جاء في مسرد اللسانيات العرفانية لفيفيان إيفانز (Vyvyan Evans) أن: "الإدراك يتضمن الأنظمة الحسية البشرية (أو الإدراك الحسي) والدّماغ من أجل تشكيل تمثيلات تعرف باسم المدركات (percepts)، ويتكون الإدراك من ثلاث مراحل: الإحساس (sensation)، والنظام الإدراكي والتعيين وإعادة التعرف (perceptual organisation)، والتعيين وإعادة التعرف (الصوتية أو الحرارة أو الاهتزازات (الصوتية) إلى رموز عصبية يمكن للدماغ إعادة التعرف عليها وإدراكها. ويتعلق النظام الإدراكي بالطريقة التي تنتظم بها هذه المعلومات الحسية وتُحوَّل إلى شيء مدرك، وبالتالي حدوث الإدراك. يرتبط التعيين والتعرف بالعملية التي يتم بواسطتها استخدام التجارب السابقة، والمعرفة التصورية، لتأويل وتفسير المدرك الحسي."²

والملاحظ على هذه المحاولات في ضبط مفهوم الإدراك، سواء من الجانب الفلسفي أو النفسي العرفاني، يجد أنه لا يخرج عن ربطه بالتجربة الحسية التي تزوّد الذهن بالمعلومات والمُدخلات القادمة من البيئة المحيطة، وهذا يضعنا أمام اهتمام كبير بالإدراك الحسي، لكن اللسانيات العرفانية بروافدها المعرفية المتعددة، وحسب ما طرحه إيفانز، تلقي الاهتمام على الإدراك بشقيه: الإدراك الحسي: الذي يحول المعلومات الحسية إلى رموز عصبية وهذا يقع في المرحلة الأولى، والإدراك الذهني: الذي يشتغل على استرجاع وتذكر التّجارب، والتصوّرات السابقة وتوظيفها في تفسير المعلومة الحسية المدخلة (الإدراك الحسي)، وبين هاتين العملين تقع عملية الربط بينهما على النظام الإدراكي.

وسنكتفي بتحديد مفهوم الإدراك في المجالات الثلاثة السابقة؛ لننتقل إلى دواعي تبنيه كمصطلح مقابل في البحث اللساني العرفاني العربي للمصطلح الأجنبي (cognition)؛ إذ شاع استعماله عند كوكبة من الباحثين في اللسانيات العرفانية ودرج في بحوثهم مثلما نجد عند: تحسين رزاق عزيز مترجم

² Vyvyan Evans, a glossary of cognitive linguistics, p 161.

 $^{^{1}}$ عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، ص 1

كتاب اللسانيات الإدراكية لزينايدا بوبوفا ويوسف ستيرين، وسعيد حسن بحيري مترجم كتاب مدخل إلى علم اللغة الإدراكي لمونيكا شفارتس، وصالح بن الهادي رمضان خاصة في بحثه الموسوم «النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي الاستعارة نموذجا»... وغير هذه النماذج البحثية العربية التي اختارت استعمال مصطلح الإدراك مقابلا له (cognition)، وقد انتقينا هنا دراسة بحث «التحول الابستيمولوجي في مفهوم الإدراك الذهني وواقع تلقيه المصطلحي في المقابلات العربية» لمحي الدين محسب ضمن كتابه الإدراكيات: أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، الذي جاء في صيغة مجموعة من البحوث مختلفة الموضوعات لكن تصب كلها في العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية.

تمحورت الفكرة الأساسية لبحث محي الدين محسب «التحول الابستيمولوجي في مفهوم الإدراك الذهني وواقع تلقيه المصطلحي في المقابلات العربية» في مناقشة تحولات مصطلح (cognition)، كونه مصطلحا مركزيا من مصطلحات اللسانيات العرفانية، وانعكاس هذه التحولات على المقابلات العربية في تلقي وترجمة مصطلح (cognition)، "وذلك من منطلق أن هذه المقابلات هي بدورها مصطلحات ستشتغل في إطار التلقي والتفسير والنشر للنظام العلمي الوافد؛ وعلى هذا فهي مطالبة بأن تكون وفية في الدلالة على النظام التصوري أو المفهومي (conceptual system) الذي تنقله "أ فمعالجة قضية مصطلح (cognition) بالشكل المناسب لدى محسب هي معالجة للحمولة المعرفية المفهومية التي تأسس عليها النظام التصوري العرفاني.

بناء على هذه الأهمية التي رأى محسب أنه يؤديها ضبط مصطلح (cognition)، فقد حاول في بحثه تحليل مصطلح (cognitive) وما يتجسد في ترجمته وترجمة النعت المنسوب إليه (cognitive) كما حاول الإجابة عن الأسئلة التالية: ما واقع تلقي هذا المصطلح في المقابلات العربية؟ وما علاقة تلقي هذا المصطلح بتلقي المصطلح الآخر المرتبط به؛ أي (perception)؟ وهل تفي تلك المقابلات القائمة بهذه الحمولة الابستيمولوجية التي أصبح المصطلحان مكتنزين بها في تطور المجال العلمي (=الإدراكيات) الذي يولد دلالاتهما المفهومية؟ ويمكن أن نجمل الغايات التي يسعى محسب لتحقيقها من هذه الورقة العلمية التي تصب في قضية المصطلح اللساني العرفاني في البحث اللساني العربي في:

> تحليل المقابلات العربية لمصطلح (cognition) والتمحيص في مدى ملائمة كل منها؛ من أجل انتقاء منهجي وعلمي لمصطلح عربي واحد يكون مقابلا لـ (cognition) وقادرا على التعبير عن الحمولة الدلالية والإبستيمولوجية التي يطرحها المصطلح الأجنبي.

محى الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص 1

² ينظر: المرجع نفسه، ص 46 – 47.

ولتحقيق هذه الغاية، عرض محسب مجموعة من المقابلات العربية المتداولة محاولا دحضها وردّها أبرزها: مصطلح المعرفة والنعت المنسوب إليه المعرفي كما جاءت عند عبد الإله سليم، في مؤلفه بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية، وعمر بن دحمان، ومصطلح العرفنة ونعتها العرفني الذي اقترحه الأزهر الزناد، ومصطلح العرفان ونعته العرفانية الذي استعمله عبد الرزاق بنور في ترجمته لكتاب «علم الدلالة والعرفانية»، واعتبر ترجمته لمصطلح (cognition) سيرا على التقاليد التونسية في ترجمته بالمعرفة والعرفان، في حين يترجمها سائر العالم العربي بالإدراك، وأن ترجمته بالعرفانية أخذت وقبلت في البحث العربي. وكذلك استعمال مصطلح الإدراك مقابلا لـ (cognition) عند صالح بن رمضان الذي قال: "أفضل عبارة الإدراكي؛ لأنّ عبارة المعرفي تبعد بنا عن النشاط الداخلي للذهن وتحيل على معنى النشاط العلمي والفكري الخارجي عموما، أمّا عبارة العرفاني فقد ارتبطت بالفكر الصوفي." ومصطلح الإدراك هو ما تبناه محي الدين محسب لحجج سَيَرِدُ ذكرها.

وتمثّلت الردود التي دحض بها محسب استخدام مصطلحات (المعرفة)، و (العرفنة)، و (العرفان) و (الإدراك) في ثلاث ملحوظات مقتضبة ردّ بها على الأزهر الزناد:3

- الأولى: إن سماعية صيغة (عَرْفَنَ) في اللغة العربية غير مسلّم به، واعتمادا على رأي عبد الحميد الأقطش يرى أنه من الصّعب إيجاد الباحث حياة لهذا الوزن في العربية التراثية، إضافة إلى أن دلالة هذا الوزن في العربية تطلق على معنى لم يكن سجية أو طبعا في صاحبه، ثم تَحَوَّلَ إليه ولابسه واتصف به، وهذه الدلالة غير موجودة في المفهوم الذي طرحه الزناد.
- الثانية: الغموض الذي يكتنف طرح الزناد حول تعويض مصطلح الإدراك (perception) بمصطلح (cognition) لدرجة أن (perception) لم يعد مستعملا في الدراسات الغربية.
- الثالثة: استعمال الزناد صيغة العرفنة ترجمة لاسم العِلْم وترجمة لموضوع العلم معًا كما جاء في مقدمة مؤلفه النص والخطاب، بينما تطلق الدراسات الغربية مصطلح (cognition) على موضوع العلم. أما العلم الذي يدرس الموضوع فيطلق عليه (cognitive science/s) العلوم العرفانية.

 $^{^{1}}$ ينظر: محمد مرتضى صادق، عروض كتب: الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج 25/4، ع 100، 2017، 20 0، ص 593.

² صالح بن رمضان، النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي، ندوة الدراسات البلاغية – الواقع والمأمول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ص 815.

 $^{^{3}}$ ينظر: محى الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص 3

ومن حججه التي نقض بها المحاولات المصطلحية التي سبقته أيضا، ردّه على عبد الرزاق بنور في كون ترجمة مصطلح (cognition) بالعرفان أو العرفانية والمعرفة بِنْتُ التقاليد التونسية، بأنها ليست كذلك بل السبق كان لقاموس النجاري* واستنادا إلى مبادئ وضع المصطلح، وهذه الفرضيات في وضع مقابلات عربية مناسبة ومنهجية للمصطلح الأجنبي (cognition) والتي نقضها محي الدين محسب نجده قد اختار وضع مصطلح الإدراك الذهني مقابلا لـ (cognition)، وهذا ما سعى إلى تبريره في هدفه الثاني من بحثه.

◄ يحاول محسب تجاوز الخلاف القائم بين المقابلات العربية لمصطلح (cognition) بترجمته بـ (الإدراك الذهني) استنادا إلى الحمولة الابستيمولوجية للمصطلح الغربي.

يشتغل محسب لتحقيق هذه الغاية على تحليل وتدقيق الحمولة الإبستيمولوجية لمصطلح (cognition) ومصطلح (perception) ومقدار التداخل بينهما، حيث اعتبر أن البحث في المصطلح "ليس مجرّد مسألة لفظية أو اصطلاحية، وإنما هو أمر يضرب في أعماق التحول الابستيمولوجي الذي أحدثته الإدراكيات منذ انطلاقها" وعليه يبرّر استخدامه لمصطلح الإدراك الذهني مقابل (cognition) انطلاقا من رصد العلاقة المفهومية التي تربطهما، والكشف عن التحول الابستيمولوجي الذي أدى إلى الفصل بينهما؛ إذ دلّ مصطلح (cognition) في الأدبيات الغربية ومنذ القديم على المعرفة بوصفها عملية ذهنية، أو بوصفها ناتج العمل الذهني مثلما دلّ على ذلك مصطلح (knowledge)، أمّا في الأدبيات العربية وتلقي المصطلح فقد ترجمت (cognition) بمعرفة و (perception) بالإدراك وغالبا ما أطلقت الأدبيات النفسية العربية ترجمة الإدراك بمعنى «الإدراك الحسى».

ولتجاوز هذا الخلط المفهومي الناتج عن تداخل الاستعمال اقترح محسب جهازا مصطلحيا تنتظم فيه المقابلات كما يأتي:

cognitive sciences "الإدراكيات cognitivist (العالِم) الإدراكيّ (العالِم) cognitive linguistics اللسانيات الإدراكية cognition

 $^{^*}$ لا نريد الإطالة أكثر في عرض ردود محي الدين محسب عن استعمال كل مصطلح حتى لا يطول العرض أكثر من اللازم، فقد أسهب في مقالته قيد التحليل في طرح ردوده مدعّما كلّ ردّ بحجة وبرهان نستغني عن إعادتها هنا. ولتفصيل أكثر ينظر: محي الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص 51-52-53-54. 1 المرجع السابق، ص 56.

cognitive

الإدراكيّ الذهني

perception

الإدراك الحسي

¹"metacognition

ما وراء الإدراك الذهني

مبرّرا اختياره لهذه المقابلات بسببين: أحدهما استجابة هذا المقابل لتكريس الدلالة الشمولية لمفهوم (الإدراك)؛ إذ يطلق على جميع القوى المدركة ويجب أن يشمل الإدراك الذهني غير السّوي والإدراك الحيواني...إلخ، ومنه يصبح مفهوم (cognition) في الابستيمولوجيا المعاصرة هجينا؛ أي متسعا وشاملا يمكّن من دراسة وتحليل أكبر قدر من الظواهر الإدراكية لاشتماله على كلّ فروع الإدراك وأنواعه. كما أن هذه الدلالة الشمولية لمفهوم الإدراك لاقت توافقا في فضاء التداول العربي؛ إذ ورد لفظ أدرك في المعجم العربي، من حيث التداول اللغوي، بالازدواج الدلالي (أدركته ببصري، أدرك علمي) ومن حيث التداول العلمي العربي التراثي بأنواع دلالية (إدراك الحسّ، وإدراك الخيال، وإدراك الوهم، وإدراك العقل) والآخر تكريس ارتباط فاعلية الذهن بالإدراك في التداول العربي اللغوي والمعرفي، وكثيرا ما ارتبط مفهوم الإدراك بالذهن لاستقرار العلم والمعرفة فيه كما جاء عند كثير من علماء التراث العربي.

أمّا في الابستيمولوجيا المعاصرة يعرض محسب توجّهين دفعاه لاختيار مصطلح الإدراك الذهني: التوجه الأول يذهب إلى أن اله (perception) داخل في عموم اله (cognition): وهذا التوجه ينضوي تحت قضية عامة هي علاقة اله (perception) بالعقل، حيث ساد في النصف الثاني من القرن العشرين وخاصة في علم النفس العرفاني اعتماد اله (perception) على العقل، ففي الاصطلاح المعاصر أصبح مصطلح (cognition) يستخدم ليشير إلى كل فاعليات الذهن في تشغيل المعلومات، بما فيها ظواهر الإدراك الحسي (perception)، والذاكرة، واللغة، والانتباه...إلخ، قوهذا يجعل الإدراك الحسي جزءا من الإدراك الذهني علاقة الخاص بالعام.

وهناك علاقة أخرى برزت مما توصلت إليه مختلف الدراسات النفسية المعاصرة حول كون التفاعل بين الأنظمة الحسية الحركية والعالم الطبيعي يكمن تحت الإدراك الذهني، حيث الإدراك الحسي – وفق التصور النفسي المعاصر – هو عملية عرفانية ذهنية تسمح بتفسير البيئة المحيطة بنا، مما يولّد تداخلا وظيفيا بين المفهومين.

المرجع السابق، ص 60.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 60-61.

 $^{^{6}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 6 – 6

التوجّه الثاني: وليد المنظور الابستيمولوجي الوظيفي في الإدراكيات الذي يرى أن العقل (mind) والدّماغ (brain) والدّماغ (brain) شيء واحد؛ حيث ينظر إلى العقل من الداخل على أنه الدّماغ، وينظر إلى الدماغ من الخارج على أنه العقل، وأهم ما يثبت ذلك نتائج نظرية الامتداد الإدراكي* (Extended Cognition) التي تذهب إلى أن تمثيلنا الإدراكي يقع جزئيا خارج رؤوسنا، فاستعمال الأدوات الخارجية الموجودة في معرفة البيئة المحيطة معرفة البيئة المحيطة المعرفة البيئة المحيطة واستخدام الموجودات لا يتم إلا بالإدراك الحسي، وهذا يعني ترادف الإدراك الحسي والإدراك الذهني؛ حيث إنّ هذه المعرفة تبدأ عندما يتم تخزين الإدراكات الحسية المبكّرة في الذّاكرة، ثم يتم محاكاتها أو استرجاعها لدى الحالات المماثلة اللاحقة، ليس فقط لدى وقوع الموضوع نفسه وإنما لدى وقوع تمثيلاته أيضا؛ مثل وقوع تصويره المرئي أو اللفظي. أ

وخير مثال على هذه العمليات التي تربط الإدراك الحسي بالإدراك الذهني استعمالنا المعاني الحسية في الإبانة عن المعاني المعنوية، رغم ما بينهما من تباعد غالبا، ولاسيما في الاستعمال اللغوي إذ نجد مثلا مصطلحات علم العروض في العربية مأخوذة من معان حسية معلومة، كالبيت، والمصراع والعروض، والسبب، والوتد، والوَقْصِ، والخَبْن...إلخ² وعلى هذا التداخل والتكامل الوظيفي في فهم وتأويل، ومعالجة المعلومات المدخلة، فإنه لا انفصال بين مجال وظائف الإدراك الذهني (Cognition).

عن الامتداد العرفاني لنشاط حسى (وليكن رفع قلم من الأرض) يمكن لشخص ما أن يفسر هذا النشاط بمجموعة من

Andy Clark and David Chalmers, The Extended Mind, Analysis, Vol. 58, No. 1 (Jan, 1998), Oxford University Press on behalf of The Analysis Committee, pp 9-10.

^{*} ترجع نظرية الامتداد الإدراكي (Extended Cognition) لأندي كلارك ودافيد شالمرز، وتهتم بدراسة الاتصال بين العرفان والبيئة المحيطة في تفسير الأنشطة وفهمها، وتعتبر أنّ الأنشطة الحسية ضرورية في فهم العمليات العرفانية، وهذا ما يعطى العرفان خاصية الامتداد؛ حيث لم يعد محصورا فقط في العمليات الذهنية الداخلية بل يتعدى ذلك؛ مثلا كحصيلة

العمليات الداخلية (الذهنية) وسلاسل طويلة من "المدخلات" و"الأنشطة"، وهذا التفسير من المفترض أن يكون غير ضروري التعقيد، ولو تمت عملية مشابهة في الدماغ فسنشعر أنه ليس هناك دافع لتصوّرها بهذا البطء، وفي الواقع (رفع القلم عن الأرض) ليس جزءا من النشاط الحسي فحسب، بل هو جزء من التفكير، لذلك أصبح من الواجب على الأنظمة التفسيرية التي كانت تولى أهمية لتحليل العمليات الداخلية (inner) أن تعمل على دراسة وتحليل الخارج (outer)

⁽المدخلات الحسية). ينظر:

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 73 – 75.

² ينظر: مختار الغوث، الحرب الباردة على الكينونة العربية: اللغة هوية، صوفيا، الكويت، ط 2، 2021، ص 72.

والملاحظ على طرح محي الدين محسب لمصطلح "الإدراك الذهني" المشقع بنعته مقابلا للمصطلح الأجنبي (Cognition) تجاوزه لمصطلح الإدراك فحسب؛ لأنّ الإدراك، كما تقدّمت التصورات حوله غالبا ما يوحي بالإدراك الحسيّ أكثر منه على الإدراك الذهني، أو بكليهما معًا، ونجد الانتباه إلى هذا التصور أيضا عند دان سبيربر (Dan sperber) وديدري ويلسون (deirdere Wilson)، حين حلّلا الإدراك انطلاقا من كونه بيئة إدراكية (cognitive environement) ومجمل هذه الأخيرة "يساوي المجموعة الشّاملة لكلّ الحقائق التي يستطيع أن يدركها حسيّا أو ذهنيا أو أن يستدلّ عليها: أي كلّ الحقائق القي البيئة الشخص الإدراكية الإجمالية، هي دالّة لبيئته المادية وقدراته الإدراكية. إنها لا تتكون من كلّ الحقائق التي بإمكانه أن يعيها، في بيئته المادية المحسوسة." والبيئة الإدراكية (الإدراك في صورته العامة) إذا هي جمع بين الإدراك الحسي والقدرات الذهنية في تحقيق تفسير وتأويل للمدخلات والمعلومات الحسية والذهنية المخزّنة.

إضافة إلى سمة تميّز بها وضع محسب لهذا المصطلح هي اعتماده على البعد الابستيمولوجي المعرفي؛ إذ قال: "المصطلح يتبع الابستيمولوجيا (Terminology follows Epistemology) أيضا ومن ثم فإنني أتصوّر أن نقطة الانطلاق المفيدة في هذا السياق هي أن نطرح السؤال الآتي: هل ثمة علاقة بين تغيّر مفهوم المصطلح وتغير ابستيمولوجيا النظام العلمي الذي يدور في فلكه هذا المصطلح."² وعلى أساس الارتباط الوثيق الذي رآه بين مفهوم المصطلح والابستيمولوجيا والذي يحدد الخصائص الدلالية للمصطلح وضع مصطلحه الإدراك الذهني مقابلا لـ (Cognition).

4. رؤية ونقد في إشكالية المصطلح اللساني العرفاني:

ونحن بدورنا نتساءل هنا ليس عن مصطلح الإدراك الذهني الذي وضعه محسب فقط، إنما عن كل هذه المقابلات العربية لـ (Cognition) هذه المقابلات العربية لـ (Maily العربية لـ (Cognition) خاضع لما يخضع له وضع المصطلح العلمي في العلوم كافة أم أنه وضع اتبع فيه كلّ لساني تقاليده ووجهة نظره الخاصة؟ حينما بات من المعلوم أن وضع المصطلح الجيد يتطلّب شرطين هما:

"أ) تمثيل كل مفهوم علمي بمصطلح مستقل.

¹ دان سبيربر، ديدري ولسون، نظرية الصلة أوالمناسبة في التواصل والإدراك، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2016، ص 81 – 82.

^{.54} محى الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص 2

 11 ب) وتجنّب تمثيل المفهوم العلمي الواحد بأكثر من مصطلح واحد. 11

والظاهر من المصطلحات المعروضة حول ترجمة مصطلح (Cognition) أنها لم تخضع لهذين الشرطين وأخرى بالكاد فعلت، فمن حيث استقلالية المصطلح لا يمكن أن نجزم أبدا باستقلال المصطلحات المستخدمة (العرفنة، المعرفة، العرفان، الإدراك الذهني) فهي ذات صلة كبيرة بالفلسفة، وعلم النفس العرفاني، واللسانيات، والعلوم العرفانية كلها، واستقلال ترجمتها يعني خروجها من النسق المفهومي الأصلي لها، وهذا بعينه إشكال أساسي في وضع المصطلح اللساني العرفاني وناتج عن "عدم الوعي بمقتضيات طبيعة المنظومة العلمية للسانيات العرفانية القائمة على معمار علمي قوامه تداخل الاختصاصات، فمصطلحات اللسانيات العرفانية تتتمي إلى دائرة ما يعرف في السباق الراهن للمعرفة بالمصطلحات البينية التي تتجاوز النسق الواحد إلى شبكة من الأنساق" وتداخل المنظومات العلمية يؤدي إلى تداخل المفاهيم والمصطلحات؛ لذلك كان من اللزوم تحرّي هذا التداخل العلمي في وضع المصطلح اللساني العرفاني وترجمته حفاظا على محتواه المفهومي، لكن هذا الأساس قد تم تجاوزه في الترجمة والنقل العربي للمصطلح اللساني العرفاني.

وإشكال قلة الوعي ببينية مصطلحات اللسانيات العرفانية يتضح خاصة في استخدام مصطلح المعرفة الذي بقي بين أخذ ورد لدى كثير من المشتغلين باللسانيات العرفانية، وتعدد المقابلات العربية لمصطلح (Cognition) ينفي امتثال واضعي المصطلح للشرط الثاني. وتجاوز شروط وضع المصطلح يولد إشكالات وخيمة لدى المتلقّي العربي من بينها: إعاقة تقدّمه في الفهم والإنتاج في اللسانيات العرفانية خاصة ومختلف العلوم عامة، إذ تأخذ منه قضية المصطلح وضبطه وفهمه جزءا كبيرا من بحثه.

ونرى أن الإشكال في تلقّي مصطلح (Cognition) في البحث اللساني العرفاني العربي راجع إلى عموم الأسباب التي وقع فيها المصطلح اللساني كافة منذ بداية تلقي اللسانيات عربيّا من: ثراء العربية بالمترادفات، والاشتراك اللفظي، وتعدد مصادر المصطلح في اللغة العربية، وهذه مشكلات لغوية، وهناك أسباب تنظيمية أهمها تعدّد واضعي المصطلحات في البحث اللساني العربي، وعدم اختبار قبول الجمهور للمصطلح الموضوع³ وهي أسباب جديرة أن نسقطها على المقابلات العربية لمصطلح (Cognition) لنعرف مدى القيود العلمية والمنهجية التي خضعت لها.

 $^{^{1}}$ على القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العمليّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 2 0 س معلى القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العمليّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 2 0 س معلى المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العمليّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 2 0 س

 $^{^{2}}$ امحمد الملاخ، ترجمة مصطلحات اللسانيات المعرفية: قضايا واشكالات، ص 2

 $^{^{236}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 230

بالنسبة لسبب الاشتراك اللفظي فقد حاول الأزهر الزناد تجنبه عندما اقترح مصطلح العرفنة ومشتقاتها، كما اتضح في المقابلات العربية لمصطلح (Cognition) تصادمها مع مشكل تعدد مصادر المصطلح في اللغة العربية، بل وحتى في اللغة المصدر مثلما تقدّم في ترجمة بن دحمان (Cognition) بالمعرفة رغم أن (knowledge) تترجم كذلك بمصطلح معرفة، وسارٍ هذا الإشكال أيضا على استعمال مصطلح العرفان ورفضه كمقابل نتيجة كونه مستعملا في حقل الدراسات الصوفية، وكذلك ما وقع من رفض لاستعمال مصطلح إدراك كون أغلب الدراسات تتفق "على جعله مقابلا لمصطلح (perception)" وتجنب أيضا محسب محي الدين استعماله مفردا فأتى بنعته معه للدلالة على المفهوم من (Cognition) في لغته المصدر.

أمّا الأسباب التنظيمية التي تولّد عنها إشكال تلقي المصطلح، والتي نرى أنها تمثل أهم الأسباب ورأس هذا الإشكال، فتتمحور حول تعدّد ناقلي المصطلح اللساني العرفاني وانعدام الخبرة الواعية لصناعة الترجمة المصطلحية ومنه غياب الإلمام بأدبيات المصطلحية والتكوين في أبجدية اللسانيات العرفانية، وغياب ذلك الإلمام بالأدبيات المصطلحية وبالخلفية المعرفية للسانيات العرفانية ينتج عنه إشكالات مصطلحية عديدة منها: تعدد المقابلات العربية للمصطلح الواحد مثلما رأينا مع مصطلح في الشكالات مصطلح (Cognition)، ومصطلح (mapping) وغيرهما، ضعف تأصيل المفهوم في بيئاته المعرفية الأصلية أو انعدام الفعل التأصيلي، فتتولد تارة ترجمات حرفية بعيدة عن مفهوم المصطلح في مظانه الأصلية نتيجة غياب اهتمام المترجم بالتنظيم المعرفي لمجال التخصص 2 الذي يترجم مصطلحاته.

من جهة أخرى يتحدد أحد إشكالات تلقي المصطلح في اللسانيات العرفانية في الجهود الفردية التي يقدّمها كل باحث في استقلال عن محاولة بناء مشروع عربي شامل للمصطلح اللساني العرفاني مثلما تقدّم في تقصيّي الجهود اللسانية العربية في وضع مقابل لمصطلح (Cognition)، الذي كان متنوّعا ومبنيا على آراء مستقلة لواضعيه ولا يُرَى في وضعه اشتغال أي مؤسسة علمية ومشاركتها، عدا عن بعض المعاجم العربية الصادرة عن مؤسسات رسمية مثل:

المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي ترجم مصطلح (Cognition) بالإدراك وعرّفه بأنه المعرفة في أوسع معانيها، ويشمل الإدراك الحسّي، والإدراك الذهني³

 $^{^{1}}$ عمر بن دحمان، المعرفة/ الإدراك/ العرفنة بحث في المصطلح، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: امحمد الملاخ، ترجمة مصطلحات اللسانيات المعرفية: قضايا واشكالات، ص 2 - 22.

 $^{^{3}}$ ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص 3

معجم علم النفس والتربية الصادر أيضا عن مجمع اللغة العربية الذي ترجم مصطلح (Cognition) بالمعرفة وعرّفه بكونه: "أ) كل عملية يتمكن الفرد بها من معرفة شيء ما أو الحصول على معلومات عنه. و (ب) كلّ أنواع المعرفة من إدراك حسّي وتذكّر وتخيّل وتصوّر وحكم واستدلال وهو تعريف يذهب إلى ما ذهب إليه المعجم الفلسفي من تصوّر مفهوم مصطلح (Cognition) بناءا للمعرفة من التجارب الحسية والمجرّدة، لكن الملاحظ هو اختلاف المقابل رغم أنه صادر عن المؤسسة نفسها بين الحقل الفلسفي وميدان علم النفس والتربية.

معجم مصطلحات الطب النفسي الصادر عن مركز تعريب العلوم الصحيّة ومؤسسة الكويت التقدم العلمي، وقد جعل مقابل (Cognition) مصطلح المعرفة كذلك، وعرّفه بأنه "العملية التي يتم بموجبها استنباط وتنظيم واستخدام المعرفة الذهنية وفهم الحقائق، ومن خلال ذلك يتعرف الشخص على نفسه وعلى الوسط المحيط به، ويهتم علم النفس والطب النفسي بالنمو المعرفي، والنظريات، والاضطرابات المعرفية، والعلاج المعرفي" ولا يختلف هذا المعجم مع سابقيه في تحديد تصوّر (Cognition) بيد أنه يترجمه بالمعرفة.

وحتى هذه المؤسسات والمعاجم الصادرة عربيا يرى أنها لم تتفق على استعمال مصطلح واحد مقابل (Cognition) فهي تتأرجح بين استعمال المقابل معرفة وإدراك، مع أنه من الأهمية بما كان توحيد المصطلح العربي لتجاوز إشكال التعدّد وفوضى المصطلح واستقلال كل باحث بمصطلحه، بالإضافة إلى هذا فالجمهور العربي المتلقّي للمصطلح يتفاوت في استخدامه لهذه المقابلات وأكثرها جريانا مصطلح (العرفان)، وأقلها استعمالا (الإدراك الذهني) الذي يؤخذ على مفهومه دلالته على الجانب الذهني فقط بينما العرفان كما جاء في المعاجم المختلفة يدل على العمليات التي تجمع بين الإدراك الحسي والإدراك الذهني، بعبارة أخرى مقابل الإدراك الذهني يحيل على جزء من العمليات التي تقع تحت مفهوم مصطلح (Cognition).

أما السبب في استعمال (العرفان) أنه طبيعي مترسخ في خصائص الدماغ، ومجاوز للوعي والإدراك وصالح موضوعا للدّراسة العلمية، حسب ما رأى محمد صلاح الدين شريف، ثمّ إن له جانبا شعريا سلسا من حيث وزنه الصرفي، أما كونه يستعمل في حقل الدراسات الصوفية، بحيث يوقع قضية الاشتراك اللفظي، فنرى أن سياق الاستعمال يحيل على التصوّر المقصود، فالسياق عامل حاسم وكفيل

 $^{^{1}}$ مجمع اللغة العربية، معجم علم النفس والتربية، ج 1 ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1984 ، ص 2 .

 $^{^{2}}$ لطفي الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تعريب العلوم الصحية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، د ط، د ت، ص 30.

بتوضيح ما يلتبس إذا توفرت معرفة سابقة بالمفاهيم، ذلك أن المعنى بحسب النظريات اللسانية العرفانية يتحقق ذهنيا وسياقيا، وليست الكلمات إلا حاثّات لبناء المعنى في الذهن، وليس ضارا أن تحفل اللغة الاصطلاحية بالمترادفات، لكن الضار الاختلاف في التحديد الدقيق والصحيح للمفاهيم في سياقاتها 1.

وخلاصة القول في تلقي المصطلح اللساني في البحث العربي إنه يعاني من الفوضى ويشكو من جملة من العوائق، نظرا لتجاوزه مبادىء وضع المصطلح العلمي، وقد تقدّمت البرهنة على هذه التجاوزات التي ولّدت كوكبة من المصطلحات المقابلة لمصطلح أجنبي واحد (Cognition)، وليست الغاية هنا الانتقاص من جهود الباحثين العرب إذ اختلف المصطلح المقابل لديهم ولم يتوحّد، فالحكمة ليست في توحيده إنما في اختيار أصلحه وأكثره دلالة على المفهوم والمعنى، بل الغاية التنبيه على أخذ قضية المصطلح اللساني العرفاني حصة الأسد من الدراسة اللسانية العرفانية العربية دون بلوغ حلّ علمي ومنهجي صارم لترجمة المصطلح اللساني العرفاني، في المقابل لم تحظ قضايا أخرى بمثل ذلك، مع أن حلّ إشكال المصطلح يخضع لمدى التزام المصطلحيين بالمبادئ العلمية في وضع المصطلح اللساني العرفاني، وقد لخص حافيظ اسماعيلي علوي في قوله: "بالنظر إلى الرصيد الفني للسانيات العربية في مجال الدراسة المصطلحية، نجد أنه ما زال يشكو من عقبات حقيقية؛ لغياب رصيد اصطلاحي مشترك يوحد اللسانيين ويؤلف بينهم. فرصيدنا المصطلحي في مجال اللسانيات هو ضرب من الأهواء النابعة من الميول والابتكار الشخصي الذي لا يتقيد بمنهجية علمية دقيقة." ولا يكاد المصطلح اللساني العرفاني في الميول والابتكار الشخصي الذي لا يتقيد بمنهجية علمية دقيقة." ولا يكاد المصطلح اللساني العرفاني في الكتابات اللسانية العربية يتجاوز هذا التصور حتى الآن.

II. التأسيس الابستيمولوجي العربي للسانيات العرفانية:

يرى باحثون وفلاسفة كثر مثل: محمد عابد الجابري، ومحمد وقيدي أن المفهوم المناسب للابستيمولوجيا هو كونها "دراسة نقدية موضوعها المعرفة العلمية من حيث المبادئ التي ترتكز عليها والفرضيات التي تنطلق منها والنتائج التي تنتهي إليها، أما هدف هذه الدراسة فهو البحث في الأصول المنطقية لهذه الفرضيات والمبادئ والنتائج من جهة وبيان قيمتها من جهة أخرى" والدراسة النقدية للمعرفة العلمية من حيث فرضياتها وأهدافها ونتائجها من الصعوبة بمكان أن تتم دون "البدء أولا بفحص المنهاج الذي اتبع للحصول عليها. وفحص المناهج هو من اختصاص الميتودولوجيا بالذات، كما أن نقد النتائج

¹ ينظر: عمر بن دحمان، المعرفة/ الإدراك/ العرفنة بحث في المصطلح، ص 21.

 $^{^{2}}$ حافيظ اسماعيلي علوي، نحن واللسانيات: مقاربة لبعض إشكالات التلقي في الثقافات العربية، مجلة كلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، مج 15، ع 59، 2008، ص 38.

 $^{^{3}}$ محمد وقيدي، ما هي الابستيمولوجيا؟، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ط 2 ، 1987، ص 3

وبالتالي تأويلها، هو أيضا من اختصاص فلسفة العلوم، وهو شيء يمس كذلك، بشكل أو بآخر، نظرية المعرفة، خصوصا عندما ننظر إلى هذه النتائج من زاوية تعبيرها، تعبيرا صادقا أو غير صادق، كاملا أو غير كامل، عن الحقيقة الموضوعية."1

ويؤيد هنا الجابري تداخل الابستيمولوجيا في دراستها النقدية للمعرفة العلمية مع الميتودولوجيا ونظرية المعرفة، وفلسفة العلوم، وعلاوة على تداخلها وتعالقها، هناك ما يميّز الابستيمولوجيا عن هذه العلوم التي تتداخل معها، وفي إطار هذا التعالق فإن ما يَسِمُ مفهوم الابستيمولوجيا ويميّزه كما يحدّدها حافيظ اسماعيلي علوي هو:

- "التمييز بين دراسة مناهج العلوم، باعتبارها دراسة وصفية، وبين الابستيمولوجيا من حيث إنها دراسة نقدية تدرس أسس العلوم ونتائجه.
- التمييز بين الابستيمولوجيا من جهة وبين الميتودولوجيا وفلسفة العلوم، بمعناها العام، من جهة أخرى.
- الابستيمولوجيا دراسة نقدية موضوعها المعرفة العلمية من حيث فرضياتها، ومبادئها ونتائجها."² من أجل ما توفّره الابستيمولوجيا من دراسات نقدية للعلم على مستوى الفرضيات، والمبادئ والمنهج، والنتائج، اتخذناها قضية حَرِيّة بالمناقشة ضمن مجال اللسانيات العرفانية خاصة والكتابات المنتجة حوله، وهذه المناقشة تهدف إلى:
- استكناه مدى معرفة اللساني العربي بالمنبع المعرفي والنقدي الذي جاءت منه اللسانيات العرفانية واستكناه مدى معرفته بمنهج اللسانيات العرفانية، وأدواته، وآليات استخدامه لتقريب مجال الخطاب اللساني العرفاني بكل مرجعياته وحيثياته للمتلقى العربي.
- معالجة وتقييم الوضعية العربية لمجموعة من القضايا المتعلقة بالأسس التصورية، والمنهجية والاستدلالية للسانيات العرفانية وأبرزها منهج اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية.

لبلوغ هذه الأهداف المسطرة في تتبع التناول اللساني العربي لابستيمولوجيا اللسانيات العرفانية ننطلق من الأسئلة الآتية:

ما علاقة الابستيمولوجيا باللسانيات واللسانيات العرفانية؟

¹ محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطوّر الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان، ط 5، 2002، ص 20.

² امحمد الملاخ، حافظ اسماعيلي علوي، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط 1، 2009، ص 26.

كيف تناول البحث اللساني العرفاني العربي الجذور الفلسفية للسانيات العرفانية وابستيمولجيتها؟ وهل اشتغل على نقد مرجعياتها العلمية؟

ما هي طبيعة الممارسة الابستيمولوجية العربية في اللسانيات العرفانية؟

هل بلغ الدرس اللساني العربي عامة من النضج ما يخوله لهذه الدراسة المعرفية الفلسفية؟

لا يمكن أن نغفل عن التوجّه المنادي بعلمية الدّراسة اللسانية منذ ظهور لسانيات دو سوسير، التي دعا من خلالها إلى تبني الدّراسة العلمية للظواهر اللغوية التي تتأسس على الملاحظة، والفرضيات والتجربة لبلوغ النتائج، الأمر الذي أصبحت به اللسانيات علما قائما برأسه له موضوعه، ومنهجه، وأدواته وفروعه – بما فيها اللسانيات العرفانية – ومصنّف ضمن العلوم الإنسانية المتعالقة بصورة مباشرة مع الابستيمولوجيا، نظرا للتعاون بينهما في تحليل المعرفة العلمية، والاستفادة عبر ذلك من المعطيات التي تمدّها بها العلوم الإنسانية والتي من بينها علم النفس. أوعليه فإننا نرى أن علاقة اللسانيات العرفانية بالابستيمولوجيا قائمة على ثلاثة أسس:

- علاقة عامة تربط اللسانيات العرفانية بالابستيمولوجيا من جهة كونها أحد العلوم الإنسانية.
- علاقة اللسانيات العرفانية (واللسانيات بصورة عامة) بالابستيمولوجيا من حيث كونها علم تجريبي يتسم بخصائص الدراسة والممارسة العلمية والانفتاح على حقول معرفية أخرى، وتجاوز الرؤية الاختزالية التي تحصر دراسة البنيات اللسانية في المجال اللساني الدّاخلي فقط، بينما منطلق الحجة في الاستدلال اللساني يجب أن يكون شموليا (Holistic)، يمكن بموجبه الاستدلال في مجال محدد أن يستند إلى كشوفات ونتائج حقول معرفية مجاورة، فالتصور الذّري للحقول العلمية لم يعد معمولا به في فلسفة العلوم؛ لأن المباحث العلمية أنساق مفتوحة وليست أنظمة مغلقة وهو ما تترابط به اللسانيات العرفانية بالابستيمولوجيا حيث اللسانيات العرفانية تنفتح على أنساق علمية متعدّدة وتفيد منها كالحاسوبيات، وعلم النفس العرفاني، والفلسفة...إلخ، إضافة إلى أن إثارة بعض القضايا الابستيمولوجية اللسانيات العرفانية من التوصل إلى معرفة لغوية وغير لغوية وبالتالي تسمح ابستيمولوجيا اللسانيات العرفانية، من التوصل إلى معرفة لغوية وغير لغوية نفسية، فلسفية، بيولوجية...إلخ.
- علاقة اللسانيات العرفانية بالابستيمولوجيا من حيث الاشتراك في دراسة بعض قضايا علم النفس وعلى وجه الخصوص علم النفس التكويني الذي يرجع إلى جان بياجيه (Jean Piaget) مثل: تبنّي موضوع المعرفة من حيث هي سيرورة موضوعا للابستيمولوجيا، وليس المعرفة المطلقة، ذلك أن

 $^{^{1}}$ ينظر: محمد وقيدى، ما هي الابستيمولوجيا؟، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 29 – 30.

الابستيمولوجيا تترك الأسئلة الفلسفية عن طبيعة المعرفة وإمكانها، لكي تتنقل إلى السؤال عن كيفية نمو المعارف بصفة عامة أو نموها في ميدان معرفي محدّد بصفة خاصّة؛ كالنموّ اللغوي لدى الطفل في مراحله الأولى التي يعتمد فيها على التجربة الحسية الحركية حتى تتحوّل إلى البناء المفهومي المجرّد وترتبط مراحل التطوّر والنمو والانتقال من المحسوس إلى المجرّد بتكوّن اللغة ونشأة الذّكاء التصوّري وهذين الأخيرين من أبرز قضايا اللسانيات العرفانية وعلم النفس العرفاني.

وخلاصة ذلك أن اللسانيات العرفانية تتعلّق بالابستيمولوجيا على مستويات عدّة وتغيد منها في تطوير تحليل قضايا اللغة، ما دام النقد الابستيمولوجي منصب على مناقشة وتوضيح الدّلالات والأسس المعرفية للنظريات العلمية فهو ينسحب على دراسة ونقد النظرية اللسانية العرفانية ككل، وهو ما نراه جديرا بالبحث والتقصي في الجهود اللسانية العربية؛ أي البحث في الممارسة اللسانية الابستيمولوجية العربية على فرع اللسانيات العرفانية من خلال التأصيل العلمي لجنورها المعرفية والفلسفية، وفحص أسسها النظرية والمنهجية، ومبادئها، ومنهجها، ممّا يقودنا إلى محاولة الإجابة عن السؤالين الثاني والثالث: كيف تناول البحث اللساني العرفاني العربي الجذور الفلسفية للسانيات العرفانية وابستيمولجيتها؟ وهل اشتغل على نقد مرجعياتها العلمية؟

ما هي طبيعة الممارسة الابستيمولوجية العربية في اللسانيات العرفانية؟

نلاحظ في كثير من الأعمال اللسانية العربية المعاصرة المنصبة على دراسة اللسانيات العرفانية وتحديد حقلها الأوسع منها (العلوم العرفانية) وموقعها منه، ربطها بعلم النفس والنمو المعرفي وفرضيات جان بياجيه، والفلسفة اللذان عُدّا من العلوم الأساسية البانية للعلوم العرفانية كما تقدّم لنا في مدخل هذا البحث نظرا لتشاركهما في دراسة قضايا معرفية مختلفة مثلّت نقاط التفاعل بين الفلسفة والعلوم العرفانية. وفي هذا السياق افتتح روبرت ويلسون موسوعة معهد ماساتشوسيتس للعلوم العرفانية بقوله: "إنّ مجالات الفلسفة التي تسهم وتثار في العلوم العرفانية متتوّعة، وتشمل فلسفة الذهن، فلسفة العلم، فلسفة اللغة المنطق الصوري، والميتافيزيقا الكلاسيكية، والابستيمولوجيا، وهي روابط مباشرة بين فلسفة الذهن والعلوم العرفانية مشكلة العرفانية." ومن بين أهم القضايا الكلاسيكية في فلسفة الذهن المرتبطة مباشرة بالعلوم العرفانية مشكلة الذهن/ الجسد التي انسحبت دراستها إلى النظرية اللسانية العرفانية المعاصرة، إضافة إلى نظرية الذهن وفي واقع الأمر انبثقت الإشكالية الفلسفية للذهن من تنازع الفلسفة المادية والفلسفة العقلية التي أثرت

 $^{^{1}}$ ينظر: محمد وقيدي، ما هي الابستيمولوجيا؟، ص 231 – 231

² Robert A. Wilson, Frank. C. Keil, the MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences, p xv.

وما نريد إثارته هنا هو ما موقع البحث اللساني العرفاني العربي من الإطار المعرفي الفلسفي للسانيات العرفانية، واستكشافا لذلك سنعرض عدّة رؤى عربية في هذه المشكلات الفلسفية اللسانية وبعض متعلقاتها العلمية الأخرى، نظرا لبينية اللسانيات العرفانية، وطبيعة الوعي والاهتمام العربيين بها.

1. مرجعيات اللسانيات العرفانية في علم النفس في الكتابات اللسانية العربية:

يدخل الحديث عن علاقة علم النفس (وعلم النفس العرفاني خاصة) باللسانيات العرفانية ضمن إطار بناء العلوم العرفانية أو البراديغم/ الأنموذج العرفاني الذي تأسس على علم النفس نظرا لطبيعته البينية في تحليل الظواهر والقدرات الذهنية، وتدخل ضمنها القدرة اللغوية التي تختص بدراستها أيضا اللسانيات العرفانية علاوة على ما قدّمه في فرضية النمو المعرفي، ولذلك فإنه من الجلّي تبيّن أثر علم النفس على اللسانيات العرفانية والعلوم العرفانية، وقد عرض كتاب الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية لمحي الدّين محسب بعض هذه القضايا والجذور التاريخية والفلسفية التي أثرت على العلوم العرفانية وانسحبت بالضرورة على اللسانيات العرفانية وظهورها كفرع لساني بيني، مشيرا إلى أن تاريخ هذه الجذور متعدّد ومتتوّع المرجعيات "فتارة يذهب إلى مدرسة علمية أو فلسفية بعينها، وتارة يذهب إلى عالم أو مفكّر بعينه، وتارة ثالثة يذهب إلى نظرية إدراكية معيّنة "أ تأسيسا على هذا استظهر محسب مجموعة مختلفة من مرجعيات العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية النفسية والفلسفية. وسنذكر أولا النفسية منها.

امتداد العلوم العرفانية إلى مدرسة الجشطات (Gestalt) وعلم النفس الجشطاتي المزدهر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ويظهر هذا الامتداد إلى فرضية أن الذهن (mind) ينبثق من الخصائص الفيزيقية للدّماغ (brain)، ويتعلّق بالأفكار المتصلة بالإدراك عموما، وبالإدراك البصري خصوصا، ومازالت هذه الفرضية متجسّدة في مبدأي علم النفس الجشطلتي، مبدأ الشمول: الذي ينصّ أن أي تجربة وعي يجب أن تقحص بصفة شمولية، ومنه التكامل في المعالجة العرفانية للمثيرات الواردة من حواس متعدّدة، ومبدأ التشاكل النفسي الطبيعي (Psychophysical Isomorphism) الذي يحدد العلاقة بين الوعي والعمليات الفسيولوجية الكامنة وراءه.

امتداد جذور العلوم العرفانية إلى جهود مستقلة لعلماء في توجّهات علمية مختلفة منهم: أوتو سيلز (Otto selz 1884 - 1943) عالم النفس الألماني الذي عُدّ رائدا مبكّرا في العلوم العرفانية بفرضياته حول المشكلات والخطاطات الذهنية في توجيه عمليات التفكير والإبداعية. وليف فيجوتسكي ...) Vygotsky 1896 - 1934) وجان بياجية اللّذين يمثلان الجذور الأوروبية الأولى للعلوم الإدراكية

محى الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص 1

بأعمالهما في علم النفس المضاد للسلوكية وفلسفة بياجيه؛ بدفاعهما عن فرضية أن العقل/ الذهن الإنساني هو ناتج عمليات بيولوجية ثقافية اجتماعية، وأن دراسة الذهن لا تتحقق دون دراسة آليات النمو التي تبزغ عنها القدرات العرفانية الذهنية. بالإضافة إلى جهود بعض علماء السلوكية المضادين للاتجاه السلوكي وهم عيّنة أخرى أشار إليها محي الدين محسب أيضا.

وفي سياق المرجعيات النفسية للسانيات العرفانية والعلوم العرفانية يذهب أيضا عمر بن دحمان إلى أن علم النفس العرفاني أحد أهم جذور العلوم العرفانية بما ناقض به التوجّهات السلوكية الأمريكية ومعارضتها دراسة العمليات الذهنية الداخلية للمعرفة والاكتساب والاكتفاء بدراسة السلوك الملاحظ، مع ذلك فهناك نشاط أمريكي خارج تأثير النزعة السلوكية مثل علم النفس العرفاني ومن أشهر أعلامه ألريك نايسر (Ulric Neisser) ودونالد نورمان (Donald Norman)، أما في الشق الأوروبي فقد ظهرت بدائل وضيّحت معالم العلوم العرفانية لاحقا هي: النمو المعرفي لجان بياجيه، وفرضية فريدريك بارتلات حول الخطاطات لشرح تشوهات الذّاكرة، وتحليل دونالد براودبانت للذاكرة والانتباه في بريطانيا، وازدهار علم النفس الجشطلتي في ألمانيا وأستراليا. أ

ويذهب الأزهر الزباد في بحثه البارز نظريات لسانية عرفنية إلى أثر علم النفس العرفاني على العلوم العرفانية بصفة عامة واللسانيات العرفانية بصفة خاصة؛ لاعتباره قلب العلوم العرفانية بفعل مجال دراسته المنصب على العمليات العرفانية وأبنيتها من قبيل: الإدراك، والانتباه، والذّاكرة، واللغة، والقصد والنشاط الفكري واللغوي وغير ذلك من المباحث المتفاعلة مع سائر الملكات العرفانية، وهذه الاهتمامات تأسست عليها فرضية بارتلات الخطاطات وتكون الذاكرة وعملية التذكر، فقد أثبت أن الذكريات لا تمثل مجرّد تسجيل أو حفظ لما عاشه الفرد من أحداث وإنّما يضاف إليها ما يملؤه صاحبها من تفاصيل لم تكن في الحدث الأصل، فالفرد محكوم في تذكّره بخطاطات ذهنية حاصلة عنده توجّه عملية التّذكر ولمفهوم الخطاطة من حيث هي بنية تنتظم وفقها المعلومات في الذّاكرة منزلة كبيرة في العلوم العرفانية عامة وفي علم النفس العرفاني، وفي اللسانيات العرفانية خاصة أن نحصيها جميعا، أشارت إلى أن علم النفس وعلم النفس العرفاني من أهم مرجعيات اللسانيات العرفانية أن نحصيها جميعا، أشارت إلى أن علم النفس وعلم النفس العرفاني من أهم مرجعيات اللسانيات العرفانية.

لكن الحفر في مرجعيات اللسانيات العرفانية إلى علم النفس في البحوث اللسانية العربية بدائي وفضفاض جدّا كما يلاحظ؛ ذلك أنه يكتفى بالأحكام العامة عن امتداد اللسانيات العرفانية إلى علم النفس

 $^{^{1}}$ ينظر: عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصوّرية والخطاب الأدبى، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص 24 – 25.

التي يتداولها أكثر المشتغلين باللسانيات العرفانية من العرب، متجاهلين حسب ما نرى الأخذ بالحسبان الإجابة عن أسئلة مثل: في ما تمثّل تأثير تصوّرات علم النفس بكل اتجاهاته الجشطلتي والعرفانية...إلخ على ظهور اللسانيات العرفانية? ما أهم قضاياه العرفانية التي استثمرتها اللسانيات العرفانية أثناء تبلورها? حيث يكون من تبعات الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها الإفاضة والتّعمّق أكثر في إفادة اللسانيات العرفانية من علم النفس، وتحقيق ما يحتاجه فعليا المتلقي العربي للسانيات العرفانية أن يعرف مصدرها الذي انبثقت منه لفهم مسعاها نحو تطوير هذه التّصورات العلمية المصدر، وهو ما نجده شبه منعدم في تحديد جذور اللسانيات العرفانية عربيا، وليس في علاقتها بعلم النفس فقط بل كذلك بالفلسفة ومجالات علمية أخرى كما سنرى.

2. المرجعيات الفلسفية للسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية:

الفلسفة حقل قديم جدًا، جمع علوما كثيرة إنسانية واجتماعية وطبيعية كعلم النفس، والرياضيات والفيزياء، والفلك، واللغة...إلخ، ورغم استقلال بعض هذه العلوم المعاصرة عن الفلسفة إلا أنه ليس استقلالا تاما، فما زالت تمتد وتتغلغل في أكثر البحوث العلمية معاصرة وتطوّرا ونقصد العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية بصورة خاصّة، حيث نجدهما استفادا كثيرا من القضايا الفلسفية المطروحة سواء الكلاسيكية أو المعاصرة، العامة أو المتعلقة بفلسفة اللغة خصوصا، ومن كلّ الاتجاهات الفلسفية المتصارعة لاسيما الاتجاه العقلي الذي ترعّمه رونيه ديكارت وباروخ اسبينوزا وأتباعهما، ومن الفلاسفة المعاصرين في اللسانيات نوام تشومسكي أحد أعلام الثورة العرفانية التي أثارت من جديد الفرضية القائلة إنّ العقل هو مصدر المعرفة والمعرفة اللسانية. والاتجاه التجريبي الذي مثله ديفيد هيوم، وبركلي، وجون لوك، وأتباعهم والقائل بأهمية الخبرة والحواس في بناء المعرفة.

وقد أشار محي الدين محسب في بحثه السابق إلى امتداد ظهور العلوم العرفانية إلى هذه التيارات الفلسفية، التي ذكر منها الرؤى الفلسفية لرونيه ديكارت (R. Descartes 1596 -1650) وإيمانويل كانت (K. Immanuel 1724 – 1804) وبالتحديد فرضية ديكارت ثنائية (العقل/ الجسد) وفرضية إيمانويل كانت في كون تفعيل المدخلات الحسية يلزمها استعمال حالات تصوّرية أو شبه تصوّرية واعتبار العقل نظاما من الوظائف التي تقع خلف المشاهدة، وتقسيم عمله إلى ملكة الحساسية (Understanding) التي تنظّم المعلومات الحسية في تجارب ذات معنى. المعلومات الحسية في تجارب ذات معنى.

[.] 1 ينظر: محى الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص 1

كما أشار إلى امتداد العلوم العرفانية إلى الفلسفة الظاهراتية الفينومينولوجية بدافع معالجة سؤال المقصود من معنى الإنسان، وكيف أننا قادرون على التفاعل فيما بيننا وبين العالم، وبعبارة أخرى كيف يحدث الوعي البشري بالعالم والذات، باعتبار الذات في الفلسفة الظاهراتية نقطة انطلاق البحث في إدراك العالم وبالتالي حاملة لمعنى الأشياء بواسطة الوعي، والواضح أن ماهية الذات في الفلسفة الظاهراتية يقصد بها الذهن وقدراته بمفهوم اللسانيات العرفانية؛ وحيث إن إدراك العالم يتم عن طريق المعنى الذاتي الفلسفي، فإن إدراك الظواهر اللغوية يعتبر ظاهرة نفسية ذهنية، ذاتية إلى حدّ ما، ولا يمكن فهمها إلا في علاقتها بباقي الظواهر الذهنية الأخرى المرتبطة بطبيعة المقوّلة البشرية وبمختلف الاستراتيجيات الإدراكية والعرفانية التي تحدّد صلة الإنسان بعالمه. 1

وبالعودة إلى أهمية فلسفة اللغة في تبلور اللسانيات العرفانية علينا معرفة أن المقصود من فلسفة اللغة هو "محاولة تقديم أوصاف فلسفية لملامح عامّة في اللغة من قبيل الإشارة والمعنى والصّدق ولا ترتبط بعناصر محدّدة في لغة بعينها، أو بالأحرى في لسان معيّن، اللهم إلا بصورة عارضة، وهي بذلك اسم لمبحث من مباحث الفلسفة" وبذلك تهتم فلسفة اللغة بمناقشة المظاهر الفلسفية في بعض القضايا اللغوية والتي نرى أنها في أصلها ذات بعد فلسفي مثل: قضية الإحالة، والقصد، والاقتضاء...إلخ، وهي قضايا متولّدة أصلا عن تصورات فلسفية لدى أصحابها مثل جون سيرل، لودفيغ فتغنشتاين، بول غرايس وغيرهم، وهؤلاء بدورهم مثلوا التيارات الكبرى في فلسفة اللغة التي كان لها فضل على اللسانيات العرفانية. وحدّد صلاح إسماعيل ثلاث اتجاهات رئيسة على وجه التقريب في فلسفة اللغة كما يأتي: 3

الأول يمتد من فريجه، ورسل، وفتغنشتاين المبكر عبر الوضعية المنطقية حتى يومنا الحالي في كتابات كواين، وديفيدسون، ودميت، وبتنام، والمهم في هذا الاتجاه أنه ينشغل في غالب الأمر بالعلاقة بين المعنى والصدق؛ إذ إنه يعالج العلاقة بين اللغة والأشياء التي تدور حولها كلمات المتكلم، ومن ثمّ يبحث في شروط صدق الجمل، وسؤاله المهم هو: ما شروط صدق المنطوق؟

وفي إطار جواب فلاسفة هذا الاتجاه عن سؤالهم المحوري التزم أكثرهم مجال علم الدّلالة معتقدين أن معاني الجمل يمكن تحديدها عن طريق شروط الصّدق، وأن معنى العنصر المكوّن في جملة ما يتعيّن في مدى إسهامه في معاني الجمل الأخرى التي يظهر فيها. 1

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 12 ، ومحمد غاليم، الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم، ص 206 .

 $^{^{2}}$ صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة والمنطق دراسة في فلسفة كواين، دار المعارف، دط، 1995، ص 2

³ ينظر: صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 2، 2018، ص 26.

ويمثل الاتجاه الثاني مور وفتجغنشتاين المتأخر ومدرسة أكسفورد أو فلاسفة اللغة العادية وأبرزهم: أوستن وغرايس، ويسير في ركابهم سيرل، وهابرماس أيضا، وعلى حين يحفل الاتجاه الأول ببحث العلاقة بين اللغة والعالم، نجد أن الاتجاه الثاني يصب جل اهتمامه على العلاقة بين اللغة والمتكلم، وهنا ينشأ الاهتمام بأسئلة تتعلق باستعمال اللغة، وباللغة منظورا إليها كجزء من السلوك الإنساني. والسؤال الأساسي في هذا الاتجاه هو: ما العلاقة بين المعنى والاستعمال؟ مع ضرورة الانتباه إلى كون الاتجاهين يتداخلان ويتشابكان بطرائق شتى.

بالإضافة إلى هذين الاتجاهين فقد ظهر اتجاه ثالث ظهورا بارزا في العقود الأخيرة من القرن الماضي، ألا وهو تيار علم اللغة كما تُصَوِّرُهُ كتاباتُ نوام تشومسكي، وما ترتب عليه من تصور معين لفلسفة اللغة ظهر عند أتباعه مثل كاتر وفودور، ويناقش هذا الاتجاه موضوعات تدور في فلك المعرفة اللغوية واعتبار النظرية اللغوية تفسيرية بدلا من أن تكون وصفية، والسؤال الأساسي فيه هو: كيف نفسر الإبداع اللغوي؟

والحقيقة أن ما طرحته هذه الاتجاهات في فلسفة اللغة يعدّ من الأسس المطوّرة في اللسانيات العرفانية، مثل: قضايا القصدية، والإدراك، والوعي، والفعل الكلامي، والإحالة، وشروط الصدق، والإبداع اللغوي... إلخ، وغير هذه القضايا المتداخلة الشائكة التي تمتد على مدار فلسفة اللغة، واللسانيات والتداولية، وعلم النفس والتي يتطلب طرحها كثيرا من التفصيل؛ لذلك سنوضتح في هذا المقام أثر فلسفة اللغة على اللسانيات العرفانية ومدى الاهتمام اللساني العربي بها في كتاباتهم المعنية باللسانيات العرفانية بناء على مدى دراستهم وتقديم حفريات علمية لها في اللسانيات العرفانية. وتبعا لاتجاهات فلسفة اللغة نعالج شروط الصدق وأثرها في اللسانيات العرفانية بإجابتها عن العلاقة بين اللغة والأشياء

2) أ - مبدأ شروط الصدق وتأثيره على تبلور اللسانيات العرفانية:

يتعلّق مبدأ شروط الصدق بمجال الدلالة وبالضبط بالفكرة القائلة إن معنى الجملة يمكن تقديمه عن طريق تعيين الشروط التي تجعلها صادقة، والصدق بالمفهوم الفلسفي اللساني كما طرحه غوتولد فريجه ومنتيسكيو، وديفيدسون وغيرهم هو العلاقة بين اللغة والعالم باستقلال عن اعتبارات متكلّمي اللغة ومستعمليها، لكن الاعتبار المعتمد في مفهوم الصدق القائل بعلاقة اللغة والعالم، واستقلال هذه العلاقة عن المتكلّم مستعمل اللغة كان مسألة مثيرة لإعادة النظر في مفهوم الصدق ودلالة شروط الصدق كلها بما توفّره النظريات العرفانية المعاصرة، خاصة نظرية راي جاكندوف الدّلالة التصوّرية، التي رأى من خلالها أنّ الصدق خاصية للعالم كما نؤوّله وبالتالي لا يمكن أن يستقلّ عن الذّهن وهي الرؤية العرفانية

 $^{^{1}}$ ينظر: صلاح إسماعيل، اللغة والعقل والعلم في الفاسفة المعاصرة، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2018، ص 137-138.

 $^{^{2}}$ محمد غاليم، المعنى والتوافق، ص 71 – 101.

لدلالة شروط الصدق التي تبناها محمد غاليم في بحثه المعنى والتوافق بإفاضة في إثبات الجانب الذهني الذي يقوم عليه مفهوم الصدق، ودلالة شروط الصدق، حيث يناقش غاليم المبدأ الأساس الآتي لدلالة شروط الصدق:

تكون ج صادقة (في ل) إ ذذ كانت ش $_{1}$...شن.

حيث (ج) الجملة التي نبحث عن مدى صدقها، و (ل) العالم، و (ش \dots شروط صدق الجملة وتعتبر قيودا على العالم.

ويرى أن شروط صدق الجمل، بهذا المعنى، لا يمكن أن تعالج باعتبارها مستقلة عن تأويل المتكلّم إلا إذا كان العالم واللغة التي تصفه مستقلّين عن تأويل المتكلّم أيضا، الأمر الذي لا يمكن أن يحدث لاسيما مع اللغة بناء على الحجج الآتية: 1

- هناك أشياء مجرّدة متواضع عليها وليس لها كيان في العالم الخارجي، وكيانها الذي يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب ناتج عن تنظيمات اجتماعية تخلقها ثقافة معيّنة، مثل: نجاح الطالب الذي تحدده مؤسسته التعليمية، مع ذلك فإن تصوّرنا لصدق مثل هذه الجمل التي تتحدث عن المجرّدات أو خطئها لا يختلف كثيرا عن التصور الذي نملكه بصدد جمل تخص الأنواع الطبيعة أو الأحداث الفيزيائية فهي جميعا واقعية وموجودة في العالم، رغم أن بعض المجردات ليست إلا نتاج التنظيم الاجتماعي.
- لا يمكن تصور الصدق باعتباره جزءا من الواقع الموضوعي المستقل عن الأذهان، فالعبارات اللغوية التي يُحكم عليها بالصدق والكذب تعبّر عن العالم كما نتمثّله ونؤوّله، إضافة إلى أنه لا يمكن اعتبار شيئا معيّنا جملة إلا إذا كانت له بنية تركيبية، وهي بنية يفرضها الذّهن. وهذا يعني أنّ الكيانات التي تخصص، تبعا لشروط الصدق، باعتبارها صادقة لا توجد إلا بفضل تأويلنا للعالم، والملاحظ أنه إذا كانت خصيصة الصّدق تطلق على الكيانات الموجودة في العالم الذي نتمثّله ذهنيا، وكانت شروط الصّدق تستازم وجود هذه الكيانات، فإنه من المفارقة أن يكون الصّدق منتميا إلى الواقع الموضوعي المستقل عن الذّهن، وبتعبير محمد غاليم "إذا كانت «الجمل» و «العالم» معا خاضعين لقيود طبيعة الذّهن وكيفية تأويله للواقع، صعب أن تصوّر العلاقة بينهما غير خاضعة لنفس القيود كذلك."²

ويتبنّى محمد غاليم في دراسته نظرية دلالة الشروط الصدق، ومفهوم الصدق تصوّرات راي جاكندوف في نظرية البنية التصوّرية التي يتم على مستواها بناء كلّ تصوّراتنا اللغوية وغير اللغوية، وبما

[.] 101 - 100 - 99 ينظر: المرجع السابق، ص99 - 100 - 101

² المرجع نفسه، ص 101

أن شروط صدق العبارات اللغوية يتحدد بمدى مطابقتها للعالم المؤوّل، فإن الصدق يصنف ضمن انشغالات البنية التصورية، وهو ما حاول محمد غاليم إثباته فضلا عن راي جاكندوف. من هنا يمكن القول إن دلالة شروط الصدق أثارت مسألة ارتباط اللغة بالعالم الواقعي لا من حيث كونه واقعيا طبيعيا فقط، بل من حيث كونه عالما مسقطا ذهنيا، بحيث تصبح دلالة شروط الصدق دلالة عرفانية.

2 ب -2 قضية الإحالة وإجابتها عن سؤال علاقة اللغة بالمستعمل/ المتكلم:

من قضايا فلسفة اللغة، أيضا، مبدأ الإحالة الذي يعد في جزء كبير منه مبدأ تداوليا لكنه في جزء من قضايا فلسفة اللغة، أيضا، مبدأ الإحالة، حسب موشلار وريبول وظيفة لبناء العلاقة بين اللغة والواقع/ العالم الخارجي، وتحقيق التمثيل التصويري، وهذا الربط بين اللغة والعالم الخارجي الذي تتكفّل به نظرية الإحالة يتم وفقا لتصورات المتكلّم المقصودة والمناسبة من بين جملة المراجع الممكنة ضمن تصورات المتكلّم واستعماله. وهذا المفهوم يجعل الإحالة نظرية للربط بين اللغة والواقع ويبدو تقليديا بالنسبة إلى راي جاكندوف؛ بحيث يرفض الأخير الربط المباشر بين اللغة والعالم الحقيقي، ويفترض أن الإحالة عملية نفسية تربط بين اللغة والعالم المسقط في أذهاننا الذي تنشئه البنية التصورية. ونجد كذلك جيل فوكونيي يستثمر مبدأ الإحالة من جانبه التداولي في نظريته الأفضية الذهنية تحت مسمّى مبدأ التعيين (Identification Principale) كأحد الروابط بين الأفضية الذهنية.

أما مبدأ الإحالة باعتباره قضية فلسفية لسانية نفسية لها أثرها العرفاني في تأويل العبارات اللسانية دلاليا في البحث اللساني العرفاني العربي، فقد انشغل به محمد غاليم، أيضا، من خلال معالجة الخطوط العريضة العريضة لقضية الإحالة اللسانية العرفانية بناء على كونها عملية نفسية تواصلية وهذه الخطوط العريضة هي:

أوّلا: تندرج الإحالة كعملية عرفانية ضمن التواصل اللغوي الذي يقوم في إطار عرفاني على تفاعل مختلف القدرات العرفانية، الإدراكية والتصورية، وتضافرها لإنتاج التصورات العرفانية الشاملة داخل بنية الذهن/ الدماغ، كما يقوم في تحققه على مبدأ المشاركة بين الجماعة اللغوية، على الرّغم من كون البنية التصورية تنتمي إلى مستعمل اللغة الفرد؛ ما يجعل الكلمات التي يحيل عليها الأفراد توجد في رؤوس الأفراد، ولذلك فالإحالة هنا تمثّل إحدى عوامل تحقّق التواصل بأن تصبح البنيات التصورية الفردية

أ ينظر: جاك موشلار، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، د ط، 2010، ص 205 - 160.

 $^{^{2}}$ ينظر: راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ص 2 – 97.

³ Gilles Fauconnier, Mental Spaces, p 3.

استعمالات اجتماعية. 1 ويلاحظ هنا أن غاليم يذهب إلى ما ذهب إليه جاكندوف في طرح مفهوم الإحالة وما يتعلّق بها، فهي فضلا عن كونها أحد أسس العملية التواصلية، لا تتعلق بربط العبارات اللغوية بالعالم الخارجي بل تتم على مستوى الذهن فقط.

ثانيا: الإحالة عملية تربط بين تصورات ذهنية وعبارات لغوية:

يذهب محمد غاليم إلى أن الإحالة وفقا للتصوّرات التي يطرحها التكامل المعرفي بين المجالات اللسانية والنفسية، والدّلالية التصوّرية، تتمّ كالتالي: يحكم المتكلم (م) في اللغة (ل) على العبارة (ع) المقولة في السياق (س)، بأنها تحيل على الكيان (ك) في العالم كما يتصوّره (م)؛ أي المتكلم. وهذا المفهوم يوضّح كون الإحالة التي يؤديها المتكلم أثناء التواصل اللغوي كامنة ضمن بنيته التصورية؛ أي في تصوّراته الذهنية عن العالم الخارجي والتي تسمّى العالم المسقط (Projected world) المتمثّل في مجموع التصوّرات والتمثّلات المنظمة ذهنيا الواصفة للعالم الخارجي كما يتمّ تأويله عند كل فرد، والعالم المسقط هو ما يمكن للعبارات اللغوية أن تحيل عليه وليس العالم الواقعي الخارجي (عالم التجربة).

وكدليل على أن الإحالة تتم بين العبارات اللغوية والعالم المسقط المؤول عن العالم الخارجي إمكانية الإحالة على شخصية ماثيو الإحالة على شخصية ماثيو كوثبيرت في رواية: آن في المرتفعات الخضراء (لوسي مود مونتغمري)، وهي شخصية غير واقعية لكن لها تصوّر ذهني لدى المتكلم، وهذا يجعل الإحالة في إطار نظرية تصوّرية تعتبر أن اللغة والتصورات توجدان معا في الذهن/ الدّماغ وترتبطان داخله دون أن يكون هناك ترابط مباشر بين التصوّرات والعالم الخارجي وبالتالي تنقل هذه الرؤية نظرية الإحالة من الربط بين اللغة والواقع إلى اشتغالها بالربط على مستوى الذهن فقط، لتسهم في تأويل معنى العبارات اللغوية ذهنيا، وهي هنا جزء أساسي من النظرية الدّلالية التصوّرية كما طرحها راي جاكندوف، كما أنه لا يمكن إغفال أن النظر إلى الإحالة بهذه الصورة العرفانية ناتج عن فرضية علم النفس الجشطلتي التي تستدل "على أن الإدراك يحدث نتيجة تفاعل بين الدّخل الخارجي وبين مبادئ نشيطة في الذهن."4

محمد غاليم، الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم، ص148 - 149.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 150.

محمد غاليم، المعنى والتوافق، ص 4

بالإضافة إلى تصوّرات محمد غاليم عن نظرية الإحالة كعملية تواصلية عرفانية، عرض مجموعة من المستويات التواصلية التي تتم فيها الإحالة، مثل: الإحالة على الموضوعات التي تقبل التسمية، والصفات.

2) ج- الإبداع اللغوي في فلسفة نعوم تشومسكي اللسانية:

يمثّل الإبداع اللغوي إحدى قضايا فلسفة اللغة عند نوام تشومسكي التي تسعى للإجابة عن سؤال كيف تستعمل اللغة؟ من بين عدة أسئلة أخرى تصب أكثرها في الدراسة الذهنية للغة، وتدور حول:

"ماذا نعرف عندما نستطيع تكلم اللغة وفهمها؟

كيف تكتسب هذه المعرفة؟

ما العمليات العضوية التي تدخل في تمثيل هذه المعرفة واكتسابها واستعمالها؟ 1

وقد سبق القول في الفصل الأول من هذا البحث عن المظاهر التي تجعل لسانيات تشومسكي تصبّ في اللسانيات العرفانية، مثل: الجانب البيولوجي للغة وفطريتها، والنحو الكلي، والجانب العقلي الإبداعي الذي تتميّز به اللغة المستمدّ من فلسفة رونيه ديكارت، مع ذلك فقد ظلّت هذه التصوّرات في البحث اللساني العربي حبيسة الاتجاه اللساني التوليدي، ولم تستثمر نتائجها في اللسانيات العرفانية إلا قليلا عند ذكر إشارات إلى تمهيد تصوّراتها لظهور اللسانيات العرفانية في البحث اللساني العرفاني العربي. وجلّ ما اهتمت به دراسة المعنى والتوافق لمحمد غاليم، ومقالة محي الدين محسب الإدراكيات: إطلالة تاريخية ابستيمولوجية، عن أثر فلسفة اللغة على اللسانيات العرفانية في تحرّي بعض القضايا الأساسية كما جاءت عند راي جاكندوف مثلا، وعن عقلانية ديكارت وتجريبية جون لوك، وتكوينية جان بياجيه؛ لذلك نرى أن تحرّي اللساني العربي للمرجعيات الابستيمولوجية للسانيات العرفانية جاء جزئيا وغير كفيل كما يجب بإيضاح الصورة الابستيمولوجية للسانيات العرفانية عربيا.

2) د- التأسيس الابستيمولوجي للسانيات العرفانية لدى عبد الرحمن طعمة:

على الرغم من انحصار الاهتمام اللساني العربي بابستيمولوجيا اللسانيات العرفانية، هناك بحث عربي آخر نراه حقيقا بالاهتمام من ناحية تأصيله للسانيات العرفانية ابستيمولوجيًا، هو بحث عبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم "النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية." وخاصة الفصلين الثاني والثالث منه اللّذين هدف من خلالهما إلى تقديم خلاصات موجزة تندرج ضمن الهدف العام من تأطير اللسانيات المعاصرة (اللسانيات العرفانية) بدمجها في بينيات العلوم، وفلسفاتها وقضاياها الشديدة التنوع

ملاح إسماعيل، فلسفة اللغة، ص 1

والتشابك. 1 وقد عالج ضمن هذا الهدف مستويين لمرجعيات اللسانيات العرفانية المستوى الفلسفي والمستوى التجريبي بمختلف أبعادها الآتية:

2 د -1 الأسس الفلسفية لنظرية المعرفة وعلاقتها باللسانيات:

اهتم كل من طعمة وعبد المنعم في بحثهما بتقديم ونقد أبرز التصوّرات الفلسفية التي أسهمت في بلورة اللسانيات العرفانية سواء المتعلقة بفلسفة اللغة أو المتعلّقة بنظرية المعرفة، وهنا أبرز التصوّرات التي اهتم بها الباحثان:

- مبحث الفلسفة اللغوية لدى لودفيغ فيتغنشتاين:

من بين الأفكار الهامة التي اشتغل عليها طعمة وعبد المنعم فرضية فيتغنشتاين حول إنتاج العالم تجريبيا من خلال الجمل، فالجمل، وكلماتها، وبنيتها تعيد إنتاج تجارب العالم الواقعي؛ لأن الأسماء تعبّر عن أشياء هذا العالم وموجوداته، وتمتلك معانيها عن طريق علاقاتها داخل الجملة، وإذا ما اتفقت الأسماء وأبنية الجمل مع الأشياء ونظامها في الواقع، فحينها نقول إن الجمل صحيحة. ومن الجلي أن هذه الفرضية بما جاء فيها تمهد لظهور دلالة شروط الصدق كما تصوّرها فلاسفة اللغة التي يتعلّق إنتاج المعنى فيها بمدى مطابقة العبارة اللغوية للعالم الخارجي/ الواقع، وهو المقصود من اتفاق بنية الجملة مع انتظام الواقع.

وفرضية الصورة (Form) والمحتوى/ المضمون (Content) أو ما يسمّى المبنى والمعنى، أما في التواصل فهذه الثنائية تبرز في التركيب الذي يحمل الدّلالة التي تؤدّي بدورها وبمختلف أنواعها إلى المعنى، بحيث يمثّل التركيب الصورة (Form) وتمثّل الدلالة المحتوى (Content)، وثنائية الصورة/ المحتوى موجودة أيضا في الدّماغ كما يرى معظم العلماء، فالدّماغ مزوّد بنماذج أو قوالب تمتلئ فيزيقيا بالصور والأخيلة من خلالها يتمكن من خلق الأنساق التعبيرية الملائمة، وبالتالي فإن فرضية فتغنشتاين عن ثنائية الصورة/ المحتوى لها قوالب ذهنية افتراضية توازيها قواذ نراه من تأثير فلسفة فتغنشتاين اللسانية على اللسانيات العرفانية من خلال إثارة فرضية ثنائية الصورة/ المحتوى فرضية قالبية الذهن العناصر (Modularity of mind) لجيري فودور التي رأى فيها أن بنية الذهن قالبية؛ أي أن كل العناصر العرفانية لكل قدرة نفسية (psychological faculty) تقع ضمن قالب مستقل لها.

¹ ينظر: عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية، ص 82.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 86.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 87.

- مبحث الأبعاد الابستيمولوجية للنموذج اللساني العرفاني المعاصر:

ينهمك الباحثان في مبحث الأبعاد الابستيمولوجية للسانيات العرفانية المعاصرة بطرح مجموعة من التصورات الابستيمولوجية الفلسفية، التي مهدت لظهور اللسانيات العرفانية وأفادت مبادئها الأساسية القائمة عليها، ومن هذه التصورات نموذج الصدق والطبيعة الإشارية عند غوتولد فريجه الذي انطلق فيها من سؤاله عن إمكانية أن يكون للجملة معنى دون أن يكون لها إشارة خارجية معيّنة، مثل بعض القضايا التي تحمل معنى ولا تشير إلى أي موجود في العالم الخارجي، مثل قولنا: اشترى المينوتور كتبا جديدة، مع العلم أن المينوتور هو كائن أسطوري خيالي نصف إنسان ونصف ثور لا وجود له فعليا في الواقع الخارجي، وبالتالي تفقد هذه الجملة طبيعتها الإشارية. وكل جملة يفقد عنصر منها إشاريته العينية لكيان واقعى يفقدها إشاريتها كلُّها. إذًا لا تخرج فرضية فريجه هذه عن دلالة الصَّدق التي تربط اللغة بالعالم الخارجي، فهو يتحدّث عن الواقعية التمثيلية في عالم الأعيان؛ فالعالم موجود – بالضرورة – بصورة مستقلة عنّا وعن مخيّلتنا، وقبل حتى أن يتطوّر الدماغ البشري ليصبح على ما هو عليه وبمقتضى حال الأشياء في هذا العالم يتحدّد صدق/كذب ما نتلفظ به من أشياء $^{
m l}$ حسب تصّورات فريجه. والواضح من فرضيات فريجه أنه يفصل في دراسته للمعنى بين العالم الواقعي، والذهن، واللغة بحيث ينتج المعنى عن تطابق الصدق اللغوي فقط، لكن ماذا عن التصوّرات الذهنية الخيالية المجرّدة التي نتمثِّلها ذهنيا وخاصة في النصوص الأدبية الروائية والملحمية فقد يتصوّر القارئ عالما آخر بأكمله من الرواية؛ لأنه في مثل هذا النمط من التفكير لا تبحث عن إشارة خارجية تعبيرية بقدر ما ينشغل دماغك بخلق عالمه الخاص من التصورات البديعة من خلال تفاعل الكلمات وتسلسلها، ممّا يثبت وجود ظواهر واقعية طبيعية مستقلة فعلا عن الذهن، كما أنه هناك ظواهر لا يمكن أن تستقل عن الذهن رغم

ويمكن أن نجمل التصورات الفلسفية اللغوية وتأثيرها اللاحق في اللسانيات العرفانية التي طرحها طعمة وعبد المنعم في الفكرة الفلسفية الأساسية القائلة بضرورة التعبير الدقيق الصادق الواضح عن قضايا اللغة التي بدورها تعبّر عن الفكر والمفاهيم الذهنية البشرية؛ وعليها يتأسس التيار الفلسفي

كونها صادقة؛ وهذا يعنى أن الذهن البشري يخلق عالما بداخله من خلال حدود إدراك الموجودات داخل

العالم الخارجي/ الواقعي عبر وسيط اللغة؛ لأن كل إدراكنا لهذا الوجود لا يعني أن هذا الوجود هو ما هو

عليه بالفعل في الكون، بل يعني أنه هو ما عليه في أذهاننا. 2 وهو رأى ذهب إليه راى جاكندوف، وجون

سيرل أيضا.

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 97 - 98.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 98 – 101.

لفيتغنشتاين الدّاعي إلى تأسيس الفهم الحقيقي للفكر والعالم على القضايا الصادقة، المتمثلة في قضايا العلم الطبيعي، في حين يتمثل دور الفلسفة في تحليل هذه القضايا اللغوية وتوضيحها. أوهنا يتضح دور الفلسفة التحليلي في التحليل اللغوي وإثبات صدق القضايا اللغوية، وهو ما سمي بأساس الطابع المعرفي في الفلسفة التحليلية للغة الذي يختص بالكشف عن المحيط الخارجي وفهمه، باعتماد المنطق والحجة والبرهان والتجريب. 2 من أجل التحقق من صدق القضايا اللغوية، وهو ما يجنح بالتحليل اللغوي من الحدس والتسليم البديهي بالقضايا اللغوية إلى تحليلها تجريبيا، وإثبات حملها للمعنى الذي بدوره يصف الفكر بأنه فكر، ومنه فغاية هذه الفرضية الفلسفية اللغوية بحث المعنى اللغوي باعتباره وسيلة ومكوّنا من مكونات الفكر، فلا يتحقق الفكر دون المعنى اللغوي ولا يتحقق المعنى اللغوي دون خضوعه للتحليل المنطقي والتجريبي.

2) د - 2- الأسس الفلسفية اللغوية وعلاقتها بالعلوم العرفانية:

ترجع الممارسة الفلسفية اللغوية إلى عدد غير قليل من الفلاسفة الكلاسيكيين والمعاصرين، الذين تاولوا قضايا لغوية من منظور فلسفي يتقق تارة ويتناقض تارة أخرى، خاصة بين النزعتين العقلانية والتجريبية، التي تعرّضت في بعض المراحل والمفاهيم إلى أفكار مثلّت عمود العلوم العرفانية المعاصرة بما فيها اللسانيات العرفانية كفرع منها، ومن بين هؤلاء الفلاسفة عرض الباحثان عبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم تصوّرات جون لوك (John Locke)، وجون سيرل (John Searl)، وجون أوستن الماس تجريبي، بالإضافة إلى التحليل الفلسفي المعنى الذي أفادته أطروحات جون سيرل من تصوّرات الفلاسفة التجريبيين الإنجليز وفي طليعتهم جون لوك، وباركلي، وهيوم. وأبرز أطروحاتهم التي رَأَيًا أنها المعنى باللسانيات العرفانية وقدّم الباحثان مناقشة لها فرضية: رفض فطرية الذهن وطرح فرضية الإدراك الحسي والخبرة التجريبية الحسية في بناء الذهن لدى جون لوك، وفرضية محور الفلسفة اللغوية التحليلية هو تحليل المعنى لدى جون سيرل، إضافة إلى أفعال الكلام، والقصد، والتعاون، والاستلزام الحواري وأثرها على المستوى الذهني عند المتكلم والمُخَاطَب، التي عالجها جون سيرل مع حرصه على تلافي ما غفل عنه أستاذه جون أوستن.

¹ ينظر: بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف الجزائر، ط 1، 2010، ص 156.

 $^{^{2}}$ ينظر: عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية، ص 2

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 111.

2) د-2-1 الإدراك الحسى وبناء الذهن لدى جون لوك:

إنّ أول ما يدعو إلى تحرّي النزعة العرفانية عند جون لوك هو كونه رائد فهم النظرية الإدراكية (الحسية) التي تطورت لاحقا لتصبح (عرفانية النموذج العصبي)؛ فهو فيلسوف تجريبي حسي، من أهم أعماله مقال عن الفهم الإنساني، شرح فيه نظريته حول الوظائف التي يؤديها الذهن عند التعرف على العالم. وبحثه حول وظائف الذهن جعله يتجاوز البحث في تركيبته العضوية أو حصر وتحديد عملياته الذهنية، بل وجّهه مباشرة نحو فحص عناصر المعرفة في الذهن البشري من إحساس وإدراك، وأفكار وكلمات، ورأى أن مصدر الأفكار وأصلها راجع إلى الحواس باعتبارها المصدر الأول لتلقي الانطباعات والإدراكات، والأفكار هي كل ما يبني المعرفة الذهنية البشرية، وفي إطار فرضيته التجريبية الحسية ينقض فرضية فطرية الأفكار موضحا أن الفطرية تخص ملكات الذهن مثل: الفهم، والذاكرة، والتخيل والربط بين الأفكار ...إلخ التي يولد الإنسان مجهرًا بها. 1

ومن فرضيات لوك أيضا تقسيمه العمليات الذهنية المتعلقة بالأفكار البسيطة إلى: الإدراك الحسي، والاستبقاء (retention)، والمقارنة والدمج والتسمية، والتجريد (Abstraction)، أما الأفكار المركّبة فهي صور ذهنية حقيقية من إنتاج الذهن نفسه بتفاعلات عوالمه الدّاخلية، وتختلف عن الأفكار البسيطة في كونها تشير إلى تسلسل وتراكب أفكار بسيطة أخرى وهي مجرّدة إلى حدّ بعيد، بينما الأفكار البسيطة تشير مباشرة إلى الأشياء؛ لأنّ مصدرها الإحساس المباشر. ويرى طعمة وعبد المنعم أن المظهر العرفاني يتحدّد بعمق في تحليل الأفكار المركّبة التي تجاوزت مستوى الإدراك المحسوس إلى العرفان الأعلى؛ لأنها ليست حاضرة في الشيء المحسوس نفسه بل إن الذهن يستخلصها من المحسوسات، مثل الجوهر والأعراض، والسبب والنتيجة، والزمان والمكان والحركة، فالأفكار المركبة تتشأ بوصفها نتيجة تفكير متداع حول العلاقات بين ما يتلقاه الذهن من أفكار بسيطة. ويمكننا القول هنا أن الباحثين اهتما العرفانية ودراسة المعنى ذهنيا باعتباره أساس قيام الأفكار، فمن غير الممكن أن تقوم أفكار من دون معنى، وهذه النزعة التجريبية الحسية نجدها بكثرة في بعض أطروحات وفرضيات جورج لايكوف ومارك معنى، وهذه النزعة التجريبية الحسية في بناء المعرفة.

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 10

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 107 – 108.

2) c - 2 - 2 - 1 المظاهر العرفانية في فلسفة جون سيرل اللغوية وتطور المعنى في أفعال الكلام:

تتحدد المظاهر العامة لفلسفة جون سيرل اللغوية التي لها علاقة مباشرة نسبيا باللسانيات العرفانية بمحورين؛ أهمهما احتفاظه ببعض سمات الفلسفة التحليلية الموروثة عن الفلاسفة الإنجليز، وقد اختصره صلاح إسماعيل في ترجمته لكتاب جون سيرل العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي في العناصر الآتية: 1

- تنظر فلسفة جون سيرل اللغوية إلى اللغة في ذاتها كموضوع له خلفية من القدرات البيولوجية العصبية والنفسية للكائنات البشرية، التي تدعم أساس قدراتنا بوصفنا كائنات تستعمل اللغة، فهي موضوع متفاعل مع القدرات البيولوجية والنفسية تأثيرا وتأثرا.
- موقفه كان سلبيا إزاء دور الإبستمولوجيا في الفلسفة المعاصرة، فعنده موقع الصدارة ليس للإبستيمولوجيا، بل لفلسفة العقل، أو الفلسفة الأولى (First philosophy) كما سماها؛ بمعنى أن الموضوعات المرتبطة باللغة، والمعرفة، والأخلاق، والاجتماع، والعقلانية، وحرية الإرادة...إلخ تفهم كأحسن ما يكون الفهم عن طريق فهم الظواهر العقلية.
 - حاول سيرل فضلا عن تحليله الفلسفي للمعنى بناء نظرية فلسفية تحليلية كليّة.
- إعادة الاعتبار لقضية الحس المشترك والتوفيق بين الرؤية المادية الفيزيائية البيولوجية للجسم والرؤية العقلية المرتبطة بالوعي، ومنه تبنيه لثنائية الجسم/ الوعي ونتائج العلم الحديث حولها واستثمارها بوصفها رخصة للحديث بحرية ضد أنواع متباينة من اللغو الفكري داخل الفلسفة وخارجها على حدّ سواء.
- اعتماد سيرل في دراسة اللغة فلسفيا على أساسين أولهما أن الاستعمال اللغوي ضرورة في المجال الفلسفي كلّه، فلا تحدث مناقشة المشكلات الفلسفية إلا بالكلمات اللغوية، والآخر أنه اعتبر اللغة أحد معالم الفلسفة التحليلية إلى جانب معالم أخرى كالقصدية، والوعي، ونقد الذكاء الصناعي والواقع الاجتماعي والمؤسسة الاجتماعية، والعقلانية، وحرية الإرادة.

ومن الواضح جدّا أن تبني سيرل في هذا المستوى من فلسفته التحليلية اللغوية دراسة اللغة كقدرة نفسية بيولوجية، وربطها بالوعي والذهن هو ما يقودها مباشرة نحو التأسيس والتأثير على اللسانيات العرفانية، إضافة إلى تركيزه على التحليل الفلسفي للمعنى. مع العلم أن فلسفته التحليلية تساوي بين

¹ ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1، 2011، ص 18 – 89، وعبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النظرية اللسانية العرفانية دراسات الستيمولوجية، ص 111 – 112.

التحليل التجريبي والتحليل الذهني المجرّد تحت شروط ثنائية الجسم/ الوعي والتي تقابل بمصطلح اللسانيات العرفانية الجسد/ الذهن.

2) د-2 - -3 إضافات جون سيرل على نظرية أفعال الكلام:

يمكن أن نقسم أثر بحوث وأعمال جون سيرل على اللسانيات العرفانية إلى قسمين: أحدهما خاص بالأفعال الكلامية في ذاتها، ورؤاه، وإضافاته حولها التي ذهب إلى أنها تقع ضمن اهتمامه بفلسفة اللغة. والقسم الثاني خاص بتحوّله من فلسفة اللغة إلى فلسفة العقل.

القسم الأول: الأفعال الكلامية لدى جون سيرل:

ينطلق جون سيرل في اشتغاله على نظرية الأفعال الكلامية من تصوّرات أستاذه جون لانغشو أوستن التي أسس لها بالمبادئ الآتية:

تقسيم أفعال الكلام إلى أفعال كلامية/ منطوقات تقريرية (Constative Utterances) أو مقولات تصريحية التي يمكن أن «تصف» أحوال الواقع أو «تصرّح بواقعة ما» فحسب، ويكون بذلك التقرير إمّا صوابا وإمّا خطأ، ويشير بالصواب والخطأ إلى احتمالية الصدق أو الكذب، وتتميّز بكونها أقوالا فقط وهو المقصود من قوله تصف أو تصرّح فحسب. وأفعال كلامية/ منطوقات أدائية Performative) المقصود من قوله تطق على جملة الأفعال التي تدّل على الاشتراك في أداء الفعل علاوة على النطق به فهي تشير إلى أن صدور المقولة هو أداء فعل، محكوم دائما بالظروف المناسبة للإدلاء بالكلمات. أوهذه الظروف المناسبة هي ما سمّيت لاحقا بالملائمة.

لكن تقدّم أوستن في بحثه عن أفعال الكلام جعله يترك هذا التصنيف الثنائي إلى تصنيف ثلاثي سعى من خلاله إلى وضع نظرية عامة في أفعال الكلام (Speech Acts) منطلقا فيها من جمع أمثلة أفعال الكلام أوّلا، ثم تصنيفها وفهرستها، وبعدها التحديد الدقيق لمعانيها. وهنا بدأ عمل تلميذه سيرل الذي أكمل عمل أوستن في نظرية أفعال الكلام. وداخل هذا الإطار، أوضح اتحاد الأبعاد الثلاث المُتَضمَّنة في الفعل الكلامي وهي المنطوق (utterance)، والمعنى (meaning)، والفعل (action).

القسم الثاني: تحوّل سيرل من فلسفة اللغة إلى فلسفة العقل:

من ميزات نظرية الأفعال الكلامية كما افترضها أوستن أنها بيّنت الموقع العلمي الدقيق لفلسفة اللغة المنتمى إلى فلسفة الفعل (philosophy of action)؛ بناء على كون أفعال الكلام هي مثل أي

أ ينظر: جون لانغشو أوستن، الفعل بالكلمات، تح: جايمس أوبي أورمسن، مارينا سبيسا، تر: طلال وهبة، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ط 1، 2019، ص 27 -35.

 $^{^{2}}$ ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ص 2

أفعال أخرى وبالتالي فتحليلها الفلسفي اللغوي يكون جزءا من التحليل العام للسلوك البشري، وطالما أن السلوك البشري القصدي هو تعبير عن الظواهر العقلية فإنّ كلا من فلسفة اللغة وفلسفة الفعل الكلامي تقعان ضمن مجال فلسفي أوسع هو فلسفة العقل. أ وما يميّز تصوّرات سيرل المطوّرة حول أفعال الكلام هو اهتمامها بدلالة ومقصد الفعل المنطوق وأثره على المستوى الذهني للسامع من إثارة المشاعر، أو الأفكار أو تغيير في السلوك التي تتجلّى بصورة أوضح في القواعد التي طرحها: القواعد التحضيرية وقاعدة المحتوى القضوي، وقاعدة النزاهة ذات الصلة بالحالة الذهنية للمتكلم، والقاعدة الجوهرية، وقواعد المقصد والمواضعة.

2) د- 4- المظاهر اللسانية العرفانية في مقاربات كاتز وفودور لفهم اللغة البشرية:

بدأت نظرية جيري فودور (J. Fodor) حول اللغة البشرية في مؤلّفه قالبية الذهن بدأت نظرية جيري فودور (J. Fodor) حول اللغة البشرية في مؤلّفه قالبية الذهن تتركّب من قوالب كل قالب يمثّل قدرة ذهنية مستقلة وتحتل اللغة إحدى القوالب كونها قدرة ذهنية، ويعبّر طعمة وعبد المنعم عن هذه القالبية بأنها تمثّل "النموذج الأصغر أو البنية الصّغرى (Module) تقع ضمن التنظير العلمي، عند علماء السلوك وعلماء العرفان، للعمليات العرفانية ذات الحد الأدنى في الدماغ، وفي السيكولوجيا التطورية فهذه النماذج هي عبارة عن وحدات للعمليات الدماغية تتشأ نتيجة لعوامل الاختيار وضغط الطبيعة (الضغط الانتخابي والبزوغ)." وهكذا تكون القوالب الذهنية موجودة وراثيا على مستوى الدّماغ البشري والبنيات العصبية منذ ولادة الفرد، وتتشط ويبدأ اشتغالها تحت عوامل الضغط مثلما يحدث مع قالب اللغة ونشاطه، حيث يولد الفرد مزوّدا به ثم ينشط ويصبح وظيفيا تحت عوامل الضغط التي يعدّ أبرزها تفاعل ذهن الطفل مع عمليات التواصل في بيئته الاجتماعية.

من جهة أخرى يعرض الباحثان التوجّه المعرفي الذي ينظر به فودور إلى اللغة ولغة الفكر عامة ووفقا لمنظوره عدّ رأس الاتجاه المعروف بالمذهب الفطري العقلي، "حيث يرى العلماء من هذا الاتجاه أن لغة الفكر فطرية خفية تسمى (Innate Language) والمصطلح المستخدم للإشارة إليها هو (Conscious) ويؤيدون فكرة أن هذه اللغة تعمل في مستوى أدنى من الوعي الشعوري (Neural) (Neural) وتعمل كذلك في الوقت نفسه في مستوى أعلى من الحوادث العصبية بالمخ (Neural) النساني أضافة إلى فطرية اللغة يطرح فودور موضوعا آخر يصب مباشرة في التحليل اللساني

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 31.

² عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية، ص 118.

³ المرجع نفسه، ص 119.

العرفاني مفاده أن الاعتقادات والرغبات وما ماثلها هي كيانات تعكس بوضوح العلاقات بين التمثيلات الذهنية والذهن البشري من جهة، وكون هذه التمثيلات الذهنية تمثيلات خطابية في أساسها؛ أي أنها لا تكون مصاغة إلا في حامل شبيه بالحامل اللغوي (language-like Models)، وأن الإحالة هي الخاصية الدلالية الوحيدة التي تتميز بها هذه التمثيلات الذهنية أو اللغوية من جهة أخرى. وبتعبير آخر يمكننا القول إنّ إدراك المعنى الذي يبنيه الذهن عن الحالات الشعورية، والاعتقادات، والرغبات...إلخ، هو مجموع العلاقات القائمة بين العالم الذهني للفرد وتمثيلاته الذهنية عن شيء معين، والذي يمكن الإشارة إليه لغويا عن طريق الإحالة؛ إذ تعكس التمثيلات الذهنية في الاستعمال اللغوي.

أمّا مقاربة جيرولد كاتز (Jerrold Katz) تاميذ نوام تشومسكي فشملت، كما هو معلوم الدى اللسانيين، تطعيم نظرية تشومسكي التوليدية بالمكون الدلالي فضلا عن كونه من المدافعين عن النزعة العقلانية. ومركز اهتمامه في تحليل المعنى والحقول الدلالية هو أن المكونات الدّلالية لا تتغير بتغيّر اللغات على الرغم من أنها ترتبط بها، وهي جزء من نظام إدراكي يتفرع من التركيب الذهني للفكر البشري في عمومه، كما أنه في إطار حلّ مشكلة الدّلالة التوليدية قسّمها إلى قسمين: دلالة معجمية؛ تتكون من نسق من العلاقات التي تربط بين المفردات وتنتهي إلى المعجم، ودلالة بنيوية هي التي يُمثلُ لها بالعلاقات الشجرية داخل البنيات التركيبية. والتصوّر الأساسي لكاتز عن الدّلالة مركّز على كونها مقولة الدراكية ذهنية؛ لذلك فهي لا تتغيّر بتغيّر اللغات؛ أي المفهوم الذهني المكوّن عن شيء معيّن لا يتغيّر من شخص لآخر بتغيّر اسمه، بل يبقى المفهوم أو المعنى ثابتا في الذهن وما يتغيّر هو الاسم فقط، مثلا: تغيّر كلمات: شمس، Soleil ، Sun، الكلمات يدلّ على النجم الحراري المشع الذي يزوّد الأرض بالضوء والحرارة.

بالإضافة إلى هذه الأطروحات الفلسفية اللغوية التي عرضها الباحثان نجدهما يفصلان أكثر في نشأة العلوم العرفانية والتداخل المعرفي الذي قامت عليه بين علم النفس، والفلسفة، والأنثروبولوجيا واللسانيات...إلخ، بالاعتماد خاصة على تقرير سلون (Sloan Report) عام 1978 الذي حدّد العلاقات المعرفية البينية بين هذه العلوم وغيرها، كما تطرقا في هذا الجزء من بحثهما إلى فلسفة جان بياجي السيكولوجية المتعلقة بالنمو المعرفي والتي طرحنا أكثرها في الفصل الأول وهذا الفصل من بحثنا هذا.

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 122.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 120.

2) ه- ملاحظات نقدية على منظور عبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم في ابستيمولوجيا اللسانيات العرفانية:

وما نريد توضيحه عن عمل عبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية من جانبها الفلسفي اللغوي والابستيمولوجي، الذي طرحنا أساسياته باقتضاب هنا ونرجو من القارئ الرجوع إلى كتابهما (النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية)، للتوسّع أكثر في المرجعيات الفلسفية الابستيمولوجية التي عالجاها نظرا لكون طرحهما دائما ما يتصل بالانثروبولوجيا والثقافة، والظواهر الكونية، ما يأتي:

2) ه - 1- شمولية بحث "النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية" في الطرح الفلسفي الابستيمولوجي:

يكتشف المطلع على بحث طعمة وعبد المنعم الذي بين يدينا أن محاولته في رصد المرجعيات الفلسفية والابستيمولوجية للسانيات العرفانية كانت الأشمل من بين النماذج العربية التي انتقينا؛ (مقالة محي الدين محسب الإدراكيات إطلالة تاريخية إبستيمولوجية، وكتابا محمد غاليم المعنى والتوافق والأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم)، اللذان عالج فيهما قضية الإحالة ونظرية شروط الصدق.

وهذه النماذج الثلاث مثّلت رأس الجهود العربية في التأسيس الابستيمولوجي للسانيات العرفانية. رغم أن مقالة محسب عنيت بالجوانب الفلسفية الابستيمولوجية للعلوم العرفانية بشكل عام، إضافة إلى عنايتها بكشف أثر علم النفس وعلم النفس العرفاني قبل وبعد استقلاله عن الفلسفة في ظهور العلوم العرفانية العرفانية، وجلّ ما أورده عن ابستيمولوجيا اللسانيات العرفانية أنها تعدّ أحيانا الجذر الأول للعلوم العرفانية وقد عبر عن هذا بقوله إن اللسانيات العرفانية هي "الوريث الشرعي لتراث أقدم، يعود إلى ما قبل هيمنة السلوكية في علم النفس منتصف القرن العشرين التي منها حرّر العلم الإدراكي الكلاسيكي (الجيل الأول) علوم العقل." لا بينما اكتفى محمد غاليم في بحثيه بتبيين أثر الإحالة وشروط الصدق على انبثاق اللسانيات العرفانية، باعتبارهما من القضايا الأساسية في فلسفة اللغة وبالتحديد في إشكالية ربط اللغة بالعالم الخارجي.

أمّا عبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم فقد عرضا جلّ القضايا والأبعاد المعرفية التي مهّدت وأسست لظهور اللسانيات العرفانية، وما زالت تؤثّر حتى الآن في تطورات المقاربات اللسانية العرفانية

Chris Sinha (2001): Cognitive Linguistics, Psychology and cognitive Science. Draft Chapter For D. Geeraets and H. Cuyekens (Eds.) Handbook of Cognitive Linguistics. On:citeseerx.isl.psu.edu/vlewdoc/download?dol=10.1.1.20.6827...pdf

محي الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص18. نقلا عن:

مثلما نجد في فلسفة فتجنشتاين، وفلسفة تشومسكي، وتطوير جون سيرل لنظرية أفعال الكلام حيث نظر لها على مستوى الذهن، والتصوّرات الذهنية للغة لكاتز وفودور ...إلخ، والتي نجد لها جميعا منظورا ذهنيا وأحيانا بيولوجيا للغة يؤسس للسانيات العرفانية حاول الباحثان استنباطه وتقريبه للمتلقي العربي.

2) ه - 2- بعض المآخذ على الطرح الفلسفي الابستيمولوجي في بحث "النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية":

من جهة أخرى، يمكن ملاحظة بعض المآخذ على النتاول الابستيمولوجي للسانيات العرفانية لدى عبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم، وأبرزها اقتصار هذا البحث على عرض المرجعيات المعرفية للسانيات العرفانية فقط، دون تقديم أي نقد لهذه المرجعيات أو تحليل ومناقشة عميقة تتقصيّى تحوّل هذه التصوّرات المتنوّعة بين فلسفة اللغة ونظرية المعرفة إلى أسس للسانيات العرفانية ونظرياتها، ومن البيّن أنه ليس من الكافي اتخاذ فكرة ما من فلسفة اللغة أو نظرية المعرفة أساسا للسانيات العرفانية لمجرّد اهتمامهما باشتغال الذهن وتحقيق التواصل اللغوي.

إضافة إلى أن الممارسة المعرفية الابستيمولوجية يجب أن تكون "دراسة نقدية موضوعها المعرفة العلمية من حيث المبادئ التي ترتكز عليها والفرضيات التي تنطلق منها والنتائج التي تنتهي إليها، أما هدف هذه الدراسة فهو البحث في الأصول المنطقية لهذه الفرضيات والمبادئ والنتائج من جهة وبيان قيمتها من جهة أخرى." لكن ممارسة عبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم لم تتبع كل هذه الخطوات بل اكتفت بعرض وصفي للأصول المعرفية التي انبثقت منها اللسانيات العرفانية، وتجاوزت الربط والنقد بين مبادئ اللسانيات العرفانية والجذور التي جاءت منها، ومناقشة الوشائج القائمة بينها.

وهذا يبيّن الغاية من عرض الجذور الفلسفية الابستيمولوجية، كما رأى، التي تمثّلت في الوقوف بالباحثين في حقل العلوم البينية، والمشتغلين باللسانيات المعاصرة، على مباحث مختارة، تمثل عيّنة من النماذج التي تحتاج إلى مزيد فحص وتطوير، لأن البحث اللساني المندرج ضمن العلم المعرفي يقوم على ثقافة متشعبة بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، ولا يمكن تحقيق نتائج مأمولة إلا من خلال هذه البينية التي حاول فيما سبق من مباحث أن يبين أهميتها في الربط، والتحليل، والاستتباط بين مختلف الرؤى الفكرية، فلسفيا وتجريبيا. والبناء على مثل ما يقترحانه يمثل مرتكزات إبستيمولوجية نظرية لسانية معاصرة نؤسس لدروس تطبيقية ومختبرية في العالم العربي، وتفتح أفقا جديدا للعمل الأكاديمي المأمول. وعليه فإنّ التقريب الفلسفي الابستيمولوجي الذي قدّمه الباحثان يتأرجح بين مرجعيّات العلوم العرفانية

 $^{^{1}}$ محمد وقيدي، ما هي الابستيمولوجيا؟، ص 1

 $^{^{2}}$ عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية، ص 2

ومرجعيات اللسانيات العرفانية الذي يعد ضرورة تقتضيها النزعة البينية وآلياتها في التحليل اللساني العرفاني؛ وبالتّالي لا يمكن القول بوجود ممارسة ابستيمولوجية عربية فعلية في هذا البحث رغم شموليته وتكامله مقارنة بالنماذج المقدّمة إلى جانبه؛ ويمكن القول أنها لم تحاول جميعها تقديم نقد ابستيمولوجي يخص تقديم جذور اللسانيات العرفانية ونظرياتها المختلفة ومناقشة الدلالات المعرفية للسانيات العرفانية ككل في ضوء مرجعياتها الفلسفية الابستيمولوجية.

ولأن الممارسة الابستيمولوجية تشتغل على نقد المعرفة العلمية من حيث أسسها، وفرضياتها ونتائجها، فمن البديهي أن هذه الدّراسة الابستيمولوجية تشمل دراسة منهج العلم موضوع الدّراسة، مع ذلك فإن النماذج اللسانية العرفانية العربية المختارة لم تتطرق لأي حديث عن منهج اللسانيات العرفانية أو محاولة طرح سؤال أي منهج للسانيات العرفانية? ومناقشته على ضوء معطيات العلوم العرفانية وفي إطار النزعة البينية، لذلك اقترحنا مبحثا مستقلا نناقش فيه قضية منهج اللسانيات العرفانية والتلقي العربي لها، ويمكن أن نستثني من هذه البحوث بعض جهود وبحوث محمد غاليم.

من جميع المناقشات المتقدّمة المتعلّقة بالجذور الفلسفية والابستيمولوجية للسانيات العرفانية وتلقي البحث اللساني العرفاني العربي لها، يمكن أن نخلص إلى أن هذا الجزء من التلقي لم يكن موفقا وعلميا صارما إلى الحدّ المطلوب نظرا لسببين: الأول الأخذ في البحث ببعض الجزئيات والنظريات في فلسفة اللغة وإهمال قضايا أخرى، والآخر العرض السطحي لقضايا فلسفة اللغة أو فلسفة الذهن كونهما الجذر الرئيس والعصب الابستيمولوجي المركزي في فهم اللسانيات العرفانية ومختلف مقارباتها المتشعبة، زيادة على ذلك فإن الممارسة النقدية الابستيمولوجية على القضايا والمسائل الأصول المطروحة في البحث العربي شبه منعدمة، وخلاصة هذا أن المُساعلة السانية العربية للأبعاد الفلسفية والابستيمولوجية للسانيات العرفانية مساءلة قاصرة يعوزها التكامل، والشمول، والتعمّق، والنقد والاستدلال المعرفيين، لكن هذا لا يحط من قيمتها العلمية ولا يقدح في ما تعرضه – ولاسيما جهود محمد غاليم الساعية إلى تعريب مشروع راي جاكندوف اللساني بكل مستوياته وقضاياه – في التقريب الفعلي العلمي للسانيات العرفانية للمتلقي العربي في صورته العامة المقتضبة.

ااا. إشكال منهج اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية:

طالما شكّل المنهج في العلوم الإنسانية مسألة محيّرة لكون العلوم الإنسانية مجموعة كبيرة من الدّراسات أبرزها السياسة، والقانون، والتاريخ، والاقتصاد، والموسيقى، والدّين، والأدب، واللغة، والفن وعلى رأس هؤلاء جميعا الفلسفة وكلّها تتمحور على الإنسان الذي يمثّل القاسم المشترك بينها، لكن ما تتقاطع فيه هو المنهج بسبب القطيعة الابستيمولوجية التي عانت منها العلوم الإنسانية في أوائل ظهورها، فمنذ

الظهور الفعلي لهذه العلوم في أواخر القرن الماضي بمظهر العلوم المستقلة وهي تحاول فهم الإنسان ودراسته فيما يملكه من طاقات وقدرات قوامها: التفكير والعمل والإنتاج، والسبب وراء استقلالية كل علم منها عائد إلى اللبس والغموض نظرا لما يعتريها من صعوبات وما يكتنفها من مواقف فلسفية وأيديولوجية يصعب معها الحديث عن علوم إنسانية موحدة المنطق وموحّدة المنهج كما هو حاصل في العلوم الطبيعية.

لكنّ هذه القطيعة لم تدم بفعل التطوّر المعرفي الذي اكتسح جلّ المجالات العلمية على اختلافها وسرعان ما سرى الوعي بغياب الاستقلالية بين العلوم الإنسانية، وغياب القطيعة الابستيمولوجية بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعة من جهة أخرى، على اعتبار الأولى – سابقا – تتميّز بالذّاتية والنسبية لتحليلها ظواهر إنسانية بحتة؛ وبالتالي لا يمكن أن تخضع لمنهج علمي محدّد وموحّد، على عكس العلوم الطبيعية التي تحلل ظواهر طبيعية منفصلة عن مجال الإنسان كالظواهر الفلكية والمجرات، والأنظمة الطبيعية الحيوية النباتية...إلخ تحليلا تجريبيا منطقيا موضوعيا ميزته الصرامة العلمية.

وعلى ضوء الوعي بغياب الاستقلال المعرفي والقطيعة الابستيمولوجية انبرت طائفة من الباحثين والفلاسفة بتوحيد المنهج العلمي بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، ومن أبرز هؤلاء الفلاسفة كارل بوير (Karl Popper) – إضافة إلى فلاسفة آخرين – وفرضيته في توحيد منهج البحث العلمي، بعد أن سادت سابقا فرضية الفصل بينهما منذ إيمانويل كانط، وهو الظاهر في كتابه الشهير نقد العقل المحض ومن براهينه على علمية العلوم الطبيعية، وعدم علمية العلوم الإنسانية التي رأينا أنه استعمل للدّلالة عليها مصطلح الميتافيزيقا، أنه يمكن إجراء النقد العقلي على موضوعات العلوم الطبيعية، واستعصاء إجرائه على موضوعات الميتافيزيقا لأنّ موضوع العلوم الطبيعية هو الظواهر وحدها، بينما موضوع الميتافيزيقا هو الأشياء في ذاتها وهذا التمييز بين العلمين الطبيعي والإنساني لم يكن ليتحقّق لولا قضايا العقل المحض النقدية. 2 ويتضح أن الفصل بينهما مبني على تباين موضوع كل منهما ومدى قابليته للنقد العقلي أو ممارسة المنهج العلمي بعبارة أخرى.

وفي واقع الأمر إنّ السّجال بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية من حيث الموضوع، والمنهج والعلاقة بينهما واسع ومتشعّب خاصة في امتداداته الفلسفية، وما يشغلنا منه في بحثنا الوقوف على

 $^{^{1}}$ الغالي أحرشاو، مقوّمات وخصائص علوم الإنسان في الوطن العربي، المجلة العربية نفسانيات، ع 54 - 55 ، 7 - 8 - 8

 $^{^{2}}$ ينظر: إمانويل كنت، نقد العقل المحض، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، 2013، ص 4

المنعطف المعرفي المنهجي الذي نادى بتوحيد المنهج العلمي، نتيجة تطوّر عدد من التخصصات الإنسانية والطبيعية التي أصبح يتمحور جزء من بحثها على كشف موضوع العلوم الإنسانية، وضبط البات منهجها وأدواته، وتحديد العلاقات التعاونية بين هذين العلمين، وقد حدّد كلِّ من كوسميدس (Leda Cosmides) وتوبي (John Tooby) مجموعة التخصصات في: علم النفس التطوري والبيولوجيا، والعلوم العرفانية واللسانيات، وعلم الاجتماع...إلخ، التي والبيولوجيا، والعلوم المعرفية بين هذه العلوم ودحض استقلالها عن بعضها بعضا. والهدف من الربط هو وضع الطبيعية المعرفية بين هذه العلوم ودحض استقلالها عن بعضها بعضا. والهدف من الربط هو وضع نظرية معرفية عامة شاملة مبنية على التكامل والترابط المعرفي، أو ما أصبح يسمّى البينية مع ظهور العلوم العرفانية المازجة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية؛ وفي ضوء هذا المزج العلمي يمكن التساؤل هل يمكن مزج المناهج المطبقة في دراسة الظواهر الطبيعية والإنسانية على حدّ السواء؟ من الجليّ في الدراسات الغربية، ونخص هنا المتعلقة بمنهج اللسانيات العرفانية، أن هناك سعي حثيث نحو توحيد المنهج العلمي في تحليل الظواهر الطبيعية والإنسانية بطرح منهج عرفاني وضعته العلوم العرفانية واللسانيات في جزء كبير منه على آليات التجريب، لكن ماذا عن الوعي بمنهج العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية في الدرس اللساني العربي؟

إن معالجة إشكالية المنهج في الدّرس اللساني العربي المعاصر ما هو إلا إعادة طرح لها ومساءلة مخصوصة لإشكال المنهج في مرحلة مخصوصة، ومجال لساني معرفي مخصوص هو اللسانيات العرفانية، فقد تمت مناقشة هذا الإشكال ودارت مساجلات حوله في كثير من الكتابات اللسانية العربية وعلى رأسها كتابات مصطفى غلفان، ومازن الوعر، وعبد السلام المسدّي... إلخ، وقد ناقش هؤلاء في بحوثهم اللسانية أهمية وضرورة اتباع منهج لساني علمي في تحليل الظاهرة اللغوية، مع إبراز العقبات والأزمات التي واجهها منهج اللسانيات في التفكير اللساني العربي على حدّ تعبير مازن الوعر وعلى المستويات اللسانية الثلاث الصوتي، والدّلالي، والنحوي² ومن بين هذه المشكلات التي تعرّضت السبيل المنهجي في الدرس اللساني العربي التتوّع بين الوصفي البنوي، والتفسيري التوليدي، والمنهج الوظيفي وفي البحث المعاصر يبرز منهج اللسانيات العرفانية ذات البعد البيني.

¹ Look: John Tooby, Leda Cosmides, The psychological Foundations of Culture, in the Adapted mind Evolutionary Psychology and the generation of culture, Oxford University Press, New York, 1992, p 114.

² ينظر: مازن الوعر قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص 336 – 351.

وذلك النتوّع المنهجي بحث فيه عبد السلام المسدّي من خلال معيار العلاقة العضوية بين منهج اللسانيات والتغيرات المعرفية في حقل اللسانيات عامة، وأثناء مناقشة العلاقة المذكورة يثير المسدّي مسألة تحوّل الوعي العربي من وعي منهجي إلى وعي معرفي استنادا على البحث الابستيمولوجي في أصول المنهج؛ لأن منهج اللسانيات يتغيّر مع كل مذهب لساني كما هو معلوم، فمنهج اللسانيات البنوية وصفي آنيّ يناهضه المنهج التوليدي الذي ينقل تحليل الظاهرة اللغوية إلى الذهن اكتسابا وتوليدا أو بعبارة أخرى يشتغل على تحليل القدرة اللغوية بصورة كلية، وكل منهج لساني له أصول إبستيمولوجية ومعرفية تؤدّي إعادة قراءتها إلى قفزات نوعية معرفية بين المناهج اللسانية. أ الشيء الذي نلاحظه في تباين وتحول المناهج اللسانية الذي أثبته من قبل المنهج البنوي، والمنهج التوليدي، والمنهج الوظيفي وجاءت اللسانيات العرفانية الآن لتثبت هذا التحول.

لكن ما يميّز منهج اللسانيات العرفانية انفتاحه على معارف شتى فرضتها النزعة البينية وتعاضد العلوم الطبيعية والإنسانية تحت مظلة العلوم العرفانية، فإذا كان المنهج الوصفي يدرس الوقائع اللغوية دراسة آنية وبأدوات وإجراءات علمية ومنهجية تقوم على إعداد المتن اللغوي، وتجريد الظواهر اللغوية واستقرائها لبلوغ الملامح المشتركة التي تجمع بين الوقائع اللغوية وبالتالي الوصول إلى الأنماط العامة للظواهر اللغوية في اللسان المدروس. وإذا كانت إبستيمولوجية المنهج التوليدي تحاول الغوص في القدرة اللغوية، والبحث في الإنسان من خلال اللغة الداخلية (Internalized language) واللغة الخارجية (في تحليل الوظيفة التواصلية للغات المنهج الوظيفي يعتمد على تحليل الوظيفة التواصلية للغات

¹ ينظر: عبد السلام المسدّي، منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع 83/ 21، 2003 ص 14.

 $^{^{2}}$ ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 2 2013، ص 2 105.

^{*} ترجع فرضية اللغة الخارجية (اللغة المجسدة) واللغة الدّاخلية (اللغة المبنية داخليا) إلى نوام تشومسكي التي أراد من خلالها نقل التحليل اللساني من الوصف إلى التفسير، ورأى أن اللغة الخارجية هي السلوك اللغوي الذي نامسه أثناء التواصل اللغوي والذي اتجهت إلى وصفه اللسانيات البنيوية واللسانيات الوصفية، كما اتجه علم النفس السلوكي وغير ذلك من المداخل المعاصرة إلى تصوّر اللغة كمجموع من الأحداث أو المنطوقات أو الأشكال اللغوية (كالكلمات أو الجمل) يزاوج بينها وبين المعاني، أو كنظام من الأشكال أو الأحداث اللغوية، وهذه المفاهيم راجعة إلى فردنان دو سوسير، وليونارد بلومفيلد، وزليج هاريس وغيرهم من البنيويين والوصفيين. وهذه المفاهيم أشار إليها تشومسكي على أنها حالات من اللغة الخارجية/ المجسدة بالمعنى الذي يفهم به هذا المركب بصورة مستقلة عن ملامح العقل/ الدّماغ. أمّا اللغة الدّاخلية فهي الفكرة التي تقول إن اللغة عنصر من عناصر ذهن الشخص الذي يعرف اللغة، يكتسبه المتعلم ويستخدمه المتكلم المستمع الفكرة التي تقول إن اللغة الداخلية هي التي تعنى بالجانب التفسيري الذهني للغة. ينظر: للتوسّع أكثر نوام (the speaker-hearer)، وفرضية اللغة الداخلية هي التي تعنى بالجانب التفسيري الذهني للغة. ينظر: للتوسّع أكثر نوام

الطبيعية مستنجدا بالوصف اللغوي الذي يتغيّا تحقيق الكفايات الثلاث التداولية، والنفسية، والنمطية أ، فإن ابستيمولوجيا منهج اللسانيات العرفانية لا تفرض قطيعة معرفية مع المناهج اللسانية السالفة بقدر ما تطعّم إجراءاتها، وأدواتها، ووسائلها المنهجية بإجراءات جديدة مصدرها العلوم المتاخمة لها في حقل العلوم العرفانية؛ وذلك ظاهر في كسرها الطّوق المنهجي، وإنجاز نقلتها النوعية الجديدة، بالاستفادة من ثمار الفلسفة العامة، والفلسفة اللغوية، ومن ثمار علم النفس الدائرة على قضية الإدراك، ثمّ مزج كل ذلك بما عاينته من فتوحات معرفية باهرة حققتها علوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي. وعلى ضوء تعدد الروافد المعرفية التي بلورت اللسانيات العرفانية يُطْرَحُ السُّوَالُ: ما هو منهج اللسانيات العرفانية في التحليل المعرفية التي بلورت اللسانيات العرفانية يُطْرَحُ السُّوَالُ: ما هو منهج اللسانيات العرفانية في التحليل

1. منهج اللسانيات العرفانية من المنظور الغربي:

أصبح الآن معلوما أن اللسانيات فرع من فروع العلوم العرفانية لاستثمارها كثيرا من مبادئها العرفانية المتعلقة بدراسة الذهن وعملياته في بناء المعرفة، واختصاص اللسانيات العرفانية بدراسة الذهن على مستوى بناء المعرفة اللغوية واكتسابها، من جهة أخرى لا يمكن إغفال أن العلوم العرفانية هي تعاون كوكبة من العلوم الطبيعية (مثل: البيولوجيا، علم الأعصاب، الكيمياء)، والعلوم الإنسانية (مثل: الفلسفة علم النفس، اللسانيات، الأنثروبولوجيا)، وعلوم الإعلام (الذكاء الاصطناعي وعلم الحاسوب)، الأمر الذي يطرح تساؤلا عميقا، أولا عن منهج العلوم العرفانية في تحليل الظواهر النفسية جميعا أو بعبارة أدق منهجها العلمي في تحليل النشاط الذهني في بناء المعرفة، ومعالجتها، وتخزينها، هل تتبع منهج العلوم الطبيعية أم منهج العلوم الإنسانية، أم تقانات الإعلام؟ وإذا كان هذا حال منهج الحقل العام (العلوم العرفانية) فكيف هو الحال مع منهج اللسانيات العرفانية؟

عندما يتحدّث روّاد العلوم العرفانية في البحوث الغربية مثل: روبرت ستيرنبيرغ (R. Sternberg) وغيرهم عن منهج البحث في العلوم العرفانية يلاحظ أنه حديث عن تعاون لعدّة مناهج تابعة للعلوم المؤسسة لهذا الحقل المعرفي العام، فقد ذهب ستيرنبيرغ إلى تعداد مناهج عدّة

تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، تر: محمد فتيح، ص 77 – 80. ونوام تشومسكي، اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، تر: محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2013 ص 16 وما بعدها.

أ ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدّلالي التداولي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، د ط، 1995، ص 19 وما بعدها.

² ينظر: عبد السلام المسدّي، منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، ص 23، نقلا عن:

Le débat entre Jean Piaget et Noam Chomsky Paris : Seuil, 1979. La linguistique cognitive.

تنتهجها العلوم العرفانية في تحليل التفكير البشري كل منهج منها خاص بعلم بعينه؛ حيث يتبع علماء النفس العرفاني المنهج التجريبي، ويستعمل علماء علم النفس البيولوجي في تحليل اشتغال الذهن تقتية النمسح الدماغي (brain-scanning) التي تسمّى أيضا تقتية التصوير الإشعاعي البوزيتروني (positron emission tomography (PET)) بعيد فهو يتم بتفحّص تدفّق الدّم دماغيا أثناء الأنشطة المتنوعة مثلا: الأنشطة المتضمنة لقراءة الكلمات المفردة، عندما ينظر المشاركون في التجربة إلى الكلمة على الشاشة، عندها تُظهر المناطق اللحائية الحيوية مستويات عالية من النشاط؛ فعندما ينطق المشارك كلمة معينة تبدي منطقة القشرة الكلامية نشاطا عاليا، وعندما يسمع المشارك الكلمة ذاتها تنشط منطقة القشرة السمعية. وينتهج الذكاء الاصطناعي طريقة البرمجة في محاكاة العمليات الذهنية العرفانية خاصة عمليتي الذّكاء وحل المشكلات وبرمجتها، مع الأخذ بالحسبان أن لغة الحواسيب البرمجية لغة رياضياتية. 1

وذهب أيضا آلان كولينز (Allan Collins) إلى أن مناهج العلوم العرفانية مصدرها علم النفس التجريبي، والذكاء الاصطناعي، واللسانيات² وهذا التنوع في التقنيات والمناهج التحليلية لا يُحْدِثُ غالبا أيّ تنافر وتناقض في موضوع العلوم العرفانية المدروس؛ لأنه يعتمد بصورة شاملة المنهج التجريبي خاصة في علم النفس العرفاني، وعلم النفس البيولوجي، والعلوم العصبية. لكن هل تخضع بقية الفروع العلمية للعلوم العرفانية كالفلسفة، واللسانيات، والأنثروبولوجيا للمنهج التجريبي أيضا أم تتدافع المناهج في دراستها ضمن حقل العلوم العرفانية؟

تتشغل العلوم العرفانية عند دراستها للظواهر اللسانية العرفانية بالمستويات الآتية: التركيب (Syntax) والدّلالة (Semantics)، والتداولية (Pragmatics) حسب قاموس بلاكويل مع ما يقع ضمنها من قضايا فرعية (مثل قواعد التكوين والقواعد الاشتقاقية في بناء الجمل، وتهتم الدلالة بتفكيك هذه الجمل لفهم معاني وحداتها ومعناها الكلي، أما من بعض القضايا الفرعية للتداولية الإحالة، وقواعد المحادثة، والقصد). ومن الجليّ أن هذه المستويات اللسانية لا انفصال لها عن العمليات الذهنية العامة (اكتساب المعرفة، وتخزينها، واسترجاعها أو الذاكرة عموما، والذكاء...إلخ)، والمنبثقة عن الأنشطة الدّماغية العصبية ضمن النزعة القائلة إن العلوم العرفانية هي علوم عرفانية للأعصاب، وسيكولوجيا

 $^{^{\}rm 1}$ Look: Robert Sternberg, Talia Ben-Zeev, Complex Cognition the Psychology of human thought, p 6-8.

² Look: Allan Collins, Edward E. Smith, Cognitive Science in Michael W. Eysenck, The Blackwell Dictionary of Cognitive Psychology, Basil Blackwell, USA, 1st ed, 1990, p 67. ³Ibid, p 68 – 69.

الأعصاب وهي المكوّن المعرفي الرئيس للعلوم العرفانية وتنضم بعدها باقي الاختصاصات. أبمعنى أن اللسانيات العرفانية تقع ضمن غلاف العلوم العرفانية العصبية والسيكولوجية العصبية؛ وبالتالي فإن منهج التحليل العلمي الذي تنتهجه هو منهج تجريبي مستمد من علم الأعصاب، ونشير إلى أن هذه الرؤية المنهجية وفقا لما يراه علماء النفس والأعصاب العرفانيون.

أمّا اللسانيون العرفانيون فيرون أنه علاوة على ضرورة المعرفة الشاملة والعميقة للتصورة/الخلفية...) والذكاء كونها خلفية للتحليل اللساني العرفاني خاصة علم النفس (مثل: الطراز، والصورة/الخلفية...) والذكاء الاصطناعي وعلم الاجتماع (مثل: الأطر، والأدوار، والنماذج الثقافية)، والفلسفة والأدب (مثل: الاستعارة، المجاز، الأقضية الذهنية، والمزج التصوري...) الدّاخلة بصورة عامة في التحليل اللساني العرفاني، فإنه من اللازم الوعي باتساع منهجيات التحليل اللساني العرفاني واشتمالها على المفاهيم السياقية لاستعمال اللغة أيضا، ومنه دراسة الخطاب واللغة كبنيات متكاملة في السياق، والأخذ بالحسبان الاستدلالات التي استخلصها المشاركون بالفعل في التبادل اللغوي، والأطر المطبقة، والافتراضات والتأويلات التي استخلصها المشاركون بالفعل في التبادل اللغوي، والأطر المطبقة، والافتراضات العرفاني العرفاني العرفاني العرفانية معزولة، فإننا نفعل ذلك عادة على أساس الافتراضات والطرازات، ولا نرى القوة الكاملة الإبداعية الآنية لبناء المعنى، والمنهج التأويلي والتفسيري؛ إذ اللسانيات العرفانية في إطار العلوم العرفانية عابرة للمنهج الواحد (التجريبي) إلى المنهج التأويلي لاشتمالها على سمات العلمية وسمات العلوم عابرة للمنهج الواحد (التجريبي) إلى المنهج التأويلي لاشتمالها على سمات العلمية وسمات العلوم العرفانية الإنسانية لاسيما من جانب دور السياق في تفسير بناء المعنى.

ويذهب أيضا في اتجاه القول باستثمار المناهج العلمية المتنوعة في التحليل اللساني العرفاني كل من بنجامين بيرغن (Benjamin Bergen) في مقاله المناهج التجريبية في اللسانيات العرفانية (Raymond W. وعالم النفس رايموند غيبس (Empirical methods in cognitive linguistics) (Why في مقاله لماذا يجب على اللسانيات العرفانية أن تهتم أكثر بالمناهج التجريبية (Cognitive linguistics should care more about Empirical methods)

 $^{^{1}}$ ينظر: غي تيبرغيان وآخرون، قاموس العلوم المعرفية، ص 27

² Look: Gilles Fauconnier, Methods and Generalizations, in Theo Janssen, Gisela Redeker Cognitive Linguistics: Foundations, Scope, and Methodology, Mouton de Gruyter, Berlin New York, 1999, p 97.

تصاحب الاستعمال اللغوي.

بحثيهما على أهمية المنهج التجريبي في اللسانيات العرفانية لوشائجها العميقة المستمرة مع علم النفس. ولأن "اللسانيات العرفانية، من منظور تاريخي، حقل قام في مناهج تجريبية بينية متقاطعة، والعمل على اللسانيات العرفانية في سنوات بين 1970 و 1980 عندما بدأت تتنظم كفرع مستقل بذاته، كان في جزء كبير منه موجّها بنتائج من علم النفس العرفاني، والأنثروبولوجيا العرفانية وهو واضح في الدلالة المعجمية (Lexical semantics) والنحو العرفاني (Cognitive Grammar)." وعلى الرغم من محاولة اللسانيات العرفانية الاستقلال منهجيّا إلا أنّ الضرورة البينية حالت دون ذلك فبقيت تشترك مع علم النفس العرفاني في المنهج التجريبي خاصة، وفي ما يلي أسس تبنيها المنهج التجريبي حسب رايموند غيبس ومحاولته دحض المقاربة الاستبطانية التي تأسست عليها في جانبها التصوري التجريدي؛ حيث رأى أن الاستبطان (introspection) يمثل مشكلة في الدراسة المنهجية لقضايا اللسانيات العرفانية من جانبين:² - الأول: اعتماد اللسانيين العرفانيين في دراسة الظواهر اللسانية العرفانية على التقاليد اللسانية في اختبار حدس المتكلمين الأصليين (Native speakers) حول نحوية (Grammaticality) ودلالية (Meaningfulness) العبارات اللسانية لكشف المعرفة اللسانية لدى المتكلم/ السامع المثالي، وهذا وحده غير كاف لاكتشاف وتفسير العمليات الذهنية النفسية والعصبية البيولوجية التي تحدث أثناء الاستعمال اللغوي، رغم أن اعتماد الحدس في التحليل اللساني العرفاني يبدو مهما في إمكانية كشف روابط اللغة-الذهن مثل: الأفضية الذهنية، الاستعارات التصورية، خطاطات الصورة وغيرها، التي أصبحت الآن من النظريات الأساسية للنسق التصوري البشري في اللسانيات العرفانية. وهذا التجريد الذي يفرضه اللسانيون العرفانيون عند دراسة الظواهر اللسانية اعتمادا على الحدس والاستبطان يبدو في إطار البينية والتحاقل العلمي قاصرا عن تفسير كل العمليات العرفانية التي

- الثاني إن الاستبطان يفسر غالبا العمليات العرفانية الواعية ويصعب عليه تفسير العمليات الذهنية غير الواعية (مع الأخذ بالاعتبار الفوارق بين العمليات الذهنية الواعية وغير الواعية)، وهنا يدعو علماء النفس العرفانيون والعلماء العرفانيون عامة بتبني المنهج التجريبي؛ لأنّ الأعمال اللسانية العرفانية التي تعتمد بشدة على حدس المحلّلين تكون نتائجها فردية، وهذا لا يشمل أي نوع من

¹ Benjamin Bergen, Empirical methods in cognitive linguistics: Introduction, in Vyvyan Evans, Benjamin K. Bergen, Jorg Zinken, the Cognitive Linguistics reader, Equinox Puplishing Ltd, London, 1st ed, 2007, p 37.

 $^{^2}$ Look: Raymond W. Gibbs, Why Cognitive Linguists should care more about empirical methods, pp 41-43.

الموضوعية التي يتطلبها المنهج التجريبي القائم سواء في العلوم الطبيعية أو العرفانية على التجربة والموضوعية عند تحليل البيانات والمعطيات اللسانية.

وفي سياق منهج اللسانيات العرفانية تذهب زينايدا بوبوفا إلى أن اللسانيات العرفانية قامت على مجموعة من المناهج في الدراسات المحلّية الروسية تبعا للاتجاهات المعرفية التي تستقي منها اللسانيات العرفانية المفاهيم والتصورات حول اللغة مثل: الاتجاه الثقافي اللساني، والاتجاه الفلسفي السيميائي والاتجاه الإدراكي المشتغل بدراسة الدلالة اللغوية، لكن هناك منهجين أساسين للسانيات العرفانية هما: المنهج اللساني الثقافي الذي يقتضي دراسة خصائص المجال الذهني الوطني (المحلّي) من الثقافة إلى الوعي. والمنهج اللساني العرفاني العرفاني المؤسس على مقولة أن معرفة العالم تكمن في تلك الوحدة من المعلومات الذهنية، إضافة إلى المنهج النفسي، والمنهج اللساني النفسي، والمنهج اللساني العصبي النفسي. أما زينايدا بوبوفا فتذهب إلى اقتراح منهج للسانيات العرفانية تسميه المنهج العرفاني الدلالي للتأكيد على أن اتجاه الدراسة الأساسي متمثل في دراسة ارتباط دلالة اللغة بالمجال المفهومي للناس (الشعب) وتعلق العمليات الدّلالية بالعرفانية أ وهذه الاتجاهات ومناهجها ثبُدِي أنها تعتمد على المنهج المنهج التحريبي بقدر ما تعتمد على التأويل في التحليل الثقافي اللساني والفلسفي السيميائي.

من جهة أخرى تدرك زينايدا بوبوفا ويوسف ستيرين الجانب التجريبي الذي يقوم عليه منهج اللسانيات العرفانية وتعتبر المنهج التجريبي مرحلة حديثة قائمة على التجرية والاختبار 2 وأنه من الصعوبة بمكان تجاوز التجريب إلى التأويل والحدس وحدهما، فاللسانيات العرفانية واحدة من العلوم العرفانية التي تتعدد مناهج التحليل اللساني فيها، لكونها فرعا لسانيا يقوم على مزيج من التصورات التي تبني النسق التصوّري الذهني العام للفرد وتتراوح بين المنهج التجريبي المستمد من علم الأعصاب وعلم النفس والبيولوجيا، والمنهج التأويلي الذي يستمد من الدراسات الثقافية، والسيميائية المتعاضدة جميعا بصورة وظيفية في بناء الوعى البشري وتفسير العمليات العرفانية في بناء المعرفة.

ويفيد منهج التأويل في اللسانيات العرفانية من الاتجاه الثقافي والثقافي اللساني من حيث كونه يدرس المفاهيم كعناصر للثقافة؛ أي يدرس المفاهيم التي تسميها الوحدات اللغوية على أنها عناصر للثقافة اللسانية القومية وفقا للقيم القومية والخصوصيات القومية لهذه الثقافة، أما إفادته من الاتجاه الفلسفي السيميائي فتتمثل في دراسته للأسس العرفانية للعلامات اللغوية خاصة رغم أنه يشمل العلامات

¹ ينظر: زينايدا بوبوفا، يوسف ستيرين، اللسانيات الإدراكية، ص 17 - 23.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 20.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 21.

اللغوية وغير اللغوية التي تتتج في ثقافة وقومية معيّنة، وحيث إن دراسة اللغة والثقافة تعدّ فرعا من الأنثروبولوجيا التي بدورها تسهم في بناء المعرفة وتأويلها، مثلا: تأويل الرموز الثقافية القومية التي تتتج في مجتمع ثقافي معيّن عبر اللغة كما نجد في تأويل الحمامة البيضاء برمز الستلام، وتأويل دلالة طائر العنقاء عند وقوعه في تركيب لساني معين بمعنى الخلود والتجدد في كثير من الثقافات العربية والغربية. رغم أن كلاً من الحمامة البيضاء والعنقاء هما طائران يحملان صفات الطيور: الريش، والأجنحة، والقدرة على الطيران، إلا أن الدّلالة التصورية التي يفهمها متلقي أي خطاب لساني يشمل هذين الطائرين سيفهم الدّلالة المقصودة منهما فضلا عن إدراك انتمائهما إلى صنف الطيور، وهذا بفعل اصطلاح جماعة ثقافية على هذه الدّلالات الثانوية ممّا يسفر عن أهمية دور الاتجاه الأنثروبولوجي والثقافي في بناء المعرفة الذهنية اللغوية وغير اللغوية.

من جهة أخرى تستدرك كل من زينايدا بوبوفا وبوسف ستيرين تحليل الظواهر اللسانية بالمنهج التجريبي البحت أو المنهج التأويلي البحت في إطار اللسانيات العرفانية، وتقول بأهمية التعاون المنهجي بين المنهج التجريبي وآليات التحليل اللساني البحتة المتبعة في اللسانيات النظرية؛ لأنّ اللسانيات العرفانية التدرس العمليات الإدراكية وتستخلص استنتاجات حول أنواع الرموز الذهنية في العقل البشري من خلال نظبيق مناهج التحليل اللسانية البحتة الموجودة في نطاق اللسانيات على اللغة ثم تتبع ذلك بتقسير إدراكي لنتائج البحث." والملاحظ على المنهج اللساني العرفاني الذي تقترحه كل من زينايدا بوبوفا ويوسف ستيرين هو تعاضد منهجي في الواقع وليس منهجا واحدا، فاللسانيات العرفانية تتبح تحليل عدة مستويات لغوية هي: المستوى اللغوي العصبي الفيزيائي القابع في الدّماغ البشري، والمستوى اللساني الغيزيائي الذي يظهر عند التواصل اللساني اللغزي يخضعان للمنهج التجريبي، والمستوى اللساني الغرفاني المجرّد الذي يستنبط من جهة من خلال تحليل العمليات العصبية، ومن جهة أخرى يخضع تفسير دلالة رموزه اللسانية للمنهج التأويلي والتفسير. وهنا تتضح البينية التي تغطي التحليل اللساني العرفاني وأهمية التعاضد المنهجي في التحليل اللساني؛ لأن اللغة وليدة مجتمع متفرّد بثقافته ووليدة تجهيز بيولوجي دماغي واذلك كان من الصعوبة بمكان تحديد منهج علمي واحد لدراسة الظاهرة اللغوية.

وبعد عرض أهم التصورات الغربية عن المنهج الذي يجب على اللسانيات العرفانية انتهاجه في تحليل الظواهر اللسانية على اعتبار أنها ظواهر طبيعية، يمكن أن نجمل أسسها في النقاط الثلاث الأساسية الآتية:

 $^{^{1}}$ المرجع السابق، ص 16

- يجمع أغلب العلماء العرفانيين أن المنهج الرئيسي في اللسانيات العرفانية هو المنهج التجريبي، مع شرط المحافظة على مناهج العلوم المتحاقلة مع اللسانيات العرفانية، فضلا عن العلوم الطبيعية مثلما تقدّم عن تعاون الاتجاه الثقافي اللساني، والأنثروبولوجي، والفلسفي السيميائي الذي يسمح "باختراق مجال مفاهيم الناس من خلال دراسة دلالة العلامات اللغوية، وإمكانية تفسير الأمور المهمة لهذا الشعب أو ذلك في فترات مختلفة من تاريخه، والأمور التي ظلت بعيدة عن أنظاره ومع ذلك كانت حيوية في الوقت نفسه لشعب آخر. ثم وفقا لهذا المبدأ المنهجي لا تسمح أعداد مناهج اللسانيات العرفانية الآن بالكشف عن خصوصيات التفكير القومي فحسب، بل حتى عن خصوصيات التفكير الجمعي، وكل تتوعات مجالات المفاهيم الفردية." وهذا يبيّن التعدد المنهجي لدراسة الظواهر اللسانية من منظور اللسانيات العرفانية التي تركّز خاصة على الدّلالة اللسانية وبنائها ذهنيا.
- لا تستقل الطّروحات العلمية الغربية في منهج اللسانيات العرفانية عن بحوث المنهج في العلوم العرفانية، ولا تختلف في تصوّر تعدد المناهج الذي تفرضه النزعة البينية، فمثلما تقدّم أن العلوم العرفانية تعتمد ثلاث مناهج رئيسة في التحليل العلمي هي المنهج التجريبي، وتقنيات البرمجة الحاسوبية، ومنهج التأويل الذي يعتمده التحليل السيميائي، والثقافي الأنثروبولوجي، واللساني مع التنبيه إلى أنها تخضع هي الأخرى إلى المنهج التجريبي في بعض قضاياها. وبالتوازي مع مناهج وآليات العلوم العرفانية فإن اللسانيات العرفانية تخضع للمناهج نفسها؛ أي المنهج التجريبي، والمنهج التأويلي والتقنيات الحاسوبية.
- منهج البحث في اللسانيات العرفانية لم ينضج بعد فهي تتنقل في دراسة الظواهر اللسانية من منهج الأنثروبولوجيا والثقافة تارة إلى منهج علم الأعصاب وعلم النفس والبيولوجيا، وتارة أخرى تتنقل إلى المقاربة الحاسوبية في معالجة البرمجة الذهنية اللغوية، لكنها لا تتبع منهجا واحدا لأنه لا يوجد بعد فيما نعلم يمكنه تحليل الظاهرة اللسانية من جميع جوانبها البيولوجية، والحاسوبية، والثقافية في أن واحد، على الرّغم من الادعاءات والبحوث الكثيرة التي طرحت لتوحيد منهج البحث في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية لاسيما أطروحات كارل بوبر.

 $^{^{1}}$ المرجع السابق، ص 23

2. منهج اللسانيات العرفانية من منظور لساني عربي:

إن محاولة مناقشة إشكال منهج اللسانيات العرفانية في الدرس اللساني العربي هي – في الواقع – من الصّعوبة بمكان بقدر ما أنها من الأهمية البالغة بمكان، فصعوبتها تكمن في أن اللسانيين العرفانيين العرب لم يُظهِرُوا اهتماما يذكر بمنهج اللسانيات العرفانية ولم يناقشوه في بحوثهم، وخلال تتبعنا لكثير من الكتابات التي عدّت رائدة في الدرس اللساني العربي لم نجد غير بحثين لمحمد غاليم طرحا مسألة منهج العلوم العرفانية، والعلوم الإنسانية على ضوء أثر العلوم العرفانية، وضمن هذين العملين وجدت مناقشة منهج اللسانيات العرفانية، إضافة إلى لمحة عن الوضعية العربية لمنهج اللسانيات العرفانية لدى صابر الحباشة في مقدمة البحث الجماعي الموسوم "دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع" على الرغم من كون المنهج هو عصب حياة أي علم من العلوم، ومن اللازم تحديد منهج اللسانيات العرفانية والراز وظيفتها الجديدة المضافة إلى التحليل اللساني.

على أساس أهمية المنهج في البحث اللساني العرفاني وقلة الاهتمام به عربيا يبرّر صابر الحباشة ذلك بأنه راجع إلى "حداثة المنهج العرفاني في منشئه الغربي (إذ لم يتجاوز العقود الأربعة) وفي تشتت النلقي العربي له، وعدم التمكّن من مفرداته وعدم التنسيق بين الباحثين المهتمين حتى في ترجمة مفرداته (التي تتفاوت الاجتهادات في شأنها تفاوتًا) وبخاصة في عدم بلوغ التلقي العربي لهذا المنهج مرحلة الإبداع فيه وتأصيله." لكننا نرى أن السبب الفعلي وراء بطء البحث العربي في اللسانيات العرفانية لا يكمن في جدّة هذا الفرع اللساني والتصورات المحيطة به، فقد مضى عليه في الدرس اللساني العربي ما يزيد عن الثلاثة عقود، وهي مدّة كافية للتأسيس المنهجي العلمي الشامل والمتكامل للسانيات العرفانية من حيث الموضوع، والمنهج، والوظيفة، لكننا نرد السبب الفعلي لهذا البطء إلى الانحصار الشديد للوعي العربي بأهمية اللسانيات العرفانية ليس كمنهج للتحليل اللساني فقط، بل كجسر منهجي للتحليل اللساني العرفانية الرابط بين الحوسبة والذكاء الاصطناعي، واللغة، والتشريح، ومن المعلوم أن مخرجات اللسانيات العرفانية أصبحت تستثمر في تطوير لغات الآلات الذكية والروبوتات، وإذا لم تكن هناك رؤية علمية عربية لمثل هذه الاستثمارات فستظل جلّ الفروع العلمية واللسانية على وجه الخصوص حبيسة التنظير والوصف هذه الاستثمارات فستظل جلّ الفروع العلمية واللسانية على وجه الخصوص حبيسة التنظير والوصف السّطحي للأساسيات والمبادئ العامة.

 $^{^{1}}$ صابر الحباشة، دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، ص 1

3. منهج اللسانيات العرفانية في تفكير محمد غاليم:

انطاق محمد غاليم في بحثه عن منهج للسانيات العرفانية من التنقيب عن منهج الحقول المعرفية العامة، التي تنتمي إليها ممثلة في العلوم الإنسانية والثقافة، والعلوم العرفانية من خلال بحثيه: "أي منهج لدراسة الظواهر الإنسانية والثقافية?" الصادر سنة 2008، وكتابه "الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم، بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات" الصادر سنة 2021م الذي انشغل في الباب الأول منه بالمنهج العلمي في علوم الذهن وإمكانية توحيده وفقا لمطارحات كارل بوبر في منهج البحث العلمي وسنجمل أهم القضايا التي عالجها محمد غاليم عن منهج اللسانيات العرفانية في بحثيه كما يأتي.

3) أ- التكامل المعرفي أساس المعرفة العلمية:

ينطلق محمد غاليم في إثبات التكامل المعرفي بين العلوم الإنسانية والثقافية من دحض أطروحة استقلالها عن بعض وإهمال الروابط السببية بينها التي طرحها زعماء نموذج علم الاجتماع المعيار (Standard Social Science Model) وعلى رأسهم إميل دوركهايم، ومن أهم مبادئ هذا النموذج: إن الثقافة نظام من الرموز والقيم مستقل عن الأنظمة والقيود البيولوجية، والأنظمة الثقافية مكتسبة لأن البشر يولدون غير مجهزين سوى ببعض ردود الأفعال غير الإرادية وقدرة واحدة هي القدرة على التعلم الني تسمح الفرد باكتساب ثقافته وتمثل أنظمتها وأنظمة السلوكات الاجتماعية، وبالتالي فإن هذه التمثلات هي التي تقولب الفرد وتسبقه وتقع خارجه؛ أي أن الذهن لا يخلقها، بل هي التي تخلق الذهن. ويشير محمد غاليم إثر هذين المبدأين مسألة مفادها أنه في حال لم تخضع التمثلات الجماعية، والثقافة بمختلف الأوصاف التي توصف بها نحو: السلوك، والمعرفة، والرموز الدالة، والوقائع الاجتماعية، والأنساق السيميائية، والتنظيم والعلاقات الاجتماعية، والعلاقات الاقتصادية، والعوالم القصدية...إلخ، وباعتبارها المتيميائية ونتظيمها أثناء النعلم لدى الأفراد لينمكنوا من بناء ثقافتهم بكل أوصافها المتنوعة؟ وهذا يؤدي إلى كبديل عن تصور استقلال العلوم الإنسانية واكتساب الثقافة عن العمليات الذهنية وخلو هذه الأخيرة من كبديل عن تصور استقلال العلوم الإنسانية واكتساب الثقافة عن العمليات الذهنية وخلو هذه الأخيرة من أي آليات وعمليات متنوعة وفاعلة في ذلك.

إن البديل المنهجي الذي يطرحه محمد غاليم هو ما تتيحه التصورات العرفانية للعلوم الإنسانية والثقافة بما فيها اللغة واكتسابها، خاصة مع التطورات التي عرفتها عدة تخصصات أساسية في العلوم العرفانية منها: الأحياء التطورية والعصبية، وعلم النفس، واللسانيات، والأنثروبولوجيا...إلخ التي باتت

¹ ينظر: محمد غاليم، أي منهج لدراسة الظواهر الإنسانية والثقافية؟، مجلة الثقافة الشعبية، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، ع 3، 2008، ص 14 – 15.

تبحث عن الروابط فيما بينها والروابط التي تجمعها بباقي العلوم الإنسانية كالثقافة، والأنثروبولوجيا والاقتصاد، والسياسة...إلخ، وتجاوز تصوّر استقلال العلوم عن بعضها إلى وضع تصوّر اندماجها وتعاونها معرفيا في إطار فرضيات العلوم العرفانية، التي تسعى لوضع "نظرية صورية شاملة للمعرفة مبنية على اندماج نتائج مختلف العلوم واتساقها، وليس على تصوّر يختزل الظواهر في بعدها النفسي أو الأحيائي." ومن مقتضيات هذه النظرية أن الذهن البشري يقوم على مجموعة من الآليات النفسية المتطورة لتحليل المعلومات، الممثلة في النسق العصبي، وهي آليات تشكل جوهر الهندسة الذهنية لدى الإنسان وتتصف بمحتويات بنيوية غنية ومتخصصة وظيفيا لإنتاج سلوكات تتعامل مع مشاكل تكيفية خاصة مثل اكتساب اللغة، ومختلف معطيات الثقافة البشرية، وبالتأسيس على ترابط العلوم تحت نظرية ذهنية صورية شاملة للمعرفة يصبح من الواجب وجود منهج علمي تتبعه لتحليل كل السلوكات وعلى رأسها السلوك اللغوي، بعبارة أخرى ما هو المنهج العلمي الذي يطرحه محمد غاليم، في بحثه هذا لدراسة اللغة من منظور نفسى عرفاني على ضوء اندماج وتعاون العلوم الطبيعية والإنسانية؟

يرى محمد غاليم أن الإطار المنهجي الذي يجب أن تدرس ضمنه الظواهر الإنسانية والثقافية وعلى جهة الخصوص اللغة في حدود تصوّرات العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية ممثّل في التعاضد المنهجي ويدلّل على هذه الرؤية من خلال تأكيده على أن الظواهر الإنسانية، والثقافية واللسانية لا تتنج وتتتظم إلا في إطار نشاط العمليات الذهنية النفسية وعمليات الدّماغ العصبية؛ لأن اللغة ملكة وقالب ينتج عن ثنائية (الدّهن/ الدّماغ)، وهذه الأخيرة تقوم على مجموعة محدودة من الأنساق (القوالب، الملكات العرفانية) تحلل مختلف أنماط المعلومات وترمّزها وتشكل في مجموعها العدّة الأحيائية التي تضمن بلورة العمليات العرفانية ومردوديتها وتضافرها في تكوين تصوّر موحد للعالم لدى الإنسان. وتتأسس على مبدأين هاميّن هما: الموقف الذهني والتأليفية اللذين تبلورا في حقل اللسانيات في جزء كبير منهما، ويقوم الموقف الذهني على تصوّر مفاده أن كلّ نظرية لغوية هي نظرية ذهنية/ نفسية، إذا افترضت أن اللغة الطبيعية القدرة اللغوية الباطنية لدى المنكلّم، بينما التأليفية من الخصائص الجوهرية التي تطبع اللغة الطبيعية وتتجلّى في قدرة متكلميها على خلق عدد لا محدود من الأقوال وفهمها انطلاقا من التأليف بين عناصر محدودة العدد، تبعا لمبادئ أو قواعد معينة. قوهذا التحليل العرفاني المعتمد على الموقف الذهني والتأليفية هو تحليل لعمليات ذهنية نفسية عرفانية مجرّدة على أساس تجريبي عند جماعة لغوية معيّنة.

¹ John Tooby, Leda Cosmides, The psychological Foundations of Culture, in the Adapted mind Evolutionary Psychology and the generation of culture, Oxford University Press, New York, 1992, p 114 – 115.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 17.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 2

من جهة أخرى يتجلّى الإطار المنهجي العصبي البيولوجي الذي يتبناه محمد غاليم في قوله إنّ القدرات المعرفية – وبالأسماء المختلفة كلها التي سمّيت بها – أو الأعضاء الذهنية (عند تشومسكي 1980–1980)، أو تخصصات تكيفية (عند روزين 1976) أو قوالب أو ملكات (عند فودور 1983 وجاكندوف 2002–2002) لها أساس عصبي على مستوى الدّماغ البشري أثبتته التجارب العلمية المستمرة، وكون اللغة أحد هذه الملكات الذهنية يمنحها أساسا عصبيا تحليله واكتشافه لا يقل أهمية عن اكتشاف العمليات الذهنية النفسية المولّدة للغة، فالإنسان يولد مزوّدا بأنساق إدراكية ذات تخصص عالٍ تعكس نشاطها حساسية الخلايا العصبية في قشرة الدّماغ وتدفق الدّم عند العملية التواصلية، مما يعني أن المحيط الهندسي الخارجي (أي بنية العالم الواقعي) يحدث استجابات نوعية داخلية (أي يحدث تشكيلا منظما لنشاط الخلايا العصبية). أ وحيث يناقش غاليم المستويات الذهنية النفسية والعصبية البيولوجية وعملياتها في اكتساب وإدراك المعرفة الاجتماعية، والثقافية، وخاصة اللغوية فإنه لا يخرج عن حدود الملاحظة والتجريب التي تعتمدها العلوم الطبيعية، والذي يستشف من محاولاته في إبراز أهمية تضافر العمليات الذهنية والعصبية في تحليل الظواهر اللسانية، كما يُرى هنا سعيه إلى إثبات إمكانية توحيد المنهج العلمي في الدراسات الطبيعية والإنسانية بواسطة فرضيات العلوم العرفانية.

وخلاصة أطروحة محمد غاليم وتصوراته في بحثه "أي منهج لدراسة الظواهر الإنسانية والثقافية؟" عن المنهج العلمي تدور حول التأكيد على التكامل المعرفي بين العلوم الإنسانية (اللسانيات، والفلسفة والاقتصاد، والأنثروبولوجيا، والثقافة)، التي ظلت ردحا من الزمن مستقلة عن منهج العلوم الطبيعية والعلوم العرفانية، ومع هذا التكامل المعرفي سقطت الحواجز والقطيعة بين هذه العلوم بما فيها اللسانيات العرفانية لتأخذ هذه الأخيرة في دراسة اللغة على مستويات عدة تجمع جوانب من العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية؛ ثقافية وأنثروبولوجية اجتماعية، وبيولوجية عصبية، وذهنية عرفانية...إلخ، وكل هذه المستويات تهدف إلى دراسة آليات بناء المعرفة اللغوية واكتسابها وتوليدها، ثمّ وظيفتها وأثرها في إدراك العالم الخارجي اعتمادا على منهج تجريبي شامل يكشف التواصل، والتكامل، والترابط السببي بين المعارف.

3) ب- توحيد منهج البحث العلمي:

يطرح محمد غاليم تصوّرات توحيد منهج البحث العلمي – التي تمثل استكمالا لتصوّراته في البحث المتقدم – بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية في مؤلفه "الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم، بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات جاعلا أساس تصوّراته المنهجية عن التكامل والترابط بين هذه العلوم الطبيعية المادية والعلوم الإنسانية الذهنية النتائج النوعية التي حققتها ومازالت تحققها ثورة العلوم العرفانية، ومن أهم هذه النتائج الترابط السببي بين العلوم الطبيعية، والإنسان، والمجتمع، وتجاوز الرؤية الاختزالية لها وطغيان تصورات علم طبيعي مادي على آخر إنساني ذهني بحكم أن الأول أكثر علمية

ينظر: محمد غاليم، أي منهج لدراسة الظواهر الإنسانية والثقافية؟، ص 1

من الثاني؛ إذ يتيح ترابطا فعليا بين المادي والذهني، بين الجزيئات الكيماوية والخلايا العضوية؛ حيث العرفانيّ هنا شامل للذهني وعمادِه المادي وما بينهما فهو لا يشمل فقط المعرفة البشرية وعمليات معالجتها وتخزينها واسترجاعها، بل يشمل أيضا الأساس العضوي والآليات الأحيائية التي تمكّن من تنفيذ العمليات الذهنية أي إن البحث في الترابط المعرفي بين المادي والذهني هو بحث أولا في الأساس العصبي للعمليات الذهنية التي تتدرج ضمنها علوم الإنسان والمجتمع، والسعي نحو جدوى قيامها على منهج علمي تجريبي مثل العلوم المادية الخاضعة للمنهج ذاته.

وعلى ضوء اتخاذ غاليم موقفا طبيعيا جديدا (New Naturalism) بصيغة توحيدية ترابطية ترى في توحيد العلوم شبكة متصلة من الحلقات المترابطة المتفاعلة، وليس اختزالا لعلوم في علوم أخرى، كما هو ديدن كل مذهب طبيعي أحادي البُعد موروث عن القرن السابع عشر الأوروبي، على حدّ تعبيره، فقد احتلّت اللسانيات العرفانية موضعا في استدلاله على توحيد المنهج العلمي نظرا لصلاتها التفاعلية الضرورية بعلوم عرفانية مختلفة (كعلم النفس العرفاني، وعلم النفس التطوري، وعلم الأعصاب، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والنظرية التطورية، ونظرية الأدب) كلكن ليس أكثر من كونها مثالا على اندماجها في العلوم العرفانية وترابطها السببي المنهجي بتلك العلوم إلى جانب أمثلة أخرى كالاقتصاد والنظرية الأدبية استدلّ بها على التكامل والترابط بين العلوم الذي يسمح بتوحيد منهج البحث.

من جهة أخرى يبدو أن معالجة محمد غاليم لمنهج اللسانيات العرفانية ضمن منهج العلوم العرفانية تركّز في بحثه على إطار نظري واحد هو الإطار الذي ذكرنا مرارا تخصصه فيه؛ أي إطار نظرية الدّلالة التصورية (أو هندسة التوازي) التي توافق تماما مبادئ الأنموذج المعرفي؛ لإلحاحها منذ البداية على الطبيعة المركبة للمعرفة، وعلى أن دراستها لا يمكن أن تكون إلا دراسة متعددة التخصصات وموحدة الهدف، لا يمكن النفاذ فيها إلى عمق قدرة عرفانية إلاّ بتبيّن صلتها بالقدرات الأخرى. وقد حاول غاليم هنا الغوص في صلات القدرات اللغوية بالقدرات الذهنية والعمليات العصبية الأخرى لإثبات الترابط السببي بينها، لكنه انشغل على وجه خاص بالتمثيل لذلك بالتقدّم النوعي الذي أصبح يسمح به ربط «الدلالة اللغوية» للألفاظ بمختلف الأنساق الإدراكية والتصورية التي تؤسس هذه الدّلالة وتغذيها. وتشمل هذه الأمثلة أفعال الإدراك البصري، ودلالة الإثباتيات، ودلالة الروابط السببية. ق ويمكننا القول اعتمادا على توجهات غاليم في بحث منهج اللسانيات العرفانية إنه انبرى لبحث منهج الدّلالة التصورية كمثال صريح لإمكان توحيد منهج البحث العلمي في إطار اندماج العلوم وتكاملها، حيث يلمس المهتم بتوجهات محمد غاليم في منهج اللسانيات العرفانية بحثه عن المنهج للعلوم العرفانية الحقل الذي تتشابك فيه العلوم عاليم في منهج اللسانيات العرفانية بحثه عن المنهج للعلوم العرفانية الحقل الذي تتشابك فيه العلوم غاليم في منهج اللسانيات العرفانية بحثه عن المنهج للعلوم العرفانية الحقل الذي تتشابك فيه العلوم غاليم في منهج اللسانيات العرفانية بحثه عن المنهج للعلوم العرفانية الحقل الذي تتشابك فيه العلوم غاليم في منهج اللسانيات العرفانية بحثه عن المنهج للعلوم العرفانية الحقل الذي تتشابك فيه العلوم في منهج اللسانيات العرفانية بحثه عن المنهج العرف المؤلفة على المنه المؤلفة المؤلفة الغوم العرفانية الحقل الذي تتشابك فيه العلوم العرفانية الحقوم المؤلفة المؤل

 $^{^{1}}$ ينظر: محمد غاليم، الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات، ص 8

² ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 11 – 13.

الطبيعية المادية والعلوم الإنسانية الذهنية ويسري في دراسة وتحليل ظواهرها منهج واحد، يسري بالضرورة على اللسانيات العرفانية والدلالة التصورية كونهما من العلوم الإنسانية الذهنية.

3) ج- المنهج الفرضي- الاستنباطي النقدي لدراسة اللسانيات العرفانية:

يشتغل محمد غاليم في تصوّره القائل باتخاذ المنهج الفرضي – الاستنباطي النقدي منهجا للسانيات العرفانية والدّلالة التصورية على أمرين: أولهما تأسيس هذا المنهج على رأي كارل بوبر في توحيد منهج البحث العلمي النقدي ودفاعه عنه، والآخر دراسة انطباق هذا المنهج في العلوم الاجتماعية والإنسانية مثل انطباقه على العلوم الطبيعية، ويتجلّى ذلك في إعادة بناء الوضع المشكل بصياغة نماذج أو بناءات نظرية مجردة، كمثيلاتها في العلوم الطبيعية، والسعي إلى اختبارها تجريبيا. أوعلى ضوء دراسة انطباق المنهج على العلوم الاجتماعية والإنسانية تأخذ اللسانيات العرفانية ضمن هذه الدراسة موضع قدم كباقي العلوم التي اتخذها أمثلة للبرهان على انطباق المنهج؛ وبالتالي فغاية محمد غاليم تبرز في إثبات منهج واحد للعلوم العرفانية ينطبق على كافة العلوم التي يشملها وذكر بعضها هنا كأمثلة، لذلك سنرصد الاختيارات العلمية للمنهج الفرضي – الاستنباطي النقدي التي رأى من خلالها غاليم أنه المنهج الأجدى لدراسة الظواهر العلمية والإنسانية، ونرصد مظاهر تجاوب المنهج الفرضي – الاستنباطي النقدي مع الدراسة الظواهر العلمية وآلياته التي يطرحها في التحليل من جهة أخرى.

يرجع القول عند محمد غاليم بتوحيد المنهج في البحث العلمي واتخاذ المنهج الفرضي – الاستنباطي النقدي منهجا موحّدا لدراسة العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية الإنسانية إلى الفيلسوف الأمريكي كارل بوبر، الذي يعدّ "من أشدّ المدافعين عن المنهج العلمي ووحدته إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق" وقد أفاض محمد غاليم في توضيح تصورات بوبر عن ضرورة توحيد منهج البحث العلمي والاعتماد على المنهج الفرضي – الاستنباطي النقدي المستمد من المقولات الفلسفية والمستخدم من قِبَلِ بوبر في فلسفته العقلانية النقدية لإبطال النظريات وتفنيدها، رغم أنه استُعمِل تاريخيا للاستقراء واثبات النظريات.

وأساس هذا المنهج مغاير ومختلف عن المنهج الاستقرائي التجريبي عند الفلاسفة الوضعيين لدراسة الظواهر العلمية الذي تتمثل مراحله في الملاحظة الموضوعية والتسجيل الحسي للمعلومات، ثمّ وضع الفرضيات من خلال العلاقات بين الظواهر المعرفية التي تصل إليها من الملاحظة الموضوعية، ثمّ البرهنة التجريبية تدريجيا على تلك الملاحظات والفرضيات، بينما خصائص المنهج الفرضي - الاستنباطي النقدي تتمثل في الخطوات الأربع التالية:3

يبدأ العلم بالمشكلات (م1) وليس بالملاحظة؛

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 13.

 $^{^{2}}$ المرجع نفسه، ص 2

 $^{^{3}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 3 20–36.

- محاولة حل هذه المشكلات تتم ببلورة نظريات متنافسة فيما بينها (ن ن)؛ ومن ثمة يبرز دور الذات الحاسم بجرأتها وقدرتها على التخيّل والإبداع؛
 - إخضاع هذه النظريات لعملية انتقائية عن طريق إقصاء الأخطاء (إ أ)؛
- تكون نتيجة الدراسة العلمية خلق وضعية جديدة تتجلى في مشكلات جديدة (م2). ومن ثمة تكون عملية المعرفة العلمية كالتالى: (م1) (ن ن) (إ أ) (م2)... وهكذا...

توضّح هذه الخصائص نقاط اختلاف المنهج الفرضي – الاستنباطي النقدي عن المنهج الاستقرائي فالأول يعتمد الملاحظة والتجربة لتحليل ونقد النظريات المطروحة مسبقا نقدا شاملا وإخضاعها لمعيار الإبطال والدّحض؛ لاكتشاف مواطن النقص فيها وطرح مشكلات جديدة؛ وبالتالي فإنّ المنهج " لا يحقق اليقين المطلق لأيّ من القضايا العلمية التي يختبرها؛ وإنما تحتفظ هذه القضايا دائما بطابع الفروض المؤقتة. "أ التي يسمح نقدها باستمرار البحوث في المعرفة، بينما المنهج الاستقرائي يبني النظريات انطلاقا من الملاحظة والتجربة، وهنا يقع التحليل والنقد على العناصر التي ستبني النظرية العلمية وليس على النظرية العلمية في ذاتها، وهذا يتوافق بشكل عام مع اللسانيات العرفانية التي تبرز بشكل مستمر مشكلات معرفية متشعبة المصادر المعرفية؛ إذ تجمع بين المادي والذهني وبالتالي فنظرياتها أحوج ما تكون في سبر أغوارها إلى النقد، والدّحض، والتحليل، الذي يوفره المنهج الفرضي الاستنباطي النقدي خاصة وأنها مازالت فتيّة في كثير من قضاياها.

إضافة إلى أن بوبر يدعم تصوّره عن توحيد المنهج بالتمييز بين التقنية والمنهج ومن خلال هذا التمييز يردّ على منتقدي تصوّره في توحيد منهج البحث القائلين بأن بوبر يناقض نفسه؛ " فالمنهج العلمي الذي يدعو إلى توحيده هو الأساس الجوهري الذي يبني عليه مبحث علمي معيّن قبوله أو رفضه للفرضيات أو النظريات. أما التقنيات العلمية فهي الإجراءات الخاصة، أو طرق القيام بالعمل؛ وقد يُتحدّث عنها باعتبارها «مناهج» " ممّا يتيح أكثر للعلوم الإنسانية واللسانيات العرفانية الانضمام إلى حقل العلوم العوفانية؛ لأنه يمكن أن يطبق عليها المنهج الفرضي - الاستنباطي النقدي مع إمكانية تقردها بالتقنيات الخاصة التي تُدْرَسُ بها اللغة من حيث المستويات اللسانية، والاكتساب، والتوليد...إلخ، فتخضع نظرياتها ومبادئها إلى النقد والتحليل والدحض/الإبطال من جهة، بقدر ما تخضع للآليات والمحاولات التفسيرية من جهة أخرى، وهذا ما يمكن أن نستشفه من أطروحة بوبر حول توحيد المنهج العلمي والحفاظ على التقنيات الخاصة التي تميّز كلّ علم، وعلى أيّ حال لا يمكن القول البتة بالإلغاء النّام للفروق والاختلافات بين الغلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية.

285

كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية، تر، عبد الحميد صبره، مساء المعارف الإسكندرية، د ط، 1959، ص 159

 $^{^{2}}$ محمد غاليم، الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم، ص 2

تأسيسا على التصورين المتقدّمين يمكن أن نستشفّ أن أساس انتقاء محمد غاليم لكارل بوبر ومذهبه في اتخاذ المنهج الفرضي – الاستنباطي النقدي منهجا موحّدا في البحث العلمي مبني على خصائص هذا المنهج، التي تسمح بإثارة المشكلات والتساؤلات المعرفية الدّائمة؛ وبالتالي معالجة أكبر قدر من قضايا الفرع العلمي الواحد، وليكن هنا اللسانيات العرفانية، ثمّ تمييزه بين التقنية، والمنهج الأمر الذي يحفظ للسانيات العرفانية خصوصيتها المعرفية حتى مع معالجتها بالمنهج الفرضي – الاستنباطي النقدي الذي يضع العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية على صعيد واحد.

3) د- مظاهر تجاوب المنهج الفرضي- الاستنباطي النقدي مع اللسانيات العرفانية وآلياته التي يطرحها في التحليل:

يقيم غاليم تصوراته في إطار إثبات إمكانية توحيد منهج البحث العلمي الفرضي الاستباطي النقدي وشموله للسانيات العرفانية ضمن مجال العلوم الإنسانية الاجتماعية على مبدأ توضيح الارتباط السببي بين الطبيعة العصبية للذهن والبنيات الاجتماعية الثقافية الذي تفرضه مبادئ النظرية الشاملة للذهن متمثلة في العلوم العرفانية والتطورية، والذي تتشأ منه الظواهر الاجتماعية والثقافية؛ لأن إدراك العوامل والظواهر المحيطية البيئية وتحليلها لا يقوم إلا بفعل عوامل أحيائية ومنظومات دماغية عصبية مما يشدّد على أن الاعتبارات المحيطية تتطلب وجود هندسة معرفية متطورة غنية لتحليلها، تتزع بفضل الباتها ذات المحتوى الحساس البالغ الغني إلى فرض أنماط معيّنة من المحتوى والتنظيم التصوري على الحياة الذهنية للإنسان، ومن ثمة تشكل طبيعة الحياة الاجتماعية وما ينقل ثقافيا عبر الأجيال، وبالتالي لا يبيّن إمكانية إبطال مزاعم النموذج المعيار القائلة إن «العوامل الأحيائية» و «العوامل المحيطية» تحيلان على مجموعتين سببيتين تنفي الواحدة منهما الأخرى. فينتج عن ذلك أنه كلما ازدادت الظواهر المفسرة «أجيائيا» كلما قلّت الظواهر المفسرة «اجتماعيا» أو «بيئيا». أ

وهذا الارتباط والتكامل هو المشروع العلمي المعرفي الذي تتدرج فيه نظريات عرفانية مختلفة منها نظرية الدّلالة التصورية (أو الهندسة المتوازية) التي طوّرها راي جاكندوف منذ 1978، وتبنّى مبادئها الجوهرية محمد غاليم في بحثه هذا. 2 ويتبين هنا أن جهد غاليم منصب على مدى اندماج الدلالة التصورية في الأنموذج العلمي العرفاني؛ ومنه مدى انطباق المنهج الفرضي - الاستتباطي النقدي على نظرية الدّلالة التصورية، مما يعني أن محط بحثيه ودراستيه في منهج اللسانيات العرفانية بحث مطوّق نتيجة لكونها مثالا وليست محورا للبحث أولا، وانشغاله بمنهج نظرية الدّلالة التصورية وحدها دون باقي نظريات اللسانيات العرفانية ثانيا.

 $^{^{1}}$ ينظر: محمد غاليم، أي منهج لدراسة الظواهر الإنسانية والثقافية؟، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: محمد غاليم، الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم، ص 2

3) ه- الوجاهات مظهر من مظاهر اندماج اللسانيات في الأنموذج العرفاني:

نظرا لتتوع النظريات اللسانية العرفانية وظواهرها المدروسة واتساع المجالات العلمية المتواشجة معها ينتقي محمد غاليم إبراز قضية لسانية عرفانية متمثّلة في وجاهات اللغة والأنساق الإدراكية ووجاهات اللغة والأنساق التصورية التي تعدّ من أساسيات نظرية الدّلالة التصورية (أو هندسة التوازي) التي قطعت شوطا لا بأس به في الاندماج المعرفي يبرز من خلال تطور البحث في بنية الملكة اللغوية وعلاقاتها الضرورية بالأنساق الأخرى المتفاعلة عبر الوجاهات بين النسق اللغوي وياقي الأنساق العرفانية التي تشكّل بنية الذهن/ الدّماغ الشاملة، وتختص علوم عديدة مختلفة طبيعية، واجتماعية وإنسانية بدراستها، وهي مظاهر اندماجية تعكس فهما أعمق لمكونات اللغات الطبيعية وخصائصها التصورية، ومواردها التحليلية، وأصولها العصبية. أ فالوجاهات هي روابط عرفانية بين الأنساق الإدراكية المادية الشاملة للمراكز العصبية على مستوى الدّماغ والأنساق الذهنية التي تبني النسق اللغوي الذي يعتمد بدوره على موارد عديدة من العلوم المادية والعلوم الذهنية.

ومن منطلق أن الوجاه في النظرية اللسانية هو مفهوم نظري وإجرائي مركزي تبدو مركزيته اللسانية في ارتباطه الوثيق بمجال نظرية الأنساق المركبة؛ حيث التركيب يعتمد على الوجاهات فهي بتعبير آخر الواصلات والروابط بين ملكات الذهن والعلاقات المتوازية القائمة فيما بينها من جهة، وبين العلاقات القائمة بين عناصر الملكة اللغوية في ذاتها التي تسمح بتصميم وهندسة اللغة، واكتسابها، واستعمالها وعلاقاتها بصور المعارف الأخرى من جهة ثانية؛ وهذا يفضى إلى نمطين من الوجاهات:

- وجاهات داخلية تهم الصلات التفاعلية الداخلية بين مختلف الأنساق الفرعية المكونة للنسق الإدراكي أو العرفاني المقصود مثل: الأنساق الفرعية في الملكة اللغوية (النسق الدلالي، النسق النحوي...)
- ووجاهات خارجية تهم الصلات التفاعلية الخارجية بين نسق إدراكي أو عرفاني معيّن، ونسق أو أكثر من الأنساق الإدراكية أو المعرفية الأخرى مثل: الصلات التفاعلية بين النسق اللغوي والنسق العصبي والنسق النفسي أو الروابط بين أجزاء الدماغ المسؤولة عن اللغة وباقي أجزاء الدماغ الأخرى المتعلقة بالإدراك، وصياغة العمل، والمعرفة العامة حول العالم.

فإن محمد غاليم يتخذ وجاهات اللغة والأنساق الإدراكية مثالا من مظاهر الدّلالة التصورية واللسانيات العرفانية يتجلى من خلاله اندماجها في العلوم العرفانية المستجيبة للمنهج الفرضي- الاستنباطي النقدي، وفي طليعتها العلوم العصبية، والعلوم النفسية، واللسانيات وسيأتي التعمق أكثر في

 2 ينظر: محمد غاليم، اللغة بين ملكات الذهن بحث في الهندسة المعرفية، ص 2 اللغة بين ملكات الذهن بحث في الهندسة المعرفية، ص

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 92.

اندماج الدلالة التصورية واللسانيات العرفانية في الأنموذج العرفاني عند عرض تصورات غاليم لهذه الوجاهات.

3) و- الوجاهات بين اللغة والأنساق الإدراكية:

يعالج محمد غاليم من بين وجاهات الأنساق الإدراكية وجاه الإدراك البصري، ودلالته، وارتباطها بالدّلالة اللغوية الذي يُستشفّ من قدرة البشر على الحديث عما يستقبلونه بالحس العميق من مسموعات وملموسات، ومرئيات...إلخ، وهذه القدرة على الحديث تأتي من الرصيد اللغوي الذي يعدّ رصيدا هائلا وجوهريا في كل اللغات الطبيعية. وجوهر ما يعالجه هنا هو طبيعة «الدّلالة اللغوية» التي تفيدها من العبارات «الإدراكية البصرية»، وموقعها من التحليل العرفاني (cognitive processing) خصوصا وعن الكيفية التي يتم بها الربط بين اللغة والنسق البصري عموما ألهذا الربط الذي يتأسس على الوجاهات حيث يصبح البحث في الترابط بحثا في الوجاهات.

يولّد النسق البصري صوره وتمثيلاته الذهنية الإدراكية البصرية من التجربة الحسية التي تتمثّل في رؤية العالم والموجودات فيه، وحتى نتحدث عن التمثيلات الإدراكية البصرية لابد من ترجمتها وتحويلها إلى صور التمثيل الذهني الذي يستعمله النسق اللغوي، وعليه ما هي الصورة التي يمكن أن يكون عليها هذان التمثيلان (التمثيل البصري، والتمثيل اللغوي) والتي تسمح بتحويل أحدهما إلى الآخر؟

تبدأ عملية الإدراك البصري بنمذجة ذهنية حاسوبية للأشياء المرئية المدخلة عبر العضو الحسي (البصر)، ويحدث الإدراك البصري بتمثيل هذه المرئيات عن طريق حوسبتها بداية بالنقط التي تشكّلها مثلا عند الحواف والخطوط التي تحدّد الشكل العام للشيء في مجال الرؤية، كما تقدّر مسافة بعد الشيء عن الرّائي أو الملاحِظ، وتقدّر الشكل الكلي للموضوع المرئي عن طريق النموذج الثلاثي الأبعاد في استقلال عن الرائي. ومن الواضح أن ملكة البصر تعمل على ربط سمات الموضوع المرئي ومستوياته ببعضها لإدراك صورة الموضوع المرئي ككل عبر مجموعة من الحوسبات المختلفة. وعليه فمثلما هناك ترابطات حاسوبية بين مستويات التمثيل في الإدراك البصري، ينبغي البحث عن ترابطات حاسوبية بين المتشيلات المعني والتمثيلات المغوية أو بين النموذج الثلاثي الأبعاد/الفهم البصري وبين البنية التصورية/ المعنى اللغوي.

وفي إطار الترابط الوجاهي بين الملكة اللغوية وملكة البصر (البنية التصورية والنموذج الثلاثي الأبعاد) يشير محمد غاليم أنه لا يمكن أن تقوم العلاقة الوجاهية بينهما على اشتقاق الواحدة من الأخرى مهما كان الاتجاه؛ لأنه يستحيل اشتقاق البنية التصورية من النموذج الثلاثي الأبعاد/ الفهم البصري لتضمنها كافة أنواع التصورات المجرّدة، في المقابل لا يمكن اشتقاق النموذج الثلاثي الأبعاد من البنية

* يسمّى راي جاكندوف النموذج الثلاثي الأبعاد أو الفهم البصري بنية فضائية (Spatial structure).

¹ ينظر: محمد غاليم، الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم، ص 94.

التصورية لأنه يتضمن تفاصيل الأشكال المظهرية (المدركة بالبصر) التي يستعصي ترميزها في الصورة الجبرية (Algebraic) للبنية التصورية. مثلا عند تصور طائر التَدُرُج الدَّهنِي بالنسبة لشخص لم يره في حياته من قبل نجد أنه لا يمكنه سوى تحديد سماته العامة في بنيته التصورية التي تجعل منه طائرا وهي الجناحان، الريش، المنقار، القدرة على الطيران وربما تصور اللون الذهبي من خلال اسم الطائر، أما بالنسبة لشخص رأى الطائر من قبل فإنه يرمّز الشكل المظهري بكيفية طبيعية في أوليات النموذج الثلاثي الأبعاد الهندسية، مع القدرة على ترميز الصفات الخاصة بطائر التدرج الذهبي مثل الحجم واللمعان في الريش...إلخ. وعلى هذا الفرق في تمثيل تصورات الإدراك البصري/النموذج الثلاثي الأبعاد والدلالة اللغوية/ البنية التصورية يعتبر هذان المستويان مستويين متوازيين متفاعلين وشريكين في بناء العالم، عبر مستوي وجاهي¹ يربط تمثيلات الإدراك البصري بالذلالة اللغوية، رغم أن تفاعلهما وترابطهما لا يمنع من البنية وجود فرق بين المستويين حيث التعبير عن تفاصيل التمثيل الفضائي أو تفاصيل النموذج المرئي التي يزودنا بها الوجاه الرابط بين البنية التصورية والنموذج الثلاثي الأبعاد (البنية الفضائية كما المرئي التي يزودنا بها الوجاه الرابط بين البنية التصورية والنموذج الثلاثي الأبعاد (البنية الفضائية كما المرئي التي يزودنا بها الوجاه الملكة اللغوية بالملكة البصرية.

من جانب آخر يظهر أن بعض الموضوعات والكيانات التي يحفل بها العالم كما نتصوره، والتي يمكن أن نتحدث عنها بواسطة اللغة لا تحيل دائما على كيانات واقعية في العالم الخارجي، فمنها الضمائر الإشارية التي تحيل على النمط أو المقولة، والمحل، والمسار، والعمل، والكيفية، والمسافة والتعدد، والأصوات التي عُدَّت أنماطا من الكيانات التي يجب أن يكون النسق البصري قادرا على إدراكها وترميزها في البنية الفضائية، وبهذا يكون من الواجب على البنية الفضائية أن تتضمن الموضوعات الإدراكية البصرية وتصورات الكيانات التي نعبر عنها لغويا، وهي كذلك لأن المبدأ العام الذي ينبني عليه افتراض البنية الفضائية من حيث هي تمثيل ذهني غني يتلخص في أن أذهاننا هي التي تبني عالم تجربتنا، ولا يهم في الدلالة اللغوية أن تكون هذه الكيانات موجودة فعلا في العالم، بل ما يهم أن تكون هذه الكيانات ضمن تصورنا وفهمنا للعالم ومتى ما أردنا أحلنا عليها² وهذا يوضح أن الربط هنا متجه من التصورات الذهنية المجرّدة في قالب الدلالة اللغوية إلى الإدراك البصري، مما يوحي أن الوجاهات تعمل على الربط في اتجاهين متقابلين.

وخلاصة الوجاهات بين اللغة والأنساق الإدراكية لدى محمد غاليم في هذا البحث انصبت على الوجاهات بين الملكة اللغوية والإدراك البصري، التي انتهى فيها إلى أن البنية التصورية، والنموذج الثلاثي

 $^{^{1}}$ ينظر: المرجع السابق، ص 96 - 97.

 $^{^{2}}$ ينظر: المرجع نفسه، ص 99–100.

الأبعاد مستويان متوازيان ومتفاعلان يربط بينهما وجاه في الاتجاهين، مع الأخذ بالاعتبار أن البنية التصورية نأخذ منها هنا الدلالة اللغوية والنموذج الثلاثي الأبعاد هو نتيجة عن الإدراك البصري؛ حيث يتشكل بينهما وجاه يربط الملكة اللغوية وملكة البصر المستقلة عن إطار الملكة اللغوية لكنها متفاعلة معها بفعل الوجاه، وارتباط الملكة اللغوية بملكة البصر يعد ارتباطا وجاهيا بين الذهني المجرد والعصبي الفيزيائي، ويمكن أن نجد خلافا لهذا الارتباط الوجاهي بين الذهني العرفاني والعصبي الفيزيائي ارتباطا وجاهيا بين الملكة اللغوية ونسق المعرفة الاجتماعية الثقافية وهذا ارتباط وجاهي يتم بين مستويين ذهنيين عرفانيين مجردين يتضح من خلالهما أن الوجاهات بين اللغة والأنساق الإدراكية يمكن أن تكون بين الملكة اللغوية والأنساق العصبية، أو بين الملكة اللغوية والأنساق النفسية...إلخ؛ ولأن الملكة اللغوية، في مثال محمد غاليم، ترتبط بملكة البصر وإدراك المرئيات الخاضع للتجربة الحسية والعمليات العصبية يجري عليها المنهج الفرضي الاستنباطي النقدي، لكن ما نراه من مآخذ أطروحات غاليم هنا أنه اكتفى برصد بعض مظاهر اندماج اللسانيات العرفانية في الأنموذج العرفاني المتمحورة حول الدلالة التصورية للحكم بإمكانية اتخاذ اللسانيات العرفانية المنهج الفرضي الاستتباطي النقدي منهجا للبحث.

وخلاصة القول عن محاولة محمد غاليم، باعتبارها المحاولة الوحيدة، في بحث منهج اللسانيات العرفانية إنها قامت على محورين أحدهما تبرير ضرورة توحيد منهج البحث العلمي سواء في العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية الاجتماعية وتبني هذه الفرضية، والمحور الآخر اتخاذ المنهج الفرضي- الاستتباطي النقدي الذي طرحه كارل بوبر منهجا موحدا لكافة العلوم الطبيعية والإنسانية، وسعى غاليم بتبنيه للمحور الثاني إلى استثمار فاعلية المنهج الفرضي- الاستنباطي النقدي من خلال عرض الدلالة التصورية عليه وإثبات اندماجها في العلوم العرفانية أو الأنموذج العرفاني كما اصطلح غاليم على تسميته. ومما تقدّم يمكننا القول إنّه أثبت اندماج الدلالة التصورية في الأنموذج العرفاني حيث برهن باستعمال المنهج الفرضي- الاستنباطي النقدي وبإثارة مجموعة من التساؤلات أن الدّلالة التصورية لا تحدث إلا باتصالها بالأنساق الإدراكية، والعصبية، والنفسية عبر الوجاهات الرابطة بينها حيث تربط مدخلات التجارب الحسية وحوسبتها بالملكة اللغوية التي تولّد الدلالة التصورية؛ وهذه الارتباطات هي من صميم أسس الأنموذج العرفاني وما يطرحه على كافة العلوم التي يشملها.

لكن ما يلاحظ على جهد غاليم في بحث منهج اللسانيات العرفانية أنه كان خاصا وضيق المدى جدّا، فهو لم يزد على إثبات اندماج الدلالة التصورية (هندسة التوازي) في الأنموذج العرفاني، وهو غير كافٍ للحكم على اللسانيات العرفانية بكل التصورات، والنظريات، والمقاربات المتنوعة التي تشملها بأنها تخضع للمنهج الفرضي – الاستنباطي النقدي، وبالتالي فهذا الاستقراء لمنهج اللسانيات العرفانية ناقص. ولعلّ السبب وراء ذلك هو عكوف غاليم في الجزء الأكبر من بحوثه ودراسته على توجّه راي جاكندوف

وتصوراته، التي جعلت من نظرية البنية التصورية المناهضة لبعض تصورات نعوم تشومسكي مركزا لها مصرّحا بذلك في مؤلفاته العديدة، مثل ما جاء في كتابه المعنى والتوافق مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، وكتابه اللغة بين ملكات الذهن بحث في الهندسة المعرفية الذي قال فيه "فهذا العمل، كأعمالنا السابقة، يندرج في إطار نظري رئيس موحّد هو إطار نظرية الدّلالة التصورية (أو التوازي النحوي (المعرفي))، التي سبق في ما نشرناه أن فصلنا في أسسها ومبادئها وقدّمنا استدلالا على كفايتها النظرية والتجريبية في رصد ظواهر دلالة اللغات الطبيعية، من جهة، ورصد علاقاتها العضوية في بنية الذهن/ الدماغ ومختلف قدراته المعرفية، من جهة أخرى." الدماغ ومختلف قدراته المعرفية، من جهة أخرى." التي سبق في من جهة أخرى."

4. على سبيل الختام واقتراح بعض الحلول:

طرحنا في بداية هذا الفصل سؤالا هو: لماذا نبحث في خصوصيات التلقي العربي ونقرأ الجهود العربية المنصبة على دراسة اللسانيات العرفانية؟ وبعد عرض أهم التصورات اللسانية العرفانية العربية حول نظريات اللسانيات العرفانية، ومبادئها، وطرق فهم التفكير اللساني العربي لها وآليات معالجته لها في سياق تلقيه للسانيات العرفانية من حيث مصطلحاتها الأساسية وعلى رأسها مصطلح العرفان والعرفانية، والمحتوى اللساني العرفاني الذي عالجته الجهود العربية المتراوح بين أساسيات اللسانيات العرفانية فقط، والمزاوجة بين التصورات الجوهرية في اللسانيات العرفانية والتصورات حول العلوم المساعدة لها خاصة العلوم العصبية، والشعرية العرفانية، والنقد العرفاني التي سبق طرحها، ومن حيث المستوى المنهجي الذي اتبعه التلقي العربي للسانيات العرفانية الذي بينا أهم قسم منه من خلال الأبعاد الابستيمولوجية والفلسفية ومنهج اللسانيات العرفانية في البحث اللساني العربي. تبرز الإجابة عن هذا السؤال في ضبط ثم فهم الإشكالات والقضايا اللسانية العرفانية المطروحة عربيا التي نعيد إجمالها في الآتي:

- قضايا المحتوى اللساني العرفاني العربي التي تباينت جدًا في فترة قصيرة مع نظيرتها الغربية (التي تعدّ المنشأ الأول للسانيات العرفانية)، فالثانية بدأت بنقد اللسانيات التوليدية وتصوراتها عن الدّلالة والمعنى التي تطوّرت في سياقها الدلالي اللسانيات العرفانية اللايكوفية (نسبة إلى جورج لايكوف) من جهة أخرى، محاولة تدراك الثغرات التي غفلت عنها الدلالة التوليدية وما تلاها من تصورات دلالية. بينما اللسانيات العرفانية من منظور عربي بالكاد تشير إلى هذه التغيرات على مسار اللسانيات العرفانية لكنها نقفز إلى دراسة علاقة اللسانيات العرفانية بالعلوم المجاورة كما اتضحت من خلال جهود عبد الرحمن طعمة، ومحمد غاليم، ومحي الدين محسب...إلخ، وتشغل بمحاولة تحليل النصوص اللغوية بمخرجات اللسانيات العرفانية، وهذا ينطبق على الجهود الترجمية العربية بقدر ما ينطبق على الجهود التأليفية.

 $^{^{-}}$ محمد غاليم، اللغة بين ملكات الذهن بحث في الهندسة المعرفية، ص $^{-}$ 8.

- قضية التجزيء والانتقاء في بحوث اللسانيات العرفانية العربية وهي قضية جليّة وبارزة عبّرت عنها عديد البحوث العربية التي انصبت على علاقة اللسانيات العرفانية بالعلوم العرفانية، والاستعارة التصورية/ المفهومية، والدلالة التصورية، في المقابل هناك شح ملحوظ في بقية النظريات اللسانية العرفانية كالنحو العرفاني، ونظرية الأفضية الذهنية، والمقولة...إلخ.

إشكالات المنهجية التي رأينا أن أهمها على الإطلاق هو إشكال المرجعيات والأبعاد الابستيمولوجية الفلسفية ومن ضمنها المنهج الذي يعتمده التحليل اللساني العرفاني، حيث تتجاوز الكتابات اللسانية العرفانية العربية هذه المرحلة المعرفية رغم أهميتها الشديدة في التأسيس المتين لاتجاه لساني عرفاني عربي معاصر، فمن المعلوم أنّ أي قطاع معرفي علمي، في الممارسات العلمية الغربية، ترجع كثير من نقنياته الاستدلالية وآليات تحديد مفاهيمه إلى أصول معرفية متعدّدة خاصة الفلسفية منها، وتتغلغل في الممارسات العلمية بصفة ضمنية غير صريحة، غير أنّ المتتبع للكتابة اللسانية العربية يلاحظ أنه من بين ما يجعل انخراطنا في إنتاج المعرفة اللسانية والمعرفة اللسانية العرفانية بصفة خاصة انخراطا سطحيا هو كون السياق الميتودولوجي والإبستيمولوجي الذي يؤطّر إنتاج الأفكار وتبليغها غير مؤسس في مؤسساتنا العلمية. أ بعبارة أخرى، يمكن أن نقول إن السياق الميتودولوجي (المنهجي) والابستيمولوجي شبه مغيّب في الخطاب اللساني العرفاني العربي مع ما له من أهمية في سبر أغوار اللسانيات العرفانية وطرح أصولها ومرجعياتها المعرفية الابستيمولوجية للمتلقي العربي، ولهذا الأخير أن يطلع على الدراسات العرفانية الغربية في كنف الابستيمولوجيا والفلسفة، وأن يطلع على الجهود العربية التي تكاد تعزل اللسانيات العرفانية عن أبعادها الإبستيمولوجيا والفلسفة، وأن يطلع على الجهود العربية التي تكاد تعزل اللسانيات العرفانية عن أبعادها الإبستيمولوجية والفلسفية.

وكتقييم شامل عام لواقع تلقي اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة نلاحظ أنها تشهد صعوبات وإشكالات كالتي شهدتها اللسانيات العامة (النظرية) في بدايتها العربية الأولى، من إشكال المصطلح الذي عبر عنه مازن الوعر بقوله أزمة المصطلح العلمي اللساني ومردّها إلى النطوّر السريع للتكنولوجيا ومسايرة التطور اللساني له فهما يتطوّران بوتيرة واحدة تقريبا، في المقابل ليس هناك تساوق عربي بين التطور التكنولوجي والتطور اللساني العربي؛ مما يجعل مصطلحات متعلقة بعلوم لسانية معاصرة كاللسانيات البيولوجية، واللسانيات الرياضية، واللسانيات والأدمغة الإلكترونية، وكذلك

 $^{^{1}}$ ينظر: حافيظ إسماعيلي علوي، من قضايا اللغة العربية ... في اللسانيات التوليدية، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 2 ع 1 2008، ص 2 2008.

اللسانيات العرفانية مصطلحات نادرة في الثقافة العربية اللسانية المعاصرة، وهكذا يتبين أن مشكلة المصطلح العلمي اللساني وأزمته تتعلق بالسباق الزمني التكنولوجي. 1

مرورا بإشكال منهج البحث والأسس الابستيمولوجية الفلسفية للسانيات العامة التي ما زالت تعاني منها اللسانيات العرفانية في التلقى اللساني العربي المعاصر، "فالمنهج في خطاب اللسانيات العربية إمّا:

- منهج تعليمي تربوي يروم تقديم المعرفة إلى القارئ العربي المبتدئ.
- منهج إعادة القراءة الذي يروم تقديم تأويل جديد للتراث اللغوي العربي في ضوء اللسانيات.
- أحد المناهج العلمية المعروفة في تاريخ الفكر اللغوي مثل، المنهج المقارن أو المنهج التاريخي أو المنهج الوصفي "2 والتي اتخذت منها اللسانيات العرفانية المنهج الوصفي في البحث اللساني العربي على الرغم من المحاولات المتكررة للسانيين العرفانيين العرب اقتراح منهج للسانيات العرفانية.

وقد رأينا من قبل محاولة عبد الرحمن طعمة في تأسيس منهج تحليلي جديد يتغيا الجمع بين روافد شتّى من حقول المعرفة المعاصرة، ونمذجة النمطين المنهجيين اللذين وضعهما كانط؛ أي المقاربة القوديية التقنينية التي تخص وضع القانون العام الواصف للظواهر وجعله للعلوم الطبيعية، والمقاربة الفردية المنوطة بالمعالجة التخصيصية للقوانين العامة وجعلها للعلوم الإنسانية. وهذا تصوّر تبناه أيضا كارل بوبر واستثمره محمد غاليم في جهوده حول طرح المنهج الفرضي الاستنباطي النقدي كمنهج موحد للعلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية حيث تخضع له اللسانيات العرفانية بالضرورة. بينما تجتمع الدراسات اللسانية الغربية والعربية على استجابة اللسانيات العرفانية للمنهج التجريبي، لكن التجريب هنا مفتوح على كافة العلوم العرفانية (العصبية، واللسانيات، والحاسوبيات، والأنثروبولوجيا...إلخ) ما يجعل الخروج بمنهج بالوصف لتبسيط المعرفة اللسانية العرفانية للمتلقي العربي. أما حال البحث والكشف عن المرجعيات بالوستيمولوجية للسانيات العرفانية، فهو ضئيل جدًا وبالكاد يمكننا القول إن هناك إثارة عربية لهذا الجانب الإستيمولوجية للسانيات العرفانية، فهو ضئيل جدًا وبالكاد يمكننا القول إن هناك إثارة عربية لهذا الجانب الإبعض القضايا التي عالجها عبد الرحمن طعمة ومحمد غاليم.

ثم قضية المحتوى الذي عرضنا من خلاله أهم القضايا اللسانية العرفانية التي عالجها اللسانيون العرب في كتاباتهم، وأشرنا أن سمتها البارزة هي التأرجح بين الشمول والتجزيء والانتقاء وغياب شبه تام للتكامل المعرفي بين الجهود اللسانية العرفانية العربية على الرغم من أهمية التكامل المعلومة بين العلوم.

³ ينظر: عبد الرحمن طعمة، البناء العصبي للغة دراسة بيولوجية تطورية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية، ص 18.

 $^{^{1}}$ ينظر: مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص 361 – 362 .

 $^{^{2}}$ مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص 2

وهذه السمات تثير سؤال ماذا ندرس، نحن اللسانيون العرب، في اللسانيات العرفانية وما المادة اللسانية العرفانية التي نتباحثها؟ وما الغاية المنشودة منها؟ وهذه إجابة السؤال العام السابق فقراءة خصوصيات التلقي العربي للسانيات العرفانية تعيد التأسيس العلمي الجاد لاتجاه لساني عرفاني عربي يقوم على مبادئ ابستيمولوجية وفلسفية ومنهجية، وتكامل لساني علمي يعالج مادة اللسانيات العرفانية على ضوء النزعة البينية المعاصرة.

والواقع أن الحديث عن إشكالات ومعوقات اللسانيات العرفانية في الدرس اللساني العربي لا يبقى إلا وصفا مجرّدا في حال لم ندرك المغزى من رصد هذه الإشكالات، وندعمها بطرح علمي موضوعي جاد لبعض التصورات التي يمكن أن تكون حلولا أو إرهاصات حلول لهذه الإشكالات، ورأينا أن بعضها قد طرحه علماؤنا المعاصرون من قبل وعلى رأسهم مازن الوعر فيما يخص تلقي اللسانيات بكل فروعها. وطرح حلا لإشكال المصطلح اللساني رغم صعوبة ذلك؛ حيث تمثّل حله في أمرين: الأول: ما أطلق عليه الرهبنة العلمية البحتة ويعني بها تجنيد علماء في اللسانيات يكرسون حياتهم لإيجاد المصطلح العلمي (اللساني)، والآخر: التخطيط الزمني السليم والدقيق والمؤدّي إلى وضع خطط زمنية معينة لكل موضوع لساني نريد أن نجد المصطلح العلمي اللساني المقابل له. وهذا يتمّ تحت رقابة وتتسيق وتعاون المؤسسات والمنظمات العربية كالمنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، ومكاتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، ومجامع اللغة العربية. أ وهذا من شأنه أن يحل التعدد المصطلحي الذي يبدو صارخا في الكتابات اللسانية العرفانية (العرفان، والمعرفة، والإدراك. الاستعارة التصورية، والاستعارة المفهومية. الفضاءات الذهنية، والأفضية الذهنية).

وفيما يخصّ حل إشكال المنهج المندرج ضمن إشكال التلقي العربي لإبستيمولوجيا اللسانيات عامة واللسانيات العرفانية خاصة، فإننا نطرح حلا له العكوف على نشر الوعي العلمي في الأوساط اللسانية العربية بأهمية الأبعاد الابستيمولوجية والمرجعيات الفلسفية للسانيات العرفانية نظرا لأرضيتها الخصبة الثرية، فقد أخذت بعض التصورات من اللسانيات التوليدية (مثل: الملكة اللغوية، وفطرية اللغة)، ومن العلوم الأحيائية، كما أخذت من العلوم الإنسانية والأنثروبولوجيا خاصة. ومن البديهي أن معرفة مصدر أي فرع علمي تساعد في تطوير نماذجه ومقارباته؛ لأن المقاربة الابستيمولوجية تروم تشييد ثقافة وعي علمي جديد في سياق التفاعل مع أنساق المعارف العلمية الحديثة من خلال الانشغال العلمي بالأسس

 $^{^{1}}$ ينظر: مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص 1

والمبادئ التصورية، والمنهجية، والاستدلالية للمعرفة اللسانية أ. وهذا ما نكاد نعدمه في الثقافة اللسانية العربية ككل بله الحديث عن ابستيمولوجيا اللسانيات العرفانية.

وحل إشكال المنهج تابع للوعي العربي بأهمية ابستيمولوجيا اللسانيات العرفانية والتغيرات التي ميزتها عن الفروع اللسانية الأخرى، فمن غير المنطقي أن نقف عند حدود المنهج الوصفي أو التفسيري ونحن نعلم أن اللسانيات العرفانية فرع عصبي، وحاسوبي، وأنثروبولوجي، وثقافي، ونفسي في آن واحد معا، وبالتالي نحن أمام ضرورة استنهاض وعي ابستيمولوجي عميق ننفذ منه إلى كشف أسرار العلاقة بين المنهج في العلم اللغوي وانبثاق البدائل المعرفية داخل نظرياته العامة، وضرورة التأسيس لنمط جدلي جديد بين الوعي الابستيمولوجي الفلسفي والوعي المنهجي، ولأن ذلك من الصعوبة بمكان في الثقافة العربية المعاصرة فلا بأس أن تتولى تحقيق الوعي الابستيمولوجي اللساني العرفاني المؤسسات العلمية والأكاديمية؛ والسبب في ذلك أن نقد العلم اللغوي – ضمن فلسفة المعرفة – يستدعي بالضرورة إجراء الحوار بين العلوم المتعددة، القائمة على مبدأ تضافر الاختصاصات، بل لعل الحفر تحت أعمدة العلم اللغوي هو الذي أسس لهذا النهج المتداخل الذي تتوالج فيه حقول متنوعة في ذاتها، متباينة في مراميها. وهذا كلّه يخرج عن طاقة الأفراد ولا تنهض بأعبائه إلا المؤسسات، سواء منها الأكاديمية المختصة أو وهذا كلّه يخرج عن طاقة الإفراد ولا تنهض بأعبائه إلا المؤسسات، سواء منها الأكاديمية المختصة أو الثقافية ذات الرؤية الاستشرافية الواسعة. 2

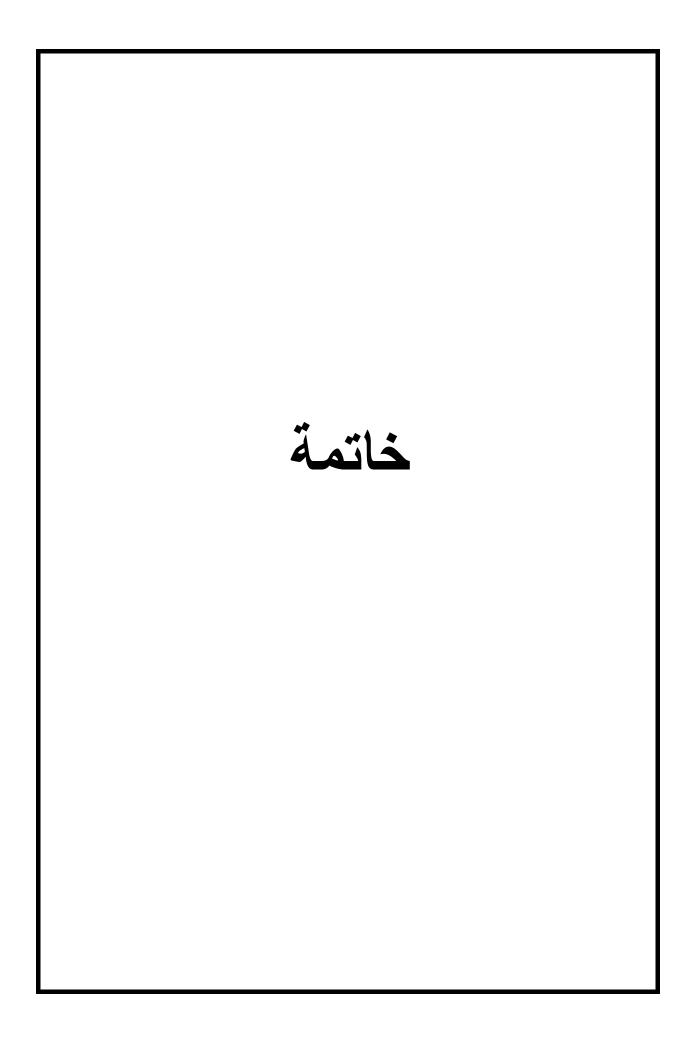
من جهة المحتوى يمكن أن نطرح أهم حلّ يجب على المشتغلين باللسانيات العرفانية من العرب الالتزام به، أو وعيه على أقل تقدير، وهو ضرورة التكامل البحثي والعمل الجماعي بهدف تجنّب إعادة معالجة قضية لسانية عرفانية واحدة وبوجهة نظر واحدة دون تجديد أو نقد أو تصوّرات جديدة مضافة مثل ما تقدّم عن نظرية الاستعارة التصورية التي لقيت اهتماما عربيا واسعا تركّز على التعريف بها ومحاولة تطبيقها، على غرار بقية النظريات والمقاربات اللسانية العرفانية، وقد نادى بضرورة العمل الجماعي من قبل حافيظ إسماعيلي علوي؛ إذ رأى أن تطوير اللسانيات العربية كافة "يقتضي توحّد الجهود وتقسيم الاختصاصات بين الباحثين للتغلب على العقبات المثارة، ولنا في عمل اللسانيين الغربيين أسوة حسنة؛ فالمعروف أن تشومسكي، مثلا، استطاع تطوير نماذجه التوليدية اعتمادا على آراء منتقديه ومعاونيه، كما استند في الوقت ذاته إلى أطروحات علماء من تخصصات أخرى محاقلة أو غير محاقلة مما أكسب النحو التوليدي قدرة فائقة على تطوير نماذجه واستمرار تجددها." ولنا أيضا في التكامل مما أكسب النحو التوليدي قدرة فائقة على تطوير نماذجه واستمرار تجددها." ولنا أيضا في التكامل

[.] 1 ينظر: امحمد الملاخ، المقاربة الإبستيمولوجية في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، ص 1

 $^{^{2}}$ ينظر: عبد السلام المسدى، منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، ص 20

^{42.} حافيظ إسماعيلي علوي، نحن واللسانيات: مقاربة لبعض إشكالات التلقي في الثقافات العربية، ص 3

المعرفي أمثلة في التراث اللغوي العربي منها مؤلف فخر الدين الرازي "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" الذي أعاد فيه قراءة مشروع عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، والرسالة الشافية" مبينا التكامل بينها ومضيفا عليها وشارحا لها. ونرى أن العمل الجماعي يمكن أن ينجح بتأسيس مخابر علمية خاصة باللسانيات العرفانية وتطوراتها في الوطن العربي.



إنّ النطور المعرفي الذي اجتاح كافة العلوم الطبيعية والإنسانية في حدود النصف الثاني من القرن العشرين أنتج حقل العلوم العرفانية والفروع العلمية العرفانية المنضوية تحتها، كما أعاد إثارة عدد غير يسير من القضايا العلمية، ومنها قضايا اللغة التي عالجها الفرع العلمي العرفاني المسمّى اللسانيات العرفانية بمقولات يمكن أن نصفها بالجدّة إلى حدّ بعيد، طعمها انفتاح اللسانيات العرفانية على شتّى العلوم العصبية وعلمي النفس العرفاني والتطوّري، والرياضيات، والذّكاء الاصطناعي، والأنثر وبولوجيا، والفلسفة... إلخ، كما تحوّل موضوع الدّراسة اللسانية من اللغة الخارجية إلى اللغة الدّاخلية؛ أي إن اللسانيات العرفانية تصبّ جام اهتمامها على القدرة اللغوية على مستوى الذهن والدّماغ (المستوى العرفاني والمستوى العصبي)، وعندها ينتقل موضوع اللسانيات العرفانية إلى البحث في ترابط اللغة (القدرة اللغوية، والإبداع اللغوي) بالعمليات الغمليات العصبية باستثمار مخرجات العلوم العرفانية.

وفي خضم هذه التطورات والمحطّات اللسانية رأينا أنه من الأهمية تحديد وضعية الدرس اللساني العربي في مواكبته لها، وعرض محاولاته المستمرّة في ذلك من خلال بحث الجهود اللسانية العربية في تلقي اللسانيات العرفانية، وهو ما كان الأساس والجوهر لهذا البحث الذي أثار منذ البداية مجموعة من التساؤلات حول الإشكالات التي وقع فيها التلقي العربي للسانيات العرفانية، وحاول مقاربتها بآليات نقدية تتغيّا توضيح أهمية التكامل المعرفي، والالتزام المنهجي في بلوغ دراسات تتسم بالجدية والصرامة العلمية، ومن خلال معالجة موضوع بحثنا انتهينا إلى مجموعة من النتائج الجوهرية نلخصها فيما يأتي:

- تتتمي اللسانيات العرفانية إلى حقل العلوم العرفانية الذي طوّرته الثورة المعرفية في منتصف القرن العشرين، ومن أهم سماته ومميّزاته سمة البينية (Interdisciplinary) التي اتسمت بها أيضا العلوم البانية له وعلى رأسها اللسانيات العرفانية التي أصبحت مقارباتها الذهنية تعتمد على مخرجات علوم الأعصاب وعلوم النفس والذكاء الاصطناعي...وغير هذه العلوم.
- يرجع ظهور اللسانيات العرفانية إلى خمسينيات القرن العشرين مع عودة النزعة العقلية إلى الساحة العلمية واللسانية على يد نوام تشومسكي وتصوّراته اللغوية التي تعلقت بتقصي العمليات الذهنية في اكتساب اللغة واستعمالها، كما أن هناك من اللسانيين من يرجع ظهورها إلى الثمانينات وعدّها مقاربة للغة والإدراك نشأت من العمل على الاستعارة والنحو العرفاني، ومبدأها المركزي أن معرفة اللغة هي جزء من مجموعة من القدرات الإدراكية، أما موضوع بحثها الجوهر هو تقصي البنية الذهنية والإدراكية وتنظيمها بتحليل الاستراتيجيات العرفانية التي يستخدمها البشر في التفكير، وتخزين المعلومات، وفهمها، وانتاج اللغة.
- اللسانيات العرفانية حقل علمي يجمع في تحليله اللساني بين اللغة وعلوم الأعصاب والتشريح، وعلوم النفس العرفاني والتطوّري، والأنثروبولوجيا...إلخ، الأمر الذي جعل مركز التحليل اللساني هو القدرة

اللغوية من حيث كونها ملكة ذهنية بازغة عن نشاط الجهاز العصبي متطوّرة بفعل ثقافة الجماعة اللغوية، مع العلم أن تحوّل البحث اللساني إلى دراسة الملكة اللغوية وإبداع اللغة دراسة ذهنية داخلية بدأ فعليا مع نوام تشومسكي وأتباعه المناهضون للشكلية الوصفية مثل: كاتز، وفودور، وجاكندوف وبالتالي يمكننا القول إن بدايات وإرهاصات اللسانيات العرفانية برزت في أطروحات اللسانيات التوليدية والتفسيرية خاصة.

- يحتل التحليل الدّلالي ودراسة المعنى الشقّ الأكبر في اللسانيات العرفانية سواء في الدراسات الغربية أو الدراسات العربية؛ لأنّ منطلقها هو إبراز قيمة التحليل الدّلالي والمكوّن الدّلالي في التوليد اللغوي الذي كان يحتلّ مركزا ثانويا باعتباره مكوّنا تفسيريا تأويليا في نموذج تشومسكي؛ لذلك نجد نظريات ونماذج لسانية عرفانية كثيرة تدور حول دراسة المعنى ومنها على سبيل المثال نظرية الأفضية الذهنية، ونظرية النحو العرفاني، ونظرية الطّراز.
- بدأ نشاط تلقي اللسانيات العرفانية أثناء العقد الأخير من القرن العشرين في الدرس اللساني العربي وحمل لواء هذا النشاط اللساني العرفاني عدة فحول في اللسانيات العربية مثل محمد غاليم، عبد المجيد جحفة، محي الدين محسب، عمر بن دحمان وغيرهم، وقد انتظم هذا التلقي العربي في الترجمة والتأليف، وهذا دليل على الوعي اللساني العربي بالمستجدات اللسانية العالمية وأهميّتها في دراسة اللغة ومنه تنامي جهود اللسانيين العرب في التعريف والتأسيس للسانيات العرفانية في الدّرس اللساني العربي، لكن هذا النشاط العربي في تلقي اللسانيات العرفانية رغم إيجابياته لم يخل من النقائص والمآخذ.
- عالجت الكتابات العربية موضوعات جوهرية من اللسانيات العرفانية بين التنظير لها لاسيما المقاربات الدلالية مثل: نظرية الأفضية الذهنية، ونظرية الاستعارة التصورية، والنحو العرفاني، والدلالة التصورية، وهذا يكشف عن محاولات جادة للإلمام بجوهر اللسانيات العرفانية، على الرغم من أن هذه البحوث اتسمت بالانتقاء والاجتثاث لهذه النظريات دون الرجوع أو الإشارة لمرجعياتها وأصولها التي انبثقت عنها.
- عرف التلقي العربي للسانيات العرفانية اتجاهين أساسين هما: التأليف والترجمة، وكل الجهود المندرجة تحت الاتجاهين عالجت اللسانيات العرفانية بصورة مشوّشة، فتارة نجد مؤلفات عربية شمولية تحاول الإحاطة بكافة النظريات والتصوّرات اللسانية العرفانية مثل جهود الأزهر الزناد، وتارة نجد دراسات جزئية ومخصوصة بمقاربة أونظرية معيّنة مثل كتابات عمر بن دحمان التي عنيت بالاستعارة التصورية، وكذلك النتاج العلمي لمحمد غاليم الذي عني فيه بالتأليف والبحث في مشروع راي جاكندوف عن الدّلالة التصورية. ولا يختلف الأمر في اتجاه الترجمة التي برز فيها ترجمات عبد

المجيد جحفة لبعض مؤلفات جورج لايكوف ومارك جونسون، وترجمة عبد الرزاق بنور لكتاب راي جاكندوف.

- يعاني التاقي العربي للسانيات العرفانية من إشكال الرؤية المخصوصة لها وانتقاء النماذج والنظريات المدروسة وهو ما يجعل الكتابات العربية تركّز على نموذج أو نظرية بعينها دون غيرها، مثلما تقدّم عن الدّلالة العرفانية، والاستعارة التصورية في البحوث العربية المتعلّقة بهما.
- تتميّز طبيعة التلقي العربي للسانيات العرفانية تأليفا وترجمة بغياب التصنيف المنهجي والتكامل المعرفي، فبينما نجد بحوثا ودراسات عربية تجاوزت مرحلة التعريف باللسانيات العرفانية، وتعمّقت في أيجاد روابطها بالانثروبولوجيا، والثقافة، والتداولية مثل كتابات وبحوث عبد الرحمن طعمة، وأحمد عبد المنعم، نجد دراسات عربية أخرى مازالت تثير قضية المصطلح وتبسّط أيما تبسيط في مفاهيم اللسانيات العرفانية ولاسيما الدراسات الجامعية الأكاديمية، ومثلما نجد ترجمات تحاول الإحاطة بمشروع لساني عرفاني كامل (عبد المجيد جحفة)، نجد ترجمات أخرى تخصّ نموذجا لسانيا عرفانيا معيّنا كترجمة عبد الرزاق بنور لمؤلف علم الدلالة والعرفانية لراي جاكندوف، وهو ما تولّدت عنه الانتقائية في التلقي العربي للسانيات العرفانية، ودليل ذلك كثرة التصنيفات حول الاستعارة التصورية والدّلالة العرفانية مثلا دون غيرهما من النظريات والمقاربات الأخرى.
- تعيق تلقي اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة مجموعة كبيرة من الإشكالات قسمناها إلى شقين، الأول متعلّق بقضايا المحتوى والآخر متعلّق بالإشكالات المنهجية، أمّا قضايا المحتوى وما عالجته من موضوعات حول اللسانيات العرفانية من دمجها باللسانيات العصبية، ومزجها بالدراسات الأدبية والنقدية، وقضية التجزيء والانتقاء في تتاول نظريات ونماذج اللسانيات العرفانية ترجمة وتأليفا، وبالرجوع إلى أمّات الكتب الغربية في اللسانيات العرفانية رأينا أن هذا التتاول العربي يختلف عن نظيره الغربي لاسيما من ناحية دمج اللسانيات العرفانية، واللسانيات العصبية، والأدب والنقد، فكل هذه الفروع اللسانية والعلمية نجد لها بحوثا خاصة، مع ذلك فنحن لا نعارض طبيعة هذا الدمج إنما ندعو إلى مراعاة فهم المتلقى العربي الذي سيتحوّل إلى منتج لاحقا.
- يبدأ المنظور الغربي للسانيات العرفانية بنقد تصوّر مركزية التركيب اللساني التوليدي، ونقد تصورات هذه المركزية عن الدّلالة والمعنى التي تطوّرت في كنفها الدلالي نظرية البنية التصورية لراي جاكندوف واللسانيات العرفانية اللايكوفية (نسبة إلى جورج لايكوف) محاولة تدراك الثغرات التي غفلت عنها الدلالة التوليدية وما تلاها من تصورات دلالية. بينما اللسانيات العرفانية من منظور عربي بالكاد تشير إلى هذه المنعطفات على مسار تبلور اللسانيات العرفانية، ونلاحظ أنها تكتفي ببحث علاقة اللسانيات العرفانية بالعلوم العرفانية كما اتضحت من خلال النماذج المعروضة، وتتشغل بمحاولة

- تحليل النصوص اللغوية بمخرجات اللسانيات العرفانية، وهذا ينطبق على الجهود الترجمية العربية بقدر ما ينطبق على الجهود التأليفية.
- وبالنسبة للإشكالات المنهجية فاخترنا منها ما رأيناه الأساس الذي يجب أن ينتظم ويوضع حتى يكون ما بعده من البحوث صارما، وموضوعيا، وعلميا كما يجب، وهي إشكال المصطلح، وإشكال التأسيس الابستيمولوجي الفلسفي، وإشكال منهج اللسانيات العرفانية، وقد انتهينا بعد معالجة هذه الإشكالات إلى أن دراسة المصطلح تأخذ حيّرا كبيرا في الكتابات اللسانية العرفانية العربية وخاصة مصطلح العرفان وتباين الرؤى العربية في تقبّله، الذي دارت مناقشات كثيرة عن مقبوليته العلمية كمقابل للمصطلح الأجنبي (cognition)، واتضح أنه على الرغم من هذا الشد والمد في وضع مقابل عربي للمصطلح (cognition) إلا أنه مازال كل فريق لساني عربي يستعمل مصطلحا مختلفا عن الآخر ومنه نتج التعدد المصطلحي (المعرفة، والعرفان، والإدراك، والعرفنة).
- أما التأسيس المعرفي وتناول الأبعاد الابستيمولوجية للسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية فقد تبيّن أنه شبه مغيّب في التلقي اللساني العربي ولم يتناوله ببعض العرض والتحليل إلا بحوثا عربية ثلاثا هي الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات لمحمد غاليم، والنظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية لعبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم، ومقالة الإدراكيات إطلالة تاريخية إبستيمولوجية لمحي الدين محسب، وجاء فيها أثر بعض قضايا فلسفة اللغة على نشوء اللسانيات العرفانية إلا أن مقالة محسب اهتمت بابستيمولوجيا العلوم العرفانية عامة، بينما لا تخضع اللسانيات العرفانية فيها لأي ممارسة ابستيمولوجية موضوعية حول تمحيص النظريات والنماذج اللسانية العرفانية ونقدها ومساءلة نتائجها، بل تكتفي المؤلفات العربية في معالجة الأبعاد الابستيمولوجية والمرجعيات الفلسفية للسانيات العرفانية بوصف هذه المرجعيات على مستوى علم النفس، وفلسفة اللغة.
- إن المناقشة الابستيمولوجية للسانيات العرفانية هي عرض سطحي لقضايا فلسفة اللغة أو فلسفة الذهن كونهما العصب الابستيمولوجي الرئيسي في فهم اللسانيات العرفانية ومختلف مقارباتها المتشعبة، زيادة على ذلك فإن الممارسة النقدية الابستيمولوجية على القضايا والمسائل الأصول المطروحة في البحث العربي شبه منعدمة، وهذا يفضي إلى الحكم بأن المُساءَلة العربية للمرجعيات الفلسفية والأبعاد الابستيمولوجية للسانيات العرفانية مساءلة قاصرة يعوزها التكامل، والشمول، والتعمق، والنقد والاستدلال المعرفيين.
- تواجه اللسانيات العرفانية في الدرس اللساني العربي المعاصر إشكال المنهج الذي ينبثق بدوره من قلة الوعي العربي بالترابطات والعلاقات المعرفية بين العلوم الناتجة عن الثورة المعرفية؛ حيث خضع منهج

البحث العلمي إلى محاولات كثيرة لتوحيده بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ومن أبرز هذه الجهود الغربية أعمال كارل بوبر، التي تقرّد باستثمارها محمد غاليم في تتاوله منهج البحث في اللسانيات العرفانية، وبالتالي فإننا العرب نعدم البحث التأسيسي لتوحيد منهج البحث العلمي بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية في الكتابات العربية.

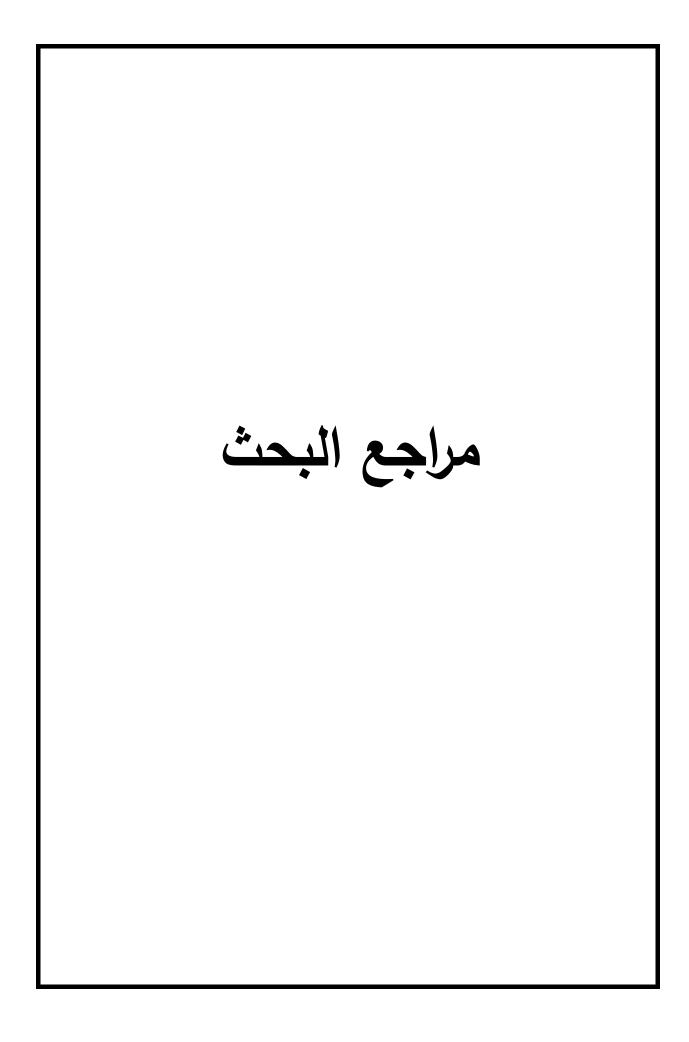
- إن وضع منهج لساني عرفاني من الصعوبة بمكان نظرا لتمركز اللسانيات العرفانية وسط العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، وحتى في منابتها الغربية نجد أغلب الجهود في تحديد منهجها تُجمع على إمكانية تحليل الظاهرة اللغوية وفق المنهج التجريبي كما يمكن تحليلها بالمنهج التأويلي التفسيري تبعا للسياق الذي تدرس فيه من التوليد الذهني على مستوى الدماغ الذي يتطلب تحليلا عصبيا ومنه يعتمد المنهج التجريبي إلى التحليل اللغوي أثناء عملية التواصل وما ينتج عنها من مظاهر ومفاهيم ثقافية تحتاج إلى منهج تأويلي تفسيري، وهذا إثبات على أن اللسانيات العرفانية عابرة للمنهج الواحد في وقتنا الراهن على الأقل أما في الدرس اللساني العربي فإننا نعدم حتى محاولات مناقشة قضية منهج اللسانيات العرفانية، إذا استثنينا محمد غاليم.
- منهج البحث في اللسانيات العرفانية، في الدراسات الغربية، لم ينضج بعد فهي تتقل في دراسة الظواهر اللسانية من المقاربات التأويلية الأنثروبولوجية والثقافية تارة إلى منهج علم الأعصاب وعلم النفس والبيولوجيا التجريبي، وتارة أخرى تتقل إلى المقاربة الحاسوبية في معالجة البرمجة الذهنية اللغوية، لكنها لا تعتمد منهجا واحدا لتحليل الظاهرة اللسانية من جميع جوانبها البيولوجية، والحاسوبية والثقافية في آن واحد، على الرّغم من الادعاءات والبحوث الكثيرة التي طرحت لتوحيد منهج البحث بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية لاسيما أطروحات كارل بوبر.
- يعالج محمد غاليم، باعتباره اللساني العربي الوحيد الذي تناول منهج اللسانيات العرفانية، مجموعة من القضايا متمثّلة في توحيد منهج البحث العلمي من خلال مناقشة الترابط السببي بين العلوم الطبيعية والإنسانية الذي يفرض التكامل بينها، وطرح فرضية المنهج الفرضي الاستنباطي النقدي العائدة لكارل بوبر للتحليل اللساني العرفاني، الذي يمكّننا من تحليل ظواهر العلوم الطبيعية وظواهر العلوم الإنسانية مع الحفاظ على خصوصية كل فرع علمي من هذه العلوم وبالتالي الحفاظ على خصوصية اللسانيات العرفانية رغم النزعة البينية التي تميّزها.
- يثبت محمد غاليم إمكانية توحيد منهج البحث العلمي (المنهج الفرضي الاستنباطي النقدي) من خلال إثبات الترابطات السببية بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، ممثّلا لذلك بالوجاهات الرابطة بين الإدراك البصري أو النسق الإدراكي البصري والملكة اللغوية، التي تكشف عن الترابط بين ما هو عصبي مادي وذهني مجرّد، كما تربط الوجاهات أيضا بين الملكة اللغوية ونسق المعرفة الاجتماعية

الثقافية وهذا ارتباط وجاهي يتم بين مستويين ذهنيين عرفانيين مجردين يتضح من خلالهما أن الوجاهات بين اللغة والأنساق الإدراكية يمكن أن تكون بين الملكة اللغوية والأنساق العصبية، أو بين الملكة اللغوية والأنساق النفسية...إلخ، وهذا الترابط هو مما يتيح توحيد منهج البحث العلمي واعتماد المنهج الفرضي – الاستتباطى النقدي.

- ينصب اهتمام محمد غاليم في محاولاته وضع منهج للسانيات العرفانية على تحديد منهج عرفاني لدراسة البنية التصورية والعمل على إثبات اندماجها في العلوم العرفانية ومما تقدّم يمكننا القول إنّه أثبت اندماج الدلالة التصورية في الأنموذج العرفاني؛ إذ برهن باستعمال المنهج الفرضي الاستنباطي النقدي وبإثارة مجموعة من التساؤلات أن الدّلالة التصورية لا تحدث إلا باتصالها بالأنساق الإدراكية والعصبية، والنفسية عبر الوجاهات الرابطة بينها حيث تربط مدخلات التجارب الحسية المحوسبة بالملكة اللغوية التي تولّد الدلالة التصورية؛ وهذه الارتباطات هي من صميم أسس الأنموذج العرفاني وما يطرحه على كافة العلوم التي يشملها، لكنّ جهوده بهذه الصورة كانت محصورة في منهج الدّلالة التصورية وحدها دون اللسانيات العرفانية ككل.
- رغم ضرورة وأهمية تحري الأصول الابستيمولوجية والمرجعيات الفلسفية والمنهجية لأي علم كان ورغم الحثّ المستمر لقادة اللسانيات العربية عامة مثل مازن الوعر، حافيظ اسماعيلي علوي، عبد الرحمن طعمة وغيرهم على ذلك، إلا أن هذا النوع من البحث الابستيمولوجي والمنهجي في اللسانيات العرفانية لم تطله يد اللسانيين العرب غير محمد غاليم، وعبد الرحمن طعمة، ومحي الدين محسب مع الانحصار الشديد للموضوعات الابستيمولوجية المعالجة من قبلهم، حيث يرجع السبب وراء هذا حسب صابر الحباشة إلى جدّة اللسانيات العرفانية وقلة الوعي اللساني العربي بالدراسات الذهنية الجديدة في اللسانيات العرفانية.
- لا يعود السبب الفعلي، حسب ما نرى، لبطء التلقي العربي في اللسانيات العرفانية إلى جدة هذا الفرع اللساني والتصورات المحيطة به، فقد مضى عليه في الدرس اللساني العربي ما يزيد عن الثلاثة عقود وهي مدة كافية للتأسيس المنهجي العلمي المتكامل للسانيات العرفانية من حيث الموضوع، والمنهج والوظيفة، على أقل تقدير، لكننا نرد السبب الفعلي لهذا البطء إلى الانحصار الشديد للوعي العربي بأهمية اللسانيات العرفانية ليس كمنهج للتحليل اللساني فقط، بل كجسر منهجي للتحليل اللساني الرابط بين الحوسبة والذكاء الاصطناعي، واللغة، وعلوم الأعصاب والتشريح، وعلوم النفس ومن المعلوم أن مخرجات اللسانيات العرفانية في يومنا أصبحت تستثمر في تطوير لغات الآلات الذكية والروبوتات وإذا لم تكن هناك رؤية علمية عربية استشرافية لمثل هذه الاستثمارات فستظل جلّ الفروع العلمية واللسانية على وجه الخصوص حبيسة التنظير والوصف السّطحي للأساسيات والمبادئ العامة.

- من أسباب تأخر البحث العربي في اللسانيات العرفانية وبروز الإشكالات المعروضة سالفا غياب التكامل والتتسيق العلمي بين الباحثين واللسانيين العرب، وكذلك غياب العمل الجماعي المُمَنهج الناتج عن المخابر والمؤسسات العلمية، وليس جدّة هذا الحقل العلمي المسمّى اللسانيات العرفانية.
- يمكن تجاوز هذه الإشكالات سواء ما تعلق منها بالمحتوى أو بالمنهجية من خلال التنسيق العلمي المنهجي بين اللسانيين العرب وتشجيع العمل الجماعي تحت إشراف مخابر ومؤسسات مختصة من أجل توحيد المصطلح اللساني العرفاني، والعمل على نشر الوعي العلمي في الأوساط اللسانية العربية بأهمية الأبعاد الابستيمولوجية والمرجعيات الفلسفية للسانيات العرفانية نظرا لأرضيتها الخصبة الجامعة بين بعض تصورات اللسانيات التوليدية (مثل: الملكة اللغوية، وفطرية اللغة)، والعلوم الأحيائية، والعلوم الإنسانية والأنثروبولوجيا وغيرها.
- يبدي تلقي الكتابات اللسانية العربية المعاصرة للسانيات العرفانية تباينا عن الدراسات اللسانية العرفانية الغربية على أوجه عدّة، وبِعَقْدِ مقارنة بين ما طرح من نظريات ومقاربات لسانية عرفانية غربية في الفصل الأول وما طرح من تصوّرات لسانية عرفانية عربية فيما تلاه من مباحث يُلاحَظُ مثلا أنّ المعالجة العربية للسانيات العرفانية لم تعنى بها وبمقولاتها بصورة مركزية بل جعلت كلّ ما يرتبط بحقل العلوم العرفانية من صميم اللسانيات العرفانية التي تعدّ بدورها مجالا فرعيا من العلوم العرفانية، ونوضتح هذه النتيجة بالإحالة إلى التعمق في نظريات اللسانيات العرفانية كما طرحها روادها من اللسانيين الغربيين (مثل لايكوف، جونسون، إيفانز، لانغاكير ...إلخ) والتي تتمركز على الجانب الذهني المجرد في تحليل الظاهرة اللغوية، في المقابل لا تنفكّ الدراسات اللسانية العرفانية العربية عن ربط مقولات اللسانيات العرفانية بمخرجات العلوم العصبية واللسانيات العصبية.

وخلاصة ما تقدّم أن وضعية البحث العربي في اللسانيات العرفانية تخضع لإشكالات عدة بعضها ظهر مع تلقي اللسانيات العامة ولم يزل مستمرا حتى يومنا هذا، ولا يمكن تجاوز هذه الإشكالات إلا بضرورة التحديد الصارم والمنهجي لمصدرها، وإثارة الوعي العربي بأهميتها وأهمية تعاضد وتفاعل الجهود اللسانية العربية. والله من وراء القصد



قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المعاجم العربية والمترجمة:

- 1) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج 4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، مادّة: [عَرَف].
- 2) جاك موشلار، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، المركز الوطنى للترجمة، تونس، د ط، 2010.
- 3) جمال الدين بن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، مج 11، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، مادة: [عَرَفَ].
- 4) سوزان شنايدر، ماكس فيلمانز، في صحبة الوعي موسوعة بلاكويل عن الوعي، تر: مصطفى سمير عبد الرحيم، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار الروافد الثقافية ناشرون، لبنان، ط1، 2021.
- 5) علي الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2003.
- 6) غي تيبرغان وآخرون، قاموس العلوم المعرفية، تر: جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
- 7) مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8 2005، مادّة: [عَرَفَ].
- 8) يان هوانغ، معجم أكسفورد للتداولية، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2020.

المعاجم الأجنبية:

- 9) Wilson, F. C. Keil, The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences, the MIT press Cambridge, Massachusetts London, England, 1999.
- 10) Hadumod Bussmann, Routledge Dictionary of linguage and Linguistics, Routledge, London, 1st ed, 1996.
- 11) Keith Brown, Jim Miller, The Cambridge Dictionary of linguistics, Cambridge University Press, 1st edition, 2013.
- 12) Michael W. Eysenck, The blackwell Dictionary of Cognitive Psychology, Basil Blackwell, Cambridge centre, Massachusetts, 1st ed, 1991.
- 13) Vyvyan Evans, A glossary of cognitive linguistics, Edinburgh University press, Edinburgh, 2007.
- 14) Allan Collins, Edward E. Smith, Cognitive Science in Michael W. Eysenck The Blackwell Dictionary of Cognitive Psychology, Basil Blackwell, USA, 1st ed, 1990.

الكتب العربية والمترجمة:

- 1) إبراهيم أبو هشهش وآخرون، آفاق اللسانيات دراسات مراجعات شهادات تكريما للأستاذ نهاد الموسى، إشراف وتحرير: هيثم سرحان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2011.
- 2) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدّلالي التداولي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، دط، 1995.
- (النموذج الشبكي البنية الحمد سليمان عطية، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي البنية التصورية النظرية العرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، د ط، 2014.
 - 4) الأزهر الزناد، اللغة والجسد، مركز النشر الجامعي، تونس، دط، 2017.
- 5) الأزهر الزناد، النّص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، مركز النشر الجامعي، تونس، د ط، 2011.
 - 6) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، منشورات الاختلاف، الجزائر، د ط، 2010.
- 7) أفراح لطفي عبد الله، الفلسفة فسيولوجيا العقل وعلم تشريح الأفكار، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
- 8) آلان بونيه، الذّكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله، تر: علي صبري فرغلي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والأدب والفنون، الكويت، دط، أبريل 1993.
- 9) أليساندرو فالسي، وآخرون، في الثقافة والعرفان والتداول مقاربات بينية، تر: ثروت مرسي، عبد الرحمن طعمة، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2022.
- 10) إمانويل كنت، نقد العقل المحض، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1 2013.
- 11) امحمد الملاخ، حافظ اسماعيلي علوي، قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط 1، 2009.
- 12) باتريك هيلي، صور المعرفة مقدمة لفلسفة العلم المعاصرة، تر: نور الدين شيخ عبيد، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008.
- 13) بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2010.
- 14) بلاي ويتباي، الذكاء الاصطناعي، تر: قسم الترجمة بدار الفاروق، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ط 1، 2008.
- 15) بول ريكور، الاستعارة الحية، تر: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 2016.

- 16) بول كوبلي، دليل راوتليدج لعلم السيمياء واللغويات، تر: هبة شندب، المنظمة العربية للترجمة بيروت، ط1، 2016.
- 17) توفيق قريرة، الاسم والاسمية والإسماء في اللغة العربية مقاربة نحوية عرفانية، التسفير الفني صفاقس، تونس، ط1، 2011.
- 18) جورج لايكوف، اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، تر: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق المغرب، د ط، 2008.
- 19) جورج لايكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، تر: طارق النعمان، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، د ط، 2014.
- 20) جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، تر: عبد المجيد جحفة، عبد الإله سليم دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط 1، 2005.
- 21) جورج لايكوف، لا تفكّر في فيل الخطاب السياسي بين المحافظين والتقدّميين، تر: طارق النعمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2015.
- 22) جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 2009.
- 23) جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، تر: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2016.
- 24) جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2011.
- 25) جون سيرل، القصدية بحث في فلسفة العقل، تر: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، د ط، 2009، ص 63.
- 26) جون لانغشو أوستن، الفعل بالكلمات، تح: جايمس أوبي أورمسن، مارينا سبيسا، تر: طلال وهبة، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ط 1، 2019.
- 27) جيفري بوول، النظرية النحوية، تر: مرتضى جواد باقر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان ط1، 2009.
- 28) حافيظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2009.

- 29) الحبيب المقدّميني، التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية، ضمن كتاب دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، تحرير: صابر الحباشة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2019.
- 30) دان سبيربر، ديدري ولسون، نظرية الصلة أوالمناسبة في التواصل والإدراك، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2016.
- 31) راي جاكندوف، الدلالة مشروعا ذهنيا، تر: محمد غاليم، ضمن كتاب دلالة اللغة وتصميمها، دار توبقال للنشر، المغرب، 2007، ط1، ص 14.
- 32) راي جاكندوف، دليل ميسر إلى الفكر والمعنى، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار كنوز المعرفة عمان، الأردن، ط1، 2019.
- 33) راي جاكندوف، دليل ميسر إلى الفكر والمعنى، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2019.
- 34) راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، تر: عبد الرزاق بنور، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة تونس، 2010.
- 35) رنيه ديكارت، تأملات فيزيقية في الفلسفة الأولى تثبت أن الله موجود وأن نفس الإنسان تتميّز عن جسمه، تر: كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط 4، 1988.
- 36) رولاند لانقاكير، مدخل في النحو العرفني، تر: الأزهر الزناد، مراجعة: الحبيب عبد السلام منشورات دار سيناترا، معهد تونس للترجمة، تونس، ط 1، 2018.
- 37) زينايدا بوبوفا، يوسف ستيرنين، اللسانيات الإدراكية، تر: تحسين رزاق عزيز، بيت الحكمة، بغداد العراق، ط1، 2012.
- 38) سليمان أحمد عطية، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية، عصبية، عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط 1، 2019، غلاف الكتاب.
- 39) سليمان أحمد عطية، في اللسانيات العصبية: المعالجة العصبية للغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط 1، 2022، غلاف الكتاب.
- 40) شمس الدين ابن قيّم الجوزية، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: عماد عامر دار الحديث، القاهرة، د ط، 2005، ج3.
- 41) صلاح إسماعيل، اللغة والعقل والعلم في الفلسفة المعاصرة، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2018.
 - 42) صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة والمنطق دراسة في فلسفة كواين، دار المعارف، دط، 1995.
 - 43) صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 2، 2018.

- 44) صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، ط 1، دت.
- 45) عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 2001.
- 46) عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني (نظرية رونالد لانغاكير)، مسكلياني للنشر منوبة، تونس، ط 1، 2010.
- 47) عبد الرحمن الشولي، فلسفة المعنى في الفكر واللغة والمنطق، دار النهضة العربية، بيروت لبنان ط1، 2016.
- 48) عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، المقاربة العرفانية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المنتدى الأوروبي للوسطية، بلجيكا، د ط، 2020.
- 49) عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2019.
- 50) عبد الرحمن طعمة، أحمد عبد المنعم، أنطولوجيا العرفان واللسان: من المنظومية إلى النسقية دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 1، 2022.
- 51) عبد الرحمن طعمة، البعد الذهني في اللسانيات العرفانية: مدخل مفاهيمي، ضمن كتاب دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع.
- 52) عبد الرحمن طعمة، البناء الذهني للمفاهيم بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان، درا كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2018.
- 53) عبد الرحمن طعمة، البناء العصبي للغة دراسة بيولوجية تطوّرية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 1، 2017.
- 54) عبد الرحمن طعمة، في انثروبولوجيا اللسانيات والذهن والخطاب والثقافة، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2022.
- 55) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2006.
- 56) عبد العزيز المسعودي، مقدّمة ترجمة الشكل والخلفية في اللغة، ضمن كتاب إطلالات على النّظريات اللسانية والدّلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج1.
- 57) عبد العزيز لحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 1، 2015.

- 58) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ج1، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 1993.
- 59) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني المؤسسة السعودية، مصر، ط 1، 1991.
- 60) عبد الكبير الحسني، البنيات الدّلالية للزّمن في اللغة العربية من اللغة إلى الذّهن، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 1، 2015.
- 61) عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، دار كتاب نزوى، سلطنة عمان، ط 3 2002.
- 62) عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدّلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1 .2000
- 63) عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ط 3، 2012.
- 64) عفاف موقو، تقديم ترجمة مقدمة كتاب نساء ونار وأشياء خطرة ما تكشفه المقولات حول الذهن ضمن كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج1 عمل جماعي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، ط 1، 2012.
- 65) على القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العمليّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط 2، 2019.
- 66) عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 2015.
- 67) الغالي أحرشاو، الطّفل واللغة تأطير نظري ومنهجي للتمثّلات الدّلالية عند الطفل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993.
- 68) كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية، تر، عبد الحميد صبره مساء المعارف، الإسكندرية، د ط، 1959.
- 69) كيفن واريك، أساسيات الذكاء الاصطناعي، تر: هاشم أحمد محمد، مراجعة: السيد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1، 2013.
- 70) لطفي الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تعريب العلوم الصحية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، د ط، د ت.
- 71) لودفيك فتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، تر: عبد الرّزاق بنّور، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1 .2007

- 72) ليزا زانشاين، لماذا نقرأ الأدب الخيالي نظرية العقل والرواية، تر: خالد بن مهدي، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية ناشرون، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2023.
- 73) ماريو بونجي، العقل والمادة بحث فلسفي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة ط 1، 2019.
- 74) مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق، ط1، 1988.
 - 75) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983.
- 76) مجمع اللغة العربية، معجم علم النفس والتربية، ج 1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة، 1984.
 - 77) محمد الأوراغي، الوسائط اللغوية أفول اللسانيات الكلية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001.
- 78) محمد الأوراغي، محاضرات في النظرية اللسانية والنماذج النحوية، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط 1، 2018.
- 79) محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدّلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين صفاقس ط 1، 2009.
- 80) محمد الملاخ، دراسات نقدية في اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب دراسات مترجمة عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2020.
- 81) محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطوّر الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 5، 2002.
- 82) محمد عبد الودود أبغش، نظرية الأفضية الذهنية مبادئها وتطبيقاتها، دار يافا للبحوث والدراسات والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2018.
- 83) محمد غاليم الحاج، المعنى والتوافق مبادىء لتأصيل البحث الدلالي العربي، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1999.
- 84) محمد غاليم، الأنموذج المعرفي إطارا لاتصال العلوم: بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات، الدار التونسية للكتاب، ط 1، 2021.
- 85) محمد غاليم، اللغة بين ملكات الذهن بحث في الهندسة المعرفية، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، لبنان، ط 1، 2021.
- 86) محمد غاليم، المعنى والتوافق مبادىء لتأصيل البحث الدلالي العربي، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، دط، 1999.

- 87) محمد غاليم، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة مبادئ وتحاليل، دار توبقال للنشر المغرب، ط 1، 2007.
- 88) محمد محمد العمري، الأسس الابستيمولوجية للنظرية اللسانية البنيوية والتوليدية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2012.
 - 89) محمد وقيدي، ما هي الابستيمولوجيا؟، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ط 2، 1987.
- 90) محي الدين محسب، الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط1، 2017.
- 91) محي الدين محسب، انفتاح النسق اللساني دراسة في التداخل الاختصاصي، دار فرحة للنشر والتوزيع المنيا، طد، 2003.
- 92) محي الدين محسب، ضمن كتاب أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، دار الأمان، الرباط المغرب ط1، 2009.
- 93) مختار الغوث، الحرب الباردة على الكينونة العربية: اللغة هوية، صوفيا، الكويت، ط 2، 2021.
- 94) مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط 1، 2013.
- 95) مصطفى غلفان، اللسانيات الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4، د ط، د ت.
- 96) مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1 2013.
- 97) مصطفي غلفان، امحمد الملاخ، حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2010.
- 98) منصور الميغري، تقديم ترجمة الفصل الأول من كتاب الأفضية الذهنية، ضمن كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدّلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج1.
- 99) منية عبيدي، التمثيل الدلالي للجملة منوال جاكندوف 1983، منشورات علامات، مكناس المغرب، ط1، 2013.
- 100) نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1990.

- 101) نوام تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذّهن، تر: حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2005.
- 102) نوام تشومسكي، اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، تر: محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2013.
- 103) نوام تشومسكي، المعرفة اللغوية: طبيعتها، وأصولها، واستخدامها، تر: محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.

الكتب الأجنبية:

- 104) George Lakoff, Mark Turner, more than cool reason a field guide to poetic metaphor, The university of Chicago press, Chicago, 1989.
- 105) George Lakoff, Women, Fire, and dangerous things, what categories reveal about mind, The University of Chicago Press, Chicago and Tends, 1987.
- 106) Gilles Fauconnier, Mapping in thought and language, Cambridge University Press, Cambridge, 1997.
- 107) Gilles Fauconnier, Mark Turner, The way we think conceptual blending and the minds hidden complexities, basic books, 2002.
- 108) Gilles Fauconnier, Mental spaces Aspects of meaning construction in natural language, Cambridge university press, 1st ed, 1994.
- 109) Janet Dean Fodor, Semantics theories of meaning in generative grammar, Harvard university Press, Cambridge, Massachusetts, 1980, 1st ed.
- 110) Jay Friedenberg, Gordon Silverman, Cognitive science an introduction to the study of mind, Sage publications, California, 2006.
- 111) João Branquinho, the foundations of cognitive science, Clarendon Press, Oxford, 1st Ed, 2001.
- 112) John Lyons, semantics, vol 2, Cambridge university press, New York, 1st ed, 1977.
- 113) John Tooby, Leda Cosmides, The psychological Foundations of Culture, in the Adapted mind Evolutionary Psychology and the generation of culture, Oxford University Press, New York, 1992.
- 114) Leonard Talmy, ten lectures on cognitive semantics, Brill, Leiden, Boston, 2018.
- 115) Leonard Talmy, Toward a cognitive semantics: Concept Structuring Systemes Vol 1, The MIT Press, Cambridge, Massachusetts, 2000.
- 116) Noam Chomsky, Aspects of the theory of syntax, The MIT press, 1965.
- 117) Noam Chomsky, Cartesian Linguistics A chapter in the history of rationalist thought, Cambridge University press, The Edinburgh Building, 3 rd edition, 2009.

- 118) Noam Chomsky, The minimalist program, the MIT press, Cambridge, Massachusetts, 20th ed, 2015.
- 119) Ray Jackendoff, Language, consciousness, culture, essys on mental structure, the MIT press, 2007.
- 120) Robert J. Sternberg, Karin Sternberg, Cognitive Psychology, Wadsworth, Cengage learning, 6th ed, 2012.
- 121) Robert J. Sternberg, Talia Ben-Zeev, Complex Cognition the Psychology of human thought, Oxford University Press, 2001.
- 122) Ronald Langacker, Cognitive grammar, A basic introduction, Oxford university press, 2008.
- 123) Ronald Langacker, foundation of cognitive grammar, theoritical prerequisites, vol 1, Stanford, university press, 1987, p 48.
- 124) Ronald Langacker, Foundations of Cognitive Grammar descriptive application, vol 2, Stanford, university press, 1991.
- 125) Steph Menken, Machiel Keestra, An Introduction to Interdisciplinary Research Theory and Practice, Amsterdam University Press, B. V Amsterdam, 2016.
- 126) V.J. Cook, Mark Newson, Chomsky's universal grammar An introduction, Blackwell Publishing, UK, 3rd ed, 2007.
- 127) Vyvyan Evans, Benjamin K Bergen, Jorg Zinken, the cognitive linguistics reader, Equinox publishing Ltd, London, 1st ed, 2007.
- 128) Vyvyan Evans, Cognitive Linguistics a complete guide, Edinburgh University Press, Edinburgh, UK, 2019.
- 129) William croft, Alan Cruse: Cognitive Linguistics, Cambridge university press, Cambridge, 1st ed, 2004.
- 130) Zoltàn Kovecses, Metaphor a practical introduction, Oxford University press, 2nd ed, 2010.

المقالات العربية:

- 131) امحمد الملاخ، المقاربة الإبستيمولوجية في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، مجلة تبيُّن، ع 10/ 3، 2014.
- 132) امحمد الملاخ، ترجمة مصطلحات اللسانيات المعرفية: قضايا وإشكالات، مجلة الإشعاع، ع 10 2018.
- 133) بريجيت نرليش، ديفيد كلارك، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، تر: حافظ إسماعيلي علوي مجلة أنساق، كليّة الآداب والعلوم، جامعة قطر، مج 1، ع 1، 2017، ص 271.

- 134) بشير إبرير، مدخل إلى العلوم المعرفية: اللسانيات والأدب مبحثان معرفيان، مجلة اللسانيات الجزائر، مج 24، ع 2، 2018.
- 135) بيتر ستوكويل، الأسلوبية العرفانية، تر: رضوى قطيط، مجلة فصول، الإدراكيات، مج 25/4، ع 100 القاهرة، 2017.
- 136) حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ، البرنامج الأدنوي: الأسس والثوابت، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 31، 2017.
- 137) حافيظ إسماعيلي علوي، من قضايا اللغة العربية ... في اللسانيات التوليدية، مجلة عالم الفكر الكويت، مج 37، ع 1، 2008.
- 138) حافيظ اسماعيلي علوي، نحن واللسانيات: مقاربة لبعض إشكالات التلقي في الثقافات العربية مجلة كلمة منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، مج 15، ع 59، 2008.
- (139 حبيب بوسغادي، التناول التراثي للسانيات العرفانية ومنجزه المعاصر، مجلة الأكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية، مجلد 1، ع 2، 2020.
- 140) حيدر فاضل عباس، حسن عبد الغني الأسدي، التطور اللساني وإشكالية تحديد المصطلح المعرفة أنموذجا، مجلة تسليم، العراق، مج 4، ع 7+8، ديسمبر 2018.
- 141) ذهبية الحاج حمو، العلوم المعرفية بحث في النشأة والمفاهيم، مجلة أبوليوس، مج 6، ع 2 2019.
 - 142) الربيع بوجلال، اللسانيات العرفانية، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، مجلد 2، ع 2.
- (143) رحمة توفيق، الاستعارة بين التصوّر اللساني والتصوّر البلاغي، حوليات الآداب واللغات، جامعة محمد بو ضياف، المسيلة، الجزائر، مج 05، ع 11، 2018.
 - 144) الشريف مرزوق، نظرية التلقى وأطروحاته، مجلة النص، مج 07، ع 01، 2021.
- 145) صابر الحباشة، المجاز المرسل: محاولة لفهم منزلته في اللسانيات العرفانية، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ع5، 2017.
- 146) صالح بن رمضان، النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي "الاستعارة أنموذجا"، ندوة الدراسات البلاغية الواقع والمأمول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية 2011.
- 147) صلاح الدّين يحي، نظرية النحو العرفاني مستوى الثالوث من الأبنية ذات التّكوّن الجيّد (الدلالة التركيب، المعجم)، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة الجزائر، مج 4، ع 2، 2020.

- 148) صليحة شتيح، ملامح التفكير العرفاني عند النقاد والبلاغيين العرب القدامي، مجلة فصول الإدراكيات، القاهرة، مجلد 25/4، ع 100، 2017.
- 149) عبد الرحمن طعمة، بيولوجيا اللسانيات: مدخل للأسس البيو جينية للتواصل اللساني من منظور اللسانيات العصبية، مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو، الجزائر، ع 37، 2016.
- 150) عبد السلام المسدّي، منهج اللسانيات والبدائل المعرفية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع 83/ 2003.
- 151) عبد السلام عابي، النذير ضبعي، من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية تحولات المباحث والمفاهيم، مجلة اللسانيات، مج 24، ع1، 2018.
- 152) عبد العالي العامري، الدلالة المعرفية وهندسة المعنى، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج 2020) عبد 2020.
- 153) عبد الكبير الحسني، الدلالة المعرفية..آليات إدراك الزّمن، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 179، 2019.
- 154) عثمان زاهية، الاسترسال النحوي الدلالي في اللسانيات العرفانية "ليونارد طالمي أنموذجا"، مجلة الكلم، مج 07، ع 02، 2022.
- 155) عمارة الجداري، الأفضية الذهنية في الخطاب القرآني من خلال نماذج، مجلة الباحث، مج 13 عمارة 1. 2021.
- 156) عمر بن دحمان، البلاغة المعرفية عند مارك تورنر: الذهن الأدبي والمزج التصوّري، مجلة الخطاب، الجزائر، مج 16، ع 2، 2021.
- 14 عمر بن دحمان، المعرفة/ الإدراك/ العرفنة بحث في المصطلح، مجلة الخطاب، مج 8، ع 14 (157) عمر بن دحمان، المعرفة/ الإدراك/ العرفنة بحث في المصطلح، مجلة الخطاب، مج 8، ع 14
- 158) عمر بن دحمان، بعض من مشاريع البلاغة المعرفية "مارك تورنر" نموذجا، مجلة الخطاب الجزائر، ع21.
- 159) الغالي أحرشاو، العلوم المعرفية: من مخاض التعريف والتأسيس إلى رهان التطبيق والاستثمار المجلة العربية "نفسانيات"، مجلد 14، ع 59.
- 160) الغالي أحرشاو، مقومات وخصائص علوم الإنسان في الوطن العربي، المجلة العربية نفسانيات ع 54 55، 2017.
- 161) ففيان إيفانز، ميلاني جرين، ما هو عام الدلالة الإدراكي، تر: أحمد الشيمي، مجلة فصول الإدراكيات، القاهرة، مج 25/4، ع 100، 2017.

- 162) ففيان إيفانز، ميلاني غرين، طبيعة اللسانيات الإدراكية، تر: عبده العزيزي، مجلة فصول الإدراكيات، مج 25/4، ع 100، القاهرة، 2017، ص 57 58.
- 163) قويدر شنان، مفهوم النظرية في اللسانيات، مجلة المقري للدراسات اللغوية والنظرية والتطبيقية مجلد2، عدد4، 2019.
- 164) كاظم جهاد حسن، في البينية، نشأتها ودلالتها، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، مج 25، ع (2) الآداب، 2013.
- 165) لارزيا بليخوفا، مقالتان في إدراك النّص الشعري، تر: محي الدين محسب، مجلة فصول الإدراكيات، القاهرة، مج 25/4، ع 100، 2017.
- 166) لطفي الذويبي، قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، مجلة العلامة، ع 3 2018.
- 167) مجدي بن صوف، صابر الحباشة، مدخل إلى النظرية العصبية للغة، مجلة اللسانيات التطبيقية الجزائر، مج 04، ع 07، 2020.
- 168) محمد مخلص هدى، مفهوم العرفان عند محمد عابد الجابري، دراساتنا: مجلة الدراسات الإسلامية، مج 1 ع 1.
- 169) محمد مرتضى صادق، عروض كتب: الإدراكيات أبعاد ابستيمولوجية وجهات تطبيقية، مجلة فصول، الإدراكيات، القاهرة، مج 25/4، ع 100، 2017.
- 170) وحيدة صاحب حسن، النقد الأدبي المعرفي المعاصر الأصول، المرجعيات، المفهوم مقدمة نظرية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العراق، مج 18، ع 3، 2018.
- 171) وهيبة بوشليق، نظرية الأفضية الذهنية المفهوم والإجراءات، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، مج 3، ع خاص، 2019.

المقالات الأجنبية:

- 172) Andy Clark, David Chalmers, The Extended Mind, Analysis, Vol. 58, No. 1 (Jan, 1998), Oxford University Press on behalf of The Analysis Committee.
- 173) G. Lakoff, Instrumental adverbials and the concept of deep structure, Fondation of language, vol 4, No 1, 1968.
- 174) Gilles Fauconnier, George Lakoff, On Metaphor and Blending, Journal of Cognitive Semiotics, University of Lund, Sweden, Vol 5, Number 1-2, 2014.
- 175) M. Wertheimer, K. Riezler, Gestalt Theory, Social Research, Vol. 11, No. 1 (FEBRUARY 1944), http://www.jstor.org/stable/40982002

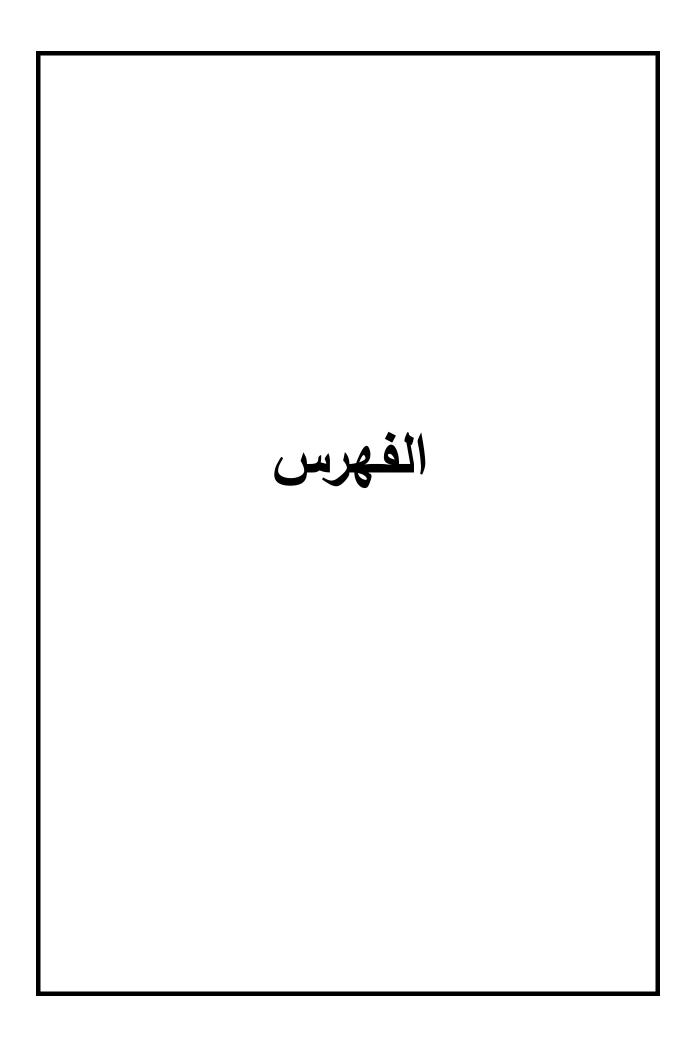
176) William H. Newell, The State of the field: Interdisciplinary Theory, Issues in Interdisciplinary studies, No 31, 2013.

الرسائل والأطاريح:

177) عبد القادر صام، الاستمداد المعرفي للأنموذج العرفاني في اللسانيات العربية – دراسة في خصوصيات التلقي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل، م، د، تخصص اللسانيات العامة، قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات، جامعة غليزان، الجزائر، 2021/ 2022، مقدمة الأطروحة، ص v .

المواقع الإلكترونية:

blogspot الأزهر الزناد، في مصطلح "العرفنة" ومشتقاتها، مقال منشور على مدونة المؤلف http://lazharzanned.blogspot.com/2012/04/blog-- مستخرج من: - 2012/04/blog مستخرج من: - 20



أ – ي	َمة	مقدّ
	خل: الإطار المفاهيمي والمعرفي للعلوم العرفانية واللسانيات العرفانية	
2	يد	تمه
2	/ العلوم العرفانية (Cognitive sciences)	أولا
2	مفهوم العرفان في اللغة والاصطلاح:	۱.
2	فِان لغة:	العر
3	فان اصطلاحا	العر
4	(Cognitive sciences) المفهوم الاصطلاحي للعلوم العرفانية	.II
7	مهمة العلوم العرفانية	.111
	نشأة العلوم العرفانية	
11	با/ المقاربات البانية للعلوم العرفانية	ثاني
11	الفلسفة (Philosophy)	(1
12	علم النفس العرفاني (Cognitive psychology)	(2
15	العلوم العصبية العرفانية (Cognitive Neurosciences)	(3
16	الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence)	(4
18	اللسانيات العرفانية (cognitive Linguistics)	(5
عربي:23	نا/ الحدود المنهجية والمعرفية للسانيات العرفانية في البحث اللساني ال	ثالث
24	اللسانيات العرفانية في البحث اللساني العربي:	(1
27	إطار البحث العربي في اللسانيات العرفانية:	(2
31	الأساس المعرفي للسانيات العرفانية في الدراسات اللسانية العربية	(3
35	صل الأول: في نظريات اللسانيات العرفانية	القد
36	ېيد	تمع
37	/ النظريات التأسيسية للسانيات العرفانية	أولا
37	الأسس المعرفية الايستيمولوجية للسانيات التوليدية	.1

38	1) مشكلة أفلاطون (Plato's Probleme):
39	2) مشكلة ديكارت (الإبداعية اللغوية) (Descarte's Probleme)
40	3) المظهر البيولوجي في لسانيات تشومسكي
41	أ. السمات البيولوجية في النحو الكلي
42	ب. نظرية المبادئ والوسائط (Principals & Parameters):
44	ج. البرنامج الأدنوي (minimalist program):
45	- قضايا البرنامج الأدنوي
46	 المظهر العرفاني في النظريات الدّلالية الانتقالية من التوليدية إلى العرفانية
47	1) الدّلالة التأويلية: نموذج كاتز وفودور (Katz & Fodor) 1963
48	أ. مقولة القاموس (dictionary):
49	ب. ضبط السمات التركيبية للمداخل المعجمية:
50	ج. ضبط السمات الدلالية للمداخل المعجمية:
51	د. قواعد الاختيار وقيود الانتقاء
51	ه. قواعد الإسقاط (projection rules)
53	2) الدلالة التوليدية:
59	3) نحو الأحوال لشارل فيلمور (charlez fillmore)
62	ثانيا/ النظريات المحورية في اللسانيات العرفانية:
62	ا. الدلالة العرفانية (cognitive semantics):
64	1) مبادئ الدلالة العرفانية
64	أ. التجربة الحسية المجسّدة والبنية التصورية
64	ب. البنية الدلالية هي البنية التصورية:
65	ج. فرضية المعنى الموسوعي (encyclopaedic meaning):
66	د. بناء المعنى هو بناء للتصورات:
66	II. نظرية الاستعارة التصوّرية/ المفهومية (conceptual metaphor)

66	1) مرحلة ما قبل الاستعارة التصورية
67	2) مرحلة الاستعارة التصورية
68	أ. ماهية الاستعارة التصوّرية:
69	ب. مبادئ الاستعارة التصورية
70	ج. أنواع الاستعارة التصوّرية
73	د. الوظيفة العرفانية للاستعارة
74	ه. طبيعة الاستعارة
75	و. مستويات عمومية الاستعارة
79	ااا. نظرية الأفضية الذهنية (Mental spaces theory):
81	1) نشأة نظرية الأفضية الذهنية
84	2) مبادئ نظرية الأفضية الذهنية
84	أ. بواني الأفضية (Space Builders):
85	ب. العناصر (Elements)
85	ج. الخصائص والعلاقات (Properties and relations)
86	د. شبكات الأفضية الذهنية (Mental Spacess lattices)
87	ه. النظائر والروابط (Counterparts and connectors)
87	و. مبدأ الاهتداء (The Access Principle)
88	ز. الأدوار والقيم (Roles and values)
89	ح. ترابطات الإسقاط (Projection mappings)
90	ط. ترابطات الدّالة التّداولية (The pragmatic function mapping)
90	ي. ترابطات الخطاطة (Schema mappings)
90	3) من الأفضية الذهنية إلى المزج التصوري (conceptual blending)
91	أ. خطاطة الأفضية المتقاطعة (Cross-space mapping)
91	ب. الفضاء الحامع (Generic snace)

ج. المزج (Blend)
ال. المقاربات العرفانية للنحو (Cognitive approaches to Grammar) المقاربات العرفانية للنحو
95 (Symbolic grammars thesis) أطروحات الأنحاء الرمزية
2) الأطروحات المعتمدة على الاستعمال النحوي (usage-based thesis)
95 (The architecture of cognitive model) هندسة النموذج العرفاني النحوي
97 (Conceptual structring System Model) منوال النظام التّصوّري المبنين
97 (space) والزمن (space) والزمن (time) .1. بناء الفضاء
) 2. التناوب المفهومي
98 (configurational structure system) عظام تشكّل البنية $-1-2$ (
101 (Distribution of Attention) – 2 – 2 النظام الانتباهي
102 (prespectival system) – 3 – 2 (
103 (dynamic system-force) - 4 – 2 (
ب. النحو العرفاني رونالد لانغاكير (Ronald Langacker)
ب. النحو العرفاني رونالد لانغاكير (Ronald Langacker)
ب) 1 - المقولات الأساسية في نظرية النحو العرفاني لرونالد لانغاكير
ب) 1 – المقولات الأساسية في نظرية النحو العرفاني لرونالد لانغاكير
ب) 1 – المقولات الأساسية في نظرية النحو العرفاني لرونالد لانغاكير
107. المقولات الأساسية في نظرية النحو العرفاني لرونالد لانغاكير
107. المقولات الأساسية في نظرية النحو العرفاني لرونالد لانغاكير
107. المقولات الأساسية في نظرية النحو العرفاني لرونالد لانغاكير. 107 1 - المحمولات الاسمية (nominal predications) لأسماء. 108. المدى والجانب والأساس. المعاورة والصورة والصورة والمسورية. 109. التعديلات البؤرية الاختيارية.
107 - المقولات الأساسية في نظرية النحو العرفاني لرونالد لانغاكير 107 - 1 - المحمولات الاسمية (nominal predications) المعمولات الاسمية (أسماء) المدى والجانب والأساس المعررة والصّورية والصّورية. التعديلات البؤرية الاختيارية التعديلات البؤرية الاعتبارية
107 - المقولات الأساسية في نظرية النحو العرفاني لرونالد لانغاكير 107 - 1 - المحمولات الاسمية (nominal predications) 107 - 1 - المحمولات الاسمية (الأسماء) 108 - المحمولات الأساس 109 - المحمولات الإرية الاختيارية 109 - المحمولات البؤرية الاختيارية 110 - المحمولات البؤرية الاعتبارية 111 - المحمولات البؤرية التجريدية

غلاصة
لفصل الثاني: تجلّيات اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة
عهيد
ولا: مظاهر اللسانيات العرفانية في الدرس اللساني العربي المعاصر
ا. التلقي اللساني العربي للأنموذج اللساني العرفاني
1) ركود التّلقي العربي
2) نشاط التلقي العربي
اا. اتجاهات التلقي اللساني العربي للسانيات العرفانية
121
. جهود عبد المجيد جحفة الترجمية
122 الاستعارات التي نحيا بها
123 الدّلالة العرفانية 1 – 1 – الدّلالة العرفانية
) 1 – 2 – المعرفة في الطّرح التجريبي
) 2 - ترجمة كتاب حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل
) 3 - ترجمة كتاب الفلسفة في الجسد الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي
129 النموذج الوصلي للذكاء الاصطناعي وعلم الخلايا العصبية
130 الاستعارة الأولية والنظرية العصبية
ب. جهود عربية أخرى في بلورة اتجاه ترجمة اللسانيات العرفانية
ب) 1 – ترجمة الكتب والقواميس
ب) 1 - 1 - ترجمة عبد الرزاق بنور لكتاب علم الدلالة والعرفانية
-2-1 (بالقدي النقدي الخطاب دراسات نقدية في اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي الخطاب
راسات مترجمة
ب) 1 - 3 - ترجمة ثروت مرسي وعبد الرحمن طعمة لكتاب في الثقافة والعرفان والتداول دراسات
ىنىة.

136ب) $4-1$ حرجمة جمال شحيد لقاموس العلوم المعرفية
ب) 2 - ترجمة الفصول المجتزأة والمقالات المترجمة
137ب) $2-1$ ترجمة مقدّمة كتاب نساء ونار وأشياء خطرة ما تكشفه المقولات حول الذهن
ب) 2 - 2- ترجمة الفصل الأول من كتاب الأفضية الذهنية: مظاهر من بناء المعنى في اللغات
الطبيعية
ب) 2 - 3 - ترجمة صفحات من الفصل الخامس من كتاب "نحو دلالة عرفانية" ليونارد طالمي138
ب) 2 - 4- محاولة حافظ إسماعيلي علوي في ترجمة مقال اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات139
ج/ أهمية النماذج المترجمة وسبب اختيارها
ج) 1- قضايا المحتوى في اتجاه الترجمة العربي:
ج) 2- قضايا منهجية في اتجاه ترجمة اللسانيات العرفانية العربي
2) اتجاه التّأليف
2) 1 - الجهود اللسانية العرفانية العربية الموسعة الشمولية
148 − 1 −1 (2 جهود الأزهر الزّناد
149 حتاب نظریات لسانیة عرفنیّة (2010) -1 -1 -1 (2
153 كتاب النّص والخطاب مباحث لسانية عرفنيّة (2011)
- النص من منظور عرفاني
- النص في إطار العرفنة الاجتماعية
- النص مبني على المعرفة الموسوعية
156 (2017) ج- كتاب اللغة والجسد (2017) (2
159 طعمة 2 – 2 – جهود عبد الرحمن طعمة
160
161 ب – 162 التكامل المعرفي في تفسير البناء العصبي والذهني/ العرفاني للغة $-2-1$
164 النسق الثقافي وتوالد البنية العرفانية للغة $2-2-1$
165 اللسانبات العرفانية وتعليم اللغات

165 المفاهيم البشرية بين التكوين الذهني والتكوين العصبي
2) 2 - الجهود التيسيرية التجزيئية
2) 2 - 1 - قضية الدلالة العرفانية (التّصورية)
2) 2 - 1 - أ - مفهوم البنية التصورية وهندسة التوازي في التصوّر العربي
2 - 2 - نظرية الاستعارة التصورية من المنظور اللساني العربي
170 مسألة التنظير العربي لنظرية الاستعارة التصورية
171 ب – مسألة التطبيق العربي لنظرية الاستعارة التصورية
2) 2 - 3- نظرية الأفضية الذهنية من منظور لساني عربي
173 حديد ماهية نظرية الأفضية الذهنية ومرجعيتها $-3-2$ (2
2) 2 – 3 – ب- السعي نحو إثراء الدرس اللساني العربي
2) 2- 4- قضايا النحو العرفاني في التصور اللساني العربي
2) 4 - 2 - أ- اللغة جزء من العرفان البشري
175 ب - اللغة ذات طبيعة رمزية
2) 4 -2 ج - النحو والمعجم مسترسل واحد
ثانيا/ الواقع العربي للسانيات العرفانية: رهانات التأسيس وآفاق التطوير
ا. رهانات التأسيس العربي للسانيات العرفانية
اا. آفاق التطوير العربي للسانيات العرفانية:
خلاصة
الفصل الثالث: قضايا وإشكالات اللسانيات العرفانية في التفكير اللساني العربي المعاصر191
تمهيد
أوّلا: إشكالات المحتوى في تلقي اللسانيات العرفانية في بعض النماذج اللسانية العربية194
ا. قضية الاختلاف والتفاوت المحتوياتي في تلقي اللسانيات العرفانية العربي
1) قضية المزج في البحث بين اللسانيات العرفانية (cognitive linguistics) واللسانيات العصبية
(neurolinguistics)/ (المزج بين العرفاني والعصبي)

197	1) أ- غلبة الدراسة العصبية على الدراسة اللسانية العرفانية 1
199	1) ب- الطبيعة الموسوعية للمزج اللساني العصبي العرفاني المتبنّى
201	1) ج- انفراد طعمة بدراسة اللسانيات العصبية العرفانية
202	1) د- أبعاد نقدية في دراسة عبد الرحمن طعمة اللسانية العرفانية
204	2) الدمج بين الأدب والعلوم العرفانية واللسانيات العرفانية
205	2) أ- الأدب واللسانيات العرفانية في تفكير محمد غاليم
سب208	2) ب- العلوم العرفانية والتأسيس للنقد الأدبي من منظور عرفاني لدى محي الدين محا
210	2) ج- الأساس العرفاني في تحليل الخطاب الأدبي لدى عمر بن دحمان
212	2) ج- 1- العلاقة بين البلاغة والعلوم العرفانية
213	2) ج- 2- علاقة الاستعارة التصورية بالأدب وإبداعيتها في الخطاب الأدبي
والدراسات النقدية	2) د- أبعاد نقدية في قضية المزج الأدبي بين اللسانيات العرفانية والعلوم العرفانية
215	والأدبية
218	 ال. قضية التّجزيء في بحث اللسانيات العرفانية عربيا ترجمة وتأليفا
نية العربية222	 قضية التّجزيء في بحث اللسانيات العرفانية عربيا ترجمة وتأليفا
نية العربية222	 ال. قضية التّجزيء في بحث اللسانيات العرفانية عربيا ترجمة وتأليفا
نية العربية222 بية	 ال. قضية التجزيء في بحث اللسانيات العرفانية عربيا ترجمة وتأليفا
نية العربية 222 يية	 ال. قضية التجزيء في بحث اللسانيات العرفانية عربيا ترجمة وتأليفا
نية العربية 226 يية 228 229 231	 ال. قضية التجزيء في بحث اللسانيات العرفانية عربيا ترجمة وتأليفا
نية العربية 226	 ال. قضية التجزيء في بحث اللسانيات العرفانية عربيا ترجمة وتأليفا. 1) قضية غياب التنسيق بين ترجمات عبد المجيد جحفة وبقية الترجمات اللسانية العرفائيا: إشكالات المنهجية في تلقي اللسانيات العرفانية في بعض النماذج اللسانية العرفائيات المصطلح. 1. إشكال المصطلح. 1) مصطلح العرفنة في مقابل مصطلح (Cognition). 2) مصطلح المعرفة في مقابل مصطلح (Cognition).
نية العربية 226 يية 228 229 231 232	 ال. قضية التجزيء في بحث اللسانيات العرفانية عربيا ترجمة وتأليفا. 1) قضية غياب التنسيق بين ترجمات عبد المجيد جحفة وبقية الترجمات اللسانية العرفائيا: إشكالات المنهجية في تلقي اللسانيات العرفانية في بعض النماذج اللسانية العرابية العرفال المصطلح. 1. إشكال المصطلح. 1) مصطلح العرفنة في مقابل مصطلح (Cognition). 2) مصطلح المعرفة في مقابل مصطلح (Cognition). 2) أ- دحض ونقد افتراض الاشتراك المفاهيمي والاصطلاحي
222	 ال. قضية التجزيء في بحث اللسانيات العرفانية عربيا ترجمة وتأليفا
222	 ال. قضية التجزيء في بحث اللسانيات العرفانية عربيا ترجمة وتأليفا (1) قضية غياب التنسيق بين ترجمات عبد المجيد جحفة وبقية الترجمات اللسانية العرفائيا: إشكالات المنهجية في تلقي اللسانيات العرفانية في بعض النماذج اللسانية العراء الشكال المصطلح (1) مصطلح العرفنة في مقابل مصطلح (Cognition) (2) مصطلح المعرفة في مقابل مصطلح (Cognition) (2) أ- دحض ونقد افتراض الاشتراك المفاهيمي والاصطلاحي (2) ب- محاولة إبطال جدوى تبنّي مصطلح العرفنة مقابلا لـ (cognition) (2) ج- التلاؤم المفاهيمي والمصطلحي لمصطلح معرفة كمقابل لـ (cognition) (2) ج- التلاؤم المفاهيمي والمصطلحي لمصطلح معرفة كمقابل لـ (cognition)

1) مرجعيات اللسانيات العرفانية في علم النفس في الكتابات اللسانية العربية
2) المرجعيات الفلسفية للسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية
2) أ- مبدأ شروط الصّدق وتأثيره على تبلور اللسانيات العرفانية
2) ب- قضية الإحالة وإجابتها عن سؤال علاقة اللغة بالمستعمل/ المتكلم
2) ج- الإبداع اللغوي في فلسفة نعوم تشومسكي اللسانية
2) د- التأسيس الابستيمولوجي للسانيات العرفانية لدى عبد الرحمن طعمة
258 الأسس الفلسفية لنظرية المعرفة وعلاقتها باللسانيات
- مبحث الفلسفة اللغوية لدى لودفيغ فيتغنشتاين
- مبحث الأبعاد الابستيمولوجية للنموذج اللساني العرفاني المعاصر
2) د- 2- الأسس الفلسفية اللغوية وعلاقتها بالعلوم العرفانية
261 وبناء الذهن لدى جون لوك 261
2) د- 2- 2- المظاهر العرفانية في فلسفة جون سيرل اللغوية وتطور المعنى في أفعال
لكلاملكلام
263 و- 3- إضافات جون سيرل على نظرية أفعال الكلام
2) د- 4- المظاهر اللسانية العرفانية في مقاربات كاتز وفودور لفهم اللغة البشرية
2) هـ ملاحظات نقدية على منظور عبد الرحمن طعمة وأحمد عبد المنعم في ابستيمولوجيا اللسانيات
لعرفانية
-1 هـ -1 شمولية بحث "النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستيمولوجية" في الطرح الفلسفي
لابستيمولوجي
2) هـ - 2- بعض المآخذ على الطرح الفلسفي الابستيمولوجي في بحث "النظرية اللسانية العرفانية
راسات ابستيمولوجية"
ااا. إشكال منهج اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية
1) منهج اللسانيات العرفانية من المنظور الغربي
2) منهج اللسانيات العرفانية من منظور لساني عربي
3) منهج اللسانيات العرفانية في تفكير محمد غاليم

الفهرس

280	3) أ- التكامل المعرفي أساس المعرفة العلمية
282	3) ب- توحيد منهج البحث العلمي
284	3) ج- المنهج الفرضي- الاستنباطي النقدي لدراسة اللسانيات العرفانية
لعرفانية وآلياته التي يطرحها	3) د- مظاهر تجاوب المنهج الفرضي- الاستنباطي النقدي مع اللسانيات ا
286	في التحليل
287	3) ه- الوجاهات مظهر من مظاهر اندماج اللسانيات في الأنموذج العرفاني
288	3) و – الوجاهات بين اللغة والأنساق الإدراكية
291	4) على سبيل الختام واقتراح بعض الحلول
297	خاتمة
305	مراجع البحث
320	الفهرس

ملخص:

تستكشف هذه الدراسة الموسومة "إشكالات تلقي اللسانيات العرفانية في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة" جانبا من واقع تلقي اللسانيات العرفانية عربيا ممثلا في الإشكالات المعيقة لنموّها في الدّرس اللساني العربي المعاصر؛ ولتحقيق أهداف الدّراسة في عرض ونقد إشكالات تلقي اللسانيات العرفانية عربيا جرى اختيار المقاربة النقدية التحليلية والمقارنة منهجا أساسيا للبحث، وتكوّنت عيّنة الدراسة من مجموعة من البحوث والدراسات العربية المؤلفة والمترجمة في اللسانيات العرفانية تمّ اختيارها لاعتبارات عدّة أبرزها اعتبار الموضوع اللساني العرفاني المعالج، ومدى ذيوع الدّراسة العينة في الوسط اللساني العربي.

وتوصل البحث في إشكالات تلقي اللسانيات العرفانية عربيا إلى نتائج عدّة منها: وجود وعي لساني عربي وجهود منهجية فاعلة في دراسة اللسانيات العرفانية، لكن طابعها الغالب هو التشتت والتفتّت في نتاول موضوعاتها بالبحث، وبرهان ذلك انكباب البحث اللساني العربي على الدّلالة العرفانية ونظرياتها المختلفة دون غيرها، وهذا بدوره أدّى إلى بروز عدد من الإشكالات الموضوعاتية والمنهجية في تلقي اللسانيات العرفانية وفي طليعتها إشكال التفاوت المعرفي في معالجة نظرياتها سواء في الأعمال العلمية المترجمة أو المنتجة باللغة العربية، وإشكال المزج بين اللسانيات العرفانية وحقول معرفية أخرى في مرحلة مبكرة جدّا من البحث العربي فيها، وكذلك إشكال البعد الابستيمولوجي والفلسفي الذي لم يتضح سوى أنه عرض سطحي مبسط لبعض مسائل فلسفة اللغة أو فلسفة الذهن بينما تتعدم الممارسة النقدية اللسانية العرفانية العربية انعداما شبه تامًّ. يضاف إلى هذا إشكال منهج البحث في اللسانيات العرفانية الذي لم يبلغ بعد مرحلة النضج في أصوله الغربية بينما لم يلتفت إليه في التفكير اللساني العربي سوى اللساني يبلغ بعد مرحلة النضج في أصوله الغربية بينما لم يلتفت إليه في التفكير اللساني العربي سوى اللساني يبلغ بعد مرحلة النضج في أصوله الغربية بينما لم يلتفت إليه في التفكير اللساني العربي سوى اللساني ممدمد غاليم بشيء غير يسير من العموم.

من جهة أخرى توصل البحث أيضا إلى السبب الذي نعدّه رئيسا في تأخر التفكير اللساني العرفاني العربي وهو راجع إلى انحصار الوعي بأهمية اللسانيات العرفانية ومركزيتها بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ممّا يجعلها جسرا معرفيا مهمّا، وإلى غياب التكامل المعرفي والمنهجي في البحث اللساني العربي. وعليه كانت أهم التوصيات التي طرحها البحث لتجاوز هذه الإشكالات والمعوّقات ضرورة اتباع منهجية بحث علمية متكاملة في الكتابات اللسانية العرفانية العربية لاسيما تلك التي تصدر عن مؤسسات ومخابر البحث الأكاديمية، بحيث يخلق تنظيم وتضافر الجهود اللسانية العربية وتكاملها توازنا وشمولا في تناول مضامين ومقولات اللسانية العرفانية.

الكلمات المفتاحية: العلوم العرفانية، اللسانيات العرفانية، الدرس اللساني العربي، المنهج اللساني العربي، التلقى اللساني العربي.

Abstract:

This study which titled "Problems of Receiving Cognitive Linguistics in Contemporary Arabic Linguistic Writings" explores part of receiving Arab Cognitive linguistics reality represented by the problems hindering its growth in the contemporary Arabic linguistic lesson; and for realize the objectives of this study in exposing and critic the Arabic cognitive linguistics receiving we choose the Analytic critic and comparative approaches as a basic methods to research. The research sample from a group of Arabic writing or translating researches and studies in cognitive linguistics which choosing for many considerations, one of the most important considerations is The treating cognitive linguistic subject, and the extent to which the sample study is renown in the Arabic linguistic medium.

The research on the problems of receiving Cognitive linguistics in the Arab world reached several results, including: the existence of Arabic linguistic awareness and effective methodological efforts in the study of cognitive linguistics, but its predominant character is the dispersion and fragmentation in dealing with its topics in research, and the proof of this is the involvement of Arabic linguistic research on the cognitive semantics and its various theories without others, and this in turn led to the emergence of a number of thematic and methodological problems in receiving cognitive linguistics, foremost of which is the problem of subject disparity in the treatment of its theories, whether in translated or produced Arabic scientific works. And the problem of merging cognitive linguistics with other fields of knowledge at a very early stage of Arabic research, as well as we have the epistemological and philosophical dimensions problem, which turned out only to be a simplified superficial presentation of some issues from language philosophy or mind philosophy, while the critical practice of Arabic cognitive linguistic is almost completely absent. Added to this is the problem of the research method in cognitive linguistics, which has not yet reached maturity in its Western origins, while only the linguist Muhammad Ghalim paid attention to it in Arabic linguistic thinking with something that is not easy in general.

On the other hand, the research also found the reason that we consider major of the delay in Arabic linguistic thinking, which is due to the limited awareness of the cognitive linguistics importance and its centrality between the natural sciences and the humanities, which makes it an important cognitive bridge, and to the absence of scientific and methodological integration in Arabic linguistic research. Accordingly, the most important recommendations put forward by the research to overcome these problems and obstacles were the need to follow an integrated scientific research methodology in Arabic cognitive linguistic writings, especially those issued by academic research institutions and laboratories, so that the organization and synergy of Arabic linguistic efforts and their integration creates a balance and comprehensiveness in dealing with the cognitive linguistics contents and categories.

Keywords: Cognitive sciences, Cognitive linguistics, Arabic linguistic lesson, cognitive linguistic method, Arabic linguistic reception.